وقفات في الطبقات

الجزء الثاني

جمع
احمد عثمان

الشيخ حسين الجاكي رحمه الله

إمـام جـامع الجـاكي، وخطيبـه، وكـان ً واعظا صـــالحا يذكر الناس، وينتفع الناس بكلامه وعقدوا .له ً مجلســا عند الســلطان ليمنعوه من الوعظ وقالوا: إنه يلحن فرسـم السلطان بمنعه فشكا ذلك لشيخه الشيخ أيوب الكناس فبينما السلطان في بيت الخلاء إذ خرج له الشـيخ أيوب من الحائط، والمكنســة على كتفه في صــورة أســد عظيم، وفتح فمه يريد أن يبلع الســلطان فارتعد الســلطان، ووقع ً مغشــيا عليه فلما أفاق قال له: أرســـل للشـــيخ حســـين يعظ، وإلا أهلكتك ثم دخل من الحائط فترل السلطان إلى الشيخ حسين، وأراد الاجتماع

بالشيخ أيوب فلم يأذن له. مات الشيخ حسين سنة ثلاثين وسبعمائة، ودفن خارج باب النصرـ في زاوية شـيخه أيوب، وقبره ظاهر يزار مآ. كل ليلة أربعاء وصبيحتها .رضي الله تعالى عنه .

ومنهم الشيخ خضر الكردي رحمه الله

شـــيخ الملـك الظـاهر بيبرس أبي الفتوحـات رحمـه اللـه، كـان بـه الإلمـام الكثير، والتصـوف، والكشـف، والهمة، والمدد وكان السـلطان يترل كثيراً لزيارته، ويحادث بأسراره، ويسـتصحبه في أسفاره فرمى أولاد الحلال بينه وبينه فنقم عليه، وحبسه فطلع للســلطان جمرة رعت ظهره فأرســل يتعطف بالشــيخ، وأطلقه فقال أجلي قريب من أجل السلطان فماتاً قريبا من بعضهما، والشيخ خضر قبله بأيام في سنة خمس وسـبعين الطبقات وسـتمائة، وكان حبس الشيخ أربع سنين، ومع ذلك كان يرســل له الأطعمة الفاخرة إلى الحبس وكان يقول :إذا عزم أحدكم على مخاصــمة أحـد فلا يهيء لـهً كلاما فإن كل كلام مهيأ مفســـود .دفن رضي الله عنه بزاويته تجاه جامع الملك الظاهر علي الخليج الحاكمي بمصرـــ وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه.

المدفون بظاهر القاهرة بالحسينية وله مقام عظيم، وكرامات كثيرة، وله وقت كل ليل أربعاء، وهو أخو الشيخ خضر في الطريق، وكان من أصحاب سيدي الشيخ أبي السـعود بن أبي العشائر السابق ترجمته،ومناقبهما مشهورة. ماتا سنة سبع وستين وستمائة رضي الله عنهما .

ومنهم الشيخ محمد بن هارون رحمه الله

من أهل مدينة سـنهور بالبحر الغربي، وهو الذي كان يقوم لوالد سـيدي إبراهيم الدسـوقي إذا مر عليه، ويقول: في ظهره ولي يبلغ صـبته المشرـق، والمغرب، وكان سـبب خراب بلده سـنهور المدينة أنه كشف له عن صاعقة تتزل عليها من السماء تحرقهـا بأهلها فأمر بذبح ثلاثين بقرة، وطبخها، ومدها في زاويته، وقال للنقباء لا تمنعوا أحـدا يكـل أو يحمـل فـأكل الناس، وحملوا جهدهم فجاء فقير مكشـــوف العورة أشـعث أغبر فقال أطعموني فأطعموه حتى عجزوا فلم يقدروا عليه يشـبع فدفعوه، وأخرجوه فترلت الصـــاعقة على البلد فخرج الشـــيخ بأهله، ومن تبعه، وهلك الناس في أسـواقهم، وبيو..م أجمعين. فقال الشيخ للنقيب يا ولدي ما هذا الـذي فعلتـه شـــخص يريـد أن يتحمـل البلاء عن بلدنا بأكلة تمنعه فهي إلى الآن خراب، وعمروا خلافها، وكانت مدينة عظيمة رأوا سـقوفها مرصـصـة فوق الظهور بالحرير بدل الحصر والأنخاخ. وحكى لي شيخنا سيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه أن سـيدي محمد بن هارون سـلبه حاله مرة صـبي القراد، وذلك أنه كان إذا خرج من صـلاة الجمعة تبعه أهل المدينة يشـيعونه إلى داره فمر بصـبي القراد، وهو جـالس تحـت حـائطـه يفلي خلقته من القمل، وهو ماد رجليه فخطر في سر الشـيخ أن هذا قليل الأدب يمد رجليه، ومثلي مار عليه فسلب لوقته وفرت الناس عنـه فرجع فلم يجد الصـــبي فدار عليه في البلاد إلى أن وجده في رميلة فلما نظر القراد الكبير إليه، وهو واقف وقد فرغوا قال له تعال يا سيدي الشيخ مثلك يخطر في خاطره أن لهً مقاما أو قدرًا هذا الصبي سلبك حالك فله أن يمد رجله بحضرتك

لكونه أقرب إلى الله منك فقال التوبة فأرسله إلى سنهور المدينة إلى الحائط التي كان يفلي ثوبه عندها، وقال له ناد السحلية التي هناك في الشق وقل لها إن قزمان طاب خاطره علي فردى علي حالي فخرجت ونفخت في وجهه فرد الله عليه حاله رضي الله عنه..

ومنهم الشيخ يحيى الصنافيري رحمه الله

صاحب المكاشفات الجمة كان عالماً صالحا تقصده الناس بالزيارات من سائر الأقطار .مات سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة ودفن بتربة الشيخ أبي العباس البصير بالقرافة، وكانت جنازته مشهورة. ولما جاء سيدي يوسف العجمي رضي الله عنه من بلاد العجم إلى مصر استأذن الشيخ يحيى في الدخول فأذن له وكان لا يدخل أحد من الأولياء مصر إلا بإذنه، وأنشده سيدي يحيى رضي الله عنه:

ألم تعلم بأني صيرفي   أحك الأولياء على محكى

فمنهم بهرج لا خير فيه   ومنهم من أجوزه بسبكى

وأنت الخالص الذهب المصفى   بتزكيتي، ومثلي من يزكى

ومنهم الشيخ أبو العباس البصير رحمه الله

كان من أصـــحاب الكشـــف التام والقبول العام، وكان من معاصري الشـــيخ أبي السـعود بن أبي العشـائر، وكان سيدي أبو السعود في زاويته بباب القنطرة يراسله بـالأوراق في أيام خليج النيل الحاكمي إلى باب الخرق بزاوية الشـــيخ أبي العباس فكانت ورقة أبي الســـعود تقلع، وورق أبي العباس تحدر إلى أن ترسي على ســـلم البحر، ولا تبتل رضي الله عنهما. قال ســـيدي حاتم خدمت ســـيدي الشـــيخ أبا السعود عشرين سنة وأنا أسأله أن يأخذ علي العهد فيقول لست من أولادي أنت من أولاد أخي أبي العباس البصـير سيأتي من أرض المغرب فلما قدم إلى مصر أرسل سيدي أبو السعود إلى سيدي حاتم، وقال له شيخك قدم الليلة فاذهب لملاقاته في بولاق فأول من اجتمع به من أهل مصرـ سيدي حاتم فلما وضع يده في يده قالً أهلا بولدي حاتم جزى الله أخي أبا الســـعود خيراً في حفظك إلى إن قدمنا، وحكي أن امرأة سـيدي أبي السعود دعيت إلى الحضور في عرس ببيت أمير كبير، وكان لها مرقعة فشاورت الشيخ فأذن لها فقالت بمرقعتي

فقال: نعم فذهبت فقلب الله تعالى عينها حريرًاً مزركشـاً مفصـصـاً فصوصا من المعـادن لا توجـد في ذخـائر الملوك فكـانـت الخوندات يتعجبن منها، ويقلن كيف يكون مثـل هذا لامرأة فقير فطلبت واحدة منهنً فصـــا بألف دينار فأبت امرأة الشـيخ، وقالت ما معي إذن فلما رجعت إلى الشـيخ، وأخبرته تبسـم وقال إن الله يستر من يشاء من عباده، وقدم شخص من مريدي الشيخ أبي العباس على سيدي

عبد الرحيم القناوي بعد وفاة الشـيخ أبي العباس وكان الشـيخ يأخذ العهد على جماعـة من الحـاضرين فمـد يـده ليـد فقير سـيدي أبي العباس وهو في المحراب فخرجت يد أبي العباس من الحائط فمنعت يد الشيخ عبد الرحيم فقال رحم الله أخي أبا العباس يغير على أولاده حياً، وميتا رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ حسن شيخ المسلمية رحمه الله

كان سـيدًا كبيرًا .مات رضي الله عنه سـنة أربع وسـتين وسـبعمائة بجامع القبلة بالرصد، ودفن بالقرافة الكبرى بمصر قريبا من قبر الشيخ أبي الخير الأقطع بالقرب من الديلمية رضي الله تعالى عنه.

ومنهم الشيخ علي السدار رحمه الله

المدفون بزاويته بحارة الروم بالقرب من باب زويلة كان يبيع السدر ثم انقطع في بيته يزار إلى أن مات رضي الله عنه سـنة ثمان وسـبعين وسـبعمائة، وجاءه شخص مرة يطلب حناء فأعطاه سـدرًا فرده إليه ،وقال: هذا سـدر ونحن ما حاجتنا إلا بـالحنـاء للعريس فقـال آخر النهار تحتاجون إلى السـدر، ولا حاجة لكم بالحناء فمات العريس آخر الليل فغسلوه به رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله

هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشـاذلي بالشـين والذال المعجمتين .وشـاذلة قرية من أفريقية، الضرير الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، وكان كبير المقـدار عـالي المنار له عبارات فيها رموز ،فوق ابن تيمية سـهمه إليه فرده عليه، وصحب الشـيخ نجم الدين الأصفهاني، وابن مشيش، وغيرهما، وحج مرات، ومات بصحراء عيذاب قاصدًا الحج فدفن هناك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وسـتمائة، وقد أفرده سـيدي الشـيخ تاج الدين بن عطاء الله هو وتلميذه أبو العباس بالترجمة. وها أن أذكر لك ملخص ما ذكره فيها فأقول وبالله التوفيق: قد ترجم رضي الله عنه في كتاب لطائف المنن سيدي الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه بأنه قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية علم المهتدين زين العارفين أستاذ الأكابر زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار القطب الغوث الجامع أبو الحسـن علي الشـاذلي رضي اللـه عنـه لم يدخل طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة، وشهد له الشيخ أبو عبد الله بن
النعمان بـالقطبـانيـة جـاء رضي الله عنه في هذه الطريق بالعجب العجاب، وكان الشـيخ تقي الدين بن دقيق العيد رضي الله عنه يقول ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

من كلامـه رضي اللـه عنـه :عليـك بـالاســـتغفـار وإن لم يكن هنـاك ذنب، واعتبر باسـتغفار النبي صـلى الله عليه وسـلم بعد البشـارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه، وما تأخر هذا في معصوم لم يقترف ً ذنبا قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو عن العيـب، والـذنـب في وقت من الأوقات، وكان رضي الله عنه يقول إذا عارض كشـفك الكتاب، والسـنة فتمسـك بالكتاب، والسـنة ودع الكشـف، وقل لنفسـك إن الله تعالى قد ضـمن لي العصـمة في الكتاب، والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة مع أ..م أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة، وكان رضي الله عنه يقول: لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي :يا أبا الحسن أصـحبك الله اللطف الجميل، وكان لك صـاحبا في المقام والرحيل، وكان رضي الله عنه يقول إذا جاذبتك هواتف الحق فإياك أن تستشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات وتردها فتكون من الجاهلين، واحذر أن تدخل في شيء من ذلك بالعقل، وكان رضي الله عنه يقول: إذا عرض عارض يصـدك عن الله فاثبت قال الله تعالى "يـا أيهـا الـذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم نفلحون "" الأنفـال :"٤٥ وكان يقول :كل علم يســـبق إليك فيه الخواطر، وتميل إليه النفس، وتلـذ بـه الطبيعة فارم به وإن كانً حقا وخذ بعلم الله الذي أنزله على رســـوله، واقتـد به، وبالخلفاء، والصـــحابة، والتابعين من بعده وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى، ومتابعته تسلم من الشكوك، والظنون، والأوهام، والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه، وماذا عليك أن تكون عبد الله، ولا علم، ولا عمل، وحسبك

من العلم العلم بالوحدانية، من العمل محبة الله، ومحبة رسـوله صـلى الله عليه وســلم، ومحبة الصــحابة، واعتقاد الحق للجماعة قال رجل : " متى الســاعة يا رسول الله؟ قال :ما أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله

فقال :المرء مع من أحب ،" وكان يقول: إذا كثر عليك الخواطر، والوســاوس فقل سبحان الملك الخلاق "إن يشأ يذهبكم،

ويـأتي بخلق جـديـد، ومـا ذلك على الله بعزيز" وكان يقول لا تجد الروح، والمدد ويصـــح لـك مقـام الرجـال حتى لا يبقى في قلبـك تعلق بعلمـك، ولا جـدك، ولا اجتهادك، وتيأس من الكل دون الله تعالى وكان رضي الله عنه يقول من أحصـــن الحصـون من وقوع البلاء على المعاصي والاسـتغفار قال الله تعالى ": وما كان الله ليعذ..م وأنت فيهم وما كان الله معذ..م وهم يستغفرون "" الأنفال :"٣٣ ، وكان يقول :إذا ثقل الذكر على لســـانك، وكثر اللغو في مقالك، وانبســـطت الجوارح في شهواتك، وانسد باب الفكرة في

مصـــالحك فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك أو لكون إرادة النفق في قلبك، وليس لك طريق إلا الطريق، والإصـلاح، والاعتصـام بالله والإخلاص في دين الله تعالى ألم تسـمع إلى قوله تعالى ": إلا الذين تابوا وأصـلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم الله فأولئك مع المؤمنين" ولم يقل من المؤمنين، فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيها ً، وكان رضي الله عنه يقول ارجع عن منازعة ربك تكن موحدًا، واعمل بأركان الشرع تكن ســـنيـا ً، واجمع بينهما تكن محققـا ً، وكان يقول قيل لي يا علي ما علي وجه الأرض مجلس في الفقه أ..ى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على

وجه الأرض مجلس في علم الحديث أ..ى من مجلس الشـيخ عبد العظيم المنذري وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أ..ى من مجلس الشـيخ عبد العظيم المنذري وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أ..ى من مجلسك وكان يقول من أحب أن لا يعصي

اللـه تعـالى في مملكتـه فقد أحب أن لا تظهر مغفرته، ورحمته وأن لا يكون لنبيه صلى الله عليه وسلم شفاعة، وكان يقول لا تشم رائحة الولاية، وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها وكان رضي الله عنه يقول أسـباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو شخص يؤذيك في نفسك أو عرضك فإن كنت أذنبت فاستغفر، وإن كنت ذهبت عنك الدنيا فارجع إلى ربك، وإن كنت ظلمت فاصـبر، واحتمل هذا دواؤك، وإن لم يطلعك الله تعالى على سـبب القبض فاسـكن تحت جريان الأقدار فأ..ا سـحابة سـائرة، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما حقيقة المتابعة؟ فقال رؤية المتبوع عند كل

شيء، ومع كل شيء وفي كل شيء، وكان يقول الشـيخ من ذلك على الراحة لا من ذلـك على التعب، وكان يقول: من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسـول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعي، وكان يقول: من آداب ا..الس للأكابر التخلي عن الأضـداد، والميل، والمحبة، والتخصـيص لهم، وترك التجسـس على عقائدهم. وكان يقول :إذا جالست العلماء فلا تحدثهم إلا بالعلوم المنقولة،

والروايات الصـحيحة إما أن تفيدهم، وإما أن تسـتفيد منهم، وذلك غاية الربح منهم.

وإذا جالست العباد، والزهاد فاجلس معهم على بساط الزهد، والعبادة، وحل لهم ما استمرءوه، وسهل عليهم ما استوعروه، وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه، وإذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم تظفربالعلم المسكون، وكان يقول إذا انتصر الفقير لنفسه، وأجاب عنها فهو، والتراب سواء، وكان يقول إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تعبأن به، وكان يقول من غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه لسرعة المراد، وكثرته، واختلاف أنواعه، وأي وقفة تسعه حتى يحل أو يعقد أو يعزم أو ينويً شيئا من أموره مع تعداد إرادته، واضمحلال صفاته أين أنت من نور من نظر ،واتسع نظره بنور ربه، ولم يشغله المنظور إليه عمن نظر به فقال :ما من شيء كان، ويكون، وإلا وقد رأيته الحديث، وكان رضي الله عنه يقول: إذا استحسنتً شيئا من أحوالك الباطنة أو الظاهرة، وخفت زواله فقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وكان يقول، ورد المحققين إسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن

تستعملً محبا لغير محبوبه .

وفي رواية أخرى، ورد المحققين رد النفس بالحق عن الباطن في عموم الأوقات، وكان يقول لا يتم للعالم سلوك طريق القوم إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح، وكان يقول لا تؤخر طاعات وقت لوقت آخر فتعاقب بفوا..ا أو بفوات غيرها أو مثلها جزاء لما ضيع عن ذلك الوقت فإن لكل، وقتً سهما فحق العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، وأما تأخير عمر رضي الله عنه الوتر إلى آخر الليل فتلك عادة

جارية، وسنة ثابتة ألزمه الله تعالى إياها مع المحافظة عليها، وأني لك مآ. مع الميل إلى الراحـات، والركون مع الشـــهوات ،والغفلة عن المشـــاهدات هيهات هيهات هيهـات، وكان رضي الله عنه يقول من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا يومين فقال: له القائل كيف لي بذلك قال :فرق الأصنام عن قلبك، وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شـئت فإن الله تعالى لا يعذب العبد على مد رجليه مع اسـتصـحاب التواضـع للاسـتراحة من التعب، وإنما يعذبه على تعب يصحبه التكبر، وكان يقول ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشـــعير، والنخالة، وإنما هو بالصـــبر على الأوامر واليقين في الهـداية قال تعالى ": وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صـــبروا، وكانوا بآياتنا يوقنون" وكان يقول من لم يزدد بعلمه عمله افتقارًا لربه،ً وتواضـعا لخلقـه فهو هـالـك، وكـان يقول ســـبحـان من قطع كثيراً من أهـل الصـــلاح عن مصـــلحتهم كما قطع المفســـدين عن موجدهم، وكان يقول الزم جماعة المؤمنين، وإن كانوا عصـاة فاسـقين، وأقم عليهم الحدود، واهجرهم لهم رحمة مآ. لا تعززا عليهم،ً وتقريعا لهم، وكان يقول كل من طعام فســـقة المســـلمين، ولا تأكل من طعام رهبان المشـركين، وانظر إلى الحجر الأسـود فإنه ما اسـود إلا من مس أيدي المشركين دون المسلمين وكان رضي الله عنه يقول سمعتً هاتفا يقول كم تدندن مع من يدندن، وأنا السـميع القريب، وتعريفي يغنيك عن علم الأولين، والآخرين ما عدا علم الرسـول صـلى الله عليه وسـلم، وعلم النبيين عليهم الصلاة، والسلام، وقيل له مرة من شيخك فقال كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر محمد وأبي بكر، وعمر، وعثمان،

وعلي، وجبريـل، وميكـائيل ،وعزرائيل، وإسرافيل، والروح الأكبر .قال الشـــيخ أبو العباس المرسي، ومات الشيخ عبد السـلام بن مشيش رضي الله عنه مقتولا، قتله ابن أبي الطواجن ببلاد المغرب. وكـان يقول :من علم اليقين بـاللـه تعـالى، وبما لك عند الله تعالى أن تتعاطى من الخلق ما لا تصـــغر به عند الحق تعالى مما تكرهه النفوس الغويـة كحمل متاعك من الســـوق، وجمع الحطب للطعام، وجعله على رأسـك، والمشي مع زوجتك إلى السوق في حاجة من حوائجها، وركوبك خلفها على الحمار، وغيره، وأما ما تصغر به في أعين الخلق مما للشرع عليه اعتراض فليس من علم اليقين فلا ينبغي لـك ارتكـابه، وكان يقول إن كنتً مؤمناً موقنا فاتخذ الكل عدوًا كما قال إبراهيم عليه الصلاة، والسلام ": فإ..م عدو لي إلا رب العالمين ".

وكـان يقول الصـــادق الموقن لو كـذبه أهل الأرض لم يزدد بذلك إلا تمكيناً، وكان يقول لا تعطي الكرامات من طلبها، وحدث مآ. نفسـه، ولا من اسـتعمل نفسه في طلبها، وإنما يعطاها من لا يرى نفســه، ولا عمله، وهو مشـغول بمحاب الله تعالى ناظر لفضـل الله آيس من نفســه، وعمله، وقد تظهر الكرامة على من اسـتقام في ظاهره، وإن كانت هنات افض في باطنه كما وقع للعابد الذي عبد الله في الجزيرة خمســـمائة عام فقيل له أدخل الجنة برحمتي فقال بل بعملي، وكان يقول: مأثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان،

ومتابعة السـنة فمن أعطيهما، وجعل يشـتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في العلم بالصـواب كمن أكرم بشـهود الملك فاشـتاق إلى سـياسة الدواب، وكان يقول كل كرامة لا يصـحبها الرضـا من الله، وعن الله، والمحبة لله، ومن الله فصـاحبها مسـتـدرج مغرور أو ناقص هالك مثبور. وكان رضي الله عنه يقول للقطب خمس عشرة كرامة فمن ادعاها أوً شيئا منها فليبرز أن يمد بمدد الرحمة: والعصمة،

والخلافـة، والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم ويكشـف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصـفات، ويكرم بكرامة الحكم، والفصـل بين الوجودين، وانفصـال الأول عن الأول، وما اتصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكم ما قبل، وحكم ما يعدو حكم من لا قبـل لـه، ولا بعـد، وعلم البـدء، وهو العلم المحيط بكل علم، وبكل معلوم بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه، وان يقول سمعتً هاتفا يقول إن أردت كرامتي فعليك بطاعتي، وبالإعراض عن معصيتي وكان يقول كأني، واقف بين يـدي اللـه عز وجـل فقـال لا تـأمن مكري في شيء، وإن أمنتـك فإن علمي لا يحيط به محيط، وهكذا درجوا.

وكان يقول لا تركن إلى علم، ولا مدد، وكن بالله، واحذر أن تنشرـ علمك ليصدقك الناس، وانشرـ علمك ليصدقك الله تعالى، وكان يقول: العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير في الأيدي إن شاء الله تعالى نفعك مآ. :وإن شاء ضرك :وكان يقول قرأت ليلة قوله تعالى :" ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إ..م لن يغنوا عنك من الله ً شيئا" فنمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :أنا ممن يعلم، ولا

أغنى عنك من الله شيئاً ، وكان رضي الله عنه يقول من أقبل على الخلق الإقبال الكلي قبل بلوغ درجات الكمال سقط من عين الله تعالى فاحذروا هذا الداء العظيم فقد تعلق به خلق كثير، وقنعوا بالشهرة، وتقبيل اليد فاعتصموا بالله يهدكم الله إلى الطريق المستقيم، وكان يقول من الشهوة الخفية للولي إرادته النصرة على من ظلمه، وقال تعالى للمعصوم الأكبر ": فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل "" الأحقاف : 35" أي فإن الله تعالى قد لا يشاء إهلاكهم، وكان يقول إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لون فيها فليكن الفرق في لسانك موجودًا، والجمع في سرك مشهودًا، وكان يقول كل اسم تستدعى به نعمة أو تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات، وعن التوحيد بالصفات، وهذا لأهل المراتب، والمقامات، وأما عوام المؤمنين فهم عن ذلك معزولون، وإلى حدودهم يرجعون ومن أجورهم من الله لا يبخسون وكان رضي الله عنه يقول لو علم نوح عليه الصلاة والسلام أن في أصلاب قومه من يأتي يوحد الله عز وجل ما دعا عليهم، ولكان قال اللهم اغفر لقومي فإ..م لا يعلمون كما قال رسول الله صلى الله عليه

وســـلم ،فكـل منهما على علم وبينـة من اللـه تعالى، وكان يقول لا أجر لمن أخذ الأجر، والرشـا على الصــلاة ،والصــيام وتنعم بمطامح تلك الأبصــار عند إطراق الرءوس، والاشـتغال بالأذكار، وجناية هؤلاء بالإضـافات ،ورؤية الطاعات أكثر من جنـايـا..م بـالمعـاصي، وكثرة المخـالفات وحســبهم ما يظهر من الطاعات، وإجابة الدعوات، والمســارعة إلى الخيرات، ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى من تملق إليه في الأسـحار بالطاعات ليطلب مسرـته بذلك قال تعالى ": فاعبد اللهً مخلصـا له الـدين ألا لله الدين الخالص "وكان يقول :العارف بالله تعالى لا تنغصــه حظوظ النفس لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك إلا إن كانت الحظوظ معاصي ،وكان يقول: إذا أهان الله عبدًا كشــف له حظوظ نفســه وســتر عنه عيوب دينه فهو يتقلب في شـهواته حتى يهلك، ولا يشـعر، وكان يقول: إذا ترك العارف الذكر على وجه الغفلةً نفسـا أو نفســين قيض الله تعالى لهً شـيطانا فهو له قرين، وأما غير العارف فيسامح بمثل ذلك، ولا يؤاخذ إلا في مثل درجة أو درجتين أوزمان أو زمنين أو سـاعة أو سـاعتين على حسـب المراتب، وكان يقول من الأولياء من يسـكر من شـهود الكأس، ولم يذق بعدً شـيئا فما ظنك بعد ذوق الشراب وبعد الري؟ واعلم أن الري قل من يفهم المراد به فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسـماء بالأسـماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال، وأما الشرـب فهو سـقيا القلب والأوصـال، والعروق من هذا الشرـاب حتى يسكر، وأما الكأس فهوً معرفا الحق التي يعرف مآ. من ذلك الشرـاب الطهور المخلص الصـافي لمن شاء من عباده المخصوصين فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة، وتارة

يشهدها معنوية، وتارة يشهدها علمية فالصورة حظ الأبدان، والأنفس، والمعنوية حظ القلوب، والعقول والعلمية حظ الأرواح، والأسرار فيا له

من شراب مـا أعـذبه فطوبى لمن شرب منه ودام وأطال في معنى ذلك، وكان يقول :إيـاك والوقوع في المعصـــية المرة بعد المرة فإن من تعدى حدود الله فهم الظالم، والظالم لا يكون إماماً، ومن ترك المعاصي ،وصـــبر على ما ابتلاه الله وأيقن بوعد الله، ووعيده فهو الإمام، وإن قلت أتباعه، وكان رضي الله عنه يقول: مريد واحد يصـلح أن يكون محلا لوضـع أسرارك خير من ألف مريد لا يكونون محلا لوضـع أسرارك.

وكـان يقول :إننـا لننظر إلى الله تعالى ببصـــائر الإيمان، والإيقان فأغنانا بذلك عن الدليل، والبرهان، وصرنا نســـتدل به تعالى على الخلق هل في الوجود شيء ســـوى الملك المعبود الحق فلا نراه، وإن كان، ولا بد من رؤيتهم فتراهم كالهباء في الهواء إن مســـســـتهم لم تجد شـيئاً، وكان يقول إذ امتلأ القلب بأنوار الله تعالى عميت بصـــيرته عن المناقص والمذام المقيدة في عباده المؤمنين، وكان يقول ذهب العمى، وجاء البصرــ بمعنى فانظر إلى لله تعالى فهو لك مأوى فإن تنظر فيه أو تســـمع فمنـه، وإن تنطق فعنـه وإن تكن فعنـده، وإن لم تكن فلا شيء غيره وكـان يقول البصـــيرة كالبصرــ أدنى شيء يقع فيها يعطل النظر، وإن لم ينته الأمر إلى العمى فالخطرة من صـفات الشرـتشـوش نظر البصـيرة، وتكدر الفكر، والإرادة، وتذهب بالخير رأسـاً، والعمل به يذهب بصـاحبه عن سـهم من الإسـلام فإن اسـتمر على الشر تفلت منه الإسلام سهماً سهما فإذا انتهى لي الوثيقة في العلماء والصالحين،

وموالاة الظالمين ً حبا للجاه، والمترلة عندهم فقد تفلت منه الإسلام كله، ولا يغرنك ما توسم به ظاهرًا فإنه لا روح له فإن روح الإسلام حب الله ورسوله، وحب الآخرة، والصالحين من عباده، وكان يقول نظر الله عز وجل لا يمتد منه شيء إلاخلقه، ولا يقف في نظره، ولا ينعطف عن منظوره جل نظر ربنا عن القصور، والنفوذ والتجاوز والحدود، وكان رضي الله عنه يقول: أركز الأشياء في الصفات ركزها قبل وجودها ثم انظر هل ترى للعين أينا أو ترى للكون كانا أو ترى للأمر شأنا، وكذلك بعد وجودها.

وكان يقول :من ادعى فتح عين قلبه وهو يتصنع بطاعة الله تعالى أو يطمع فيما في أيدي خلق الله تعالى فهو كاذب، وكان يقول التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية، وكان يقول الصوفي يرى وجوده كالهباء في الهواء غير موجود ولا معدوم حسب ما هو عليه في علم الله وسئل رضي الله عنه الحقائق فقال الحقائق هي المعاني القائمة في القلوب، وما اتضح لها، وانكشف من الغيوب وهي منح من الله تعالى، وكرامات، و..ا وصلوا إلى البر، والطاعات ودليلها قوله لحارثة كيف أصبحت؟ قال أصبحت ً مؤمناً حقا الحديث، وكان رضي الله عنه يقول من تحقق الوجود فني عن كل موجود، ومن كان بالوجود ثبت له كل موجود، وكان يقول: أثبت أفعال العباد بإثبات الله تعالى، ولا يضرك ذلك، وإنما يضرك الإثبات مآ.. ومنهم، وكان يقول أبي المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية، وكان يقول حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل

نفس من غير اختبـار حـالـة يكون المرء عليهـا وكـان يقول حقيقـة القرب الغيبـة بالقرب عن القرب لعظم القربة، وكان يقول لن يصـــل العبد إلى الله وبقي معه شـهوة من شـهواته، ولا مشـيئة من مشـيئاته، وكان يقول: الأولياء يغنون عن كل شيء بـاللـه تعالى وليس لهم معه تدبير، ولا اختيار :والعلماء يدبرون، ويختارون، وينظرون، ويقتبســـون، وهم مع عقولهم، وأوصــالهم دائمون، والصــالحون، وإن كانت أجسادهم معرسة ففي أسرارهم الكزازة، والمنازعة ولا يصلح شرح أحوالهم إلا لولي في مإ.... فحســبك ما ظهر من صــلاحهم، واكتف به عن شرح ما بطن من أحوالهم، وكان رضي الله عنه يقول لا تختر من الأمر شيئا ً،واختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار فرارك من كل شيء إلى الله تعالى ": وربك يخلق ما يشـاء ويختار ما كان لهم الخيرة" وكل مختارات الشرــع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه شيء، وبد لك منه،واسـمع، وأطع، وهذا موضـع الفقه الرباني والعلم الإلهي وهي أرض لعلم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن

اسـتوى فافهم، وكان يقول كل ورع لا يثمر لك العلم، والنور فلا تعد له أجرًا وكل سـيئة يعقبها الخوف، والهرب إلى الله تعالى فلا تعد لها وزرًا، وكان يقول لا ترقي قبـل أن يرقي بك فتزل قدمك ،وكان يقول: أشـــقي الناس من يعترض على مولاه وأكرس في تدبير دنياه، ونسيـــ المبدأ، والمنتهى والعمل لأخراه، وكان يقول: مراكز النفس أربعة مركز للشـــهوة في المخالفات، مركز للشـــهوة في الطاعات، ومركز في الميل إلى الراحات، ومركز في العجز عن أداء المفروضـــات" فاقتلوا المشرــكين حيث وجدتموهم

وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد "" التوبة :"٥ الآية، وكان يقول إن من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إراد..ا، وطلب الخلاص منها بترك ما يهوي لما يرجي من حيا..ا، وكان رضي الله عنه يقول إن من أشقي الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد، وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد، وطالب نفسك بإكرامك لهم، ولا تطالبهم بإكرامهم لك لا تكلف إلا نفسك، وكان يقول: قد يئست من منفعة نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي، ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي، وكان يقول: إن أردت أن لا يصدأ لك قلب، ولا يلحقك هم، ولا كرب، ولا يبقي عليك ذنب فأكثر من قول سبحان الله، وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا هو اللهم ثبت علمها في قلبي واغفر لي ذنبي، وكان يقول: لا كبيرة عندنا أكبر من اثنتين حب الدنيا بالإيثار، والمقام على الجهل بالرضا لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والمقام على الجهل أصل كل معصية، وكان يقول: إن أردت أن تصح على يديك الكيمياء فأسقط الخلق من قلبك، واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير ما سبق لك ثم أمسك ما شئت يكون كما تريد، وكان يقول إن أردت أن تكونً مرتبطا بالحق فتبرأ من نفسك، واخرج عن حولك وقوتك: وكان يقول إن أردت الصدق في القول فأكثر من قراءة "إنا أنزلناه في ليلة القدر" وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك فكثر من قراءة "قل هو الله أحد "وإن أردت تيسير الرزق فأكثر من قراءة" قل أعوذ برب الفلق "وإن أردت السلامة من الشر فأكثر من قراءة " قل أعوذ برب الناس." قلت

:قال بعضـهم وأقل الإكثار سـبعون مرة كل يوم إلى سـبعمائة، وكان يقول أربع لا ينفع معهم علم حب الدنيا، ونســيان الآخرة، وخوف الفقر، وخوف الناس، وكان يقول أصدق الأقوال عند الله تعالى قول لا إله إلا الله على النظافة، وأدل الأعمال على محبتـه تعـالى لـك بغض الـدنيا، واليأس من أهلها على الموافقة وكان يقول لا تسرــف بترك الدنيا فيغشــاك ظلمتها، وتنحل أعضــاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منهـا بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة، وكان رضي الله عنه يقول :لا تقوى لمحب الدنيا إنما التقوى لمن أعرض عنها .وكان يقول إذا توجهت لشيــء من عمل الدنيا، والآخرة فقل: يا قوي يا عزيز يا عليم يا قدير يا سـميع يا بصـير، وكان يقول إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل" حسـبنا الله سـيؤتينا الله من فضله، ورسوله إنا إلى الله راغبون ،" وكان يقول خصلة واحدة إذا فعلها العبد صــار إمام الناس من أهل عصرــه، وهي الإعراض عن الدنيا، واحتمال الأذى من أهلهـا، وكـان يقول: إذا تداين أحدكم فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى، ويتداين على اللـه تعالى فإن كل ما تداينه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه، وكان يقول إن عارضك عارض من معلوم هو لك فاهرب إلى الله منه هروبك من النار، وهذه من غرائـب علوم المعرفة في علوم المعاملة، وكان رضي الله عنه يقول :إذا تداين اللهم عليك تداينت وعليك توكلت، وإليك أمري فوضــت، وكان يقول: خصــلة واحدة تحبط الأعمال، ولا يتنبه لها كثير من الناس وهي ســخط العبد على قضــاء الله تعـالى قال تعالى ": ذلك بأ..م كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم "" محمد :"٩ ، وكان يقول لا يترك منازعة الناس في الدنيا إلا المؤمن بالقسمة، وكان يقول رأيت

في النومً صائحا يصيح في جو السماء إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك، وهي خمسة لا سادس لها، وكان يقول: كل حسنة لا تثمر نورًا أوً علما في الوقت فلا تعد لها أجرًا، وكل سيئة أثمرتً خوفا من الله تعالى،ً ورجوعا إليه فلا تعد لها وزرًا، وكان يقول حسنتان لا يضر معهما كثرة السيئات الرضا بقضاء الله، والصفح عن عباد الله، وكان يقول: إياك أن تقف مع الخلق بل أنف المضار، والمنافع عنهم لأ..ا ليست منهم، واشهدها من الله فيهم، وفر إلى الله منهم بشهود القدر الجازي عليك، وعليهم أو لك، ولهم ولا تخفً خوفا تغفل به عن الله تعالى، وترد القدر إليهم مؤ... وكان يقول رضي الله عنه من فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه، ومراعاة سره أتته الزوائد من ربه، وكل بهً حارسا يحرسه من عنده، وأخذ الله بيده خفضا ،ً ورفعا في جميع أموره، والزوائد هي زوائد العلم واليقين، والمعرفة، وكان رضي الله عنه يقول: لا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي إلا إن كانت لم تخطر له على بال فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور هذا في حق الكاملين فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة، وا..اهدة، وكان يقول: لا يتزحزح العبد عن النار إلا إن كف جوارحه عن معصية الله، وتزين بحفظ أمانة الله، وفتح قلبه لمشاهدة الله، ولسانه، وسره لمناجاة الله، ورفع الحجاب بينه، وبين صفات الله وأشهده الله تعالى أرواح كلماته، وكان يقول الغل هو ربط القلب على الخيانة، والمكر، والخديعة، والحقد هو شدة ربط القلب على الخيانة المذكورة، وكان يقول: اتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلا وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا وكان يقول

عقوبـة ارتكـاب المحرمـات بالعذاب، وعقوبة أهل الطاعات بالحجاب لما يقع لهم فيها من ســوء الأدب، وعقوبة المراكنات ترك المزيد وعقوبة القلق، والاســتعجال هلاك السرـــ وكان يقول :من اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة إلى الناس ثم لا يجد من يرحمه منهم، وكان الشــيخ مكين الدين الأســـمر رضي الله عنه يقول :الناس يدعون إلى باب الله تعالى وأبو الحســن الشـاذلي رضي الله عنه يدخلهم على الله، وكان الشــاذلي رضي الله عنه يقول: من النفاق التظاهر يفعل الســنة، والله يعلم منه غير ذلك، ومن الشرـك بالله اتخاذ الأولياء، والشفعاء دون الله قال الله تعالى :" مالكم من دونه من ولي ولا شـفيع أفلا تتذكرون ". وكان يقول من شـفعً طلبا للجـاه والمترلـة أو لعرض الدنيا عذبه الله على ذلك، ويتوب الله على من يشـــاء، وكان يقول: من سـوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق قال تعالى :" من كان يظن أن لن ينصره

الله في الدنيا، والآخرة" الآية، وكان يقول أوصــاني أســتاذي رحمه الله تعالى فقال :جدد بصرـــ الإيمان تجد الله في كل شيء، وعند كل شيء ومع كل شيء وفوق كل شيء،ً وقريبا من كل شيء،ً ومحيطا بكل

شيء بقرب هو، وصـــفـه، وبـإحـاطة هي نعته، وعد عن الظرفية، والحدود، وعن الأماكن، والجهات، وعن الصــحبة، والقرب بالمســافات، وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول، والآخر، والظاهر والباطن كان الله ولا شيء معه، وكان رضي اللـه عنه يقول: من غفل قلبه اتخذ دينه هزوًا، ومن اشـــتغل بالخلق اتخذ دينه لعباً، وكان يقول: إذا كان من يعمل على الوفاق لا يسلم من النفاق فكيف بغيره، وكـان رضي اللـه عنـه يقول: الكـاملون حاملون لأوصـــاف الحق وحاملون لأوصاف الخلق فإن رأيتهم من

حيث الخلق رأيت أوصاف البشر، وإن رأيتهم من حيث الحق رأيت أوصاف الحق التي زينهم مآ. فظاهرهم الفقر وباطنهم الغنمً تخلقا وبأخلاق رسـول الله صـلى الله عليه وســلم، قال :" ووجدك عائلا فأغنى" أفتراه أغناه بالمال كلا، وقد شـــد الحجر على بطنه من شــدة الجوع وأطعم الجيش كله من صــاع، وخرج من مكة على قـدميـه ليس معـه شيء يـأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال، وكان يقول ضيق اليد شرف لكل الناس أو لقطب أو خليفة أو أمين لا يخون الله تعالى :برؤية نفسه على من ينفق عليه من العيال، والفقراء طرفة عين.

وكان يقول :العلوم التي وقع الثناء على أهلها وإن جلت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات، وغموض الصفات فكانوا هناك بلا هم وهم الخاصـة العليا الدين شـاركوا الأنبياء، والرسـل عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم فلهم فيها نصـيب على قدر إرثهم من مورثهم قال : النبي صلى الله عليه وسلم :" العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة، والسلام "أي يقومون مقامهم على

سبيل العلم، والحكمة لا على سبيل التحقيق بالمقام، والحال فإن مقامات الأنبياء عليهم الصلاة، والسلام قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم، وكأن يقول :كل وارث في المترلة الموروثة لا يكون إلا بقدر مورثه فقط قال تعالى ": ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض "كما فضل بعضهم على بعض كذلك فضل، ورثتهم على بعض إذ الأنبياء عليهم الصلاة، والسلام أعين للحق، وكل عين يشهد منها على قدرها، وكل ولي له مادة مخصوصة وكان يقول الأولياء على ضربين صالحون، وصديقون فالصالحون أبدال الأنبياء، والصديقون أبدال الرسل. فبين الصالحين، والصديقين في التفضيل كما بين الأنبياء، والمرسلين منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشهدو..ا عين يقين، وهم قليلون وفي التحقيق كثيرون، ومادة كل نبي، وكل ولي بالأصالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن من الأولياء من يشهد عينه، ومنهم من تخفى عليه عينه، ومادته فيفنى فيما يرد عليه، ولا يشتغل بطلب مادته بل هو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته ومنهم طائفةً أيضا مدوا بالنور الإلهي فنظروا به حتى عرفوا من هم على التحقيق. وذلك كرامة لهم لا ينكرها إلا من ينكر كرامات الأولياء فنعوذ بالله من النكران بعد العرفان، وكان يقول: أول مترل يطؤه المحب للترقي منه إلى العلا النفس فإذا اشتغل بسياستها، ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرق عليه أنوار المترل الثاني، وهو القلب فإذا اشتغل بسياسته حتى عرفه، ولم يبق منه عليه شيء أشرق عليه أنوار المترل الثالث، وهو الروح فإذا اشتغل بسياسته، وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقينً شيئاً فشيئا إلى تمام ما...... وهذه طريق العامة، وأما

طريق الخاصـة فهي طريق ملوك تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها، وكان يقول: ومن أمده الله تعالى بنور العقل الأصـلي شـهد موجودًا لا حد له، ولا غاية بالإضـافة إلى هذا العبد واضـمحلت جميع الكائنات فيه فتارة يشـهدها فيه كما يشـهد البناءً بيتا في الهواء بواسـطة نور الشـمس، وتارة لا يشـهدها لانحراف نور الشـمس عن الكوة، فالشـمس التي يبصر مآ. هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين، وإذا اضـــمحـل هذا النور ذهبت الكائنات كلها، وبقي هذا الموجود فتارة يفنى، وتـارة يبقى حتى إذا أريـد بـه الكمال نودي فيها نداءً خفيا لا صـــوت له فيمد بالفهم عنه إلا أن الذي يشـهده غير الله تعالى: ليس من الله في شيء فهناك ينتبه من سـكراته فيقول :يا رب أثبتني، وإلا أنا هالك فيعلمً يقينا أن هذا البحر لا ينجيـه منـه إلا الله عز وجل فحينئذ يقال له: إن هذا الموجود هو العقل الذي قال فيه رسـول الله صلى الله عليه وسلم ": أول ما خلق الله العقل "فأعطى هذا العبد الذل، والانقياد لنور هذا الموجود إذ لا يقدر على حده، وغايته فإذا أمد الله هذا العبد بنور أسـمائه قطع ذلك كلمح البصرـ أو كما شـاء الله تعالى ": برفع درجـات من نشـــاء "ثم أمـده اللـه تعالى :بنور الروح الرباني فعرف هذا الموجود فرقي إلى ميدان الروح الرباني فذهب بجميع ما تحلى به هذا العبد، وما تخلى عنه بالضرـورة، وبقي كلا موجود ثم أحياه الله بنور صفاته فأدرجه مآ.. الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني فلما اسـتنشـق من مبادئ صـفاته كان يقول: هو الله فـإذا لحقتـه العنـايـة الأزلية نادته إلا أن هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحد أن يصفه بصفة، ولا أن يعبر عنه بشيء من صفاته لغير أهله لكن بنور غيره يعرفه

فإذا أمده الله بنور سر الروح وجد نفسه ً جالسا على باب ميدان السر فرفع همته ليعرف هذا الموجود الذي هو السر فعمى عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيـــء فـإذا أمـده الله تعالى بنور ذاته أحياه حياة باقية لا غاية لها فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة، ووجد نور الحق ً شائعا في كل شيء لا يشهد غيره فنودي من قريـب لا تغتر بـاللـه فـإن المحجوب من حجب عن الله بالله إذ محال أن يحجبه غيره، وهناك يحيا حياة اســـتودعها الله تعالى فيه ثم قال يا رب أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك، وهذا هو سـبيل الترقي إلى حضرـة العلي الأعلى، وهو طريق المحبين الذين هم أبدال الأنبياء عليهم الصــلاة، والســلام،وما يعطيه الله تعالىلأحدهم من بعد هذا المترل لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة، والحمد لله على نعمائه ،وأما طريق المحبوبين الخاصـــة مآ. فإنه ترق منه إليه به إذ محال أن يتوصل إليه بغيره فأول قدم لهم بلا قدم إذ ألقى عليهم من نور ذاته فغيبهم بين عباده، وحبب إليهم الخلوات، وصـغرت لديهم الأعمال الصالحات وعظم عندهم رب الأرضين، والسموات فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوب العدم فنظروا فإذا هم لا هم

ثم أردف عليهم ظلمـة غيبتهم عن نظرهم فصــــار نظرهم ً عـدمـا لا علـة لـه فانطمست جميع العلل، وزال كل حادث فلا حادث، ولا وجود بل ليس إلا العدم الذي لا علة له فلا معرفة تتعلق به اضمحلت المعلومات وزالت المرسومات زوالا لا علة فيه، وبقي من أشــير إليه لا، وصــف له ولا صــفة، ولا ذات، واضــمحلت النعوت، والأسماء، والصفات كذلك فلا اسم له ولا صفة، ولا ذات فهنالك ظهر

من لم يزل ظهورًا لا علة فيه بل ظهر يسره لذاته في ذاته ظهورًا لا أولية له بل نظر من ذاتـه لذاته في ذاته وهناك يحيا العبد بظهوره حياة لا علة لها وصـــار أولا في ظهوره لا ظاهرًا قبله فوجدت الأشـياء بأوصـافه، وظهرت بنوره في نوره سـبحانه، وتعالى ثم يغطس بعد ذلك في بحر بعد بحر إلى أن يصـل إلى بحر السر فإذا دخل بحر السر غرقً غرقا لا خروج له منه أبد الآباد فإن شاء الله تعالى بعثه نائبا عن النبي صـلى الله عليه وسـلم، يحيى به عباده، وإن شـاء سـتره يفعل في ملكه ما يشاء فهذا عنبرة من طريقي الخصوص، والعموم فتنبه. انتهى .

قلت :وإنما سـطرنا لك يا أخي هذه الأمور الخاصـة بالمكملين من أهل الله تعالىً تشـويقا لك إلى مقاما..م، وفتحا لباب التصـديق لهم إذا سـمعتهم يذكرون مثل ذلـك كما أشرنـا إليه في خطبة هذا الكتاب وهذا الكلام لم أجده لغيره من الأولياء إلى وقتي هذا، فسبحان المنعم على من يشاء بما يشاء. والله أعلم .

ومنهم الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي رضي الله عنه

كان من أكابر العارفين، وكان يقال إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره، وهو أجل من أخذ عنه الطريق رضي الله عنه، ولم يضـــع رضي الله عنهً شيئا من الكتب. وكان رضي الله عنه يقول علوم هذه الطائفة علوم تحقيق، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق، وكذلك شـيخه أبو الحســن الشاذلي رضي الله عنه لم يضـع شـيئاً، وكان يقول كتبي أصـحابي. مات رضي الله عنه سنة ســـت وثمانين وســـتمائة. ومن كلامه رضي الله عنه جميع الأنبياء عليهم الصـــلاة والســـلام خلقوا من الرحمة، ونبينا صـــلى الله عليه وســـلم، هو عين الرحمة، وكان رضى اللـه عنه يقول الفقيه هو من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه، وكان رضي الله عنه يقول رجال الليل هم الرجال، وكلما أظلم الوقت قوى نور الولي ضرورة، وكان رضي اللـه عنـه يقول: ولى الله مع الله كولد اللبوة في حجرها أتراها تاركة، ولدها لمن أراد اغتيـالـه لا واللـه، وكـان رضي اللـه عنـه يقول إن اللـه تعـالى عبادًا محق أفعالهم بأفعاله، وأوصـافهم بأوصـافه، وذا..م بذاته، وحملهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سـماعه، وكان يقول في معنى حديث من عرف نفســه عرف ربه معناه من عرف نفســه بذلها، وعجزها عرف الله بعزه، وقدرته .قلت :وهذا أسلم الأجوبة، والله أعلم، وكان يقول سـمعت الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه يقول لو كشـف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع وكان يقول لو كشـــف عن حقيقه، ولي لعبد لأن أوصـــافه من أوصـــافه، ونعوته من نعوته .قلت :ومعنى لعبد :أي لأطيع قال تعالى :" لا

تعبدوا الشـيطان" أي لا تطيعوه فيما يأمركم به، والله أعلم .قال بعضـهم صليت خلف الشيخ أبي العباس فشهدت الأنوار ملأت بدنه، وانبثت من وجوده حتى إني لم أستطع النظر إليه وكان رضي الله عنه يقول قال ملك من الملوك لبعض العارفين تمن علي فقـال لـه ذلـك العـارف تقول ذلـك لي ولي عبدان قل ملكتهما ،وملكاك، وقهر..مـا، وقهراك، وهما الشـــهوة، والحرص فأنت عبد عدي فكيف أتمنى عليك، وأنت عبد عبدي. وكان يقول سـمعت الشـيخ أبا الحسـن الشـاذلي رضي الله عنه يقول من ثبتت، ولايته من الله تعالى لا يكره الموت، وهذا ميزان للمريدين ليزنوا بـه على نفوســـهم إذا ادعوا، ولايـة اللـه فإن من شـــأن النفوس، وجود الدعوى للمراتب العالية من غير أن يسلك السبيل الموصل إليها قال تعالى ": فتمنوا الموت إن كنتم صادقين "" البقرة :"٩٤ وكان رضي الله عنه يقول قد يكون الوليٍ مشحونا بـالعلوم، والمعارف، والحقائق لديه مشـــهورة حتى إذا أعطى العبارة كان كالإذن من الله تعالى في الكلام، ويجب أن تفهم أن من أذن له في التعبير جلت في مسامع الخلق إشـــاراته، وكان يقول كلام المأذون له يخرج، وعليه كســـوة، وطلاوة، وكلام الذي لم يأذن له يخرج مكســـوف الأنوار، وكان يقول: من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه، وكان رضي الله عنه يقول: الطيء طيان على أصـــغر، وطي أكبر فالطي الأصـغر لعامة هذه الطائفة أن تطوي لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها في نفس واحد والطي الأكبر طي أوصـــاف النفوس، وكان يقول دخل رجل على عثمان رضي الله عنه، وقد كان نظر إلى محاسن امرأة في الطريق فقال يدخل أحدكم، وآثار

الزنا بادية في وجهه، وكان يقول قد يطلع الله الولي على غيبه إذا ارتضـــاه بحكم التبع للرسل عليهم الصلاة، والسلام، ومن هنا نطقوا بالمغيبات، وأصابوا الحق فيها وكان يقول طريقنا هذه لا تنسـب للمشارقة، ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي أبي طالب رضي الله عنه، وهو أول الأقطاب، وكان يقول: إنما يلزم الإنسـان تعيين المشايخ الذين استند إليهم إذا كان طريقه لبس الخرقة لأ..ا رواية والرواية يتعين رجال ســـندها، وطريقنا هذه هداية، وقد يجذب الله تعالى العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأســتاذ وقد يجمع شــمله برســول الله صـلى الله عليه وسـلم فيكون آخذًا عنه وكفي مآ.. منة، وكان يقول كثيراً، قال الشـيخ قال الشيخ، كلما ينقل كلاما فقال له إنسـان لا نراك قط تسـند لنفسكٍ كلاما فقال رضي الله عنـه لو أردت عـدد الأنفـاســـأن أقول قـال اللـه قـال الله لقلت، ولو أردت عدد الأنفاس أن أقول قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم لقلت، ولو شئت أن أقول على عدد الأنفاس قلت أنا لقلت، ولكن أقول قال الشـيخ، وأترك ذكر نفسي أدباً، وكان يقول: لم يزل الولي في كل عصرـــ لا يلقي أكثر الناس إليه بإلا حتى إذا مات قـالوا :كان فلان، وكان يقول الله ما ســـار الأولياء والأبدال من ق إلى ق إلا حتى يلتقوا مع واحد مثلنا، وكان شـيخه أبو الحسن رضي الله عنه يقول: للناس عليكم بالشـيخ أبي العباس فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على سـاقيه فلا يمشيـ وإلا وقد أوصـــلـه إلى الله تعالى، ووالله ما من ولي لله كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه، وعلى اسـمه ونسبه، وحسبه، وحظه من الله تعالى عز وجل، وكان رضي الله عنه يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه يقول: لن مؤ.. طائفة فيها

أربعة :إمام، وولي، وصـديق، وشـيخ .وقال أبو الحسـن في ذلك ا..لس فالإمام هو أبو العبـاس. وكـان رضي اللـه عنـه يقول الولي إذا أراد عين، وكـان يقول :قـال لي الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت، وكان رضي الله عنه يقول لي أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو حجبت طرفة عين ما عددت نفسي۔ من جملة المسلمين. وكذلك كان يقول في حق الجنة وفي حق الوقوف بعرفة كل سـنة وكان يقول لو كان الحق سـبحانه، وتعالى يرضيه خلاف السنة لكان التوجه في الصلاة إلى القطب الغوث أولي من التوجه إلى الكعبة، وكان رضي الله عنه يقول، والله ما كان اثنان من أصـحاب هذا العلم في زمن واحـد قط إلا واحـدًا بعد واحد إلى الحسـن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنـه، وكان يقول: لا أعلم أحدًا اليوم يتكلم في هذا العلم غيري على وجه الأرض، وقدم إليه بعضهمً طعاما فيه شبهة يمتحنه فامتنع الشيخ من أكله، وقال إنه كان للشـيخ المحاسـبي عرق في إصبعه يضرب إذا مد يده إلى شبهة فأنا في يدي ستونً عرقا تضرـب فاسـتغرب الرجل، وتاب على يديه، وكان يقول من منذ دخلت على الشيخ أبي الحسن في القاهرة وهو يقرأ عليه

كتاب المواقف للمنقري، وقال لي تكلم يا بني بارك الله تعالى فيك أعطيتً لسـانا من ذلك الوقت، وكان رضي الله عنه يقول: والله لو علمت علماء العراق، والشـام ما تحت هذه الشـعرات، وأمسـك على لحيته لأتوها، ولحبوا على وجوههم، وكان يقول: والله ما نطالع كلام أهل الطريق إلا لنرى فضل الله تعالعلينا.

وكـان رضي اللـه عنـه يقول إذا كمـل الرجـل نطق بجميع اللغـات، وعرف جميع الألسن ً إلهاما من الله عز وجل، وكان يقول من صحب المشايخ على الصدق وهو عالم بالظاهر ازداد علمه ظهورًا، وكان رضي الله عنه يقول: لا تطالبوا الشـــيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسـكم أن يكون الشـيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده. وكان ً سـاكنا في خط المقسـم بالقاهرة فكان كل ليلة يأتي الإسكندرية فيسمع ميعاد الشيخ أبي الحسن ثم يرجع إلى القاهرة، وكان يقرأ عليه كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي، وكان هو وشـيخه أبو الحســن يجلانه ويعظمانـه رضي اللـه عنـه، وكـان رجـل ينكر عليـه ،ويقول: ليس إلا أهـل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم يدعون أمورًا عظمى ظاهر الشرــع يأباها فحضرــوا ً يوما مجلس الشـــيخ فـانبهر عقلـه ورجع عن إنكـاره، وقال هذا الرجل إنما يغرف من فيض بحر إلهي، ومدد رباني ثم صار من أخص أصحابه، وكان يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يشـــاركونا فيما نحن فيه، وعمل رضي الله عنه عصــيدة في يوم حار فقالوا له: العصــيدة لا تعمل إلا في أيام الشـــتاء فقال :هذه عصــيدة ولدنا ياقوت ولد اليوم ببلاد الحبشـة فلم يزل ياقوت يباع من سـيد إلى سـيد حتى جاء إلى سـيدي أبي العباس وحسـبوا عمره فوجدوا عمره كما قال: وكان رضي الله عنه أكثر مـا يتكلم في مجـالســـه في العقل الأكبر، والاســـم الأعظم، وشـــعبه الأربع، والأســـماء والحروف، ودوائر الأوليـاء، ومقـامات الموقنين، والأملاك المقربين عند العرش، وعلوم الأسرار، وأمداد الأذكار، ويوم المقادير، وشـأن التدبير، وعلم البدء، وعلم المشيئة وشأن القبضة، ورجال القبضة، وعلم الأفراد، وما سيكون يوم

القيـامـة من أفعـال اللـه تعـالى مع عباده من حلمه، وإنعامه، وجوده، وانتقامه، وكـان رضي الله عنه يقول: لولا ضـــعف العقول لأخبرت بما يكون من رحمة الله تعالى قال ابن عطاء الله رضي الله عنه: وكان الشـــيخ أبو العباس رضي الله تعالى عنـه لا يتترل إلى علوم المعـاملة إلا في قليل من الأيام لحاجة بعض الناس إلى ذلك قال، ولذلك يقل اتباع من تكون علومه العلوم السابقة فإن المشترين للمرجان قد يكثرون، وقل أن يجتمع على شراء الياقوت اثنان ولم يزل اتباع أهل الحق قليلين.

كما قـال الله تعالى في أهل الكهف :" ما يعلمهم إلا قليل "وأهل الله كهف لأمور النـاس، ولكن قليـل من يعرفهم، وكـان ســيـدي أبو العبـاس رضي الله عنه يقول معرفـة الولي أصــعـب من معرفـة الله عز وجل فإن الله تعالى معروف بكماله، وجماله وحتى متى تعرف ً مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل، ويشرــب كما تشرــب ، وطلب نائب الإسـكندرية أن يجتمع به ويأخذ بيده فيكون شـيخه فقال، للقاصد لســت ممن يلعب به، ولم يجتمع به حتى مات وكان إذا نام في بلد في الســفر، وعرف أن كبيرها يريد الاجتماع به يسافر منها ليلا قبل الفجر.

وكـان يقول :علامـة حـب الـدنيـا خوف المـذمـة، وحـب الثناء فلو زهد لما خاف، وأحب، وكان رضي الله عنه يقول الورع من ورعه الله، وكان يقول من لم يصـــلح للدنيا، وللآخرة يصلح لله، وكان يقول: ودع المنقطعين نشأ من سوء الظن ،وغلبة الوهم وورع الأبدال، والصـديقين على البينة الواضـحة، والبصـيرة الفائقة، وكان يقول والله مـا رأيـت العز إلا في رفع الهمـة عن الخلق، ولقـد رأيـت ً يومـا ً كلبا ومعي شيء من الخبز فوضعته بين يديه فلم يلتفت له فقربته من فيه فلم

يلتفت إليه فإذا علي يقال أف لمن يكون الكلب أزهد منه، وكان رضي الله عنه يقول للناس أسباب، وسببنا نحن الإيمان والتقوى قال الله تعالى ": أن أهلا القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض "" الأعراف :".٩٦ وكان يقول :ما سمعتموه مني ففهمتموه فاستودعوه الله يرده عليكم وقت الحاجة، وما لم تفهموه فكلوه إلى الله يتولى الله ببابه، واسعوا في جلاء مرآة قلوبكم يتضح لكم كل شيء وكان يقول: إذا ضاف الولي هلك من يؤذيه في الوقت، وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين، ولم يحصل لأحد منهم ضرر بسببه،

وكان يقول: لحوم الأولياء مسمومة، ولو يؤاخذوك فإياك ثم إياك، وكان رضي الله عنه به اثنا عشر باسورًا، وكان به الحصى وبرد الكلي، ومع ذلك فكان يجلس للناس، ولا يتأوه في جلوسه، ولا يعلم جليسه بما هو فيه، وكان يقول: لا تنظروا إلى حمرة وجهي فإ..ا من حمرة قلبي، وكان رضي الله عنه يقول: والله ما جلست بالناس حتى هددت بالسلب وقيل لي لئن لم تجلس لسلبتك ما وهبناك، وكان لا يكاتب الولاة في شيء بل كان يقول: للسائل أنا أطلب لك ذلك من الله تعالى، وكان يكره للأشياخ إذا جاءهم مريد أن يقولوا له قف ساعة، ويقول إن المريد يأتي إلى الشيخ مآ... المتوقدة فإذا قيل له قف ساعة طفيء ما جاء به وكان يقول عن شيخه اصحبوني، ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا وكان إذا رأى مريدًا دخل في أوراد بنفسه، وهواه أخرجه منها، وكان إذا مدح بقصيدة يجيز المادح بإقباله عليه، ويعطيه العطايا، وكان يقول لأصحابه إذا جاءنا رئيس قوم فأخبروني به أخرج إليه فإذا فارقه مشى معه خطوات

ثم رجع، ويقول إن هؤلاء كلفوا نفوســـهم إلى زيـارتنـا، ونحن لم نزرهم، وكان لا يـأكـل من طعـام عني لـه، ولا من طعـام أعلم بـه قبـل أن يـأتيه، وكان لا يدعو للمحســـن حتى يخرج من مجلســـه فيدعو له بظهر الغيب، وكان إذا أهدي إليه شيء يســير تلقاه ببشـــاشـــة، وقبول وإذا أهدى له شيء كثير يتلقاه بعز النفس، وإظهار الغني عنه، وكان لا يثني على مريد بين إخوانه خشـــية الحســـد، وكانت صلاته موجزة في تمام، ويقول هي صلاة الأبدال وكان رضي الله عنه يقول إذا قرأت القرآن فكأنما أقرؤه على الله عز وجل، وكان إذا سـمع أحدًا ينطق باسم الله تعالى أو اسم النبي صلى الله عليه وسلم، يقرب فمه منه حتى يلتقط ذلك الاسم إجلالا أن يبرز في الهواء وكان إذا سمع أحدًا يقول: هذه ليلة القدر يقول نحن بحمد الله أوقـاتنـا كلهـا ليلـة قـدر، وكان يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله حتى إنه ربما يدخل عليه المطيع فلا يلتفت إليه لكونه يرى عبادته، ويدخل عليه العاصي فيقوم له لأنه دخل بذل نفس، وانكســـار، ومدحوا عنده ً شـــخصـــا بالعلم، وكان كثير الوسـوسـة في الوضـوء، والصـلاة فقال الشـيخ أين علمكم الذي تمدحون به هذا الرجل العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في

الأبيض، والسـواد في الأسـود، وقال: لرجل من الحجاج كيف كان حجكم فقال كان كثير الرخاء كثير الماء سعر كذا، وكذا فأعرض عنه الشيخ فقال أسألهم عن حجهم، وما وجدوا فيه من الله تعالى من العلم، والفوز، والفتح فيجيبون برخاء الأســـعار وكثرة المياه، وكان يقول :ينبغي للمشـــايخ تفقد حال المريدين، ويجوز للمريدين إخبار الأستاذ بما في بواطنهم إذ الاستاذ كالطبيب، وحال المريد كالعورة، والعورة

قد تبدو للطبيب لضرورة التداوي، وفي الحقيقة كل مريد رأى له عورة مع شيخه فهو أجنبي عنه لم يتحد به، وكان يقول للشيخ أن يطالب المريد ما دام قاصرًا عن حقيقة دعواه فإذا بلغ مبلغ الرجال لم يطالبه على دعواه ببرهان لخروجه عن مقام التلبيس، وكان يقول لمن رأى أنه زهد في الدنيا لقد عظمت يا أخي الدنيا حين رأيت لها وجودًا حتى زهدت فيها فقدرها أصغر من ذلك.

وكان رضي الله عنه يفسر مشكلات القوم كثيرًا فقال :في كلام سهل بن عبد الله لا تكونوا من أبناء الدهر، وكونوا من أبناء الأزل معناه لاحظوا ما سبق في علم الله ولا تتكلوا على علمكم، ولا على عملكم مدة عمركم، وقال في قول بشر الحافي رضي الله عنه إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه أي لم يأذن لي الحق في أكله فلو أذن لي صفا لي ثمنه وإلا فمن أين يأكل في الأربعين سنة، وقال في قول الجنيد رضي الله تعالى عنه أدركت سبعين ً عارفا كلهم كانوا يعبدون الله تعالى على ظن، ووهم حتى أخي أبا يزيد لو أدرك ً صبيا من صبياننا لأسم على يديه معناه أ..م يقولون ما بعد المقام الذي، وصلناه مقام فهذا، وهم، وظن فإن كل مقام فوقه مقام إلى ما لا يتناهى وليس معناه الظن، والوهم في معرفتهم بالله تعانى ومعنى لأسلم على يديه أي لانقاد له لأن الإسلام هو الانقياد، وقال في قول :أبي يزيد رضي الله تعالى عنه خضت بحرًا، وقف الأنبياء بساحله معناه أن أبا يزيد رضي الله تعالى عنه يشكو ضعفه وعجزه عن اللحوق بالأنبياء عليهم الصلاة، والسلام وذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة، والسلام خاضوا بحر التوحيد، ووقفوا على الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض أي فلو كنت كاملا

لوقفت حيث وقفوا قال ابن عطاء الله رضي الله عنه وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يزيد رضي الله عنه هو اللائق بمقام أبي يزيد.

وقد كان يقول جميع ما أخذ الأولياء بالنسبة لما أخذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كزق مليء عس ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتلك الرشاحة للأولياء رضي الله عنه. والمشهور عن أبي يزيد رضي الله عنه التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب فالحق تأويل أحوال الأكابر من أهل الاستقامة دون المبادرة إلى الإنكار، وقال في حكاية الحارث بن أسد من أنه كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه إصبعه كيف هذا .وقد قدم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لبن فأكل منه ثم، وجد كدورته في قلبه فقال :من أين لكم هذا اللبن. فقال غلام له كنت تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهانتي فتقايأه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يكن للصديق عرق يتحرك عليه إذا أكلً طعاما فيه شبهة مع كونه أفضل من الحارث بالإجماع .الجواب أن أبا بكر رضي الله عنه كان خليفةً مشرعا للعباد حتى يقتدى به من أكلً طعاما فيه شبهة، ولم يعلم فيتكلف طرحه بعد أكله فيثيبه الله تعالى على ذلك، والحارث رضي الله عنه لم يكن إذ ذاكً مشرعا ولا قدوة إنما يعمل بقصد نفع نفسه فقط، ومعلوم أن القدوة من شأنه التترل في المقام للتعليم.

وكان رضي الله عنه يقول :إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم لأ..ما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة فلما أقبلا أقبل الله عليهما فبدأ بذكرهماً بسطا لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم الزلات،

والمخالفات، وليعلم أن فضل الله ليس بمعلل بعمل، ولو أنه بدأ بالجنيد، وسهل بن عبد الله وعتبة الغلام، وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله لربما قال: قائل من يدرك هؤلاء لم يسبق لهم زلات، ولا مخالفات، وقال في قول سمنون المحب :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فابتلى بحصر البول فصاح، وصار يقول :ادعوا لعمكم الكذاب لو كان سمنون قال عوض ما قال فكيفما شئت فاختبرني فاعف عني لكان أول من طلب الاختبار .قلت :وإنما وقع الامتحان لسمنون لغفلته عن التبري من الدعوى فلو قال: مدني بالقوة ثم اختبرني بما شئت لم يمتحن، وكان شيخنا رضي الله عنه يقول: إذا قيل لك أتخاف الله تعالى فقل نعم لكن بقدر ما خلقه في من الخوف، وكذلك القول في أتحب الله تعالى فمن سلك ذلك لا يقع له امتحان لتعويله على الله تعالى لا على قوة نفسه هو وقد قالوا: كل

مدع ممتحن، وهذا ميزانه، والله أعلم.

وقال في قول السري رضي الله عنه في حد التوبة التوبة أن لا تنسى ذنبك .هو أولى عن قول الجنيد رضي الله عنه، وغيره التوبة أن تنسى ذنبك لأن كلام السري رضي الله عنه يدل على مبادي المقامات، وكان السري مكلفا الكلام على مقامات العباد لكماله، والجنيد، وغيره لم يكن إذ ذاك قدوة للناس فافهم، وقال في قول بعضهم لا يكون الصوفيً صوفيا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمالً ذنبا عشرين سنة ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة وإنما معناه عدم الإصرار، وكلما أذنب تاب، واستغفر على الفور، وكان يقول: إذا رفعك إلى محل المحاضرة،

والشهود المسلوب عن العلل فذاك مقام التعريف، والإيمان الحقيقي، وميدان تترل أسرار الأزل، وإذا أنزلـك إلى محـل ا..اهدة، والمكابدة فذاك مقام التكليف المقيد بـالعلـل، وهو الإســـلام الحق وميدان تجلى حقائق الأبدية، والمحقق لا يبالي بأي صفة يكون، وقال في قوله

تعالى ": قل هذه ســبيلي أدعوا إلى الله على بصــيرة أنا ومن اتبعني "" يوســف :"١٠٨ أي على معاينة تعاين لكل صـــنف طريقهم فيحملهم عليها، وعلى النيابة، وكـان رضي الله عنه يقول: العارف لا دنيا له لأن دنياه لآخرته، وآخرته لربه وكان يقول الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخر، وطنه، والعارف غريب في الآخرة فإنه عند اللـه تعـالى، ومعنى غربتـه في الـدنيـا قلـة من يعينه على القيام بالحق، وقلة من يشــاكله في القيام، وأما غربة العارف في الآخرة فإن ســيره مع الله تعالى بلا أين، والمدار على محل يكون فيه القلب لا على محل يكون فيه الجســم كما أن الزاهد كذلك موطن قلبه في الدنيا إنما هو الآخرة فهي معشـش روحه ،ولولا ذلك لما صح له الزهد في الدنيا، وكان رضي الله عنه يقول العامة: إذا خوفوا خافوا، وإذا روحوا راحوا، والخاصـــة متى خوفوا راحوا ومتى روحوا خافوا، وكان رضي الله عنه يقول :كان الإنســـان بعد أن لم يكن، وســـيفني بعد أن كان، ومن كلا طرفيه عدم فهو عـدم. قـال ابن عطـاء رضي اللـه عنـه :أي أن الكـائنـات لا تثبت لها رتبة الوجود المطلق لأن الوجود الحق إنمـا هو للـه، ولـه الأحـديـة، وأما العالم فالوجود له من عدمه ،ومن كان كذلك فالعدم وصفه في نفسه، وكان من طريقته، وطريقة شيخه أبي الحسن الإعراض عن لبس الزي، والمرقعات لأن هذا اللباس ينادى على صاحبه

أنا الفقير فأعطوني شـــيئاً، وينادي على سر الفقير بالإفشـــاء فمن لبس الزي فقد ادعى .قلت :وليس مراد الشـــيخ أن يعيب على الفقراء لبس الزي، وإنما مراده أنه لا يلزم كـل من كان له نصـــيب مما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء فلا حرج على اللابس للخشــن، ولا على اللابس للناعم إذا كان من المحســنين، والأعمال بالنيات، وكان يقول اختلف الناس في اشـتقاق الصـوفي، وأحســن ما قيل فيه إنه منســوب لفعل الله تعالى به أي صافاه الله تعالى فصوفي فسموه صوفياً، وكان يقول في قول عيسىـ عليه الســلام: يا بني إسرائيل بحق أقول لكم لا يلج ملكوت الســموات، والأرض من لم يولـد مرتين أنـا واللـه ممن ولـد مرتين الإيلاد الأول إيلاد الطبيعـة، والإيلاد الثاني إيلاد الروح في ســـماء المعارف، وكان يقول :لن يصـــل الولي إلى الله تعالى حتى ينقطع عنه شـــهوة الوصـــول إلى الله تعالى أي انقطاع أدب لا انقطاع ملل لغلبة التفويض على قلبه.

وكـان رضي اللـه عنه يقول :إن الله تعالى جعل الآدمي ثلاثة أجزاء فلســـانه جزء، وجوارحه جزء، وقلبه جزء، وطلب من كل جزء وفاء، فوفاء القلب أن لا يشـــتغل مآ. رزق، ولا مكر، ولا خديعة، ولا حســد، ووفاء اللســان أن لا يغتاب، ولا يكذب ولا يتكلم فيما لا يعنيـه ووفاء الجوارح أن لا يســـارع مآ. قط إلى معصـــية، ولا يؤذي مآ. أحدًا من المســلمين فمن وقع من قلبه فهو منافق، ومن وقع من لســانه فهو كـافر، ومن وقع من جوارحه فهو غاص، وكان يقول: من اشـــترى من زياتً زيتا فزاده البياعً خيطا فدينه أرق من ذلك الخيط، ومن اشــترى من فحامً فحما فلما فرغ قال: زدني فحمة فقلبه أسود من تلك الفحمة، وكان رضي الله عنه يقول

لا يـدخـل على الله تعالى إلا من بابين من باب الغني الأكبر، وهو الموت الطبيعي، ومن باب الغني الذي تعنيه هذه الطائفة، وكان يقول: الكائنات على أربعة أقسام جسـم كثيف، وهو بمجرده جماد، وجسم لطيف، وهو بمجرده جان وروح شفاف، وهو بمجرده ملك، وسره غريب ،وهو المعنى المسـجود له فالآدمي صوره بظاهرها جماد وبوجود نفسه، وتحنيها وتشكلها جيان، وبوجود روحه ملك، وبإعطائه السر الغريب استحق أن يكون خليفة، وكان يقول: ليس العجب ممن تاه في نصف ميل أربعين سـنة إنما العجب ممن تاه في مقدار شـبر السـتين والسبعين والثمانين سنة، وهي البطن، وكـان يقول: للأوليـاء الإشراف على مقامات الأنبياء عليهم الصـــلاة والســـلام، وما لهم الإحاطة بمقاما..م، والأنبياء عليهم الصـــلاة والســـلام يحيطون بمقامات الأولياء، وكان يقول جميع أسماء الله تعالى جاءت للتخلق إلا الاسم الله فإنه للتعلق فقط إذ مضمونه الإلهية والإلهية لا يتخلق مآ. أصلا، وكان رضي الله عنه يقول السـماء عندنا كالسـقف، والأرض كالبيت، وليس الرجل عندنا من يحصره هذا البيت .

وكان يقول نحن في الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا، وســنكون في الآخرة مع وجو أبداننا .قلت :وفي هذا رد لمن قال يكون الناس في الجنة بأرواحهم لا بأجســـامهم وعليه جماعة من أهل الكشـــف الناقص، وســبب غلطهم شــهودهم أهل الجنة يتحولون في أي صــورة شــاءوا، وهذا شــأن الأرواح لا الأجســام، وغاب عنهم أن الأجســـام هنـاك منطويـة في الأرواح لا معـدومـة كما أن الأرواح ني هـذه الـدار منطوية في الأجسام، والله أعلم، وكان رضي الله عنه يقول الفرق بين معصية

المؤمن، ومعصـــية الفـاجر من ثلاثـة أوجـه المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها، ولا يفرح مآ. وقت الفعل، ولا يصرـ عليها، والفاجر ليس كذلك، وكان يحث أصـحابه على ذكر اسـم الله، وهو يقول: هذا الاسـم سـلطان الأسـماء، وله بسـاط وثمرة فبسـاطه العلم، وثمرته النور، وإن حصـل النور، وقع الكشف والعيان، وكان يقول ليســت الفتوة بالماء، والملح، وإنما الفتوة الإيمان، والهداية، وكان يقول: ما ســمي :إبراهيم الخليل فتى إلا لكونه كسرـ الأصنام الحسية التي وجدها، وأنت يا ولدي لك أصـنام خمسـة معنوية فإن كسرـ..ا فأنت فتى: النفس، والهوى، والشـيطان، والشــهوة، والدنيا . وأفهم هاهنا لا ســيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وكان يقول :الكـامـل من يملك حاله، وله ســوحة في العلم كما قيل لبعضــهم مالك لا تتحرك في الســماع أمس فقال: إنه كان في الجمع كبير فاحتشــمت منه، ولو أني خلوت وحدي لأرسـلت وجدي وتواجدت فانظر كيف كان زمام حاله معه يمسكه إذا شـاء، ويطلقه إذا شاء، وإذا اتسع القلب بمعرفة الله تعالى غرقت في الواردات، ولهـذا جهلـت أحوال الأكـابر أرباب المقامات، واشــتهر أهل الأحوال لظهور آثار المواهب عليهم لضـعفهم عن كتمها، ولضـيقهم عن وسـعها، وربما كان صـاحب الحال أحظى عند الله، وعند الخلق بإقبالهم عليه من صاحب المقام مع أن بينه وبينـه كما بين الســماء، والأرض، ولذلك قال ابن عطاء الله: كلما تمكن الرجل في العلوم الإلهية، والمعارف الربانية اســتغرب في هذا العالم فيقل من يعرفه، ويفقد من يحيط به فيصــفه، وكان يقول: كل سـوء أدب يثمر لكً أدبا فهو أدب. وكان رضي الله عنه يقول :كان الجنيد رضي الله عنهً قطبا في العلم .

وكان ســهل التســتري رضي الله عنه ً قطبا في المقام، وكان أبو يزيد رضي الله عنه ً قطبـا في الحـال، وكـان رضي الله عنه يقول: اللطف حجاب من اللطيف إذا وقف معـه العبـد، والحق لا يحـب أن يـأنس عبـده إلى غيره. وقد أوحي الله تعالى إلى موسى عليه الســلام نعم العبد بلخ لولا أن يســكن إلى نســيم الأســحار، ولو أنه عرفني ما سكن إلى غيري، وكان يقول في قول: أبي عبد الرحمن السلمى انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة، معنـاه أنـه لا حيرة إلا عنـد المؤمنين وأمـا المحققون فلا حيرة عندهم فيما فيه الحيرة عند المؤمنين، وكان يقول: قليل العمل مع شهود المنة من الله تعالى خير من كثير العمل مع شـــهود التقصـــير من النفس، وكان يقول: عن شيخه خرج الزهاد والعباد من هذه الدار، وقلو..م مغلقة عن الله عز وجل، وكان يقول هو عن شيخه من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصرًا على الكبائر، وهو لا يعلم، وكان يقول عن شيخه: كل شيء مإ... الله عنه فهو في معنى شجرة آدم عليه السـلام لكنا افترقنا فإن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة نزل إلى أرض الخلافة، وأنـت إذا أكلت من شـــجرة النهي نزلت إلى أرض القطيعة فإياك ثم إياك، وكان يقول شـــخص من الأولياء يتكلم على الناس بأرض المغرب، وهو بادن فدخل عليه شـخص مكشـوف الرأس كبيرها فقال هذا يزهد في الدنيا، وهو كاذب فكوشف به الشـيخ فقال من فوق المنبر يا أبا رويس ما سـمعني إلا حبه، وكان رضي الله عنه يقول: لأصـحابه إذا أكلتم طعام إنسـان فاشربوا عنده ينال كمال الأجر فإن رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول ": من سقي ً مؤمنا شرب ماء مع وجود الماء كان كمن أعتق سبعين من ولد إسماعيل عليه السلام." وكان يقول :لا ينبغي للفقير أن

يأخذ من أحد شيئا يقصد نفع نفسه إنما يأخذ ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه فمن تطهرت نفســـه، وتقدســـت فليقبل، وإلا فلا، وقال رضي الله عنه لبعض أصحابه لم انقطعت عن مجلسنا فقال: يا سيدي قد استغنيت بك فقال الشيخ ما اســـتغنى أحد بأحد ما اســـتغنى أبو بكر رضي الله عنه، ومع ذلك لم ينقطع عن رسول الله صلى

الله عليه وســـلمً يوما واحد، وكان يقول لما خلق الله تعالى الأرض اضـــطربت فأرساها بالجبال .

وكذلك النفس لما خلقها الله تعالى اضـطربت فأرسـاها بجبال العقل، وكان يقول الأكوان كلها عبيد مسخرة، وأنت عبد حضرته وكان يقول لأصحابه إذا وصلتم إلى مكة فليكن همكم رب البيت لا البيت،ولا تكونوا ممن يعبد الأصـــنام، والأوثان، وكان يقول من عرف الله لم يسـكن إليه لأن في السـكون إلى الله ضربا من الأمن "ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون "وكان يقول الولي في حال فنائه لا بد أن تبقى معه لطيفة علمية عليها يترتب التكليف، وذلك كما يكون الإنسان في البيت المظلم فهو عالم بوجوده ،وإن كان غير مشاهد له، وكان رضي الله عنه يقول :والله ما جلســت حتى جعلت جميع الكرامات تحت سـجادتي قال ابن عطاء الله رضي الله عنه قرأت على الشيخ أبي العباس كتاب الرعاية للمحاسبي فقال: جميع ما في هذا الكتاب يغني عنه كلمتان أعبد الله بشرط العلم، ولا ترض عن نفسك أبدًا ثم لم يأذن لي في قراءته بعد، وكان يقول من اشـــتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم، وكان يقول: القبض الذي لا يعرف سببه لا يكون إلا لأهل التخصيص، وكان يقول: لو

علم الشيطان أن ثمً طريقا توصل إلى الله تعالى أفضل من الشكر لوقف عليها ألا تراه كيف قـال ": ثم لآتينهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعن أيمـا..م وعن شـمائلهم ولا تجد أكثرهم شـاكرين" ولم يقل صـابرين، ولا خائفين، ولا راجعين، وكان يقول أبو بكر، وعمر خلفاء الرسالة، وعثمان، وعلي خلفاء النبوة، وكان يقول العـامة إن رأواً إنسـانا ينسـب إلى الولاية جاء من البراري والقفار أقبلوا عليه بـالتعظيم، والتكريم وكم من بـدل وولي بين أظهرهم فلا يلقون إليـه بـإلا مع أنه هو الذي يحمل أثقالهم، ويدافع الأغيار عنهم فمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش يـدخـل به البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخاطيط جلده، وحسـن صـورته، والحمر التي بين أظهرهم تحمل آثقالهم إلى موضـع أغراضهم وتنقل ترا..م وآلات بنـائهم، ولا يلتفتون إليهـا، وكان رضي الله عنه يقول الهالك مآ.. الطائفة أكثر من الناجي مآ. رضي الله عنه .

ومنهم سيدي ياقوت العرشي رضي الله تعالى عنه

كانً إماما في المعارف عابدًا زاهدًا وهو من أجل من أخذ عن الشـــيخ أبي العباس المرسي رضي اللـه عنه، وأخبر به ســـيدي أبو العباس رضي الله عنه يوم ولد ببلاد الحبشـة، وصـنع له عصـيدة أيام الصـيف بالإسـكندرية فقيل له إن العصـيدة لا تكون إلا في أيام الشـــتاء فقال هذه عصـــيدة أخيكم ياقوت ولد ببلاد الحبشـــة وسـوف يأتيكم فكان الأمر كما قال وهو الذي شـفع في الشـيخ شـمس الدين بن اللبان لما أنكر على سـيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وسـلب علمه، وحاله بعد أن توسل بجميع الأولياء، ولم يقبل يدي أحمد شفاعتهم فيه فسار من الإسكندرية إلى سيدي أحمد وسأله أن يطيب خاطره عليه، وأن يرد عليه حاله فأجابه ثم إن ســـيدي يـاقوت زوج ابن اللبـان ابنتـه، ولمـا مات أوصى أن يدفن تحت رجليهاً إعظـاما لوالدها الشـــيخ ياقوت وإنما ســـمي العرشي لأن قلبه كان لم يزل تحت العرش، وما في الأرض إلا جسـمه،وقيل لأنه كان يسـمع أذان حملة العرش، وكان رضي الله عنه يشفع حتى في الحيوانات، وجاءته مرة يمامة

فجلسـت على كتفه، وهو جالس في حلقة الفقراء، وأسرت إليهً شيئا في أذنه فقال باسـم الله، ونرسل معك أحدًا من الفقراء فقالت ما يكفيني إلا أنت فركب بغلته من الإســـكندرية، وســـافر إلى مصرـــ العتيقة حتى دخل إلى جامع عمرو فقال اجمعوني على فلان المؤذن فـأرســـلوا، وراءه فجـاء فقال له هذه اليمامة أخبرتني بالإســـكندرية أنك تذبح فراخها كلما تفرخ في المنارة فقال: صـــدقت قد ذبحتهم مرارًا فقال لا تعد فقال: تبت إلى الله تعالى ورجع الشيخ إلى الإسكندرية رضي الله

تعالى عنه .ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة بين الطائفة الشاذلية بمصر ، وغيرها. توفي رضي الله عنه بالإسكندرية سنة سبع وسبعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري رحمه الله

الزاهد المذكر الكبير القدر تلميذ الشيخ ياقوت رضي الله عنه، وقبله تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي كان ينفع الناس بإشاراته، ولكلامه حلاوة في النفوس، وجلالة .مات هكذا سنة سبع وسبعمائة وقبره بالقرافة يزار. وله من المؤلفات كتاب التنوير في إسقاط التدبير، وكتاب الحكم، وكتاب لطائف المنن، وغير ذلك رضي الله تعالى عنه.

ومنهم جدي الخامس الشيخ موسى المكنى بأبي عمران رحمه الله

في بلاد البهنسا بصعيد مصر الأدنى وهو من أجل أصحاب سيدي الشيخ أبي مدين التلمساني شيخ المغرب، وكان من أولاد السلطان مولاي أبي عبد الله الزغلي بضم الزاي، وإسكان الغين المعجمة، نسبة إلى قبيلة من عرب المغرب يقال لهم بنو زغلة، وكان سلطان تلمسان، وما والاها فلما تزعزع سيدي موسى اختار طريق الله تعالى على الملك فتشوش، والده لذلك فلما غلب الأمر عليه أطلق له الأمر فاجتمع سيدي موسى على الشيخ أبي مدين رضي الله تعالى عنه فلما قدم عليه قال له إلى من تنسب قال إلى السلطان مولاي أبي عبد الله قال: وما ينتهي نسبك قال :إلى السيد محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال الشيخ رضي الله عنه طريق فقر، وملك، وشرف لا يجتمعن فقال: يا سيدي أشهدك أني قد

خلعت نســـبتي إلى غيرك فـأخـذ عليه العهد، ووقع على يديه الكرامات، وكلمته البهائم ،والحيوانات، وهابته الأسـود فلما أرسـل سـيدي أبو مدين رضي الله عنه عدة من أصحابه إلى مصر أرسله من جملتهم، وقال له إذا وصلت إلى مصر فاقصد ناحية هور بصــعيدها الأدنى فإن فيها قبرك، وكان كذلك، وتفرقت أولاده في البلاد فجماعة ماتوا بمنشـية الأمراء، وجماعة ببلنسـورة، وسـاح أولاده إلى بلاد الرجراج، وكان إذا ناداه مريده أجابه من مسـيرة سـنة، وأكثر، وأخبر أصـحابه بأحوال جلي الأدنى الشيخ علي رضي الله عنه الآتي ذكر مناقبه في أهل القرن التاسع إن شاء الله تعالى. مات سنة سبع وسبعمائة على ما قيل رضي الله تعالى عنه.

ومنهم العارف بالله سيدي محمد وفا رحمه الله

كان من أكابر العارفين، وأخبر ولده سيدي علي رضي الله عنه أنه هو خاتم الأولياء صاحب الرتبة العلية، وكانً أمينا وله لسان غريب في علوم القوم، ومؤلفاته كثيرة ألفها في صـباه، وهو ابن سـبع سـنين أو عشرـ فضـلا عن كونه كهلا، وله رموز في منظوماته، ومنثوراته مطلســمة إلى وقتنا هذا لم يفك أحد فيما نعلم معناها، ولما دنت وفاته خلع منطقته على الأبزاري صاحب الموشحات، وقال هي وديعة عندك حتى

تخلعها على ولدي علي فعمل أيام كانت المنطقة عنده الموشـحات الظريفة إلى أن كبر ســيدي علي فخلعها عليه ثم رجع لا يعرف يعملً موشــحا كما أخبرني عن نفســه رضي اللـه تعالى عنه وســمي وفا لأن بحر النيل توقف فلم يزد إلى أوان الوفاء فعزم أهل مصر على الرحيل فجاء إلى البحر، وقال اطلع بإذن الله تعالى

فطلع ذلك اليوم سبعة عشرـً ذراعا وأوفى فسموه وفا. وسئل ولده سيدي علي رضي الله عنه مع علو مقامه، وفرقانه أن يشرـحً شيئا من تائية والده فقال رضي اللـه عنه لا أعرف مراده لأنه لســـان أعجمي على أمثالنا انتهى. ومن كلامه رضي الله عنه في كتاب فصول الحقائق أعوذ بالله من شياطين الخلق، والكون، وأبالسة العلم، والجهل، وأغيار المعرفة والنكرة اللهم إني أعوذ بك، ويســبق قدمك من سر حدودك، وبظلمة ذاتك من نور صفاتك وبقوة سلوبك من ضعف إيجادك وبظلمة عـدمـك مز نور تـأثيراتـك، وأعذني اللهم بك منك في كل ذلك بكل ذلك كذلك من وجه العلم، ولا كيف كذلك من حيث العقل، ولا بذلك من جهة قصد النفس، ولا كذلك من حيث تصـور الوهم أعوذ بك من كل ذلك كذلك من حيث إنه كذلك لا من حيـث إنـك ولي ذلك اللهم أغنني بديمومیتك عن بقاء آلائك بإحاطة، وجودك عن تصــور الواحد والأحد وبقيومية قيامك عن اســتقامة تقويم المدد وغيبني في ظلمة ذاتك التي تحجز فيها الأبصــار ،والبصــائر ويســتحيل فيها معارف العقول الإلهية ذات الأسرار، والسرائر، وأستغفرك بلسان الحق لا بلسان

الوقاية والنظر بعين التلاشي لا بعين الرعاية، والجذب بسر العدم لا بقوة الهداية، والتلاشي ينفي الرسـم لا برسـوم الولاية سـبحانك من وجه ما أنت لا من وجه ما أنا سـبحانك من وجه الوجه المتره عن وسـم الأسـماء والكنى سبحانك في الحيث الذي لا يلتحق به البقاء، ولا الفناء أحاشيك عن العلم، والقول،وأنزهك عن القوة، والحول، وأشـاكل لا في المنة، والطول، وأمد لك يد التأييد لا يد الوسـيلة، وأسألك بسبح التفضل لا فضل الفضيلة، وأعوذ بك من تحليل التحويل، ومحاولات الحيلة

اللهم أرني، وجهك لا من حيث كل شيء هالك، وأسألك بي لا سبيل المهالك، والهالك اللهم إني أسألك بذات عدمك، وبذات وجودك، وبالذات ا..ردة، وبالذات المتصفة بذات التكوين، والتلوين، وبالذات الفاعلة، وبالذات المنفعلة اللهم اجعلني عينا لذات الذوات، ومشرقا لأنوارها المشرقات، ومستودعا لأسرارها المكتتمة في غيو..ا المبهمات اللهم إني أنزهك لا لتتريه الحسن لك عن أوصاف الجسم، والنفس عن شهوات الطبع والعقل، وأخلاق النفس، والقلب، وأنزهك عن كل ذلك، ونده، ومثله، وخلافه، وغيره تتريها معجوزًا عن تصوره، وتوهمه، وكان رضى الله عنه يقول قال لي الحق أيها المخصوص لك عند كل شيء مقدار، ولا مقدار لك عندي فإنه لا يسعني غيرك، وليس

مثلك شيء أنت عين حقيقتي، وكل شيء مجازك، وأنا موجود في الحقيقة معدوم في ا..از يا عين مطلعي أنت الحد الجامع المانع لمصنوعاتي إليك يرجع الأمر كله، وإلى مرجعك لأنك منتهى كل شيء، ولا تنتهي إلى شيء طويت لك الأرضين السبع في سبع من الحب، والنوى المتنوعة بالفعل إلى أصناف من نبات شتى فإذا شئت على نشرها فيها جواهر السماء اهتزت وربت، وأنبت من كل زوج مآ.. "إن الذي أحياها

لمحي الموتى إنـه على كل شيء قدير "" فصـــلت :"٣٩ فإذا تكامل خلقها، وتكون، وتزين كو..ا سـعت على أقدام الإقدام لمسـجدك الأقصى۔ بحكم الاسـتقصـا فتخر سـاجدة سـجود العبودية لأرباب حواسـك الكلية ،والجزئية تسـبحك بألسـنة التقـديس، وتقـدسـك بـأفواه التتريـه، وتعظمك تعظيم مخلوق لخلاف فأملاكها تسـبح، وتحمد، وأفلاكها تقوم، وتسـجد ،وأنت جالس في مجلس سـلطانك مسـتو على عرش ناطقة إنسـانك قد تلا لسـان الإحسـان بمحضر۔ الأكوان" وخشـعت الأصوات للرحمن فلا تسـمع إلاً همسا "" طه : 108" وأطال في ذلك بما لا تسعه العقول فراجعه، وله كتاب العروس، وكتاب الشعائر وديوان عظيم ومؤلفات أخر، وقد ذكرنا مناقبه في كتاب مستقل رضي الله عنه.

ومنهم الأستاذ سيدي علي، ولده رضي الله عنه، و رحمه

كان في غاية الظرف، والجمال لم ير في مصر أجمل منه وجهاً، ولاً ثيابا وله نظم شائع، وموشحات ظريفة سبك فيها أسرار أهل الطريق وسكرة الخلاع رضي الله عنه، وله عدة مؤلفات شريفة، وأعطى لسان الفرق، والتفصيل زيادة على الجمع، وقليل من الأولياء من أعطى ذلك، وله كلام عال في الأدب، ووصايا نفيسة نحو مجلدات، وردت عليه فأملاها في ثلاثة أيام رضي الله عنه فأحببت أن ألخصها لك في هذه الأوراق بذكر عيو..ا الواضحة، وحذف الأشياء العميقة عن غير أهل الكشف لأن الكتاب يقع في يد أهله، وغير أهله فأقول، وبالله التوفيق.

كان رضي الله عنه يقول مولدي سحر ليلة الأحد حادي عشر محرم سنة إحدى وستين وسبعمائة كما رأيته بخطه، وتوفي عام أحد، وثمانمائة كما قيل، وكان رضي الله عنه يقول في قوله تعالى ": والله متم نوره ولو كره الكافرون "" الصف :"٨ فيا صاحب الحق لا مؤ.. بإظهار شأنك اهتماما يحملك على الاستعانة بالخلق فإنك إن كنت على نور حق فهو يظهر بالله" وكفى بالله ولیا وكفى بالله نصيراً "" النساء :"٤٥ وإن كنت على ظلمة باطل فلا تتسبب في إظهار ذلك، وإشاعته فإنك لا تتمتع بذلك إن متعت به إلا قليلا ثم الله أشد بأساً، وأشد تنكيلا" أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع -فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه" فافهم، وكان يقول في حديث ليلة الإسراء فدخلت فإذا أنا بآدم أي فإذا أنا في صورة حقيقة آدم وناطق بناطقته، وكذلك القول في جميع ما رآه من الأنبياء عليهم الصلاة، والسلام تلك الليلة فصرح بأنه ظهر بصور حقائق الكل، وجميع نواطقهم، وزاد عليهم بما

زاد ونحن الوارثون لرقـائقهم وكـان رضي اللـه عنـه يقول أولو العزم من الرســـل ســبعة، وهم آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداود، وســـليمان وعيسىـ عليهم الصلاة، والسلام ،وأطال في السر في ذلك، وكان يقول زمن خاتم الأنبياء يكون عدد أوليـاء زمـانـه بعـدد أوليـاء الأزمنـة كلها لكن ظهورهم معه كظهور الكواكب مع الشـــمس، وكـان رضي الله عنه يقول: إنما كانت شريعة محمد صـــلى الله عليه وسـلم، لا تقبل النســخ لأنه جاء فيها بكل ما جاء به من تقدمه، وزيادة خاصــة، ونزلـت شريعتـه من الفلـك الثامن المكوكب فلك الكرسي، وهو فلك ثابت فلذلك قبلت شرائع الأنبياء عليهم الصـلاة، والسـلام النسخ دون شريعته، وأطال في ذلك، وكـان رضي الله عنه يقول لا يصـــح لأحد أن يقول في اســـتفتاحه ": وما أنا من المشرـكين "" الأنعام :"٧٩ إلا حتى لا يرى غيره ولا المصـلى، ولا القبلة، ولا المناجي فاجعل ربك مشـــهودك دون غيره، وكان يقول من أعجب الأمور قول الحق تعالى لسـيدنا موسى عليه السلام" لن تراني "أي مع كونك تراني على الدوام فافهم، وكان رضي الله

عنه يقول في قوله تعالى ": إن الصـــلاة تنهى عن الفحشـــاء والمنكر "" العنكبوت :"٤٥ كل شيء، وجدته حاجزًا لك عن الفحشـــاء، والمنكر يوجد العدل، والإحســـان فهو الصلاة في كل مقام بحسبه" وجعلت قرة عيني في الصلاة" فهو السر الفعال في كل مرتبة صـلاتية، والصـلاة صـلة بين العبد وربه "ولذكر الله أكبر " وهو شـهود ذاته، وحده لا شريك له لم يكن شيء غيره فافهم، وكان يقول في قول الجنيد رضي الله عنه لون الماء لون إنائه حين سئل عن المعرفة، والعارف هو على قسمين

أحدهما أن الماء على لون، وإناؤه لا لون له كالأواني الشفافة الساذجة من الصبغ فيكون الإناء مشهودًا على لون مائه، والثاني عكسه فيكون الماء مشهودًا على لون إنائه، وفي الأول المشهود هو لون الماء، والوهم في تشبهه في الإناء، والثاني عكسه فليس التحقيق إلا في الأفراد كل حقيقة بنفسها في كل مقام بحسبه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله ": ألا إنه بكل شيء محيط "" فصلت :"٥٤ أي كإحاطة ماء البحر بأمواجه معنى، وصورة فهو حقيقة كل شيء وهو ذات كل شيء وكل شيء عينه، وصفته فافهم، وكان يقول العارفون يظهرون مواجيدهم للناظرين في مرايا الأدلة المقبولة عندهم، والنظار يأخذون مواجيدهم من تلك الأدلة المقبولة فافهم، وكان يقول: من وجد ثم بحث كان بحثه ً عيبا في كل مقام بحسبه فافهم . وكان يقول :متى جردت الحقائق عن اللواحق، والنسب، وأفردت عما به تتمايز الرتب لم تكن إلا ً دأبا فقط فإن ذقت حقيقة التحقيق فمن ثم فخذها بقوة فافهم. وكان يقول التغاير أم الحجب، والتكاثر فافهم، من لم يشهد إلا واحدًا فليس عنده زائد، ومن لم يشهد إلا ً حقا فاعل في خلق قابل ليس عنده باطل، ومن لم يشهد إلا أمر الرحمن ليس عنده أمر الشيطان، وقس على هذا فلكل مقام مقال فافهم، وكان يقول من علم أن لا إله إلا الله لم يبق لأحد عنده ذنب سيما لمن يعترف بذلك" فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك "" محمد :"١٩ أي بلا إله إلا الله، وكان يقول في حديث" أنا عند طن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني "أي مهما تصورني به من الصور كنت ممده من أفق تلك الصورة بحكمها فافهم، وكان يقول ما عبد عابد معبودًا إلا من حيث رأى له، ً وجها ً إلهيا ولكن

الكـامن يـدعو نـاطقـة النواطق إلا الانطلاق من قيـد وجـه إلهي محبوب بمرتبـة مألوهه سيما، وألوهيته منكورة في النظر الآدمي، وأطال في بيان ذلك، وكان يقول :انظر إلى مراتـب التعـابـد كيف كـل منها محتاج في ظهوره إلى الآخر الذي يقابله فلولا الواجب ما ظهر الممكن ممكناً، ولولا الممكن ما ظهر الواجب، واجبا فلكل، واحـد أثر في الآخر كالعلة، والمعلول، والفعل، والمفعول والعالم والمعلوم. وســئل رضي الله عنه عن قول فرعون" وما رب العالمين "هل هو ســؤال عن ماهية الله تعالى كما يقال :وهل عدول موسى عليه الســلام عن الجواب المطابق كما زعمواً تنبيها على غلط الســائل في ســؤاله عن ا..رد الحقيقي بما التي تطلب حقيقة ماله جنس، وفصـل يجاب مآ.. عنها .فأجاب رضي الله عنه هذا سـؤال عن ماهية صفة من صـفات الله لا عن ماهية الله، والجواب مطابق رسـمي لأنه أجاب بالخاصـة المعلوفة عند السـائل، ويمكن أن يكون جعل الجواب تفسـيراً للفظ ً تنبيها على أن المســمى معروف بوضـــوح أدلته معرفة ضرورية لكل عاقل فلا يســأل عنه إلا متعنـت أو من لا يعقـل، ولـذلـك قـال في الثالثة" إن كنتم تعلقون "فقيل هل في ذلـك سر؟ فقال رضي الله عنه فيها أسرار: منها أن رب العالمين هو القائم على كل كائن بتربيته حتى يقوى ذلك

الكـائن، ويقول من توجهت قواه لتربيته فهو وجود الكل، والأمر له جميعاً، ومن ثم توجه قول فرعون : لئن اتخذت ً إلها غيري "" الشـــعراء :"٢٩ الآية، وحفظ له موسى حرمة مشـــهده فلم يجبه بأكثر من قوله :أولو جئتك بشيـــء مبين "فجاءه بعصا ظهرت ثعباناً، وهو وجودها المتعين مآ. فما جاء بمجيئها إلا هو فهو متصرف

بـذاتـه في حجـب تعينـاتـه، ومظـاهر تجليـاته فجاء بالحق المبين حيث جاء" لقد جاءت رسـل ربنا بالحق" فكان فرعون شـاهدًا بلا أدب، وموسى شـاهد حي وأين قول فرعون له :" إني لأظنك يا موسى مســحورًا "" الإسراء :"١٠١ من قوله :" لقد علمت "أي المسـحور، وا..نون المسـتور المحجب، ولا يعلم ذلك إلا مشـاهد عارف بأن مشـهوده مسـتور عن سواه، وهكذا حين قال: السحرة "آمنا برب العالمين رب موسى وهرون" فآمنوا على سـتر تغطية اسـتعدادا..م في كل مقام بحســبه فكانوا سـحرة، وطلبوا المغفرة "قال "لهم فرعون "آمنتم به "فانظر كشـفه، وتحقيقه هنا لو سلم من الميل إلى التلبس الذي هو شأن

مرتبة الإبليســية فأضــله الله على علم ": ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب، وأبي - واسـتيقنتها أنفسهم -لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات، والأرض بصائر "أي وجود الحق المبين ولكـل مقـام مقـال، ولكل مجال رجال فانجهم، وكان رضي الله عنه يقول لا يسود أحد قط في قوم إلا إن آثرهم، ولم يشاركهم فيما يستأثرون به في كل مقام بحســبه فافهم وكان يقول كنية الشـيطان أبو مرة تدري من هي المرة الذي هذا أبوها هي النفس الجسمانية ذات الشؤون المنكرة شهوة مآ.... فلا هي حرة، وغضب كلبي سبعي فلا

هي برة، تدري لم ســميت مرة لأ..ا ما دخلت في شيء إلا أفســدته كما يفســد الحنظل اللبن فافهم. وكان يقول :في حديث "فإذا أحببته كنت سـمعه "وفي رواية "كنتـه "ليس المراد به معنى الحدوث في نفس الأمر لأنه كذلك بالذات، وإنما ذلك ليكون الشهودً مرتبا على ذلك الشرط الذي هو المحبة فمن حيث الترتيب

الشــهودي جاء الحدوث لا من حيث التغرير الوجودي فافهم، وكان يقول لا مؤ..
ذات أخيـك، ولكن اهجر مـا تلبس من المـذمومـات فإذا تاب من ذلك فهو أخوك
فـافهم، وكان يقول: لا تعب أخاك بما أصـــابه من معايب دنياك فإنه في ذلك إما
مظلوم "لينصرـنه الله "أو مذنب عوقب فطهره الله أو مبتلى قد وقع أجره على
الله فافهم، وكان يقول من الرعونة أن تفتخر بما لا تأمن سـلبه أو تعير أحدًا بما لا
يســتحيل في حقك، وأنت تعلم أن ما جاز على غيرك جاز عليك، وعكســه فافهم.
وكـان يقول في حـديـث "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا "لما كـان ظاهر هذا هو
الموت الطبيعي اسـتصـعبه الغافلون، واسـتهونه المشـتاقون فخفف عن الطائفتين
بتوجيهه إلى الموت المعنوي فقال ": موتوا قبل أن تموتوا" أي جردوا نفوســكم من
الصـفات المذمومة تقيلوهما، ويؤيده قول عمر رضي الله عنه في البصل فإن كنتم
لا بـد آكليهـا فـأميتوهـاً طبخـا يعني اطبخوهـا حتى يذهب خبثها فافهم، وكان
يقول الشــيطان نار ،وحضرـة الرب نور، والنور يطفيء النار فلا تجاهل بأن تبعد
معه عن حضرة ربك الحق، ولكن جاهده بأن تواجهه بنور ربك فإن كان له نصيب
في الســعادة انطفأت ناريته، وعاد نورًاً مســلما لا يأمرك إلا بخير، وإلا أطفأه نور
ربـك وأحرقته شـــهبه فعاد رمادًا فافهم، وكان يقول في حديث ابن عمر إنه عليه
الســلام قال له" عد نفســك من الموتى "يعني كن بحيث ييأس منك كل كفور كما
ييـأس الكفـار من أصـــحـاب القبور لأن الميت لا براح له من المثول بين يدي الله
تعالى لا يتصرـف لنفســه في شـهوة، ولا غضــب، ولا يرى ســوى ربه كيفما انقلب
فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: سبيل الله طريقه من مات فيها فهو شهيد

فالمؤمنون كلهم شهداء في سبيل الله" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ً أمواتا بل أحياء "الآية فافهم، وكان يقول: قال سـيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه المحبـة قطـب، والخيرات كلها دائرة عليها فافهم، وكان يقول في معنى حديث ": لخلوف فم الصـائم أطيب عند الله من ريح المسـك "أي هو عند الله مرضى رضـا يعبر عنـه بـأنـه أطيـب من ريح المســـك لو لطخ المكلف بـه فمه ً تقربا ً وتطيبا للعبادة فافهم، وكان يقول لا يظهر إمام هدى لمأمومیه من الأفعال إلا ما فيه كما لهم، وأمـا الخصـــوصـــيـات فـإن أظهرهـا ففـائـد..ا إعلام المـأمومين أن لإمامهم خصوصيات باطنة ليس لغيره في وقته مثلها فيقوى به إيما..م، ويعلمون أ..م ليس لهم منه بدل فافهم، وكان يقول: إذا، وجدت من يدعو إلى الله فأجبه، ولا يصدنك كونه من الطائفة التي انتميت إلى غيرها فبمثل ذلك صـــد الأشـــقياء قبلك فقال اليهود لو جـاء محمـد منـا لاتبعناه لكن جاء من العرب فلا نتبعه، وندع أمر بني إسرائيل فكان الجن أعقل رابطة منهم، وأفقه حيث قالوا ": يا قومنا أجيبوا داعي اللـه وآمنوا بـه "" الأحقاف :"٣١ الآيات، واعلم أن الحقيقة الداعية إلى الله تعالى في كل دور هو صاحب وقته" قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة "" يوسف :"١٠٨ وكـل الـدعاة في زمنه إنما هم رقائقه، وألســـنة "أنا ومن اتبعني "وعلامته اندراج بيانا..م، وكشـوفا..م في كشـفه، وبيانه، واختصـاصـه عنهم بما لا سبيل لهم إليه إلا بإمداده، وفيضــه فافهم، وكان يقول: ألق حبلك، وأسـبابك، وما اعتمدت عليه من معلوماتك ومعمولاتك بين يدي الداعي إلى الله تعالى حتى يلتقمها

حكمه، وحكمته فلا يبقى لك عمدة إلا على حقه، ولا توصـل إلا بصـدقه ليسريـ
بك إلى ربك في حالة محو نفسك ليلا، ويخرجك من مواطن
تحكم العدو إلى مقامات حكم المولى فهناك لا تزلزلك الزلازل، وإن اشتدت هو لا
كما قال: أصـحاب موسى ": إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سـيهدين "فكان من
حكمـة ربـه لقومـه الـذين أسرى مـآ. مـا كـان فافهم كما خرج موسى من مدينة
فرعون خائفا يترقبً مســـتغرقا في ربه فأفضىـــ أمره إلى مقام المناجاة جرت تلك
السنة على اتباعه فأسرى بعباد الله من أرض فرعون خائفين يترقبون مستغرقين في
نور إيما..م فأفضى أمرهم به إلى مقام النجاة فافهم.
وكان رضي الله عنه يقول :إنما خرق الخضر عليه السلام السفينة بركا..ا لحكم منها
أن يبين لهم أن السـفينة لو كانت حاملة بألواحها، ودسرها لغرقوا عند خرقها ولن
مكرمهم هو حاملهم في البر، والبحر فسـواء، وجودها، وعدمها عند صاحب اليقين
الكامل ولهذا مشىـ على الماء من كان هذا يقينه، ولو أراد المشي على الهواء أيضاً،
وكان يقول :إذا رأيت أن الخضرـ عليه السـلام قسـمت له الحياة إلى إدراك الزمن
المحمدي فما طلب موسى بفتاه السـبيل إليه إلا من باب معنى قول القائل: لعلي
أراهم أو أرى من يراهم فـافهم، وكـان رضي الله عنه يقول: إنما لقي موسى عليه
السـلام الخضرـ بفتاه ليجمع لفتاه بين بحر الرسـالة من نبوته، وبحر الولاية من
خصـوصـية الخضرـ عليه السـلام، والسرـ في ذلك أن حكم الولي مع حكم الرسـول
الذي يلزمه شريعته كحكم النجم مع حكم الشـمس، وذلك كما أن النص إذا وجد
اندرجت أحكام الاجتهاد كلها تحته، وكان الحكم حكم النص، وإذا غاب النص

رجع كـل مجتهـد إلى حكمـه فكما أن حكم كـل مجتهـد في حياة النبي مندرج في حكمه إن أثبته ثبت، وإن نفاه انتفى كذلك حكم ولى مع رسـول، وأما في زمن أبي بكر، ومن بعده من الخلفاء فلكل مجتهد حكمه لا يلزمه اجتهاد غيره فهكذا كان أوليـاء بني إسرائيـل في حيـاة موسى منـدرجي الحكم في حكمه فلما دنث ،وفاته، وتوارى شـمس رسـالته بحجاب خليفته الذي يسـتخلفه بعده، وكان ذلك الخليفة هو فتاه الذي قصـد به الخضرـ عليه السلام علم أن أحكام أهل الولاية ستظهر في زمان ذلك الفتى فأراه كيف يكون معاملته لهم إذا ظهر في زمن خلافته، وجمع له بين أمري الرســـالة، والولاية فقال لفتاه "لا أبرح "أي لا أموت "حتى أبلغ مجمع البحرين " أي فيك "أو أمضيـً حقبا "أو أعيش إلى أن يحصــل ذلك، ولو عشــتً حقبا "فلما بلغا مجمع بينهما نســـيا حو..ما "" الكهف :"٦١ ثم كان من الأمر ما قص الله علينا في الكتاب فعلمه أن يسلم للأولياء باطناً، وإن اقتضى الشرع إنكار شيء من أمرهم أنكره ظاهرًا على جهة الاستعلام كي لا يتشبه بأحكامهم من ليس في مقامهم، وإلا فما لموسى كف عن الخضرـ بتلك المعاني التي أبداها الخضرـ فإن مثلها لا تسقط به المطالبة في ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير إذ..م، وقال خرقتها لئلا تغضب لم تسقط المطالبة

بذلك ظاهرًا، ومن قتل صـــبياً ، وقال خشـــيت أن يرهق أبويه طغياناً ، وكفرًا لم تســقط عنه المطالبة بذلك في ظاهر الشرــع، وقول الولي ما فعلته عن أمري ليس مســوغا لمثل هذه الأعمال في الحكم الظاهر، وإن تحققت، ولايته فما كان الإنكار من موسى أولا إلا حفظا لنظام الشرع الظاهر ثم كف آخرًاً حفظا لرعاية أمر

الله في أوليائه وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السـمع، وهو شـهيد، وكان رضي الله عنه يقول: في قصـة موسى، والخضرـ يعني أن للحق عبادًا أقامهم لبيان المكتسـبات، وعبادًا أقامهم لبيان الموهوبات ليس لأحدهما أن يعترض عل الآخر، ولا يشـاركه فيما أقيم فيه وإن كان أحدهما نبياً، والآخر وليا فافهم، وكان يقول :الجبال أمثال الرجال فكما أن الجبال لا يزيلها عن مقيلها من الأرض ما عام العالم إلا الشرـك فكذلك الولي ما يزيل همته عن قلب من آوى إليه إلا شرك خالص موضـع المحبة من قبله بغير ولاء ربه" وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال "" إبراهيم :"٤٦ فلا يفلت الولي قلب مريده سـوى الشرـك لا تقصـير، ولا غيره فـافهم.وكـان يقول :لفظـة "مـا "في قول الخضرـ لموسى؟ "مـا فعلتـه عن أمري "موصـولـة، وأمره شـأنـه لأن تلك الأفعال كانت من أحكام روح الإلهام الولائي فافهم، وكان يقول :الخضرـ عليه السلام مظهر عرفاني رأى فيه موسى عليه السلام حين وجوده ما سأل في مقامه العرفاني أن يراه في شهوده، وذلك المظهر كان منه ، وإليه فافهم، وكان يقول: ما من كامل في رتبة إلا وهو جامع لكمالات ما دو..ا، وفقير لكمالات ما فوقها فـافهم إلى أن ينتهي الأمر إلى من لـه المنتهى، وليس، وراءه مرمى والله أعلم .

وكان يقول النفس ما له الإدراك والروح ما به الإدراك في كل مقام بحسـبه، ومن هنا سـمي القرآن روحاً،وعيسى روحاً، وجبرائيل روح الوحي النبوي المرسـل في المعـاني الجلالية، وميكائيل روح هذا الوحي في المراتب الجمالية، ولذلك كانت آية إلياس النار تسـير معه حيثما سـار، وأما الخضر فإنه جليس على الأرض اليابسـة فاخضرـت حيث جمع لموسى بين النار، والشـجرة في تجليه، وتم له ذلك ظهر له عين الأمرين في إلياس قومه، وخضرهم، ولذلك كان إلياس للأولياء كجبريل للأنبياء وكان أكثر من يراه أصحاب

ا..اهدات والخضر لهم كميكائل، وأكثر من يراه أصحاب المشاهدات، ولا يظهر أن لأحد إلا متمثلين من غيبه إلى شـهادته، ويراهما كل أحد بحسـب حاله، ومقامه، ويراهما في الآن الواحد جماعات متفرقون في أماكن متباعدة على هيئات مختلفة ولا يظهران معـا إلا لمن لـه روح كمال ذات جلال، وجمال فافهم، وكان رضي الله عنه يقول :في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف إشارة إلى أن المتبوع في المعنى قد يكون تابعا في الصـورة كغاية الشيء له فلا يلزم من الإتباع الظاهر فضـيلة المتبوع على التابع في الباطن، وقد أوحى إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ": أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا "" النحل :"١٢٣ مع أنه القائل "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة "حتى إبراهيم يقول :في ذلك اليوم اجعلني من أمتك فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: الحظوظ الدنيوية زبالة فمن أظهر للناس ما عنده من الخصـوصـيات الربانية ليتوصـل بذلك إلى تحصـيل حظوظه الدنيوية منهم فقد برطل بالمملكة كلها على أن يصير زبالا، وقد وقف عمر بن الخطاب رضي الله

تعالى عنه بأصحابه على مزبلة حتى أضجرهم فقالوا: مالك حبستنا هنا فقال هذه دنياكم التي تتنافسون عليها، وكان يقول :كل ما أرضى العارف بالله أرضى معروفه، وكل ما أغضبه أغضب معروفه كما جاء في الحيث" إن الله يرضى لرضا عمر، ويغضب لغضبه "وجاء مثل ذلك في حق فاطمة، وبلال، وعلي، وسلمان، وخبيب؛ فاعملوا أيها المريدون على أن يمضي عنكم العارفون وينبسطوا إن أردتم رضا ربكم، وبسط نعمه عليكم، واحذروا فإن العكس في العكس من ذلك، واسألوا الله توفيقكم لذلك، وكان يقول: التكليف، والاختبار من الحق قرين الاختيار، ودعوى الاقتدار من الخلق فمن عجز، وسلم لم يكلف، ولم يختبر. قلت، وقوله لم يكلف أي لم يجد مشقة في التكليف فافهم وكان يقول: صلاة تنتج الدعوى رعونة، ونوم ينتج التقوى معونة فافهم، وكان يقول :لسان الكسب يقول : " ما عندكم ينفد، وما عند الله باق "، ولسان الوجود يقرأ "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها "، فافهم، وكان يقول: من استضعف لإيمانه فعاقبته التمكين، وعلو الشأن "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين "" القصص :"٥ الآية، ومن كبر بإجرامه رد أمره إلى صغار" سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد "" الأنعام :"١٢٤ الآية، وكان يقول :جميع ما أفاده المفيد للمستفيد إنما هو في الحقيقة لنفسه أن العبد من مولاه عبد القوم من أنفسهم، وما من الله إلا، وإليه فافهم، وليس يفهم عني غير إنائي، وكان يقول: في حديث "لا تقوم الساعة، وعلى وجه

الأرض من يقول: الله الله "أي عارف بالله ً حقا فوجود العارف بالحق بين الخلق أمان لهم من قيام القيامة ذات الأهوال عليهم فافهم وكان يقول: ما عبد الله أحد إلا على الغيب لكن فتح لك الشرع الذوقي في الذوق الشرعي المحمدي ً بابا إلى الجمع بأن تشهد كل شيء من معبودك حتى عبوديتك فتراه هو الذي يجري تلك الأحكام عليك ويقيمها فيك بقيوميته فتصير عند شهودك هذا تعبده كأنك تراه لأنك لو رأيته رأيته، وجودك القائم بجميع صفاتك، وسمي اللسان المحمدي هذا الشهود مقام الإحسان، وليس بعده إلا مقام الإيقان، وهو العيان فافهم، وكان يقول: لا يحل لأحد أن يمكن الخلق من تقبيل يده، ورجله إلا إذا صحبه من الحق ما صحب الحجر الأسود من حفظ عهد الحق تعالى في الخلق، وقصد الله، وحده، والتطهر من لوث تحكم الوهم البهيمي، وعدم الشهوة المغفلة، والحظوظ المشغلة، والرعونات المضلة، وتحمل خطايا الخلق ولا يبالي أن يسود، ويذكرهم بر..م فيبيض قلو..م فمن جمع هذه الصفات فهو يمين

الرحمن لهم في الأرض" إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله "فافهم، وكان يقول :لكل زمان، واحد لا مثل له في علمه، وحكمته من أهل زمانه، ولا ممن هو في زمان سابق على زمانه لأنه سبقه زمان آخر، ولسان هذا الواحد في زمانه يقول :لتلامذته "كنتم خير أمة أخرجت للناس "" آل عمران :" ١١٠لأ..م أخذوا عن إمام لم يتقدمه مثله، ولم يعاصره نظير، وإن للمأموم حكم إمامه فإن قال :لهم ذلك بلسانه فذلك منه حق، وصدق وإن قال ذلك، وليس هو من أهل ذلك المقام كذبه الحال فيما قال " : والحق أحق أن يتبع "فافهم، وكان يقول :لا يرى الحق تعالى في

الآخرة بلا حجـاب إلا أهـل التنزيـه المطلق، وهو تجريد التوحيد عن شريك يقابله أو يشـوبه لشـهودهم الأحد أحدًا لا شريك له مطلقاً، وهذا هو سر العيان الذي يسـتحيل معه الحجاب فافهم، وأما أهل التنزيه المقيد فلا بد لهم من حجاب كما أشـار إليـه حـديث" وما بين أهل الجنة، وبين أن يروا ر..م إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن "وهؤلاء هم الذين ينكرون الحق يوم القيامة إذا تجلى لهم في غير معتقدا..م، وسئل رضي الله عنه عن مريد ادعى أنه

شـهد كمال أسـتاذه ثم أراد السـفر عن حضرـته لزيارة مكة أو المدينة أو بيت المقدس، واسـتدل على ذلك بسـفر عمر رضي الله عنه من حضرـة النبي صـلى الله عليه وسـلم إلى مكة لوفاء نفره فقال :رضي الله عنه المريد الصادق أول ما يشهد في شيخه الكمال يجده في حضرة الحق التي مآ. أرواح أئمة الهدى أجمعين بالنسبة إليه فكيف مع هذا يفارق تلك الحضرة لمواضع آثار الأنبياء عليهم الصلاة، والسلام التي هي دون الحضرـة التي شـهد أسـتاذه فيها وكيف يشـتغل عن بيت وضـعه الحق لنفسـه ببيت وضـعه للناس أو عن مجالسـة مظهر أرواح الأنبياء، والتلقي عنها مواجهة مشـافهة بآثار أبدا..م، وأفعالهم، وأما سـفر عمر بن الخطاب رضي اللـه عنـه فـإنما كان امتثالا لأمر الله ً عموما حيث قال ": يوفون بالنذر "ثم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ً خصوصا حيث قال ": يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف في المسجد الحرام قال أوف بنذرك" وحسـبك إشارة أن عمر رضي الله عنه لو كان يعرف مقام رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يوم نذر ذلك لم ينذره، وقدم مجالسته لرسول الله صلى الله عليه وسلم على كل شيء "إنما

المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه" إلى قوله "واستغفر لهم الله "فانظر مع الاستئذان، والإذن في ذها..م لبعض شأ..م الذي احتاجوا إليه كيف احتاجوا إلى الاستغفار لهم، ولم يكف فيه استغفارهم لأنفسهم فليس لمزيد صادق أن يفارق إمام حضرة هدايته أبدًا. قلت، ويتعين استثناء الحج المفروض من كلام الشيخ رحمه الله تعالى، وكان يقول .في قوله تعالى : " إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه "جمع الله تعالى له بين الكلمة العلمية، والروح الإرادية، وقال :" فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويا "فالروح هو الذي غلب بحكمه العلمي على النسمة الكائنة من مريم فكان مآ. متمثلا، ولذلك قال :" وما قتلوه "لأن الغالب عيه صورة الحياة فالقتل عليه محال، وإن وقع على النسمة المتمثل مآ. حكم من الأحكام اللائق مآ. فلذلك لا يؤثر في المتمثل مآ. أصلا لأن ما بالذات لا يزول بالعرض حقيقة، وإن توارى بحكم آخر يخالفه فذلك بالنسبة إلى من لم يدرك منه إلا ذلك الحكم الذي توارى به، وربما يقول: هذا فكيف صح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت فرجع إلى ربه فردها عليه فالجواب أن هذا الملك روح طبيعي تمثل في صورة طبيعية فلم يبعد عنه ذلك لأنه من عالمه، ولو لم يكن طبيعيا لكان الفقء لم يقع إلا في المثال فقط ثم تمثل

بمثال آخر، وأبدل مكان العين المفقوءة ً عينا سليمة، وأطال في ذلك وكان رضي الله عنـه يقول :في معنى قول بعض الصــوفيـة إن الحق ذات كـل شيء، والمحـدثـات أسماؤه انتهى. معنى الأول أن كل شيء لا يقيمه، ويوجده، ويحققه إلا الحق لأن الـذات هي المقومـة المحققة للعرض، ولما كان الحق من المحدثات مآ.. المترلة هو قيومها الذي لا قيام لها دونه أطلقوا عليه ذا..ا، وأما كو..ا أسماءه فلأ..ا دالة عليه دلالة لازمة ذاتية لها كما هو دلالة المفعول على فاعله، والاســم ما دل بذاته على ما وضـع له فمن ثم سـموا المحدثات أسـماء لقيومها الذي أوجدها فافهم، وكان يقول: من أراد أن ينقـاد لـه العالم انقيادًا ً ذاتيا فلا يطلب إلا الله تعالى وذلك أن الإنســان المخلوق على صـورة الكمال يطل بجميع المخلوقات كما يطلبون الرحمن لأنه نائبه في الكون فافهم، وكان يقول: من شــأن الذات الإطلاق لذا..ا، وتســاوى النســب لصــفا..ا، ومن ثم لا يشــعر موجود بإطلاق إلا كان بذاته أحن إليه من التقييد وأطال في ذلك.

وكان يقول :إذا صـفت الأرواح صـارت مؤ. أن تنفذ من أقطار السـموات والأرض لتفـارق حكم عـالم الكثـافـة والغير إلى حكم عـالم اللطـافة ومحض الخير ويمانعها حكم كو..ا الترابي الجسـمي فيحصـل الرفض ،والتردد، وربما صـحب صاحبها حسرة على عدم خلوه عن العوائق عن ذلك فيثور هنالك عويل، ولطم ،وبكاء، وعنف في الحركـة، وتمزيق في الثيـاب، والجلـد، وربمـا قوى حـال النفس عليها ففارقت بد..ا المعارف، وحصل الموت وأطال في ذلك. وكان يقول :كلما كان حادي القوم ً مناسبا لهم في عشقهم، وحالهم كان أكثر تأثيراً فيهم، وكان يقول : من شأن الإمام الهادي

أن لا يغفـل عن تطهير قلوب المريدين الطائفين على مظاهر الحق "أن طهرا بيتي للطائفين والقائمين" أي بالقسط "والركع السجود "بالاقتراب الإيماني الحسي، وأطال في ذلـك، وكـان رضي اللـه عنـه يقول: أهـل كل، ولي من جاءه بقلب ســـليم من الحظوظ، والشـــهوات البهيمة ألا ترى أن أهل العروس ليس إلا الذين لا ينظرون إليها بشـهوة مآ.... إما والد أو أخ أو عم، وأما الزوج فإنما ينظر إليها بإرادة أمرية لا بشـهوة مآ.... وقد مإ.. النسـاء من إظهار، وجوههن، وظهورهن، وما يخفين من زينتهن إلا لقرابـة أو غير أولى الإربـة من الرجـال أو الطفـل الذين لم يظهروا على عورات النســـاء، وهم أمثال الضـــعفاء العقول المقلدين بالتصـــميم لأهل النظر القاصر عن إدراك الحقائق فهكذا حال كل مريد جاء إلى حضرـة أسـتاذ بالصـدق كان من أهله وعليه تنكشف عورته وتتجلى أسراره، ومن لا فلا فافهم، وكان يقول :اطلب من نفسـك الصـدق في معرفة خصوصية أهل التخصيص ومحبتك لهم تنل منهم ما تريد، ولا تطلب منهم أن يشـغلوا قلو..م بك، و..مل أنت أمر نفسك فإن ذلك قليل الجدوى، وكان يقول: الأسباب للأمور الناشئة عن الكسب كالماء للزرع متى انقطع عنه الماء مات، وكذلك المتفكرون متى تركوا التفكر عطلت معتقدا..م النظريـة، وكـذلـك المتقشـــفون متى تركوا تقشـــفـا..م بطلـت تـأثيرا..م الكونية، ومكاشـــفا..م الصـــورية فافهم، وما كانً وهبا من الله تعالى فهو باق، وكان رضي الله عنه يقول: من كتم سره ملك أمره، ولم يكتمً شـــيئا من أظهر من الأحوال ما يدل عليه فلا تظهر لقومك إلا ما تعرف منهم قبوله منك" لا تقصـص رؤياك على أخوتك "" يوسف :"٥ الآية وكان يقول :حقيقة الشكر الكامل أن يشهد العبد

شــكره لله تعالى من الله، ومن شــكر فإنما يشــكر لنفســه فافهم، ولا يشــكر الله حقيقـة إلا اللـه، والعبـد عـاجز عن ذلـك، وكـان رضي عنـه يقول: إذا علمت من أســـتاذك الإطلاع على جميع أحوالك فقد عرضـــت عليه صـــحيفتك فقرأها فإما يشـكرك، وإما يسـتغفر لك ربك فاسـمع لهذا، وأطع، وإن أعطاك الله تعالى أنت بصـيرة علمت مآ. ذلك فقد أوتيت كتابك تقرؤه فإن علمت بما فيه من الصالحات فقد أوتيت كتابك بيمينك، وإن خالفت ما فيه فقد أوتيت كتابك بشـــمالك، وإن أغفلـت النظر فيه فقد أوتيته، وراء ظهرك، وحيث جاءك هذا البيان فاقرأ كتابك، وحرر حسابك كفي بنفسك اليوم عليكً حسيبا فافهم، وكان رضي الله عنه يقول :أئمـة الهـدى في أمـان اللـه عز وجل، وإنما يبكون، ويتضرـــعون لأجل اتباعهم إما ليعلموهم كيف يعملون، وإما أ..ا شفاعة غيبية فافهم، ولا شك أن التعليمً أيضا شفاعة فمن تعلم، وعمل فقد قبلت فيه الشفاعة فانتفع، ومن لا فلا" فما تنفعهم شـفاعة الشـافعين فما لهم عن التذكرة معرضـين ". وكان يقول :الكشـف من ربك العليم، والغطاء من وهمك البهيم فلا تستعن على الكشف بوهمك فإنه لا يزيدك إلا غطاء ولا تخش من ربكً منعا عند صـــدق توجهك لجوده فإنه لا يوجدك إلا إعطاء فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: لما كانت حواء مظهر صـورة شـهوة آدم الباطنة كانت المرأة لا ترى قط إلا شهوة جسمية لا تدري ما فوق ذلك، ولا تتوجه همتهـا إلى أعلى منـه، ولا تنظر قط في العواقب، وإنما تسرـــع إلى ما حرك الوهم البهيم شـهوا..ا إليه، وكان يقول :كم شيء كمال في الخلق نقص في الحق كالأزواج، والذرية فإن قيل لولا الزواج ما حصل النتاج فقل لهم بل كان يحصل من حيث

حصـل في آدم عليه السلام ولكن محض التعريض للأسباب هو أكلة النهي الموجبة لتســـليط ما في الضرــورات من العقاب فافهم وكان يقول في قوله تعالى ": خذوا زينتكم عنـد كـل مســـجـد "" الأعراف :"٣١ المراد بالزينة هنا المكارم، والمحامد، والفضـائل فهذه هي الزينة للنفوس الآدمية، وضـد ذلك من زينة البهائم، والمراد بكل مسجد هو كل هاد للخلق بنوره، ومرشـدهم إلى حسن العبودية فافهم قال اللـه تعـالى :" ولبـاس التقوى ذلـك خير "" الأعراف :"٢٦ الآية، وكان يقول :الحق مفطور على صـــورة الحق فهي حيـاتـه وشـــبـابـه فـإذا أهرمته عوارض الحجب، والغفلات صـار سـمندل نار إذا ألقي به فيها رجع شـبابه فافهم، ولا تصـح صـفة المحبة لعبد، وهو بخيل أو عاص أو عنده عجلة بلا حلم، وكان يقول: ما ســـمي القلـب ً قلبـا إلا لأنـه في العلم الأزلي حق بطن في قوتـه خلقـه فـانقلـب في العلم الأبدي فصار ً خلقا بطن فيه حقه فهذا الحق في الأزل بيت عبده، وهذا الخلق في الأبد بيت عبده، وكما ظهر الخلق بالحق ً أزلا كذلك ظهر الحق بخلقه أبدًا، وأطال في ذلك، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كان للحق بعبده عناية جعل سـبب شـقاء الأشـقياء من أسـباب سـعادته يذنب فينكسرـ ويسـتحي ويتذلل ويذوق طعم الحجاب والعبد فيعرف قدر الوصل فيزداد شكرًا فتزداد ً فضلا والمعكوس منكوس "إن الله يحكم ما يريد "" المائدة :"١١ فافهم، وكان يقول :في قوله تعالى : " وإذا رأيـت الذين يخوضـــون في آيتنا فأعرض عنهم "" الأنعام :"٦٨ الآية فيه إشـــعارًا بـالإعراض عمن يخوض في حق الأوليـاء المكملين فهم من آيـات الله تعالى الدالين عليه قال تعالى ": ولنجعلك آية للناس "فافهم، وكان يقول: لما كانت الوكالة

مشعرة بعجز الموكل عما فوضه إلى، وكيله، وقدرة الوكيل عليه، ولو بوجه ما إذ لا بد من مانع له من مباشرة ما، وكل فيه سمي الرب،ً وكيلا لعبده، ولم يسم العبد،ً وكيلا لربه فافهم، وسئل هل لمريد الحق أن يتعاطى ما يشغله عن مراده فقال: لا فقيل فما الحكمة في إذن الشارع صلى الله عليه وسلم لأمته في التزويج، وفيه من الشـــغـل ما لا يخفى فقال لأنه لما رأى النفوس البشر ـــية مجبولة على المغلوبية لعوارضـــها المزاجية أذن لها فيما يفك عنها غلبة تلك العوارض عليها لئلا تشـــغلها عنه، وشرط عليها مساس الحاجة قبل التعامل ليكون الشغل في ذلك به لا عنه ألا ترى قولـه :" ذلـك أدنى أن لا تعولوا "" الأنعام :"٦ والعول الزيادة أي أعنى أن لا تميلوا عن مولاكم إلى ما دونه فمن تزوج بنية صالحة كان عابد الله تعالى بتزوجه مع أن في ضـمنه عصمة له من الزنا الذي هو أعظم الحجب عن الله تعالى فافهم، وأما من تزوج لمحض الشهوة فقط فذلك الذي يشغله الزواج عن ربه، وكان يقول : مبدأ حقيقتك الروحانية أحق بك من مبدأ حقيقتك الجسـمانية فإذا علمت هذا فقدم أمر ربك الذي هو مبدؤك وقال عنك" فنفخت فيه من روحي "، فهو تعالى أحق بك وأرحم وأفرح بك من أمك، وأبيك، ومن كل شيء دونه صــاحب الشيــء أحق بشــيئه فافهم، وكان يقول :من كان خليفته مرشــدك، ومربيك فهو بحقيقته ربـك، وهاديك فاعرف يا مريد من هو مرادك، ويا تلميذ من هو أســـتاذك والزم تغنم فافهم، وكان يقول :علماء الســـوء أضر على الناس من إبليس لأن إبلس إذا، وسوس للمؤمن عرف المؤمن أنه عدو مضل مبين فإذا أطاع، وسواسه عرف أنه قد عصى فأخذ في التوبة من ذنبه، والاستغفار لربه ،وعلماء السوء يلبسون الحق

بـالبـاطـل، ويزيدون الإحكام على وفق الأغراض، والأهواء بزيغهم، وجدالهم فمن أطاعهم ضل سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعا فاستعذ بالله منهم، واجتنبهم وكن مع العلماء الصـادقين وكان يقول من المتفقهين تسـتفيد دعوى العلم بأحكام الدين ومن العلماء العاملين تتفيد العمل بأحكام الدين فانظر أي الفائدتين أقرب قربى عند رب العالمين فاسـتمسـك مآ.. وإذا قال :لك المتفقهون ماذا اسـتفدت من الصـوفية الصـادقين فقل لهم اسـتفدت منهم حسن العمل بما استفدت منكم من أقوال أحكام الدين، وكان يقول : نية القربات تصــير العادات، والمباحات عبادات حتى إنك ترى الجبة الصـوف على أهل الله تعالى أحسـن من الحرير على غيرهم، وذلك لأ..م قصـدوا بذلك وجه الله تعالى قال: تعالى :" ومن يقترف حسـنة نزد له فيها حســنا "" الشــورى :"٢٣ فافهم، وكان يقول :بينك، وبين أن لا تدرك أن تولى حـب الـدنيا ظهرك فافهم، كان يقول: خاتم الأولياء على قلب خاتم الأنبياء، ومن علامتـه أن يتحقق مواجيـد الأوليـاء كلهم، ويختص عنهم بوجده كما حقق خاتم الأنبياء مواجيد الأنبياء كلهم، واختص عنهم بخصـوصـيته فافهم، وكان يقول: ربما كان الواحدً صـديقاً قطبا من جهتين باعتبارين، ولا شـك أن الصـديقية في ضـمن نظام القطبانية لأ..ا من مراتب دائر..ا فافهم، وكان يقول: القطب مظهر نور الحق على الكمال الممكن لنوع الإنسـان بحسـب زمانه، ودائرته، والصـديق مظهر نور القطب على الكمال الممكن لمثله، والنور ما به الكشــف، والبيان، وتحقيق المعاني في الأعيـان فـافهم، وكـان يقول مجـالس الأوليـاء العـارفين محـاضرات روحانية لا يعبئون فيها إلا بفصاحة اللسان الروحاني وهو تحقيق المعاني ذوقاً، وحسن تلقيها

حقاًّ وصـدقا فإذا صـحت لهم هذه الفصـاحة فلا عليهم إن فصـحت ألسـنتهم الجسـمانية أوكلت أو لحنت أو أعربت" إن الله لا ينظر إلى صـوركم" الحديث .وسئل عن المراد بقول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزب النور، وأعوذ بك من السبعين والثمانية فقال المراد بالسبعين السلسلة التي فرعها سبعون ذراعاً ،وهي مظهر الفرق والهالكة، والثمانية هي إشـارة إلى سـبع ليال، وثمانية أيام حسوماً، وهذه السبعة هي مظهر أبواب جهنم، وكان يقول لكل ولي خضر هو تمثل روح، ولايته كما لكل نبيصـورة جبريل هي تمثل روح نبوته يظهر لحسـه من فوق نفسـه فافهم. وقال رضي الله عنه في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال لعمر رضي الله عنه ": والذي نفسي بيده ما سلكتً فجا قط إلا سلك الشيطانً فجا

غير فجك" المراد بذلك صـورته الروحانية التي هو مآ. ذلك المخاطب حين خوطب فلا يقال كيف غواه الشـيطان في الجاهلية فافهم، وكان يقول سـيدي ووالدي صاحب الختم الأعظم فالشاذلي، وجميع الأولياء من جنود مملكته فهو يحكم، ولا يحكم عليه من سـائر الدوائر فلا يقال لنا لم لا تقرؤون حزب الشـاذلي لأنكم من أتبـاعهم فافهم. قلت :قد ادعي مقام الختمية جماعة من الصـادقين في الأحوال، والذي يظهر أن لكل زمانً ختما بقرينة قوله فيما سبق لكل ولي خضر، والله أعلم .وكان يقول في قوله تعالى :" إن أول بيت وضـع للناس للذي ببكة "" آل عمران :"٩٦ الآية المراد به قلب آدم عليه السـلام لأنه أول بيت وضـع للرب في البشر وهو أيضا بجسده مدفون تحت عتبة هذا البيت كما أعطاه الكشف، وأما بنية

الكعبة فهو مثال مضرــوب للقاصرين ليتذكروا به المعنى عند رؤية مثاله فافهم، وكان يقول الغذاء شــبيه بالمغتذى في كل مقام بحســبه فالجســم غذاء الجســم، والروح غـذاء الروح، والنفس غـذاء النفس، والعقـل غـذاء العقـل ،والعلم غـذاء العلم، والحق للحق، والخلق للخلق فافهم فإن أسـتاذك علم مكنون فلا يغتنى به إلا عـالمك، ولا غذاء لعالمك إلا به، ولا بقاء لحي إلا بغذائه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول الخلق في اللغة التضـييق ،والخانق الطريق الضيق، ومنه سميت الزاوية التي يسـكنها صـوفية الرسـوم الخانقاه لتضـييقهم على أنفسـهم بالشرـوط التي يلتزمو..ا في ملازمتها ،ويقولون فيهاً أيضـا من غاب عن الحضـور غاب نصـيبه إلا أهـل الخوانق، وهي مضــايق، وكـان يقول لا تخرق حرمة من يحب أن يحترم إلا وفيـك بقية من حكم مغايرتك للحق تحكم عليك بأنك قليل الأدب لأنه ما أحب أن يحترم في ذلك المظهر إلا الحق بالحقيقة، وأما إذا لم يكن فيك شــهود بقية من حكم الغير فالأمر منك إنما هو من الحق لنفسه فانظر ماذا ترى "بل الإنسان على نفســه بصـيرة ولو ألقى معاذيره "" القيامة :١٤ و "١٥ فافهم، وكان يقول :الولد متى قدر على الكســب، وصـلح له سـقطت مؤنته عن أبيه، والعبد أمره لا يخرج عن ســيده بســبب فألزم العبودية لمن كان هو عبده فغنم، وكان يقول: إذا رأى العـارف أنـه عين معروفـه فلا عليه بأس في تعظيم العباد له .قلت : ومعنى كونه عين معروفـه أن يتخلق بصــفـاتـه التي أمره بـالتخلق مـآ.. وهـذا مبني على أن الصــفـات عين لا غير فـافهم، وكان يقول كيف تتحقق بمن لا شيء معه ولم يكن شيء غيره وأنت عندك شيء غيره كائن معه فإن وجود الأول مشروط بفقد الثاني

أو ملازمه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ارقبوا محمدًا في عترته أي اشـهدوه مآ. فإن وجدتم منهم ما يشق عليكم فسلموا، وارضـوا كما لو جاءكم ذلك منه مواجهة لكم ثم لا تجدوا في أنفسـكم ً حرجا مما قضـوا، وسـلموًا تسـليما ً، وإن وجدتم منهم ما يعجبكم فاشهدوه منه فيهم كي لا تحجبوا عنـه مآ.. وتحبو..م دونه، وتنســونه بذكرهم فما هم في الحقيقة منه إلا كالبشرـي السـوي من الروح المتمثل به، وهل الفرع في الحقيقة غير صـله، وهل ثمراتـه إلا منـه فـافهم، وكـان يقول في معنى حـديـث "كنـت كترًا لا أعرف "يعني مرتبـة التجرد " فـأحببـت أن أعرف فخلقـت خلاقـا ً، أي قـدرت ً أعيانا تقديرية، وتعرفـت إليهم ودللتهم على كـل منهـا بكـل منهـا في عرفوني أي لأني أنـا الكـل هـذاحقيقـة هـذا الكلام في التحقيق، وله في الفرقان معان أخر، وكل من عند الله فافهم، وكان رضي الله عنه يقول في كل صـورة آدمية آدم، والملائكة له سـاجدون، وهكذا حقائق الأئمة كل منها كلي أمم بالنســبة إلى أتباعه فمن تبعني فإنه مني فهم هو مجملا ً، وهو هم فصلا ً، وكان يقول. أنت أيها المريد غصن، ونور أستاذك شــمس تحييك، وقمر يربيك؟ وكان يقول متى فتحت ســدد مداركك أدركت بكل منهـا مـا يدركه كل منها فلا تســمع ً شــيئا إلا رأيته وقس على هذا في كل مقام بحســبه، وكان يقول إذا ســلمت النفس بحكم القلب لم يبق لها نزاء لر..ا، ووليها وإلا فلها من التراع بقدر ما فيها من الشرك، وكان يقول: سكوت العالم حيث تعين الكلام عليه ككلام الجاهل .

وكـان يقول :في حـديث :" من ولي القضـــاء فقد ذبح بغير ســـكين "، الذبح إزالة الفضـــلات الردية فهو ذبح معنوي لأنه بغير ســـكين فمن ولي القضـــاء مع إزالة رعوناته الوهمية فهو ولي أمر قاض بالحق، ومن لا فهو متغلب قاضي جور. قلت :ويؤيـده قوله عليه الصـــلاة والســـلام في جلد الميتة "دباغه ذكاته "فتأمل، وكان يقول: مـا دام معلمك يولد عندك المعلومات فهو أبوك فإذا تحققت روحك بنوره صـــار علمـه يتجلى فيـك معلوماته أ..ة، وذلك هو الوحي، وإنما يوحي إليك ربك فاعرف، واغنم، وكان يقول في قوله تعالى " : وأقم الصـلاة لذكري "" طه :"١٤ أي لا لأجري ولا لشيـء غيري فهذه عبادة المحبين، وكان يقول :كل محق مصـدق، ولا عكس فمن، وجـد الحق بـالحق فهو محق مصـــدق، ومن، وجـد بـأمر زائـد فهر مصـــدق فقط، وكان يقول: من تعدى حده قيد، ومن لا غير له لا حد له فافهم، وكـان يقول :لا يراك إلا أنـت فمن لـك بمن هو أنـت حتى تتراءى لـه فيراك، وكان يقول: إنما كان أســتاذك أعلم بك منك لأنه هو حقيقتك وأنت ظلمة فافهم، وكان يقول: معرفتـك بحقيقتـك على قـدر معرفتك بأســـتاذك، وكان يقول :ما لم يرتفع حكم المغايرة لأستاذك عندك فأنت بالحقيقة لا شك ضائع فارجع إلى ربك فاسأله فـافهم، وكان يقول: حيث جاء الخطاب الرباني بيا بني آدم فالمراد مآ. أهل اليمين .

وكان يقول :متى تخلص حريرة الإيمان من شـــوك الســـعدان، والله مأثم إلا الله :ولكن الله يفعل ما يريد، وكان يقول: في حديث :" كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي "المراد بابن آدم من كانً محجوبا فإن عمل المقربين كله لر..م، وكله صوم لتجردهم عن شـهود نسـبته إليهم إلا على، وجه ا..از" ذلك فضـل الله يؤتيه من يشـاء ،" وكان يقول: صـورة الأسـتاذ الناطق مرآة سر المريد الصـادق إذا نظر فيها ببصـيرته شـهدها على صـورة سريرته فأول مبادئ المريد أن تتحلى طويته بسمات أهل الفلاح، والولاية فإذا كشف لبصيرته عن أستاذه رأى صورة صلاحه، وولايته في صـفاء صـورة أسـتاذه فينطق أن أسـتاذه هو الصـالح الولي فيسـتمد من بركات ملاحظته المتوالية، وهممه العالية، ولا يزال مطلبه من الأســتاذ دعواته المنيفة ، وخواطره الشرـيفة فيتودد إليه تودد المتأنس حتى ينفخ إسرافيل العناية في صـور صـورة قلبه روح التخصـيص الآدمي فهناك يشهد أستاذه آدم الزمان، ومالك أزمة الأكوان فيعظمه تعظيم الشـاب لأبيه المهاب إلى أن يسـفر حجاب صورته الآدمية عن جمال ما خصــه من الروح المحمدية فهناك يشــهد أسـتاذه سـيدًا محمدياً ، ويكون له عبدًا، ولا يجعل له في سـواه أرباً ، ولا قصـدًا إلى أن يغشىـ سـدرة سره الأنوار الروحانية، ويترغ من البصر نزغة الزيغ، وغطاء الطغيانية فينظر إلى أستاذه فلا يرى إلا الواحد يتجلى في كل مشـهد على قدر وسـع الشـاهد فيصيرً عدما بين يدي، وجود، ومحوًا في حضرـة شـهود فأول أمره توفيق، وأوسـه تصـديق، وآخره تحقيق، وهذه النهاية هي بداية السعاية بقدم الصدق في مقعد صدق عند مليك مقتدرًا وكان رضي الله عنه يقول: من، وضع العسل في قشر الحنظل التبس حال

أصـله على الجهلة إذا تمرر العسـل لمرارة أصله ظنه الجاهل مرًا من أصله "قل هو للذين آمنوا هدى، وشفاء، والذين لا يؤمنون في آذا..م، وقر، وهو عليهم عمى ،" وكان رضي الله عنه يقول: امتهان العباد المكرمين بعد معرفتهم سم

سـاعة متى خالط القلب مات لوقته، وكان يقول: المخصـوص بالله هو الذي نفذ من جميع الأقطـار سره وجهره فلم يسـعـه غير الله، ولم يسـع الله غيره، وغير المخصـوص بالله بضـد ذلك فهو مقيد في الأرض أوالسـماء أو البرزخ أو الجنة أو النـار، وكـان رضي الله عنه يقول: الواحد لا يظهر في كل إلا، واحدًا وإن كانوا أكثر من واحد في الصورة فهم واحد في السريرة كعيسى، ويحيى، وموسى، وهارون مثلا فهما اثنـان حسـاً وهما في الحقيقـة واحـد :" فقولا، إنا رسـول رب العالمين "" الشـعراء :"١٦ ، كما إذا شئت أن تعبر عن اسم الذات الأقدس بالعربية تقول: الله جـل جلالـه، وبـالعبرانيـة الوهيم، وبالفارسـية خداي، وبالتركية تكرى وبالرومية ثيبوس، وبالقبطيه ليصـا، في كل لغة بلفظ، وانظر إلى جبريل حال تمثله في صـورة البشرـ لم يخرج عن كونـه جبريل ذا الأجنحة، والرءوس المتعددة بل هو عينه في كلتا الصـورتين ،واحد لم يتعدد وكان يقول: العقل حجاب الآنت، والنفس حجاب الآنا فمن رفع عن هذين ترقى من محضرـ طور سـينا إلى مشـهد" قاب قوسين أو أدنى "" النجم :"٩ وكـان يقول :مخـالفـة المحبوب لأغراض المحبين ميزان صـدق محبتهم، وكان يقول: القرب من القريب قرب بلا ريب، والبعد من البعيد بعد بلا ريب هكذا الأمر في الشـهادة، والغيب، وكان يقول: العلم من غير حكيم شـمس طلعت من مغر..ا، والعمل من غير أدب شهد وضع في موقشر الحنظل. وكان

يقول :لأن تعتب، وتسلم خير من أن تشكر، وتندم، وكان يقول: من ليس له أستاذ ليس له مولى، ومن ليس له مولى فالشيطان به أولى، وكان يقول :

المريـد من تحقق بمراده في عين أســـتـاذه، وكـان يقول :رضي اللـه عنه من، وافق أســـتـاذه في أفعـالـه طـابقـه فيما أخبر له من معارفه، ومر خالفه في أفعاله فقد المطابقة بتوهم معاني أقواله، وكان يقول :من كان مع أسـتاذه بلا إيا كان أسـتاذه معه بالله، وكان يقول: المبعود من توهم أستاذه مخبراً عن غيره، ً ومتكلما بسواه، وكان يقول :المريد الصادق عرش لأستواء رحمانية أستاذه كتب الله على نفسه أن لا يـدخل ً قلبا فيه ســـواه، ولا يظهر لعين رأت غيره في مرآه، وكان رضي الله عنه يقول، لا يرى وجـه الحق من حصرـتـه الجهـة، ولا يفارق الجهة إلا من نفذ من أقطار السـموات، والأرض، ولا ينفذ من أقطارها من حكمت عليه بقية جسـمانية لأن جسـم الإنسان هو سجنه فإذا فارقه فارق السجن، وكان يقول :من التفت إلى آدميته بالكلية سلبت عنه الحقائق الإنسانية، ومن سلبت عنه فالحقائق الإنسانية جهل حقائق العلوم الإلهية، وكان يقول: لفلاح المريد مع أستاذه ثلاث علامات أن يحبه بالإيثار، ويتلقى منه كل ما سـمعه منه بالقبول، ويكون معه في شئونه كلها بالموافقة، وكان يقول: من تقرب من أسـتاذه بالخدم تقرب الله إلى قلبه بواسـطة الكرم، وكان يقول: من آثر أســتاذه على نفســه كشــف الله تعالى له عن حظيرة قدســه، ومن نزه حضرـة أسـتاذه عن النقائص منحه الله تعالى بالخصـائص، ومن احتجـب أســـتـاذه عنـه طرفة عين أوثقه الله في موابق البين، وما بين المريد وبين مشاهدة أستاه إلا أن يجعل مراده ً بدلا من مراده، ومن لم ينبهه أستاذه عن

نقائصه لم يفرح بحضرة خصائصه، ومن لم يستحل مقارعة الأستاذ لم يحل أبدًا عروس الوداد ً تبا لمريد جمح بطبعه عن الدليل لقد ضل سواء السبيل" ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور "" النور :"٤٥ ، وكان رضي الله عنه يقول: سبقت كلمة الله التي لا تتبدل، وسنته التي لا تتحول أن لا ينفخ روح علمه في مخصوص إلا انقسم الخلق له بين ملكي ساجد، وشيطاني حاسد فاحرص على أن تكون لأهل النعم العلمية ً محتاجا خاضعا لتسلم أو تعلم أو ترحم، وإياك أن تكون لهم ً مبغضا أوحاسدًا فتسلب أو ترجم أو تحرم، وكان يقول: قلب العارف حضرة الله، وحواسه أبوا..ا فمن تقرب إلى حواس العارف بالقرب الملائمة فتحت له أبواب الحضرة. وكان رضي الله عنه يقول :من ملك أخلاقه عبد خلاقه، ومن ملكته أخلاقه احتجب عن خلاقه، وكان يقول: العادة ما فيه حظ النفوس، والعبادة ما كان ً محضا للملك القدوس من قرب وصيام، ونوم، وقيام، وكل طعام فكل ذلك عند العارف عبادة، وكان رضي الله عنه يقول: من ملكته عاداته

فسدت عليه عباداته، ومن رفعت عنه العوائد فهو عارف أو مراد أو مشاهد، وكان يقول ما ذكر ربه بلسان الواحد المختار فقد أخلصه بخالصة ذكرى الدار، وكان يقول من قال عند ظهور براءته من البيت ،وما أبرئ نفسي" وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي "" يوسف :"٥٤ وكان يقول :أنفع الأقلام ما قبل فيضه الإفهام، وكان يقول انظروا إلى المرآة تجردت عن جميع الصور، وأشهدت كل في صورة ما يراه من صورته، وما لا يرى، هكذا الرجل ا..رد عن علائق جميع العوالم ، وجهة الناطق مراة الحقائق ما قابلها ذو صورة إلا رأى وجه حقيقته فمن رأى خيرًا

ليحمد الله، ومن رأى غير ذلك فلا يلومن إلا نفســه، وكان يقول العلقة التي حول حبـة القلـب هي الحيـة المطوقـة حول العرش من الملكوتي والحيـة المطوقـة بعين الحيـاة من الجبروتي، والحيـة المطوقـة بقاف من الملكي، وكان رضي الله عنه يقول البطن الأوســط من الدماغ المســمى بالدودة هو الذي قوته تنشــئ حرير أهل الجنان. وكان يقول قال روح الله علمي، وأنا كالقائم لما كل من عهدنا إليه نسيــ أين كان من تقربه فلا تنس .

قلـت :يـا مولاي في حوصــلة الروح الأمين فصــوب لي ربي عندي ما ألهمني كما أشهدني وأوجدني وله الفضل، والمنة وكان يقول: خطر بفهمي، وأنا كنائم ما صورته يا على ما الطائر الذي ألزمناه عنق كل إنســان؟ قلت يا مولاي ناطقة قيل لي فما حوصـلة هذا الطائر قلت يا مولاي قوة النطق الفعالة بآلة اللســان عبارة وبباقي الأعضـاء كناية، واشـارة قيل لي يا علي مهما لقطه هذا الطائر من سـاحات الحس، والخيال والإدراك، والقلب، والفؤاد تحصـل في حوصـلته ثم سرى إلى سائر آلاته ثم رشـح منها بالعبارة، والكناية والإشارة فإذا رجعت التراكيب الدنيوية إلى بسائطها الأخروية صـارت الحوصلةً كتابا منشورًا يرى فيه كل طائر ما لقط فرحم الله من تكلم بخير أو سـكت، وكان يقول: فضل العقول في ترك الفضول وهي كل ما فضل عن الكناية، وهي محسـوس، ومعقول، وكل مقصود غير ضروري فهو من الفضول وكل

وسـيلة لا يحصـل مقصودها الضروري بدو..ا فليس من الفضول في شيء، ويكفيك من الغذاء ما يقويك على ما أمرك الله به.

وكان يقول :يكفيك من الملبس ما لا يســـفهك به العاقل، ولا يزدريك به الجاهل، ومن المركب ما حمل رحلك، وأراح رجلك، ولا يزدري بركوبه مثلك، ومن الســـكن مـا واراك عمن لا تريـد أن يراك، ومن الحلائـل الودود الولود ومن الخـدم الأمين المطيع، ومن الأصـــحاب من يعينك على كمالك في جميع أحوالك، ومن الأدب ما يقيك غضـــب الكريم، والعالم وجراءة اللئيم، والظالم ومن العلم ما طابق الذوق الصـــحيح، ومن الاعتقاد ما بعثك على طاعة المعتقد من غير إعراض، ومن معرفة الحق مـا أســـقط اختيارك لغيره، ومن معرفة الباطل ما يمنعك عن اختياره، ومن المحبة ما حققك بإيثار محبوبك على من ســـواء، ومن حســـن الظن بالخلق ما لا يقبل منه سوء التأويل، ولا قول العائب بغير دليل، ومن الحذر ما يمنع من مراكنة تجر إلى مباينة، ومن الظن بالله ما لا يجرئ على معصـــيته ولا يؤيس من رحمته، ومن اليقين ما يعصـــم من صرف، وجه الطلب عن حيرة، ومن التوحيد ما لا يبقى معه أثر لغيره، ومن الفكر ما وصـــل إلى فهم مراده، ومن النظر في آلائه ما تتســـع به روح، وداده، ومن الخواطر ما بعث على تعظيم ما عظم، وهضـــم ما هضـــم، وقد، وضـــحت لك الأنوار فإن شـــئت فاقتبس، وقد ثبت الأصـــول فافهم الجامع، وانف المانع ثم قس، وكان يقول: التلويح لأعين الأذهان أبلغ من التصرـــيح لوعي الآذان، ومن قبل النصـــيحة أمن مر الفضـــيحة، وكان يقول: محل الشـــعر ظاهر الشخص لا باطنه، ولو ثبت في القلب شعرة واحدة لمات صاحبه لوقته فلا تشغل

باطنك بشيء من ملاذك الدنيوية الجسمانية وفرغ قلبك من الشواغل الفانية التي بمترلة الشـعر فالقلب بيت الواحد الذي من أشرك معه ً شـيئا تركه وشريكه، ومن وحده بالمحبة سـكن قلبه بنور رب لا شريك له في ملكه، فافهم كيف يدخل عبيد الله الجنة جردًا مردًا مكحلين متعاضـدين على قلب واحد فاشـهد الواحد إن كنت ذا بصيرة مكحولة بطلعته المنيرة، واغتنم هذه الذخيرة، وكان رضي الله عنه يقول :من ظفر بكتر جوهر الألباب مرفوع الموانع مفتوح الأبواب زهدت، والله نفسـه في افتراش الزبالة، وسف التراب، وليست الزينة الدنيوية إلا ً ترابا ً آيلا إلى الذهاب خلقت بمحنة يمتحن مآ. الصـادق في حب الله من الكذاب فمن أحب الله تعالى لم تسـاو الدنيا عنده رجل ذبابة من الذباب بل صـغرت عنده الأكوان كلها في جانب ذلك الجناب، ومن أحب صـورة عبدها فمحب الله مخدوم لسائر الأحباب لا عبد شيء من هذه الأسـباب ومن أحب صـورة التلبس مآ. فلمحب الله تخضع الرقاب فكيف يخضع لزينة ترابية من له هذا العز المهاب، من كرم العلى الأعلى الوهاب "إنـا جعلنـا مـا على الأرض زينة لها لنبلو..م أيهم أحسـن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدًا جرزًا "" الكهف :٧ و "٨ الصعيد هو التراب، والجرز القاطع لما تعلق بـه تعلق واطمئنان، وإكباب فكن من الزاهدين في الحظوظ الترابية الجروز فأنت عرفت أنك

ظفرت بكتر الكنوز، وكـان يقول: مخـالطة أهل الحجاب، ورؤية الغافلين عن ذكر الله تعالى عقوبة إلا على الأئمة الذين هم أطباء القلوب القائمون في مخالطة ترضي النفوس لطبهم بروح أمر مولاهم، و ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حي

عن بينة، والله يحيي، ويميت، والله على كل شيء قدير، وكان يقول: النفس مطية المؤمن اسمع لا تسمح لنفسك في الشراسة، ولا تعودها بالنفار فتتعب مآ. عند رجوعك إلى الديار، وتندم على تفريطك فيها حين سلوكك في مفازة البرزخ بين الجنة، والنار، واعلم أن النفس مركوب الوافد عند مروره على الصراط المنصوب فإن تشارست أسقطته في الدرك المرهوب، وإن سهلت له نجا عليها إلى المنتهى المطلوب" فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز "" آل عمران :"١٨٥ وكان يقول: الذي بنى البيت باقتداره على وفق اختياره ما وضع فيه مزبله، وبالوعة، وكنيفا إلا لحكمة يرضاها فلا ييأس العبد المنجس من روح الرحمة، والرضوان، ولو كان كيفما كان، وكان يقول: لا تشغلنك الوسوسة في غسل بدنك، وثوبك عن تدقيق النظر في تطهير نفسك، وقلبك تضيع الوقت، وتكتسب المقت، وإنما الطهارة الحقيقية أن تقول: اللهم طهرنا بصلواتك الطيبات، وزكنا بتحياتك المباركة، وطيبنا للموت، وطيبه لنا، واجعل فيه راحة قلوبنا بروحك، وحياة أرواحنا بمعرفتك، ومشاهدتك فإنك أنت الفتاح العليم، وها أنت قد، وجدت البحر المحيط العذب الصافي فتطهر تطهر وقل الحمد لله رب العالمين، وكان رضي الله عنه يقول: انظر كل من رضي شيئا تنعم به، ولو شقي ظاهره، ومن سخط شيئا تعذب به، وإن حسن ظاهره فالشيء الواحد عذاب على من سخطه، ونعيم على من رضيه فالرضا منشأ النعيم، والسخط منشأ الجحيم اللهم هب لنا منك الرضا المطلق بجميع أحكامك أبدًا على مكاشفة، وجه، وحدانيتك إنك الغني الحميد فافهم، وكان يقول: إنما جعل لكم الأرض بساطا ليعلمكم التواضع فتواضعوا

تنبســـطوا، وكان يقول: من ركن إلى ظالم مســـته نار الفتنة إلا من رحم الله "ولا تركنوا إلى الـذين ظلموا فتمســـكم النـار " "يونس :"١١٣ وكفى بـالخدمة ركوناً، اســـمع من ركن إلى ظـالم وخلص منه ً ســـالما من فتنة فتلك له كرامة إبراهيمية بحسبه. وكان يقول :من خاف، ورجا فقد مدح وهجا، ومن رضي وسلم فقد حمد، وعظم فـانظر مـاذا ترى إن رأيت الحق بلا مرا .وكان يقول :الضـــمير في قول الله تعالى :" ولو بســط الله الرزق لعباده" عائد على الرزق أي لو بســط الرزق لعباد الرزق لبغوا وهم الـذين ليس لهم مكنـة التصرـف كالحكيم الرباني فتصرـفا..م مغلوبة بالشهوات، والحظوظ فأرباب المكنة عباد الله الرزاق لا عبيد الرزق فافهم الفرق بين عبـاد الأرزاق، وعبـاد الرزاق، هؤلاء الأرزاق محتـاجـة إليهم في كو..ا، وعبـادهـا محتـاجون إلى عينهـا بـل إلى أثر كو..ا، وكـان يقول: في معنى قولـه في الحـديـث "فبي عرفوني "أي لأني، وجودهم، ووجود عقولهم، ووجود شـــواهـد شـهودها، وكان يقول: قال لي قائل ما بال الشاذلية يتجملون في لباسهم وهيئا..م، وطريقهم إنما هي الاقتداء بالسـلف الصـالح، والسـلف الصـالح كما في علمهم ما كانوا إلا على التقشـف بأكل الخشن، وبذاذة الهيئة، ورثاثة الملبس؛ فقلت: وبالله التوفيق إن الشـاذلية لما نظروا إلى المعاني، والحكم رأوا السـلف الصالح إنما فعلوا ذلـك حين وجـدوا أهل الغفلة ا..مكوا على عنياهم، واشـــتغلوا بتحصـــيل الزينة الظـاهرة تفـاخرًا بـالـدنيـا، ً واطمئنانا إليها، وإشـــعارًا بأ..م من أهلها فخالفوهم بإظهار حقارة الدنيا التي عظمها أهل الغفلة، وأظهروا الغنى بالله عما اطمأن إليه الغافلون فكانت أطمارهم حينئذ تقول الحمد لله الذي أغنانا به عما افتقرت

أنفسـنا إليه من همته دنياه فلما طال الأمد، وقست القلوب بنسيان ذلك المعنى، واتخذ الغافلون رثاثة الأطمار، وبذاذة الهيئة حيلة على تحصـــيل دنياهم انعكس الأمر فصار مخالفة هؤلاء نعمة لله هو فعل السلف، وطريقته، وقد أشار إلى ذلك الأســتاذ أبو الحســن الشــاذلي رضي الله عنه بقوله: لبعض من أنكر عليه جمال هيئتـه من أصــحاب الرثاثة :يا هذا هيئتي هذه تقول :الحمد لله، وهذه هيئتك تقول: أعطوني ً شيئا من دنياكم، والقوم أفعالهم دائرة مع الحكم الربانية مرادهم مرضــاة ر..م، وإراد..م، وجه في الجلال، والإكرام في كل حال "تعرفهم بســيماههم "فإن اتسـمت بسـيماهم، وهو التروض، والتضيق عرفتهم، وظهرت لك مقاصدهم التي مآ. ترى حسن أفعالهم فافهم . وكان رضي الله عنه يقول في قوله :" وسارعوا إلى مغفرة من ربكم "قال قائل لا مغفرة إلا حيث الذنب فالأمر بالمســـارعة إليها أمر به.

قلت :هذا لا يقوله إمام هدى رباني إلا على معنى أنه أمر بأن يرى العبد نفســـه مـذنباً، وإن أطاع جهده ليحقق عجزه عن قيامه بتمام حق ربه في كل حال، وأما على أنه يأتي الذنب فلا لأن المأمور به لا يكون ذنبا فافهم، وكان يقول: ســـمعت روح القدس يقول :في مجلس، وعظ العقول اعلموا أيها الأحلام الراضـعة من ثدي الإلهام، المحرم عليها مراضع الأوهام أن كثرة ا..السة تولد في الفطرة صورة ا..انسة فإياكم ،ومجالســة الطباع إلا لضرـورة حســن أحكمتها يد الأوضـاع فإن، وقد أحد منكم في حماها حتى ولدت فيه قوة من قواها فليسلك سبيل خلاصه ً راكبا نجيب إخلاصه مستدلا على خضرة اختصاصه بمن حمل في ثمر الطباع على عرش تابوته

حتى دخل إلى مدينة ناسوته على حين استغراق ملكوته في حضرات لاهوته"ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها "" القصــص :"١٥ وقد وجد المشـــاعل والحراس حولها ليكشـف بالنور ا..رد جواسـيس خالطت رعيته في شـكلها فوجد فيها رجلين يقتتلان أحدهما كريم طبعه الغريزي في طبيعة الموصـــل فيه من مكارم صـــفات سـمات أصـوله الكرام، وشـيعته مصـادر حقيقته، وموارد شريعته ،والثاني صـورة العوائـد المتولدة من عدوه، وعدو الرحمن عشـــاق الرياســـة، والعلو في الأكوان الملتقطين لصـورة حسه الحائلين بينه وبين أبناء جنسه" فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه "" القصــص : ، 15" وقد أعياه قتاله في رواحه فأغاثه القوي بملك نفسه الأمين على مشاهدة قدسه فوكز العدو بقدم صدقه فقضى على الفوائد التي أنكر..ا محاسن عمل الشيطان" إنه عدو مضل مبين -فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين" ربي إن ظلمت نفسي بتأخير تفقد أحوالها إلى الآن فـاغفر لي ظلم الطباع بنور حقك العظيم فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بمـا أنعمـت على من التـأييد بروحك القوي الأمين فلن أكون ظهيراً للمجرمين فلما انجلت عن حواســه غياهب التكوين أصــبح في المدينة ً خائفا عوائل الدســائس، والبقايا يترقب ما في زوايا الحظوظ من الخبايا فإذا الذي اســتنصرـه بالأمر على العادة يســتصرـخه على الشــهوة التي هي عدو الإرادة فلما حدق في هذا العدو يبصرــ اليقين قال له القوي إنك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش به كما بطش بالأول يا ليته أمضى عزمه وتوكل وفعل ما كان عليه عول، ولكن الله أحكم وأعدل قال له إني جعلت في المدينة لبقاء النسل وحفظ صور التمكين أتريد أن تقتلني

و..لـك أهل المدينة أجمعين كما قتلتً نفســا بالأمر كانت تداري وتصــانع عن المســتضــعفين إن تريـد إلا أن تكون جبـارًا في الأرض، ومـا تريـد أن تكون من المحصــلحين فـأمســك القوي هنالك عن قتله حتى بلغ دمه إلى مجمع البحرين محلـه، ولو قتله يومئذ لقضى الأجلين، ووطئ القرنين، وداس بالنعلين، وخوطب من الجـانبين ولم يســأل الرؤيـة المحـدودة بـإلى قبـل تجريد العين من الأين، ولم تنقسم بعثته بين اثنين، ولم يستصحب الفتى بمجمع البحرين.

ولم يســأل الاطلاع في الحضرـتين، ولم يقل له "لن "مرتين، ولم يتأخر إلى حين قتل القرين مقـارفة البين، ولكن حفظ كتر اليتيمين اقتضى تأخير ذلك كله ولما أعرض القوي الأمين عن قتـل هذا القرين جاءه النور الإلهي من أول المصــادر يســعى شوارع الآفاق، ويقول له إن الملأ القوي البشرية يأتمرون بك ليقتلوك بالتغلب على صــورتـك البشرــيـة فـاخرج من مـدينة التكوين إلى مدائن التمكين إني لك من الناصــحين فخرج منها خائفا من جذب العلائق يترقب به رق طلائع الحقائق قال بلسـان صدق المراقبة عند رؤية قواطع الواصلين رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين جعل قبلة أمامه مترل الدليل، وقال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل، وما زال يقطعً حزونا ويسلك هو ولا يرتقي عقبة، ويهبط مسيلا وصدق الطلب يســهل عليه كل المشــاق، وفرط الأدب يحلى له المر المذاق إلى أن قطع حدود مصر الشهوات، ووصل إلى

مدين الرعاية، والخلوات ولما ورد ماء مدين الذوق، وقد أفرطت به حرارة الوجد، وجذوة الشـــوق وجد عليه أمة من الناس يســـقون أفهامهم من ينابيع الحكمة، ووجد من دو..م الفكرة، والهمة ملتحفتين بالتحبير والرحمة قد أرسـلهما السـاقي لحفظ رعيته السـائمة في سـمات جمعيته . فلما رآها عند حياض السـماع يذودان قوابل خواص الأتباع إلى فضـاء كشـف القناع قالتا لا نسـقي من مورد الفرق هذه الرعية حتى يصـدر رعاء الأوقات، والأنفاس عين منهل المعية، وأبونا شيخ بمسالك الأزل، والأبد كبير قد ماتت شهوته، وتمت قوته فلما سمع أوصاف مرشد السالكين ورأى حسن رعايته

لخواص التابعين تلهف لارتقاء أرفع المعارج وتلطف في الوصـول إلى مودة الرشـد من أقرب المدارج فسـقى لهما عن عين ذاته حتى أروى الشر-ب كله بعد أن رفع لهما جبـل الجبلـة كـأنـه ظلة ثم تولى إلى الظل لتلقي سر الربوبية فلما خلع عليه من ملابس العبوديـة قـال رب إني لمـا أنزلـت إلى من خير فقير فـأغثني بنور رؤية نورك المنير في آفاق أخلاق المرشد الكبير عن فكرتي، وحياتي وقوتي، واحتيالي، وتجرد عن جميع مواجيد عبودية أدباً ، وصرف بصر-ه عن نفسـه إلى الأسـتاذ صـدقاً ،ً وطلبا فجاءته في الوقت همة الإرشـاد من بصـيرة قلب الأسـتاذ تمشي- في أعضـائه على استحياء كما مشي الحكم في سيادة يحيى فلما، واجهت حجاب صورة بعد أن شـف ورق رأت معه صـورة القرين الذي أسـلم عند الغرق ً ملتفتا لإيجاد أجر ما تحمل من الحرق كما قال لصاحب المترلة الأخرى لو شئت لاتخذت عليه أجرًا قال هذا فراق بيني وبينك فهو فراق بين من يعمل بالله وبين من يعمل بأمر الله، ولما

رأت طالب الأجر قد ستر حاله عن القوي البصير بأني لما أنزلت إلى من خير فقير قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وليترل عملك من الأجر حيث أنزلتنا فلما جاءه وقص عليه القصص ورفع بحكمته جميع ما حوته القصص، وقع له بقلم التأمين لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت الفكرة عند ذلك يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين قال إني أريد أن أجعل إحدى ابنتي هاتين فرش فهمك وعرش علمك على أن تأجرني ثماني حجج تماما ، وتقوم في الخدمةً مقاما فترعى كلمات التعريف من عواري التحريف في واي الفهم عاماً، وترعى أوامري بالرضا، والائتمار من عواري الحرج والاختيار عاماً، وترعى أحكام الذات السرية من عوادي رؤية الضرورات البشرية عاما وترعى أحكام سطوتي من عوادي النفور عن حضرتي عاماً، وترعى علومي ورسومي القاضية من عوادي معارضها بالأمور الماضية عاماً، وترعى إرادتي اللحظية والحفظية من عوادي المنازعة الحظية عاماً، وترعى محبتي في الهجر والوصلة من عوادي الفطور، والغفلةً عاما. قلت وبقي العام الثامن فليتأمل فهناك يأتيك مرادك من ابنتي عند ظهور صورتك من بطن ابنتي، وإنما جعلت الرعاية عاما عاما ليقوم بكل حال في كل يوم منكً سلاما فتجري كل سلام منك بما كسبت، وتقوم كل حضرة بشكر ما وهبت فان أتممت عشرًا برعاية ذاتي في بصيرتك من عوادي الأينية، ورعاية إرادتي كلها من عوادي الأمنية فمن عندك تأتي حقيقتي إليك، وما أريد أن أشق عليك، وإذا رحلت إلى العين ثم رجعت إلى التعيين ستجدني بمجمع البحرين إن شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك منك الأمر ومن القبول، وعلى السير،

وعلى الوصـول، ولولا أن ثبت البين لم يصح العمل، ولولا فارقه بمجمع البحرين لم يبلغ الأمل فما تفهم المعاني الكامنة في النفس حالة الســكوت، وما كان لنفس أن ترى الله حتى تموت ولذلك قال للســيد المرشــد الجليل أيما الأجلين قضــيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ثم أعطاه العطاء، والأهل قوة أحكام الحرث، والنسـل فلما قضى القوي الأجل محمود الحركات الحيوانية واستحق حريمه حيث حل من الحضرة الروحانية، وسار بأهله من الصورة الإنسانية إلى النظرة الرحمانية آنس من جـانـب طور القلـب نـارًا توجب الذكر والتقريب. ولو لم يكن معه إلا جبريل عليه السـلام لغشي السدرة نور التتريل، ولما فارق المقربين فاز بمشهد قاب قوسين، ورفع عنه حجاب النور والنار في ذلك المقام وابتدأ بالسلام قبل الكلام، ولم تحضره حدود الأسماء، والكنى، ولم يحتج لنفي إنكار بلن، ولا لإثبات تعريف بأنا، ولم يضـع على العين حجابا عن الأبصـار، ولم يجعل مثلاً مضرـوبا في الأسـتار بل يكون بالأعينً إنسـانا جامع الأنوار، والسلام عليه سترًا من جميع الأغيار، ولما ظهر النور المبيبن بحسب استعداد ذلك القرين، ولاح للقوم الأمين نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وقام منها مقام الإمام لا بساحلة السلامً تاليا بلسان حال المقام تبـارك اســم ربك في الجلال والإكرام قال القوي الأمين لأهله امكثوا فإن حضرـة الأحد لا يدخل إلى رحا..ا العدد إني آنســت من حجاب الغير نار الراحة للســير لا يقابلها إلا نورانية الصور سآتيكم منها بخبر أو جذوة فلما أتاها ،وقوة نموه مسعرة وقد تشــكلت من النبات في صــورة مخضرـة توكأت عليها القوة المدكرة في حفظ مزاج بشريته المصورة وهشت مآ. القوة المفكرة على الأعضاء أعمالا مطهرة،ً

وعلوما محررة نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، ولولا لقـاء العـالم الخلقي لنودي من الجات الشرـقي أيها القوي الأمين إني أنا الله رب العـالمين أربي عبدي كما اختار، وأخرج مريدي من ســجن الاختيار، وأقيمه بقدم الصـدق على بسـاط الائتمار، وأجرده بمرادي عن سائر الأوطار، وأشهده، وجودي، وإيجـادي في جميع الأطوار وأوحي إليـه أن حـل بحولي وقوتي عن حولك، وقواك، وأن ألق عصاك فلما رآها مؤ.. كأ..ا جان، وعلم حقيقة العدو الثاني، ولي مدبرًا عن تدبير نفسـه بجسـده، ولم يعقب على حسـه في حضرـة قدسه فنودي مشافهة عند إسقاط التدبير كما قال له في حجاب المرشد الكبير أقبل، ولا تخف إنك من الآمنين فقد حققت نجاتك من القوم الظالمين، وأمكنه من صـورة عدوه الذي سلف وقال خذها، ولا تخف أسـلك يدك في جيبك وتصرـف بيدي في شهادتك، وغيبك فعندما تندرج يدك في نور يدي وتنوء تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب وانقلب إني إليك خير منقلب فها هنا مستقم سيرك ،ومعشش طيرك وارجع إلى أنوار العـادات لينفخ فيهـا أرواح العبـادات قـال رب إني قتلـت منهم نفســا وأخرجتها عن التحلق مآ. معنى، وحسا حتى أحييتها بروحك ً لطفا ً وأنسا فأخاف إن رددتني عليهم أن يقتلوني بالتألف إليهم وأخي هارون هو أفصـح مني ً لسـانا وقد جعلت له حكمة التدبير في عالم الحكمة شـأنا فأرسـله معي ردءًا يصـدقني فيصـدقوني إني أخاف أن يكذبون ولولا أمره الله بأخذ عصاه بعد أن أعادها سدرة منتهاه ما سأل أن يرسل معه أخاه، وأن يشد به أزره وقواه ولكن لما رده الله بعد تجريده عن الوسائط إلى مراتب السبب قال: رب اجعل المدبر الحفيظ معيني في

هذه الرتب قال :سـنشـد عضـدك بأخيك ونصرـف يدنا إليك يكفيك، ونجعل لكما من صـفاتناً سـلطانا ومن أصـفيائنا بيوتا ، وأوطاناً، ولما وجدت القواطع سـبيلا إليـك مســخنـاهم على مكـانتهم فلا يصــلون إليكما بـآياتنا أنتما، ومن اتبعكما الغـالبون فـافهموا أيهـا الســامعون واتبعوا الهادي أحق الاتباع تغلبوا شــياطين الطباع، وإذا جاءكم الحق المبين قولوا آمنا بالله إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مســلمين، وإذا أوتيتم أجوركم في العمل بالتوفيق، وفي العلم بالتحقيق فإياكم أن تضـيفوا ذلك إلى الأسـباب وتظنوا حصـوله بالإكتسـاب فتعمى عليكم الأنباء عند كشــف الســاق، وتحجبوا به اكتســبتم إلى يوم التلاق وقوموا للهً دائما على قدم الافتقار فإن ربكم يخلق ما يشاء ويختار ومن فرح بالله وحده أمده الله بما عنده وأشــهـده سرًا لا يبلغ الإدراك كنهـه كـل شيء هـالـك إلا وجهه له الحكم، وإليه ترجعون وليومه المحمدي مؤ.. العوالم أجمعون صـلى الله عليه وســلم، وعلى آله وشرفهم، وكرم والله أعلم. قلت وهذه القولة ما ســمعت قط بمثلها في كلام أحد من الأولياء رضي الله تعالى عنهم، وهي دليل على علو حال هذا الأستاذ رضي الله تعالى عنه، وكان رضي الله عنه يقول لو أوريت زناد المحبة في حراك حســك لرأيك مقعدك من حضرـة قدســك وحققت حقيقة مطلع شــمس طمســك حين مزقت بأشعتها غواشي ظلم نفسك فانفتحت بالفتح عضل بصيرتك بعد الانقباض، ونادى روحك بشـير قلبك بلسـان السريرة قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، وأما الآن فظلام أطلال الأكوان قبض بصرـك عن شهود شمس العرفان فإن غدوت عبدًا للخيال الكاذب، ورحتً مغلوبا مع الوهم الغالب فعميت عليك أنباء الحقائق

وســقطت بركونك إلى العوائق، وقد ناداك لســان المحبوب الغيور تخيرت فتحيرت أيهـا المغرور ،ودهمـك، وهمـك بأدهم ديجور" ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور "" النورة :"٤٠ لو أنك قابلت من أفق المعارف شـمس الأزل، وقد صقلت مرآة فطرتك من صـــدا الموانع، والعلل لظهرت منك أشـــعة اللطائف، وأذابت ما قابلها من الكثائف، وكان يقول في قول أبي يزيد رضي الله عنه: خضـت بحرًا وقف الأنبياء بســاحله يريد أن الأنبياء عليهم الصــلاة، والســلام عبروا بحر التكيف إلى ساحل السلامة، ووقفوا على ساحله يتلقون من سلم و..ذا أمروا، ولهذا أرسلوا فإن الســفينة انكسـرـت يوم أكل آدم عليه الســلام من الشــجرة،وكان يقول أمين روح الأمانة مجمع الخزائن السنية فمن نفخت فيه تترلت منه أمور الخلق بقدر معلوم فلا تجوز منـازعتـه في الأمر، وكـان يقول أخلاق الخلق معان صـــفاتية في فطرهم الذاتية من اســتعملها بغلبة الهوى قبحت، ومن أقامها بأمر الهدى صـلحت انظر إلى الخديعة كيف تصـلح في الحرب لإعلاء كلمة الحق وكذلك الكذب للإصلاح بين الخلق وغير ذلك من المصـــالح المأذون فيها شرعاً، ومتى لم تســتعمل إلا لمحبوب طبعـا مكروه شرعـا كـان ذلـك هو اتبـاع الهوى بغير هـدى، ومن أظلم ممن اتبع هواه بغير هـدى من اللـه، وكـان رضي اللـه عنـه يقول: ربمـا يظن الجاهل بنا إنما نتعاطى أخبار العباد لنستفيد، وغاب عنه أن العارف إنما وظيفته أن يعطي غيره، ويمنحه، ويفيد، وربما خطاب جلســاء المكان المشرــف ليســمع عقولا طارت من أقفاص أشـــباحها إلى رياض اختصـــاص رواحها جيعانة عطشـــانة هيمانة لهفانة حلفت بصدق هواها، وذلها لعزمناها أن لا تشرب إلا من عين خطابه شفاها، ولا

تعتد إلا برؤية وجهه ،وجاها فلما دخلت إلى حضرـة مولاها، وشـكت إليه ما مآ.
أشـكـاها، وعطف عليها فأطعمها وأسـقاها . وكان يقول :العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال، والتكميل يكون محبة الشاهد لمشـهوده، وعلى قـدر المحبـة يكون تحقق المحـب بمحبوبـه، وعلى قدر التحقيق يكون ظهور المتحقق بحكم مـا تحقق بـه عيناً، وأثرًا والله بكل شيء عليم، وكان رضي الله عنه يقول: قيل لي :اسـمع كل الموجودات موجوداتي فسـمني بما شـئت، وصفني بما أردت، وكل من سميته أو وصفته فإنما سميتني، ووصفتني مع تجردي عن كـل ذاتـك بـذاتي، وقيوميتي، فيه معيناتي، اسـمع لا يدعو عبد ربه إلا كنت الداعي، ولا يرى عبد قصرـ أخيه كما يرى سهيل في جنته إلا كان المرئي قصري، ولا حف ملائكـة بعرش إلا كـان المحفوف عرشي، ولا تكلمـت بكلمـة إلهيـة إلا والله متكلم مآ.. ولا أتيت بأمر إلا والله آت به " أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا "" النساء :"٤ كان يقول :ناطقي هذا لو قرى لناطق المحققين كالناطق المحمـدي لنواطق النبيين فهو حقهم اليقين، ونورهم المبين، وكان يقول :من جذبه المحبوب فلا عائق، ومن دعاه داعي الغيوب فما على القلوب دروب، ومن شـغل عن المطلوب، فـآثم آه على المحبوب متى تنكشـف الكروب والنفس غـارقـة في الـذنوب أين من يتعانى، ويثوب لرب يفرح بعبد يتوب متى فرح بك المحبوب أنا لك منه فوق المرغوب، وكان يقول :الرب هو الموجود المصلح في كل مكان بحسبه، فلا رب إلا الله، وكان رضي الله عنه يشـير لغلمانه إذا كتب أحد منهم لأخيه كتابا أن يجعل صدر الكتاب دائما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم من عبد الله بن فلان إلى أخيه ابن فلان متعه الله بما من به عليه، وبلغه ما وجهه منه إليه أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وهو هو بما هو سيدي، وربي، وهو مولاي ،وحسبي ليس إلا هو وصلى الله بذاته وسلم بأسمائه، وبارك بصفاته على أحمده ،ومحمده إحاطه تترلاته ،وحيطة تجليلاته، وعلى آله وصحبه، ومحبيه عيون تعيناته، ومثل تمثلاته بمحامده، وســبحاته وكلمن عند الله، وإلى الله ترجع الأمور، وكـان يقول: نفوس هي للمنقولات أقبـل لا تـأمن من انتقـالها عما كانت معك عليه فإ..ا بالطبع منقولة، ونفوس هي للمنقولات أميل لا ترجو منها إطلاقاً، وإن أظهرت لك الميل إليه يجد فإ..ا بالأصـل معقولة، واختر لنفسـك ما عدله الله، وزكاه مما سواه فهو لا يعبد إلا إياه، وهو بكل شيء عليم، وكان يقول: في حديث من جاء منكم يوم الجمعة فليغتسل غسل الجسم بالماء، وغسل القوي بالمسارعة لامتثال الأمر والعمل به، وغسـل النفس بالتوبة، وغسـل الهمة بالإخلاص، وغسل القلب بالتوحيد، وكان يقول: لأصــحابه، أوصــيكم بتوحيد المحبو كما أمر، ولزوم ذكره فـإنـه تعـالى جليس من ذكره، ولن يعـدم جليس الملك من ظفر. لازموا ذكر محبوبكم فذكره لا يقابلً صـعبا إلا سـهله، ولا يقارن طلبا إلا حصله حافظوا على الصـلوات، والصـلاة الوسـطى، وقوموا الله قانتين، واعلموا أنه لا رخصـة في ترك وظيفة العشـاء، والصـبح في سـفر، ولا حضر فتلك صدقة الله تعالى على صادقيه، فالبسـوا حلل الإحسـان بأمان من الرحمن وتناصـحوا، ولا تفاضـحوا وتسـامحا ولا تشاححوا، ويسروا ولا تعسروا، ولا بشروا، ولا تنفروا وكونوا رحماء رحمانيين

حكماء ربانيين. وكان يقول :من سمع بأمرنا ذاق حقيقة الطاعة، ومن ذاق حقيقة الطاعة اتصل في ساعة، وكان يقول : المراقبة هي انصراف كليتك إلى وجه محبوبك، والتوجه من العبد هو استعداد مرآة قلبه بصفاها ليظهر محبوبه فيها، والاستعداد هو الخلو من جميع المراد ليفعل ربك ما أراد فهذا مقام الاستعداد، وكان يقول : سر نور الموجوات في كل مقام بحسبه فجمع جميع الحقائق واحد، وإن تعدد فهو أحد من الواحد لأن الواحد يتعدد بالمظاهر، والأحد لا يتعدد لأنه خلاصة الواحد فجمع جميع الكل من الواحد، وإن كان الواحد افتتاح الأعداد فهو اختتامه فهو عين الدليل لأن الأحد مفرد، والواحد جامع للكل فيصير مفردًا جامعا فالكل بالظاهر منه، وإليه والدليل عليه قولهم هو الواحد الأحد، فإذا تعدد الواحد فهو تتريل لكمال الدائرة. وإذا تكملت صارت حقيقة واحدية أحدية لجميع الدوائر فهذه هي خلاصة الحقائق فمن صدق الله وحده الله، وصار واحدًا عارفا بالله لله، وكان يقول: لا يباع ويشترى بالأعمال إلا ما استحسنته العقول النظرية من الصور في سوق الخيال في الحال أو في المال أما الحقائق فكل أمر مستتر باستتار أوهام النفوس فمن تجرد عن النفوس، وعالمها وأخرجه التحقيق من سجن وهم مؤلمها، وملائمها ظهر له محبوبه، وانجلت في عيونه عيوبه، واتحدطالبه، ومطلوبه، وتوحد محبه ومحبوبه، وصار يتحقق الجمع مرغوبه مرهوبه، وأما ما وراء ذلك فلا يسئل عما هنالك، وكان يقول: النور جسد لطيف بسيط، والضياء معنى قائم به قيام الروح بالجسد، أو قيام الحياة بالروح ألم تر إلى القمر الذي هو نور مضيء احتجبت عنه الشمس التي هي ضياء كيف يكون حاله مع كونه يرى نور الكون

بغير ضـياء فذلك موته أو نومه هكذا حال الشـمس مع جميع الكواكب برقائقها، وأمـا القمر فيتمثل حقيقتها لذلك، ويميز ولما لم يكن للروح المحيطة مظهر في عالم الكون إلا آدم نزل فلـك القمر ليعلم حـال من يكون في هذه الصـــورة عند تجلي هـذه الروح فيهـا ،وحجا..ا عنه. وكان يقول :النفس المذمومة روح حيا..ا النفس الشـــهوانية التي هي مظهر الروح الحيواني، و..ا وقع الحجاب الكثيفً جســـماً متلاحما فإذا زالت النفس المذمومة التي هي الدنيا ظهر حكم الآخرة في الشـهوة بخلاف ما قارن الإزالة، ولذلك طاب الذكر باسم الله، وكان يقول: العارف ليس له أن يظن أنه مفتون بمعنى الضـلالة" وظن داود أنما فتنة فاستغفر ربه وخرً راكعا وأنـاب "" فغفرنـا لـه ذلـك "" ص :٢٤ و "٢٥ وكيف لا وهو عين معروفـة فافهم، وكـان يقول :أنت لا ترضي أن يدخل بينك، وبين ثوبك ذبابة، ولا نملة، ولا برغوث، ولا قملة، وتدفع ذلك ما اسـتطعت فإن لم يندفع اخترت التجريد عنه على لبســه فكيف ترضي أن يدخل غير بينك، وبين حقيقتك فافهم فإن كل من له تعلق بغيرك فهو غيرك، ولو حسبته أنت فافهم، وكان يقول: إن وجدت أستاذك المحقق وجدت حقيقتـك، وإذا وجـدت حقيقتك، وجدت الله تعالى فوجدت كلشيـــء، فليس كل المراد إلا في وجد هذا الأسـتاذ فافهم، وكان يقول: المريد الصادق عين أستاذه بعد تجريـده فافهم، وكان يقول: مرتبة الســـيادة لا تقبل الشر ـكة، ولا تحتملها فهي تدفعها عن نفســـها لغيرة من أصـــالته تركته كالرميم فافهم، وكان يقول :لا يدلك مظهر الحق على نفســـه حتى لا يكون للحق عندك عين ســـواه، ومن لك بذلك ما دمت غيره فإذا خلصك من قيد المغايرة أراك نفسه بنوره، فتحققت عين اليقين أن

لا عين له سـواه، فهنالك يدعوك إلى الحق على بصـيرة حيث يقول: لك أنا ربك أو من رآني، فقد رأى الحق ومن لا فلا فافهم، وكان يقول: ما دمت ترى لنفسكً عينا ترشدك إليه فأنت من المؤمنين بالغيب، وكان يقول: أنت على الصورة التي تشهد أسـتاذك عليها فاشـهد ما شئت، وانظر ماذا ترى إن شهدته خلقا فأنت خلق، وإن حقـا فأنت حق، وكان يقول: الفرقان نور، والجمع ظلمته فكيف بالوحدة، ورجال الليـل هم الرجـال حيث لا إزار ولا سر بال" سـبحان الذي أسرى بعبده ليلا " " الإسراء :"١ أي ليراه بلا فرقـان "مـا كذب الفؤاد ما رأى "" النجم :"١١ وكان يقول :شرف العبد أن يسـتخدمه مولاه فإنً ثوبا لا يلبسـه صاحبه يلبس نفسه فتقطعه الأوسـاخ، ويمزقه الغسـل فلذلك يعرض مولاه عن تطهيره، فاسـتخدم نفسك لربك فذلك شرفك واحذر أن تخدم نفســك ففي ذلك تلفك، وكان يقول: ما هو إلا أن تجـد أســتـاذك، وقد وجدت مرادك فهنا الله فؤادك فافهم، وكان يقول :إنما هي موجوداتك تظهر مآ. في كل مقام بحسـبه فالرفيع رفيعك، والوضيع وضيعك، وكان يقول :من يحصىــ ثنـاء على موجود لا يحـاط به علماً، وكان يقول: حيث كانت المماثلة والمقابلة فالمغايرة حاصـلة فافهم، وكان يقول: من كفر بآية كان شـخصـه أكثف حجاب له عنه فقل :لي متى يراه، وهو كافره فيا سعادة أهل الإيمان فكيف بمن فوقهم، وفوق كل ذي علم عليم فافهم. وكان يقول :صاحب كل زمان هو آية اللـه الكبرى فيه فوجوده أكبر آية ظهر مآ. وجوده هناك فافهم .وكان يقول :علم العالم جهل الجاهل عرف العارف أنكر المنكر "قل كل يعمل على شاكلته "" الإسراء :"٨٤ كان يقول :ما دمت أيتها النفس مملوكة في يد صاحب الوقت فهو يدخل

مدخل المقربين، ومتى ألقاك من يده في غير خدمته بدل أنسـك ،وحشة، وجمعك فرقـا فـإذا تعطف عليـك، ورجعـت في يده عدت إلى سـيرتك الأولى فافهم، وكان يقول: تجنب الإنكار فمن ملأ آذانه بحق أنكره جنانه صـب في أفنيه الآنك يعني الرصـاص المذاب، وكان يقول : الحكيم لا يطالب كل مرتبة إلا بلسا..ا، ولا يعاملها إلا بكيلها، وميزا..ا "وما أرسـلنا من رسـول إلا بلسـان قومه ليبين لهم "" إبراهيم :"٤ الآية فافهم، وكان يقول :إن كنتً متمكنا من صـبغة جليسـك، وهو مصـدق بقلبه لما جئته به فأنت رحمة للعالمين" صـبغة الله ومن أحسن من الله صبغة "" البقرة :"١٣٨ فـافهم، وكـان يقول: ربمـا أنكرت النفس لغرض مـا عرفـه القلب بلا مرض فـأنكر معهـا بالعرض، ولئن صرفته عن ذلك يوما ما لينقلبن مآ. إليه يوما ما سمى القلب إلا من تقلبه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول :في قوله تعالى ": وإذا رأيت الذين يخوضـون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره "الآية في هذه الآية دليل لمنع السـالكين أن يتظاهروا للجمهور بما هو عندهم مما يدق عن مداركهم وما للسـالك والهالك، وكان يقول :مهما شـهدته فهو لديك، ومنك، وإليك فافهم، وقال :في قوله تعالى :" لقد خلقنا الآنس في أحسـن تقويم "" التين :"٤ وهو أعلى عليين بإشـارة "ثم رددناه أسـفل سـافلين "" التين :"٥ وكان يقول حيثما جاء كشف سوء أو عذاب أو ضر، أو غطاء فالمراد به الحجاب إذ لا يكشف إلا الحجاب، والحجاب بلا شك مانع من اللقاء الحقيقي في كل مقام بحسبه، وكان يقول: احذر أن تدعوا على من ظلمك فإنك إذن تدعو على نفسـك "إن أحسـنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها إن لكم لما تحكمون" فمن شهدً ظلما فإنما هو

منه، وإليه "ألا له الخلق والأمر " فأين الظلم وكان رضي الله عنه يقول :احذر أن تـدعي قدرة، وأنت في قيود مرتبة الاضـــطرار، والاســـتغناء، وأنت في مرتبة قيود الافتقـار، واعمل في كل مقام على شـــاكلته فإن التظاهر بالجهالة لا يليق بمثلك ، وشـأنك أحسن تقويم فافهم، وكان يقول: من هو بكل شيء محيط لا يسعه شيء هذا، ومعه شيء فكيف بمن هو كل شيء، ولم يكن شيء غيره، ويكفيك هذا فاصبر نفســك في جدك، أو أثبت التجريد فتلك الطامة الكبرى فافهم، وكان يقول: العبد لمولاه "فـاعبـدوا مـا شـــئتم "" الزمر :"١٥ فافهم وكان يقول :كل مرتبة فإنما عبد الحق فيها من شاءها إلا مرتبة الحقيقة المبينة فإنما يعبد الحق من شاءه فمن ثم قال :الحق بناطقه المحمدي" قل الله أعبدً مخلصا له الدين "" فاعبدوا ما شئتم من دونه "" الزمر :١٤ و "١٥ أي وأما هو فما يعبدونه إلا بمجرد إشاءته" وما كان لنفس أن تؤمن "" يونس :"١٠٠ أي بي "إلا بإذن الله "وكان يقول: سـجنك قيودك البشر ـــية، ووليـك من تمكن من خلاصـــك منهـا فلا تجهلنه فتظنه من يؤكدها، ويخلدها فتطلب أن يوسع عليك عنياك، وأمور هواك، وأن يمنع عنك ما يزحزحك عنها فإن ذلك عكس ما يريده منه من عرفه فافهم، وكان يقول: لا يعرفهم بآبائهم إلا من تحقق بحقـائقهم، ولا يعرفهم بســـيماهم إلا من تحقق بحقـائقهم، وكان يقول: جبلـت القلوب على حب عالم الغيوب، ومن ثم حب الناس من كاشـــفهم بماوارته أجســامهم وحذرهم من وسـاوس، وأوهام وأعراض، وأجرام لأن ذلك من عزيز الغيب عندهم لقصـــور إدراكهم عنه، وآخرون أحبوا من كاشـــفهم بدقيق النظر في أمور دنياهم وآخرون أحبوا من كاشفهم بمعارف الحق، وحقائقه لأ..م لا

غيب عندهم إلا الله، وكان يقول :الشيء في مرتبته الأصلية لا تعرف قيمته، وإنما يظهر عزته في غربته، واعتبر هذا في كل جوهر وشيء نفيس هكذا العارف المحقق هو عين معروفه، ومعروفه، حقيقته، ومتى ظهر بحكم حقيقته هذه حجبه التتريه له من حيث أنه الحق عما تعين به من حيث أنه الخلق فامتهن ورد عليه قوله: أنا الحق فإذا تقرب إلى مرتبة العبودية، وأحكام الخليقة عرف في كتره، وظهر بحكم تعظيمه، وعزه، وكان يقول: لا يأمرك الأستاذ الناطق بأمر يفعل، ويتعذر عليك فعله إلا لعدم كمال قبولك لذلك، ونقص استعدادك وكان يقول :إذا اعتنى الحق تعالى بعبده أماته عن كل حركة لا نفع فيها له، أو لأحد من الخلق، وقد وقع لي ذلك فلا أجد قوة إلا حال فعل خير أو قول خير، وفي غير ذلك أعجز عن عصر ليمونة فأنا ميت في صورة حي، وكان يقول :لا تطلب أن لا يكون لك حاسد، ولا أن لا يحسدك حاسد فإن الحكم الوجودي اقتضى مقابلة النعم بالحسد، فمن طلب أن لا يكون له حاسد فقد طلب أن لا يكون له نعمة، ومن طلب الوقاية من شر الحاسد المتحقق الحسد، فقد طلب ظهور النعمة عليه مع الأمان من التشويش فيها فافهم فلذلك قال تعالى ": قل أعوذ برب الفلق " "من شر ما خلق "" ومن شر حاسد إذا حسد "" الفلق :ا و ٢ و "٥ أتى بإذا، ولم يقل إن حسد فافهم، وكان يقول: العليم الحكيم الهادي إذا تحول لأهل زمانه في صورة آدمية فظاهره إمام هدى لأهل زمانه، وباطنه الرباني رب لأهل زمانه أي سيد أتاهم في صورة يعرفونه مآ.. ولا يراه من هذه الحيثية إلا من مات الموتة المعنوية بأن تجردت نفسه عن أوهامها البهيمية كما أشار إليه حديث" إنكم لن تروا

ربكم حتى تموتوا." وكان يقول :إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام، وسيترل كما يترل عيسى عليه السلام.

قلت :وبذلك قال :ســيدي على الخواص رضي الله عنه فســمعته يقول :إنً نوحا عليه الســلام أبقى من الســفينةً لوحا على اســم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفع عليه إلى الســماء فلم يزل محفوظا في صــيانة القدرة حتى رفع علي بن أبي طـالب رضي الله عنه فالله أعلم بذلك، وكان يقول :العارف بالله إذا ذكر الله رأى الله تعالى يذكر نفسه وهو يسمعه، وهكذا من عرف هذا العارف حق اليقين فإنه عين معروفه فافهم. وكان يقول :حقيقة المريد المخصــوص من أســتاذه بمترلة ما يراه الناظر في المرآة من نفسه مطابقا بواسطتها فافهم، وكان رضي الله عنه يقول :العورة محل الخيانة فالمعصـــوم من ليس له فيه محل الخيانة فلا عورة له، ومن ستر الحق عورته أمن روعته إذ لا روعة إلا من خائن على ما أنت له صائن فافهم، وكان يقول: من شهد أن القدوس هو القائم بالأمور لم يشهد في الوجود إلا الكمال، ومن انعكس انتكس" إن لكم لما تحكمون فاعبدوا ما شـــئتم "فافهم، وكان يقول :الملـك مقيد بالتتريه، والشـــيطان مقيد بضـــده، وكلاهما في دائرة الفرقان مقيد، والمخلص من خلص من المقيدين بشـــهود الإحاطة الخفية في الكل فلم يبق لمقيد عليه سلطان فهو القائم و" هو الأول والآخر والطهر والباطن وهو بكل شيء عليم "" الحـديد :"٣ وكان يقول : حضرـات قدس الله هي مدارك العارفين به الهادين إليه فاتخذ لك في كل شيء منها مسـتقرًا بحسـن المودة، والخدمة، وصدق المحبة، والتعظيم فلا تعلق همتك بغير أهل الحق تندم واجعل همتك الحق حيثما

توجهت تسـلم، وتغنم والله أعلم، وكان يقول: ما تعلقت محبة الله تعالى حقيقة لمن أحبه إلا بأخلاقه تعالى التي تخلق ذلك العبد مآ.. ومن هنا قال :عليه الصـلاة والسـلام :" تخلقوا بأخلاق الله تعالى "وما كره الناس أحدًا يحبه لأمر إلا لجهلهم به، وتصـوره لهم على خلاف ما هم عليه من الأمر، ولذلك سموهم ضلالا وسحرة وكهنـة، ولو أنهم رأوهم على ما هم عليه لأحبوهم فما كره الناس الأولياء إلا من حيث موهوم نفوسـهم فيهم لا غير، وكان يقول: من شـهد أن كل في نفع عين من أعيان الحق، وكل في ضر من أعيان الضار الحق، وقس على ذلك جميع الأعور حتى الصـلاة والزكاة، والصـوم، والخوف ،والضـحك وسـائر الصـفات فلم ير شـيئا منها بـالحقيقـة إلا لربه الحق، فحيثما ولي هذا" فثم وجه الله "" البقرة :".٢ فلا تلمه إذا قال : حيث اتجهت رأيت وجه الحق ظاهر، وإذا لمته قال :له وجده "لا نطعه واسـجد واقترب "" العلق :"١٩ يعني لكل المظاهر فافهم، وكان يقول :انظر الحق قبل خلق الخلق، وانظر ماذا ترى فلن ترى غيره، وكان يقول: وجودك، وموجودك اثنان بالبيان واحد بالحقيقة فافهم، وكان يقول صـلاة كل رباني صـورة إسرائية، ومأثم أعلى من صـورة الإسراء المحمدي، ولذلك لم يفرض في مشـهد الإسراء سواها فافهم أن المصلى يناجي ربه، ومأثم سواه، والكليم كليمه، والسميع سميعه ما من الله إلا، وإليه فافهم فإذا أحببته كنت هو وما زلت هو فإن لم يكن كنت سـمعه، ولسـانه فأنا المتكلم السـميع، وكان يقول: ما أغرب الحق في أهله فافهم، وكان يقول: لاسـم عين المسـمى في كل مقام بحسـبه فافهم، وكان يقول :" وهو معكم أين ماكنتم "" الحديد :"١٤ وإن كان عينكم إليه فمن أنتم يا دليل من ليس له

دليل فهو هو فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: الضرـوريات والبديهيات إنما هي أمور وجدانيات، وهي أصـول النظريات، فالوجد أصـل أصـول هذا الباب، فافهم وإنمـا احتيج إلى الحجج، والأدلـة، والتعـاليم لتوقع المطـالـب من النفس موقع الوجـدان، أو مـا يقـاربه، ومتى وجدت المطلوب لم تحتج إلى شيء من ذلك، ومن ثم لم تحتج الضروريات إلى دليل فافهم فيا واحد الحقً تحقيقا أو تصديقا حسبك وجـدك فإن قال: لك معترض ما دليلك على حقيقة هذا فقل وجدي فإن قال: لك ومـا يؤمنـك أن أقول لـك بل هو الباطل . والدليل على ذلك وجدي فلا تجبه أيها المحقق وقـل لـه من ينـازعـك في وجـدك وهو لـك كما وجـدت وهو لي حق كما وجدت" قل هو للذين آمنوا هدى وشـفاء "" فصـلت :"٤٤ الآية "أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح القدس "" ا..ادلة 22": فالأمر عندهم وجداني فافهم "الذي يجدونه مكتوبا عندهم " فهو عندهم بالوجدان فافهم، وكان يقول :الكلام عين المتكلم في الـدائرة الســمعيـة كما قـالوا :" ولقـد جئناهم بكتاب" الآية فهو المتكلم، وهو الكلام، والقرآن عينـه العقلي والفرقـان عينه الخيال بالمقروء، والمعبر عنه بضــمير لتقرأ عينه الحسيــ وتترل الفرقان تترل القرآن، والقرآن تترل الكلام، والكلام عين المتكلم. والكل تعيناته التفصـيلية من مجمل تجليه المعبر عنه بالكلام فـافهم وكان رضي الله عنه يقول :الخلق هو التقدير فالذي هو عين بالتحقيق هو مثل أو غير بالتخليق ألم تسمع قول :الحق بلسانه المحمدي الجمعي "إنا كل شيء خلقنـاه بقـدر "" القمر :"٤٩ برفع لفظـة كـل على أ..ا خبر إن فـافهم، وكان يقول :حقيقة الواجب علم فعلى بطن فيه قائله، وحقيقة الممكن علم انفعالي بطن فيه

فاعله وحقيقة الممتنع علم مجرد لم يحصــل في صــيغة التميز الإثباتي إلا في القول لأن هـذا التعريف، وكل التعاريف صـــيغ تمييزية إثباتية فافهم، وكان يقول: من أحاط بك، ولم تحط به فلســت مثله، ولا على صـورته فافهم وكان يقول :ما دمت في دائرة الفرق فلا بد لك من شرك، وإشراك اللهم خلصــنا واســتخلصــنا آمين وقد فعلت ذلك فافهم، وكان يقول: إذا كانت صـــفاتك بالأصـــالة له فوهمك علمه، وحسك علمه، وفكرك علمه وتعلمك علمه، وفعلك علمه، وقولك علمه، واختيارك علمـه، وتخيلـك علمـه، وعلى هذا فقس ": إنه بكل شيء عليم "- أحاطبكل شيء علما" فـإن لم يكن كـل مـا هو شيء بـأي اعتبار كان معلومه لم تتم هذه الإحاطة فافهم ومن لم يشـــهد ذلك كذلك لم يشـــهد حقيقة قوله :" إنه بكل شيء عليم - أحـاط بكـل شيء علما وإنمـا شـــهـد ماأوله، وخص به هذا العموم، وقيد به هذا الإطلاق بـل تقيد به هذا عن شـــهوده، ومن ثم يظهر معنى قوله " : الله يعلم وأنتم لا تعلون "" النحـل :"٧٤ فـافهم، وكـان يقول :إذا كان هو الناظر إليك بكل عين، والعالم بك بكل إدراك، وعلم فما ثم من مرائيه إلا هو فلا يحجبك الرياء عن القيـام بمـا يرضي، واحـذر أن يراك رأي حي، ولا أنت حيث تظن أنه لا يرضي فإنه هو الذي يراك حين تقوم في كل مظهر يرى، ومتى صـح لك هذا الشهود استغرقك في اللـه في كـل جهاته" فأينما تولوا فثم وجه الله "فافهم، وكان يقول :الحقائق لا تنقلـب فـالمقيـد لا يكون مطلقـاً، والمطلق لا يكون مقيـدًا، وإنما تعاقبت صـــور المراتب المقبولة على قابلها فقط" لا تبديل لكلمات الله "فافهم، وكان يقول :وكل متميز بنفسه أو غيره ثابت حتى النفي "ذلك بأن الله هو الحق" وإن تباينت

الأسـماء فافهم، وكان يقول :حبك للشيـء على قدر بغضك كذلك، ولضده العكس وزنا بوزن مثلا بمثل ســواء بســواء، وهكذا أمور كل مقابل بالنســبة إلى مقابله فافهم، وكان يقول: لا تستعذ من شيء ولكن استعذ من شره، وكان يقول :التأثير ربوبية، والتأثر عبودية في كل مقام بحسبه فافهم ،وكان يقول: الخلق هو التقدير، والتقدير هو التتريل متزلة النقيض في المعاملة في كل مقام بحسـبه، وإذا ظهر هذا فهو تعالى ذات كل موجود، وكل موجود صفته، وليس لها مبدأ أول إلا هو إذ ليس بعده إلا العدم، والعدم لا يكون مبدأ سـيما لموجود، وإذ قد تبين لك أمر الوجود هـذا فـأنت تعلم أنك إذا نظرت إلى أي موجود نظرت إليه من حيث هو وجدته ذاتـاً، وقـد تبين أن لا ذات إلا الوجود، فظهر أن الوجود بـالحقيقـة هو الموجود، والموجود ليس إلا هو الوجود. فـإن قلـت :فمن أين جـاء الفرق، وإلى أين؟ قلت :جاء من الوجود إلى نفسه .

فان قلت :كيف يتأتى هذا؟ قلت :يتأتى بأن يقدر نفسه مراتب على طريقة التجريد البيـاني المـذكور في علم المعـاني والبيـان، وأنت تعلم أن لك أن تجرد من نفســك لنفســك في نفســك على كل صـورة، وتكون تلك الصـورة كلها في خيالك، وتعامل نفســك من حيثية كل منها معاملة خاصـة، وتصـور نفســك ناسـيا لأنك جردت نفسـك، وناسـياً أيضا لذلك النسيان ومتحققا لتلك الكثرة، وتكون كذلك من تلك الحيثيـات، ومـا هذا، ونحوه إلا عين فعل الوجود الذي أنت هو لا مثاله، وما تلك الأمور كلها بالحقيقة إلا أنت بلا زيادة فما ثم على كثرة الموجودات إلا الوجود بلا زائد حقيقة .فإن قلت :فما مبدأ هذا التقدير من الوجود؟ قلنا مبدؤه اقتضاؤه

لذاته أن يقضي۔ وما ثم إلا هو فيقضي۔ بنفسه لنفسه، وعليها على طريق التجريد كما مر قضـايا لا تتناهى للزوم القضـايا للاقتضـاء الذاتي، وتلك التقديرات تتريلات الوجود مترلة ما ليس بموجود في المعاملة، وتســمى هذه موجودات، وبالضرــورة يكون هذا التقدير أولا في الوجود إذ لا موجود ثم، وهذا هو الخلق الأول وتسمى هـذه الموجودات مراتب قدم وأزل، وإيجاب، وصــفات ومعاني ،وحقائق كذلك .وبعـد هـذا يكون تقـدير هـذه الأمور التي هي لا وجودات، وجودات، فبقدر ما تســمى ذوات، ومـاهيـات، وتعينات، وأينيات ونحوه تقدر فيها مراتبها اللاحقة، وذلك هو الخلق الثاني كما جاء في قوله تعالى " : أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جـديـد "" ق :"١٥ فـالأول تتريـل الوجود مترلـة مـا ليس الوجود، والثاني مترلة ما ليس الوجود مترلة الوجود فانظر إلى هذا النمط ما أعجبه، وأغربه، وأطـال في ذلـك ثم قال: وقد فتحت لك باب التحقيق فإن كنت من أهله فتقدم، وإلا فلا فـافهم .قلـت :جميع مـا في هـذه القولـة مبني على مذهب أهل الوحدة المطلقة وهي مرتبة نقص بالنظر لمراتب المحققين فكان الشيخ فيها كالمغلوب على إظهار ما شـهد بقرينة كلامه في مواضـع من هذه الوصـايا والله أعلم، وكان رضي الله عنه يقول: ســمي العقل عقلا لموضــع التقييد التحديدي الذي هو شــأنه ويسمىً لبا من حيث تترله بذلك في لبس الخلق الجديد لأن اللب منخبئ بقشور .لا تلزمه، وهو مبدؤها فافهم وكان رضي الله عنه يقول : أينما توجد الفكر لا يأتي إلا بمغـايرات الحق "ومـاذا بعـد الحق إلا الضــلال "فهو لا يـأتي في الحقيقـة إلا بالضلال أي عن الحقية التي هي الخير المحض فهو لا يأتي بخير محض قط فافهم،

وكـان يقول: الجعل والصـــنع والإبداع والتكوين، والتمييز، ونحو ذلك كله تقدير فهو خلق بمعنى التقدير، وإن لم يســم في بعض المراتب خلقا فافهم، وكان يقول :إذا وجدت أيها الذائق أمرًا، وسـألك أحد عما وجدت سؤال تقييد كأن يقول: لك ماذا؟ تقول :في كذا قل له هل قال :أحد سـواي في ذلك شـيئا فإن قال :لك لا أو لا أدري قـل له فهو عندي كذا فإن اعترف به فذاك، وإلا كان لك مخلص من شره إن أنكره، وإن قـال :لك نعم فقل :لا حاجة إذا بك لقولي في هذه فإن قال :لك بل لي حاجة فقل له أنا عندك أفضـــل من ذلك القائل، وأولى بالحق أم هو فإن قال: لك هو فقل له فأنت عن تصديقي أبعد منك عن تصديقه، فلا حاجة لي أن أقول: لك شـــيئا وإن قال :أنت عندي أفضـــل منه فأجبه ولك الحجة عليه، وإن كان متفعلا فافهم، وكان يقول: في حديث "الأنصـار شعار والناس دثار "لا يمس بشرتك ثوبانً معا إنما يمسـك شـعار واحد، وما بعده دثار، وإنما كان الأنصـار شـعارًا لرضاهم به عما دونـه" يحبون من هـاجر إليهم "" الحشرـــ :"٩ الآية فحبهم لا لعلة ســـوى التحقق بـه، وإنما كان الناس دثارًا لتعلقهم بالعلل الخارجة عن التحقق به ": أما ترضـون معاشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة، والبعير وتذهبون بي إلى رحالكم "قالوا :رضينا فاعرف يا أخي الأنصار بسيماهم فهذه آيتهم لمن توسم ولا تقيدهم بقبيلـة ولا طـائفة ســـوى من مآ. هذه العلامة من كانوا، وأين كانوا فافهم، وكان يقول: في قولـه "وثيابك فطهر "" المدثر :"٤ أي لتكون ثياب صـــلاة فافهم من لم يتجرد عما ســـوى أمر لم يبـاشره تحقيقـاً، وكـان يقول: في قولـه :" لا يمســـه إلا المطهرون "أي لا يتحقق به إلا المتجردون للصلة به عن موانعها المانعة إذ الطهارة

التجرد عن موانع التلبس بحقيقة الصــلاة التي هي صــلة بين العبد وربه فافهم، وكان يقول: قيامك بالأمر لأجل الأمر وحده إخلاص وميزان ذلك أن تفرض أنه ما!.. عنه أو عن موضـع أنه أمرك به أو عكســه، فإن وجدت نفســك تنبسـط بأحدهما أكثر من الآخر، فـاعلم أن قيـامك به معلول، وأنه شـــهوة نفس، وإلا فلا فما أعز الإخلاص، وما أدق إدراكه فافهم، وكان يقول: الواحد أصــل العدد، فما لا ينقســم أصـل ما ينقسـم في كل مقام بحسبه فافهم فإن سكنى ما لا ينقسم ليس كسكنى المنقسم في المنقسم، فلا تتخيل الحلول الظرفي في جانب الربوبية ما دمت في حكم مراتب الخلق الجديد اللبسي، فافهم فالقلب بيت الرب ورب البيت يسكن باطنه ويترل إلى ظاهره فافهم، وكان يقول: ليست المستحيلات إلا أمورًا في غيبك، وقوتك لم يتعين مـآ. قوابـل حـاجبة بالنســـبة إليك ألا ترى أ..ا قائمة في تخيلك، وتوهمك فـافهم، وكان يقول: لا تطالب ربك بشيــء ولو بقلبك فإن المطالبة تريب، وليس ذلك شأن العبيد، فافهم، وكان يقول: من أبعد المطالب عن الصواب مطالبة العبد ربـه بعلـة إمره أو مـا... فإن الرب حقه يفعل ما يختار ويحكم ما يريد، وشـــأن العبد القبول من ربه ليس إلا فافهم وكان رضي الله عنه يقول: من حققك بالله لا تقدر على مكافأته بشيــء قط، وكان يقول: الذات لا تدخل تحت إحاطة علم، ولا إدراك، وكـان يقول :العارف المحقق يأبى الله أن يأتيه بالأمور التي يختارها إلا من حيث لا يشــغل همته بأســبا..ا العادية حتى إنك تراه يتســبب في أمر بالتوجه ، والدعاء فيمسك عنه ذلك الأمر لذلك التسبب، وما ذلك إلا لأنه صار عين معروفه الذي لا ينبغي أن يظهر إلا بوجه السيادة، والعز فعالا لما يريد، فلما ظهر بوجه

التسبب تنكر، فتوقف المراد وتعذر فلكل مجال رجال، فافهم، وقال: في قوله تعالى :" قد جاء الحق من ربكم "" يونس .:"١٠٨ أي قد جاء ربكم بعينه الحق لا بمثال موهوم فافهم، وكان يقول :العقول حقائق أسـماء الذات والأرواح حقائق أسـماء الصـفات والنفوس حقائق أسـماء الأفعال ولكل اسـم دائرة تأثير هو سـلطا..ا، وتجلياته فيها أسباب مسببا..ا فأسباب الخلق تجليات الخلاق، وأنسباب الرزق تجليات الرزاق، وقس على هذا، وكان يقول :صـور أسـباب الأرزاق أرباب للعوام القاصرين نظرهم على شـهود الخلق وعبيد للخواص النافذين إلى التحقق بالحق ألا ترى كيف العوام يتولون الإنفـاق على عبيـدهم، وخواص النـاس كـالوزراء، والأمراء يولون الإنفاق بعض خدمهم، وقد كان بلال متولي نفقة رسـول الله صـلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله تعالى :" وكلمة الله هي العليا "" التوبـة :"٤٠ كلمة الله هي النفس التي غلب عليها الحكم الإلهي بظهوره فيها تخلقاً، وتحققاً، وكشفاً،ً وبيانا هذا هو حقيقة معنى الآية، وفيهاً أيضا أن كلمة الله أي اسـم الله هي العليا لأنه الاسـم الأعظم الجامع لحقائق جميع الأسـماء، وكـان رضي الـلـه عنـه يقول: من عرف الحق لم ير إلا الحق" فماذا بعـد الحق إلا الضـلال "فـافهم، وكـان يقول :مهما رآه المأمون في أئمتهم من كمال أو نقص فهو صـورة بواطن المأموم أشـهده إمامه إياها، وللإمام فوق ذلك مظهر آخر فإياك أن تظن نقصـا بأهل الكمال فتقول ": وعصىـ آدم ربه فغوى "" طه :"١٢١ بل أعرف أن ذلك إنما كان إظهارًا لك كيف تتداوى إذا ابتليت في صـفاء تلك الحضرـة، وقس على هذا فافهم، وكان يقول: الاستغفار استعداد الغفران وحقيقة التوجه بوجه

الاســـتعداد إلى التحلي بالكمال بدل النقص، وبالإحســـان بدل الإســـاءة، وغايته التحقيق بالمحبوب تحققاً ذاتيا يســتحيل به عروض ضـده، وذلك هو العصمة في كل مقام بحســـبه ،وإليه الإشـــارة بقوله ": يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تـأخر "" الفتح :"٢ وغـاية الغاية في هذا الباب أن يغفر الله منك بحلمه حكم ما دونه فلا ينكشـف فيك إلا وجهه الحميد، فافهم فإن الغفران هو الوقاية مما يضر بما يسرـ ومنه سميت البيضة مغفرًا فلكل مقام مقال، وكان يقول: في كلام الأطباء إن برد الرحم ســبب في عدم الحمل هكذا نفس التلميذ متى لم يجد لوعة الوجد، وحرقة الطلب من الشـوق إلى المقصود لم يتولد فيها من فيض أستاذه صورة أمره فهو مثل الوقود البارد لا يؤثر فيه القبس إلا دخانا كالدعاوي والرعونات الحاصلة للنفوس الـداخلة بين القوم بغير حرقة شـــوق، وصـــدق وطلب، وجد، ومثلها أن يكون كورقة مبلولة لا يثبت عليها كتابة، ومثلهاً أيضـــا كحراق بارد أي رطب لا يعلق فيه قبس، وكان رضي الله عنه يقول: من تحقق بمرتبة حصلت له خصائصها، وأمورها على قدر تحققه مآ. كالمتحقق بصورة محمدية بشرية، فيقول: اللهم صل على محمد وآته الوســيلة، والفضــيلة إلى آخره، فإنما هو في الحقيقة يطلب ذلك لنفســـه من حيـث إنه متحقق به، ويقال لمن تحقق بصـــورة محمدية يا محمد، موسوية يا موسى أو عيسوية يا عيسى، وقس على هذا، وارق إلى حيث نفذ ذوقك، فد مجال رجال. وكان يقول :في قوله صـلى الله عليه وسـلم :" إنا معاشر الأنبياء نبتـت أجســـادنـا على أرواح أهل الجنة " فأرواحهم ســـماوية متمثلة في هياكل أرضية، وكل إلى بدنه راجع، فافهم وكان يقول :إنما أمر الحق، و..ى منك

قلبك الســامع الفاهم، ولا يؤدي عن المكلف ما كلف به إلا هوف عمل جســمك عملا، وقلبك غافل عنه لم يحسب لك، ولم يؤد عنك" ولكن ما تعمد قلوبكم "وإنما ســقط اللوم الظاهر بمباشرة الجســم للعمل لظن حضــور القلب، وقصــده ذلك فراقب علام الغيوب، فإنه الناظر إلى القلوب فافهم، وقال :في قوله تعالى ": فأجره حتى يســمع كلام اللـه "" التوبـة :"٦ أي منك، ولا يتكلم بكلام الله إلا الله فإذا ناجاك هاديك حق فاســمع من الله وأطع تغنم، واعرف أن ربك قد تحول لك في صــورة من صــور المعار يتعرف إليك مآ. لتعرفه فتجيبه فتتحقق به فافهم وكان رضي الله عنه يقول :السرـ ما لا يشــهده إلا واحده فمن شــهدت سره فاعلم أنك أنت هو من حيث حصـل لك هذا الشهود، وللمستفيد شيء إلا صورة مفيده فإذا كل ما من المستفيد إلى مفيد إنما هو في الحقيقة المفيد لنفسه أن العبد من مولاه عبد القوم من أنفســهم، وما من الله إلا، وإليه وليس يفهم عني غير إياي فافهم .وكان يقول :في قوله :" ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشــيطان "" يس :"٦٠ أي لا تطيعوه، وتنقـادوا لـه راضــين بأمره فمن كان هكذا لأحد فقد عبده "اتخـذوا أحبـارهم ورهبـا..أربـابـا من دون اللـه " "التوبة :"٣١ وما أكثر ما يعبد المقلدون أئمة الضلال علماء السوء الذين يريدون بعلمهم ما ليس من الله في شيء فافهم، وكان يقول: إذا كان إبليس كفر بترك سـجدة واحدة لآدم فكيف يرضي ابن آدم أن يكفر بتكرار الســجود لإبليس ولكن الكفر درجـات كما أن الإيمان بالحق درجات فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: احذر أن تزدري أصـحاب الخلع الخفية من الشعثة رؤوسهم المغبرة، وجوههم فإن وجوههم ناضرة إلى ر..ا ناظرة، إنما

أنت أعشى العين، وكان يقول: إياك أن تحسد من اصطفاه الله عليك فيمسخك الحق كما مسخ إبليس من الصورة الملكية إلى الصورة الشيطانية لما سجد آدم، وأبى وتكبر عليه، وفي هذا تحذير لك إذا رأيت إمام هدى إلى الحق أن تحسده، أو تكبر عن الخضوع له والائتمام به ،فإن ذلك يسلبك ما فيك من الصور المرضية، ويدخلك في الصور الغضبية، وإذا خضعت له، وكنت بالعكس نقلك من الصورة الشيطانية إلى الملكية وكان يقول :في حديث صوم يوم عاشوراء "نحن أحق بموسى منهم" أي من اليهود إنما كانت هذه الأمة أولى بموسى عليه السلام من قومه لأنا نؤمن بموسى كإيمان من عاصره دلالة معجزة نبينا التي هي القرآن التي نعرف إعجازه بالمشاهدة لا بالخبر، وأما اليهود الذين لم يعاصروه، فإنما آمنوا به تقليدًا للخبر، وأين من يؤمن تقليدًا ممن يؤمن عياناً تحقيقا في المعجزة القرآنية فنحن أحق بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ممن لم يعاصرهم من أممهم، والسلام، وكان يقول: إنما كان يوم عرفة أفضل من يوم عاشوراء بفضيلته على عاشوراء بالحج المشروع فيه، وهو ركن من أركان الإسلام، وليس في عاشوراء ركن من أركان الإسلام يختص به كيوم عرفة فافهم .وكان يقول :في قوله :" وتمت كلمت ربكً صدقا وعدلا "" الأنعام :"١١٥ً صدقا هنا وضع موضع فضلا إذ قوبل به عدلا فافهم أي تفضل الله تعالى بصدقهاعلى قلوب قوم حتى صدقوها وعدل الله بقلوب قوم حتى عدلوا عن تصديقها، وكان يقول: كل ما أتاك به إمام هدايتك، فهو ذكر من ربك ورحم بمحدث الإتيان إليك، والظهور عن ذلك الإمام من حيث كونه، فأما من حيث وجوده الحق المبين المتجلى في عينه الناطق بمرتبة الربوبية،

والرحمانيـة، فلم يزل ً قـديمـا لأن الحق المذكور من المرتبة المذكورة لم يزل متكلما إذ هي لـه ذاتيـة، وإنـا الحـدوث من جهـة التعلق الظهوري من حيـث الحكم بالحدوث، فافهم، وكان يقول: من أتى بما لم يســـبق به فقد أبدع وأبدًا ومن كرر مثالا، فقد أعاد، واخترع فافهم . وكان يقول :لا يظهر سر السـيادة الربانية في أحد إلا ويجعل له ً أتباعا لأن السيد هو الرب المصلح المدبر فلا بد له من حضرة يحكم فيها" ولقد أرســـلنا رســـلا من قبلك وجعلنا لهم ً أزواجا وذرية "" الرعد :"٣ أي معنوية فقد كان فيهم من ليس له زوجة صـورية، ولا ولد صـلبي كعيسى ويحيى ومن هنـا يفهم المراد بقول زكريـا" رب لا تـذرني فردًا "" الأنبيـاء :"٨٩ فكأنه قال :كما قـال :إخوانـه "ربنـا هـب لنـا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما" وأحب الخلق إلى الله تعالى أنفعهم لعباده فكفي المصـلح لشـأ..م شرفا أن يكون أحب إلى الحق ممن ليس همه إلا صلاحه وحده، وكان يقول :من كان خلقه القرآن يرضي لرضـاه ويغضـب لغضـبه فهو نسـخة الحق" والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ر..م "" محمد :"٢ فافهم فمن اتخذه إمام هدى، وجعله كتابه ينظر في أموره بعين الإيمان فيتبعها بإحســـان فقد أوتي كتـابـه بيمينـه، ومن اعتمـد على الأســـاطير فإنما اعتمد على حكم وهمه أو حكمة فهمه" بل هو آيات بينات في صـدور الذين أوتوا العلم "" العنكبوت :"٤٩ أي معنـاه مبين في نواطق العلماء وكـان يقول: إنما أحب الله عبده المســـلم لأنه مخلوق على صـورته، وهو تعالى أجل من أن يحب خلاف صورته التي هي الكمال المطلق الأقدس فافهم قلت: والمراد هنا بصورة الحق صورة آدم عليه السلام لأ..ا

أشرف الصــور، وليس المراد مآ. صــورة الذات الإلهي، والله أعلم، وكان يقول :ما دمت أيها الآدمي صاحب صفات كريمة فأنت إنسان باق على أصلك لم تنسخ، ولم تمسخ، ومتى نسخت منك الكرائم بالذمائم فقد نسخت عنك الإنسانية بالصورة الشيطانية التي انمسخت مآ.. وإن خلطت لم تك إنسانا خالصاً، ولا شيطاناً محضا وفي ذلـك فليتفـاوت المتفـاوتون، والحكم للغالب فافهم، وكان يقول: إذا قال لك :قـائـل لم دون العـارفون المعارف التي تضرـــ بالقاصرين من العلماءً فضـــلا عن العوام؟ أما كان من الحكمة وحســـن النظر، والرحمة ما يمنعهم من تدوينها فإن كـان عنـدهم ذلـك فمخالفته نقص، وإن لم يكن فكفاهم نقصـــا أ..م غير حكماء فقال له :أليس الذي أطلع شمس الظهيرة، ونشر فاضح شعاعها صحوا مع إضرارها بالأبصـــار الضــعيفة والأمزجة التي تتضرـــر مآ. عليماً حكيما فإن قال :بلى ولكن عارض ذلك مصـالح تربو على هذه المفاسـد فقل له، وهكذا الجواب عن مسئلتك وحســبكً جوابا أن من دون ذلك لم يدونه للجمهور، ولا أذن في ذلك، ولا ســكت عنه بل مإ. عن إظهاره لهم . وشـــدد في النهي والتحذير إلى الغاية، وصرح بأنه لم يـدون إلا بـإذن من اللـه في تـدوينـه لأهلـه فقط فيكون في التـدوين أمـانـة لهم ليظفروا من معـانيـه بمـا تنفتح بـه أبواب كمالا..م البـاعثة بســـحائب الرحمة في قلو..م، وعلى ألســنتهم فتشرق الأرض بنور رشدهم وتحب هدايتهم فتعدى أهل الغفلة، والحجاب حدود هؤلاء السادات، وأظهروا دواوينهم لغير أهلها كما تعدى الغـافلون حـدود ر..م، فســـافروا بـالقرآن إلى أرض العدو، ومكنوا أعداء الله من قراءته بقلوب زائغة، وألسن معوجة فحرفوه، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله، وهل دون الأئمة ا..تهدون ما دوناه عنهم من العلم ليســتعان مآ.
على هوى النفس وكســب الدنيا، وتوليد مســائل موافقة لهوى الظلمة، والأمراء لا
واللـه ولكن كان أمر الله قدرًا مقدورا وحيث ظهر أن فائدة تدوين هذه المعارف
من أعظم الفوائـد ظهر أن تـدوينهـا من أحق الحقوق إذ فـائـد..ا بقـاء روح حق
اليقين، وإشراقهـا في مظـاهر الهادين بالحق كما في فائدة تدوين علم الظاهر بقاء
روح الاجتهاد الظني الموجب للعمل، وظهوره في مظاهر المرشـــدين" والله يعلم
المفســدين من المصــلحين "" البقرة : 220" فافهم .وكان رضي الله عنه يقول :في
حديث "القلب بيت الرب "وفي قوله تعالى :إن أول بيت وضــع للناس للذي ببكة
مبـاركـا "" آل عمران :"٣ فاعرف بيت الرب من بيت الناس، وتوجه إلى كل منهما
بشرطه وقم له بحقه واستقبله، وقم وطف حوله وادخله بما يناسبه منك فالجسم،
والقلـب بـالقلـب، والروح بـالروح ولكل مجال رجال فافهم، وكان يقول: في قوله
تعالى :" إن الذين آمنوا وعملوا الصــالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا" الترل
:إكرام الضيف أول ما يكرم، فإذا كان الفردوس أول ما يكرمون به إذا كانوا ضيوفا
فكيف بغـايـة إكرامهم بل كيف إكرام الأحباب الذين لا حجاب عليهم أبدًا فافهم
وكان يقول: عجبا لملاذ الدنيا كيف يذهب الملال حلاو..ا إن دامت، وتعقبها الرغبة
فيهـا، والحزن عليها إن زالت، فلا راحة للمؤمن دون لقاء ربه فافهم. وكان يقول
:انظر إلى النفس المدركة المفارقة التي تشير إليها منك بقولك :أنا كيف هي متعلقة
بسائر أبعاض جسمك، وأعضاء جرمك، وكيف لها مع كل بعض وعضو معنى، وأثر
خاص تارة يماثل ما هو لها مع غيره كاللمس بسائر سطح البدن، والإبصار بالعينين،

والسـمع بالأذنين، وما أشبه ذلك، وتارة يباين ما هو لها مع غيره كالتكلم باللسان وحده، والذوق باللثة وحدها وما أشــبه ذلك . فهكذا حكم النفس مع ما تعلقت به من الأعضــاء والأبعاض وهي نفس الكل الموصــوفة بســائر المعاني، ومن عرف نفسه عرف ربه فافهم، وكان يقول: الأستاذ مظهر سر الربوبية لمريده فعلى المريد أن يقف عند أمر أستاذه، وأن لا يلتفت عن أستاذه يميناً، ولا شمالا ألم تسمع إلى قول: أكبر ولد يعقوب "لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي" ثم قال :" أو يحكم الله لي "ثم قـال لهم :" أرجعوا إلى أبيكم "" يوســف :"٨١ نتبين أن المريـد ماله وجه يتوجه إليه إلا أسـتاذه حتى إذا تحقق بحقيقة أسـتاذه، وسقط حكم المغايرة بين مرتبتيهما كان الله وجهه من حيث وجه ذلك الأسـتاذ الذي تحقق به ذلك المريد، وأطال في ذلك، وكان يقول : ينبني للعالم أن يرى القرآن هدى، ورشـــدًا لأهل كل صراط مســـتقيم فلا ينكر على أحد لما فهمه منه منالهدى عند ذلك الفاهم، وإن كان مخالفا لفهمه" والراسخون في العلم يقولون "آل عمران :"٧ أي عند كل تأويل فيـه هداية لغيرهم" آمنا به كل من عند ربنا -ولكل قوم هاد، ولكل جعلنا منكم شرعـة منهـاجا" فافهم، وكان يقول :في منكر ونكير إ..ما يأتيان للميت في صـــورة إنكـاره، وتنكيره فـإن كـان منكرًا للمنكر متنكرًا على أهله في اعتقاده الجازم عنده ببرهـانـه فبـذلك يثبت على معتقده، زمن عكس انتكس وكان يقول: ملوك الدنيا محتـاجون إلى ملوك الآخرة، وذلـك ظـاهر في الـدنيـا بزهد ملوك الآخرة في الدنيا، وعناية الحق مآ.. وأما غنى ملوك الدنيا فلا يظهر للشرك صحته من بطلانه إلا بعد الموت حين يفوت الفوت، ومن قبل النصيحة أمن من الفضيحة، وكان رضي الله

عنه يقول: من أرشـدك إلى ما به تخلص من غضـب الحق وتحصل به رضوانه فقد شفع فيك فإن أطعته، واتبعته، وقبلت منه، فقد قبلت فيك شفاعته فنفعتك، وإلا فنعوذ بالله من حالة قوم لا تنفعهم شـــفاعة الشـــافعين حيث كانوا عن التذكرة معرضـــين فافهم، وكان يقول: ثقل موازين الآخرة على قدر التعب، ومثال ذلك أن يقول :لك كريم من أتاني بشيء، وزنت له ثقله فضة فجهد رجل فأتى بصخرة فوزن له ثقلها، وأتاه رجل بريشـة فوزن له ثقلها، وكان يقول: جلوسك في خص وأنت في عتق من أسر الشـهوات خير لك من قصر مشيد وأنت مسجون في أسرها محجوب عن محجوبك فافهم، وكان يقول: في قوله تعالى :" وأيدناه بروح القدس " " البقرة :"٨٧ الروح الأمين على ما يتلقاه من روح القدس هو الفكر الصادق وروح القدس هو العقـل النـاطق الحكيم الحـاكم في النفس الحيوانية التي يطهرها من الرذائل، ويحليها بالفضائل في كل مقام بحسبه فافهم، وكان يقول: في قوله :" ما كان حديثا يفترى ولكن تصـديق الذي بين يديه "" يوسـف :"١١١ أن ينفخ بكشفه وبيانه في قلوب الحاضرين بين يديه حضورًا ً إيمانيا أرواح الصدق، فيصير من الصادقين، وأما تصديقه للكتب الماضية بمطابقة ما فيه لما فيها فشيء معروف فافهم، وكان يقول :الواجـد مخبوء في لا، والوجـد مخبوء في نعم فقـابـل كـل حكم أتـاك من الحق بـاختيـاره لـك بنعم يجعلـه عليـك نعمـة من النعم فافهم، وكان يقول: على قدر المعرفـة يكون الحـب، وعلى قدر الحب يكون القرب، وكان يقول :في قوله :" يوما تتقلب فيه القلوب والأبصـــار "" النور :"٣٧ أي يصـــير حكم القلوب ظاهرًا على حكم القوالب فمن كان في قلبه خير ظهر عليه ظاهرًا، وأما تقلب الأبصار فهو أن

يظهر حكم البصـائر في الأبصار فما لا يصح له في دنياه أن يراه إلاً إيمانا يراه يوم القيـامة عياناً، وكل من رأى الآن ما لا يراه الناس فما رأى ذلك حين رآه إلا، وهو في حال قيامه به فافهم. وكان يقول :العاقل بخيل بعرضـه جواد بجسـمه، وضده بضـد ذلك فافهم، وكان يقول :إنما كان أبو بكر رضي الله عنه أسـبق رجال قريش إلى التصـــديق، والهدى لأنه كان أضـــعف قريش رابطة بما كانوا عليه مما يضـــاد الهدى فافهم، وكان يقول: الصـــوم في اللغة الثبوت على أمر واحد لقولهم صـــام النهار إذا وقفت الشـــمس في مســـتواها فنذرت للرحمن صـــوما أي نذرت ثبوتا للرحمن على إفراد مشـاهدته فلا أشـهد سـواه ،ونحو هذا، وما الصـوم لعمرك إلا الثبوت للحق، وفيـه فـافهم، وكـان يقول: من عرف الحق فكـل أوقـاته ليلة قدر، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله :" إن الله جميل يحب الجمال "فيه إشــارة إلى أن الله يحب أن لا يرى أحد في عبيده نقصـــا لا باطناً، ولا ظاهرًا لأن العبد من مولاه، وأمره راجع إليـه فـافهم، وكـان يقول: من أحـب أن يكون في حفظ رب العالمين فليخدم أولياءه العارفين بصـدق "ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها "" الأنبياء :"٨١ إلى قوله :" وكنا لهم حافظين "فانظر كيف حفظ الله الشـياطين لما كانوا في خدمة أوليائه العارفين، ومعنى حفظ رب العالمين أن يحفظ العبد من الوقوع في المخالفات، وكان يقول: في قوله :" أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم فأوحينا إلى "" الشـــعراء :٦٢ و "٦٣ الآية فرتب هذا الوحي على هذا القول :بالفاء إشـارة إلى أن كل من قال :هذا القول بصـدق ألهمه ربه رشـده فيما يحاول، وكان يقول: كل من دخل مقام الإحسان فقد بلغ أشده واستوى، ولو

كان صبيا قال ": ولما بلغ أشده، آتيناه ً حكماً وعلما وكذلك نجزي المحسنين ""
يوسف :"٢٢ أي على إحسا..م، ومشاهد..م لمعبودهم، وكان يقول: المحبة دائر
معها التوحيد والإخلاص فكل من أحب شيئا لا يريد أ يكون له فيه شريك حتى
الرجل يحب امرأة فلا يحب أن يكون له فيها شريك وكذلك المرأة، فما أحب الله
عبدًا إلا ملأ قلبه استغراقا في محبة مرضاته، ولا كره عبدًا إلا ملأ قلبه محبة
لمكروهاته، وكان يقول : روح المتعلم من روح المعلم، وعقل المستفيد من عقل
المفيد فرع من أصل وأيما مريد أراد الكمال بغير أستاذه، وهاديه فقد أخطأ طريق
المقصود لأن الثمرة لا تكمل إلا بوجود النواة التي هي أصلها فكذلك كل مريد لا
يكمل إلا بوجود أستاذه متعينا عنده بحقيقة نفسه وروحه، وقلبه وفؤاده فافهم،
وكان يقول : لا يتبع إمام الضلال إلا أهل الغي لأنه صورة غيهم تشكلت لهم
حتى رأوها فصبوا إليها "ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره "" الزلزلة :"٨ مشكلا،
ومن هنا يتبع الدجال كل من في قلبه كفر، ونفاق، وحكم إمام الهدى بالعكس لا
يتبعه إلا أهل الهدى، وكان يقول: كيف يخاف الباطن من عرف الحق . وكان
يقول :لم يطلب كل طالب إلا الحق لكن تارة يظفر به ً حقا فيعبده عن مكاشفة،
وتارة يظفر به، وهما فيعبده على حجاب فما عبد عابد في الحقيقة إلا الله، قلت
:والمراد مـآ.. العابد الموحد من أهل الإسلام العام فافهم، وإياك والغلط، والله
أعلم، وكان رضي الله عنه يقول: من تعلق بغير مولاه ضره إما بأن يحبه، فيشغل
عن مولاه ما منه فتنته أو يكرهه، فيشغله عن مولاه ما به حزنه فلا راحة للمؤمن
دون لقاء ربه، ولا يلقي ربه، وفيه تعلق لغيره، فالخير كل الخير في مفارقة الغير

فافهم، وكان يقول :جميع الأعمال إنما شرعت تذكرة بمشرعها كي لا ينسوه، ولا يصبوا إلى غيره" أقم الصلاة لذكري "فافهم .

وكان يقول :الخليفة في كل دائرة هو من أتم القيام فيها بحسن نظام العبودية ً معترفا أنه العبد مع كمال القيام بنظام الربوبية معترفا أن كل ما جاء به من ذلك فهو لربه ولربه الحمد فافهم، وكان يقول: إذا أردت ثبات الإخوان على محبتك القاصي منهم، والداني، وأن يثنوا عليك بكل لسان فقابلهم بالحلم ،والغفران، وتأمل قوله تعالى ": إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورًا" فاطر :"٤١ فأخبرك أنه ليس بعد الحليم الغفور من يمسكهما فافهم، وكان يقول: متى شغل الإنسان قلبه بالأكوان عن ربه الرحمن ذل، وهان وذلك لأنه جعل نفسه عبد عبده. ومن شغل قلبه بالرحمن عز لأنه رد نفسه إلى غايته، ومجده "خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما خلق لك عما خلقت من أجله" ألا ترى أن الرجل الكبير القدر من أمير، أو وزير متى شغل نفسه بحب امرأة ينكحها، أو مآ... يخدمها امتهنته القلوب بعقولها، وإن عظموه في الظاهرً رغبا أو رهباً ، والرجل، ولو كان شحاتا متى شغل قلبه بربه الحق عظمته القلوب بعقولها، وإن أعرضت عنه لهوًا أو تكبراً فافهم، وكان يقول: إنما قال تعالى :" إني جاعل في الأرض خليفة "" البقرة :"٣٠ وعده بأن يجعله خليفة في الأرض للملأ الأدنى لأنه كان يومئذ خليفة في السماء للملأ الأعلى حيث خروا له ساجدين فافهم، وكان يقول: أكمل المظاهر في كل زمان هو الذي يظهر بكشفه، وبيانه لأهل زمانه ما لم يكونوا

يحتسبون من الله وهو غيب الله الذي لا يطلع عليه إلا من ارتضي، وكان يقول :إذا اشتغل البدن مآ. الرزق مع راحة القلب من الالتفات إليه كان ذلك ً تعبا فيما لا حاجة إليه، ومتى تفرغ البدن من همه مع شغل القلب به كان ذلك ً عذابا بحب ما لا يحصل فكلاهما عذاب فافهم، وكان يقول: الكامل من يهضم نفسه حتى يزكيه ربه فاحذر أن تتبع من قال :بلسان خلق "أنا ربكم الأعلى "فيأخذك الله نكال الآخرة، والأولى" فمثله كمثل الكلب "واتبع من قال :" رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير - وأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى "فافهم قلت معنى حتى يزكيه ربه أي يترل في قلوب عباده تعظيمة، ويطلق ألسنتهم بحسن محامده أولا فالحي قد انقطع، وما بقي إلا الإلهام الصحيح، وهو أعز من الكبريت الأحمر، والله أعلم، وكان يقول: من أراد أن يخلد الله عليه ما خلعه من المحامد فليضفها إلى ربه، ويحمده مآ. فإذا أنس من قلبه علما قال :ربي هو العليم أو قدرة قال :ربي هو القدير، وهكذا كل المعاني فافهم، وكان يقول: أيما فهم استخرج مما أغفله الناس، واتخذوه لهوًا حكمة، وإرشادًا فقد غاص في بحر الظلمات فأخرج منه الجواهر المنيرة فهو في حقه بحر النور فافهم، وكان يقول :المعاني في جواهر أصداف قوالبها فجواهر قوم أصداف قوم آخرين فافهم" وفوق كل ذي علم عليم "" يوسف : 76 ".وكان يقول :إذا ذكرت ذنوبك فلا تقل عليها لا حول، ولا قوة إلا بالله، ولكن قل رب إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم فافهم، وكان يقول: من تجمل بصحبة المعرضين عن ربه فقد نادى على نفسه بأنه ممن أهانه الله" ومن يهن الله فما له من مكرم "" الحج :"١٨ فافهم

"فـأعرض عن من تولى عن ذكرنـا ولم يرد إلا الحيـاة الـدنيا "" النجم :"٢٩ وأقبل بكليتك علينا تغنم، والله أعلم، وكان يقول: كل ما أغفل قلبك عن ربك فهو عدو لربك فمن أعرض عنه، وتبرأ إلى الله منه، وتوجه بقلبه وجســـده لربه فهو الأواه الحليم فافهم فانظر حالك، فإن صـــديق العدو عدو ،ولا تصـــحب غير من يحبه ربك، وهو من يذكرك بربك، وكان يقول: ليس أبوك حقيقة إلا من تولدت صـــورة نفســـك عن كشــفه وبيانه حتى صـارت عقلا بالفعل، وأما أبو جســمك فهو أبوك مجازًا لأنك ما أنت هذا الجسم بك روحه فمتى أغفلك أبو جسمك عن أبي روحك، وجب عليك البراءة من أبي جسمك، ولا يحل لك أن تدعى غير أبيك الحقيقي فإن ذلك كفر بفاعله فافهم قال: الحق فيما وجد في قراءة ابن مســـعود :" النبي أولى بالمؤمنين من أنفســـهم وأزواجه أمها..م" وهو أب لهم بذلك بضـــمير الفصـــل، وتقـديمـه على أب أ..م لا أب لهم على الحقيقـة إلا هو لموضـــع الـدلالـة على الاختصـاص بذلك الضـمير، وتخصـيصـه، وكذاك إن كنت متروحنا قد تجرد جوهر نفســك عن لبس الخلق الجديد قوله ": كل نســب منقطع إلا نســبي "والله أعلم وكـان رضي اللـه عنه يقول: ما دام المريد تحت حكم أســـتاذه فترقيته دائمة فإن خرج عن حكمـه اتكـالا على مـا حصـــل منـه قولا وفعلا فهو كالحجر المرفوع إلى الســماء ما دامت تلك القوة الرافعة مصــاحبة له فهو متعال، ومتى فتر انحط إلى الأرض فكن تحت حكم أســتاذك تغنم. وكان يقول :مهما أضــمرته فني نفســك وكتمتـه عن الخلق في خـاطرك ظهر يوم تتقلـب القلوب، وتبلى السرـائر، فافهم، واعمل أن لا يكون في سريرتك إلا الحق تغنم فافهم، والله أعلم وكان يقول :في

قوله : " وجادلهم بالتي هي أحسـن "" النحل :"١٢٥ التي هي أحسـن عبارة عما يحصـل به التسـليم للحق، والإذعان لحكمه فإن حصـل ذلك بالاستدلال، والبحث فهي التي هي أحسن، وإن لم يحصل إلا بالترغيب فالترغيب إذن التي هي أحسن، وإن لم يحصـــل إلا بالترهيب فالترهيب فإذن هو التي هي أحســـن فافهم، وكان يقول : مرشدك الذي يهديك الله به لما هو الأولى بك عند ربك هو حضرة ربك به تقول :وبه تفعل، ومهما دعتك نفســـك إليك فلا تعجل به قبل معرفة رضـــاه به ومهما دعـاك إليـه فبـادر إليه ولا تتوان فيه حتى ترضي به نفســـك فإن فوزك في امتثال أمره لا في شهوتك، وكان يقول: ذوات الذوات وراء كل معلوم.

قلت: والمراد بذوات الذوات الروح الكلي الذي تفرعت منه ســـائر الأرواح فافهم وكان رضي الله عنه يقول: ألهمتً إلها عام تسع، وتسعين، وسبعمائة ما صورته يا علي إنا اخترناك لنشرـ الأرواح من إلحاد أجسـادها فإذا أمرناك بأمر فاسـتمع" ولا تتبع أهواء الـذين لا يعلمون "إلى قولـه تعـالى :" واللـه ولي المتقين " وكـان يقول :نواطق الأستاذين مطالع شموس حقائقهم، وقوابل علمائهم مرايا وجوه رقائقهم، وكان يقول: في قوله تعالى :" أنلزمكموها وأنتم لها كارهون "" هود :"٢٨ الشـــأن السـيادي لا يحصــل لمن اشـتهاه ولا يكره عليه من أباه فلازم الحب، والتمحيص، ومحبوبك، ولي الوهب، والتخصيص، وكان يقول: الرجال للمنن القدسية، والنساء للزين الحســـية فأيما امرأة تعلقت همتها بالمنن صـــارت رجلا وأيما رجل تعلقت همته بالزين صـــار امرأة، وكان يقول :من صـــدق العلماء، والعارفين فهو الرجل، وإن كان أنثى، ومن كذ..م فهو من النساء وإن كان ذكرًا، وذلك لأن العارفين بالله

تعالى كلمة تامة صـــادقة، والعلماء بالله كتب جامعة فافهم، وكان يقول: لما كان من خلق رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أن لا يواجه أحدًا بما يكره جازاه بأن ذكر أمتـه، ووعظهم بتنبيههم على مـا فيهم من المعـايـب بذكر عيوب غيرهم من الأمم السـابقة التي قص الله عليهم في القرآن ليترجروا، ويعتبروا بغيرهم بحســن عبارة، وكان يقول: العاقل لا يمدح نفســـه بقالة ولا يذمها بحالة إلا لحكمة تنفي النقص عن كمالـه فـافهم، وكـان يقول :لا تـأمن المعتقـد فيـك، ولو أظهر لـك من نفسه غاية السكون، فإ..ا إنما سكنت حيث عقلهم عقلها النظري بعقال ظني شده من لحى عوارض الأحوال، والأعمال، والأقوال، والظنون تتناسخ، والأعراض لا تبقى فكأنك بالعقال، وقد انحل أو تمزق ورجع المعقول إلى توحشـه، وإفساده ،والمحب من النار في قرار البحار ما يريد إلا ما تريد شـغله ذاتك وإن تلونت صفاتك، وكان يقول: المحب كإنسان العين صغير، وجوده كبير شهوده إلا أنه لا يتأثر لعارض، ولا تضـعف شــهوده العوارض فبهذا تميز عن الباصر، وعز عن الناظرة وكان رضي الله عنه يقول: المحبون قليلون، والمعتقدون كثيرون، وما قل، ونفع خير مما كثر وألهى، باللهو ضررًا، وكان يقول :من ظن أنه حصـل على المراد بالاعتقاد فذلك الذي ضـل بالله عن الله في كل واد "عاصــم ومن يضــلل الله فما له من "" غافر :"٣٣ ومن علم أنه ليس إلا بالله إلى الله يصــل فهذا الذي هيهات أن يقف أو يصــل" ومن يهد الله فما له من مضـــل "" الزمر :".٣٧ وكان يقول :إذا عرف الواجد للحق من حيـث هو واحـد للحق فهو وجـه الحق الـذي واجهـك بـه فالزم طاعته، وكن من الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته، ويسبحونه، وله يسجدون، وكان رضي

الله عنه يقول: إذا انصبغت عندك الأشياء كلها بالحكمة التي لم ترها إلا محامد وسبحات بحمد الكريم المنعم مآ. فالنفس الخارج من الحبر قائل سبحان المنعم بالفرج، والراحة، وأطال في ذلك، وكان يقول :ينبغي للملك التغافل عمن أتى ما يغضبه مستترًا عنه، وينبغي عقوبة من أتى ذلك مجاهرة له في حضرته حيث ينخرم النظام بإهماله فافهم. واحذر مظاهرة الحق تخدم فعلم أن مخالفة الحق على المشاهدة توجب العقوبة في الوقت قال تعالى :" فلما آسفونا انتقمنا منهم "وإلى ذلك الإشارة لعن إبليس على سجدة واحدة تركها بعد أمره مآ. في حضرة المعاينة، وكم ترك غيره صلوات كثيرة لكن على حجاب وجهل فأمهل، ولم يعاجل فافهم، وكان يقول : في قوله تعالى :" إني ذاهب إلى ربي "" الصافات :"٩٩ أي إني عدم في وجود ربي لا حول لي، ولا قدرة إنما أمري كله لربي فافهم فما ثم إلا الله في الحقيقة فمتى ملأك به أوجدك كل شيء وكان رضي الله عنه يقول :لا يفاتح الرب عباده إلا بما خبأه عن عقولهم مداركهم فما فاتحه لهم ذكر "فذكر إنما أنت مذكر ". وكان يقول :ما تعين الحق المبين بعينه المخصوص الناطقي الزماني في زمان قط إلا قال :ملائكة المدارك النظرية فيه" أتجعل فيها من "ولا يزالون كذلك إلى أن يتترل برهبوته وبسط يد سلطان جبروته، ومكنه إدخال ممالكهم تحت ملوكته فهناك يقعوا له ساجدين، ويصير عدوه شيطان الوهم البهيم مستمرًا على عدواته لأنه يحاول إخراج كل حاكم دونه عن حكمه، وقد ظهر لشعار ذلك ورقة فقال ": ما جاء أحد بما جاء به محمد إلا عودي." وقال آخر "وكذلك الأنبياء تبتلى وتكون لهم العاقبة فاصبروا واعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره "أي يظهر ويتجلى بأمره

فافهم، وكان يقول: إن خالقك شـخص بأخلاق البهائم فخالقه أنت بأخلاف الأركام فكل يعمل على شاكلته التي هي جزاؤه فافهم، وكان يقول: فضل مرشدك إلى الله على كل ما ترجوه من إمداده كفضل الله على عباده فافهم فإن مرشدك إلى الحق هو عين الحق التي ينظر مـآ. إليـك، ووجهـه الـذي يقبـل به عليك، فاعرف، والزم وانظر مـاذا ترى فافهم، وكان يقول: لا تطلب أن يحصرـ مرشـدك إلى الحق في حدودك فإنك إن لم تعرف أنه محيط بك فإنك تعرف أنه أكبر منك قياماً، وأوسع منك مقاماً، وكيف ينحصر الأكبر الأوسع فيما دونه حسبك أن يغلب حكمه عليك عينا ، وأثرًا بحسب استعدادك فافهم وكان يقول: لا يخلو مخلوق من محبة الحق لعلة، وصـدق المحبة فوق العلل فافهم، فلذلك كان لا يجد صـدق المحبة للحق الأحق، وإذا وجـدهـا لا يفقـدهـا أبـدًا لا تبـديل لكلمات الله فافهم، وكان يقول :ألسـنة المحبة أعجمية على غير أهلها، وهي لأهلها لسـان عربي مبين فافهم، وكان يقول :لا يصح تجردك عن نفس خلقك ما بقي لك شغل شاغل بمحبة مخلوق عن حقـك فـافهم، وكـان يقول: دع الـدنيـا للغـافلين، والبرزخ للجـائزين، والجحيم للشـياطين، والجنة للجان، وقل يا عباد الديان "سـلام قولا من رب رحيم "" يس :"٥٨ وكان يقول :من تنبه لنقصـه لم يقنع بالقال عن الحال، وكان رضي الله عنه يقول :إن التفت يمينا حجبتك الأنوار وإن التفت شـمالا حجبتك شعب النار، وإن لم تلتفت وجدت حبيبك بلا حجاب، وكل حجاب عن الحبيب عذاب "ربنا اكشف عنا العذاب "" الدخان :"١٢ فافهم، وكان يقول: ما دمت بين أضداد فأنت في غلبة فإذا خلصت لما لا ضد له استرحت من هذه الغلبة فافهم، وكان يقول: لا يظفر

بأستاذ إلا مخصوص عند الله لأنه يوصلك إلى الله فسلم له إن وجدته تسلم، وتغنم، وكان يقول: أستاذك بالنسبة إليك هو فضل الله عليك، ورحمته بك فتحققك به خير من جميع ما استفدته "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون "" يونس :"٥٨ فافهم، وكان يقول :القلب بيت الرب عمارته وجد ساكنه وساكنه روحه، ولا يملك الكعبة، ولا يملكها مخلوق، وأ..ا تتردد إليها الملائكة، ويدخلو..ا من حيث لا يشعر البشر مثلا من ذلك أجعلتم سقاية الحاج إلى قوله ": الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله يأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون "" التوبة :"٢٠ فلم يجبهم مال ولا نفس "أعظم درجة عند الله أولئك هم الفائزون "بر..م فافهم، وكان يقول :من رأيته على عظم مرتبته، وعلو قدره عندك يتواضع لعظمة الله، ويتصاغر من خشيته علماً، وحكمة فالزم قدمه فإنه الذي ينفخ الأنوار النورانية في صور صورك وسلام على إسرافيل، وما أدراك ما إسرافيل ": والسلام على من اتبع الهدى "" طه :"٤٧ فافهم، وكان يقول :أثبت تنبت فما نبتت شجرة قط قطعت زما..ا في التنقل من مغرس إلى مغرس فافهم، وكان يقول: لولا تناهت صورة ما لا يتناهى في الإدراك ما أحاط مآ. الفهم فافهم، وكان يقول :إن أردت التحقق بالأحد فتهيأ لفناء مراتبك الخارجية كلها، وإن من دون ذلك أهوالا "وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم "" فصلت :"٣٥ وكان يقول كن في مرتبة تحقيق ما في مرتبة تصديق واحذر ما دو..ما خير من طريق فافهم، وكان يقول: في حديث إن الله يقول :لقوم يوم قيامتهم أنا اليوم رسول نفسي إليكم فهو إلههم بالإلهية،

وهو رسـولهم برسـليته ومن كشـف عن ساق إدراكه حجاب، وهمه البشرى لم ير الأمر إلا كذلك في كل مقام بحسبه فافهم وكان يقول: الصلاة من أذا..ا إلى سلامها صــورة حال المريد من دعائه عن حجبه إلى رجوعه بربه إلى حجبه فافهم، التكبير صورة الإخلاص .

وهو مفتاح حرم المناجي فافهم "ومن شكر فإنما يشكر لنفسه "" النمل :"٤٠ ومن ثم افتتحت الصـلاة بحمد الرب نفسـه على لسـان عبده فإذا أحبه فكان لسـانه سقطت الوسائط فافهم، ولما رجع حجاب المناجي رأى قيومية الرب بعبده فكبرها عن المماثلة بقيومية العبد، فركع تعظيما فكان ركوعه مظهر عظمة القيوم ثم قام فجدد الفاتحة بالحمد وهو كليم وربه سـميع فلم يلبث أن أدركته الغيرة فأفنت بقية حجابية قيامه فسجد مسبحا لأعلوية من تفرد بالقيومية حيث لا يشهد سواه فكان سجوده مظهرًا علوية ربه في أقربيته، وقام فتمكن متحققا بربه، وأخذ يرجع به إلى حجبه فأثبت أنه مسـلوب المغايرة في قيامه وسـلامه فقال التحيات لله، وهي التسليمات التي يبدأ مآ. الداخل في حضراته التي رجع إليها ثم دخل حضرته النفسـانية الجامعة لكل الصـور فقال السـلام عليك، ورحمة الله، وبركاته السـلام علينا، وعلى عباد الله يعني لكل عبد صـالح فمن هو إذن، ومن النبي في شـهوده فانظر ماذا ترى، وكيف اختصر لك في الصلاة مشهد الإسراء فافهم فإن العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه" والله بكل شيء عليم " وكان يقول ما حققت دائرة الخلق إلا لتعرف الحق بتفصيل أسمائه، وصفاته في مظاهر آثاره "كنت كنزاً لا أعرفي فخلقتً خلقا وتعرفت إليهم فبي عرفوني" ومصداق ذلك "وما خلقت

الجن والآنس إلا ليعبـدون" أي ليعرفون فكـل من كـان أعرف بحـال الآثـار كـان أعرف بمظاهر الأسـماء، والصـفات، وكل من كان أعرف بمظاهر المسمى الموصوف كـان أعرف بحقـائق تلـك المظـاهر على قدر معرفته بالحقائق الظاهرة وكان رضي الله عنه يقول: كل نفس كلمة بالنسـبة إلى جسـمها، وكل عقل كلمة بالنسـب إلى ذاتـه وكـل معنى كلمـة بالنســبة إلى عينه ": وكلمة الله هي العليا "فلكل مقام مقـال، ولكل مجال رجال فافهم وكان يقول: من قتل نفســه الردية بالتجرد عنها أبدل مكا..اً نفسا زكية فإن قتل نفسه الزكية بتجريدها عن الدعوى بل عن شهود التنويـه في الأمر لها مع الله تعالى، فإذا تجرد عن ذلك فقد تقرب العبد حينئذ إلى اللـه بنـافلتـه، فأحبه فكان له بروحه مكان آنيته التي تجرد عنها بشــهود وحدة هويتـه، وتلـك الروح خير من تلـك النفس الزكيـة زكاة، وأقرب رحما فافهم وكان رضي الله عنه يقول :مهما تحققه المحقق عندك، فاعلم أن ذلك تجل من تجلياته، وأن الـذي تعين بـه من ذلك في إدراكك تمثل من تمثلاته وذلك المحقق هو أجل أو من أجل حقائق وجودك الذي قام مآ. في شهودك فافهم فإن المريد عين من عيون أسـتاذه بالنسـبة إلى أسـتاذه، والأسـتاذ حقيقة وجود المريد بالنسـبة إلى المريد والوجود في الكـل واحـد محيط، ولـذلك يتحقق المريد بأســتاذه في معاني الكمال وجودًا، ويتحقق الأستاذ بمريده في مدارك المتعرفين شهودًا.

ومن ثم قـال :السـيـد الكامل لمريده الكامل :أنت مني وأنا منك يا علي فافهم . وكان يقول :من كان لا يرى من أسـتاذه إلا وجه البشـرـية فلا يزيده ما كشـف له من الحق المبين إلا إعراضاً، وتكذيباً، ونفورًا، ومن ثم لا تجد محققا يظهر لقوم

إلا من حيث يشـهدونه، وما دام في ظهور المماثلة لهم لا يكلمهم إلا بلسـا..م، ولا يز..م إلا بكيلهم وميزا..م ومن ثم قال :النبي لعموم أصـحابه :" لا تفضـلوني على موسى" ثم بعد مفارقته لبشرـيته قال :لسان خواص أصحابه إنه أفضل من جميع المرسـلين، والملائكة المقربين فقبل ذلك منه ببشـاشة، وتصديق خالص من لو قال :له ذلك وهو في بشرـيته لارتاب، وهكذا كل ولي في حال ظهوره بشرًا لا يقبل منه أكثر كشـفه الصـادق، ويقبل ذلك منه إذا تجرد عن بشرـيته، وألقاه على لسـان صـديقه فيقبل من المحبين في محبو..م ما لا يقبل من المحبوب عن نفسـه عند أهـل حجـاب المماثلـة فـافهم، وكـان يقول: إن قـال :لـك قـائل ما الذات فقل له :الذات، والوجود بديهيان فلا يسئل عنهما بما، ولا يطلبان بالتحديد فإن قال :أريد التنبيـه فقـل لـه :الذات ما به قيام كل حاكم، وحكم، ومحكوم فمهما أدركته من هـذا فهو مما قام بالذات لا الذات فقد نبهتك على عجزك فإن قال: بين لي ما هو البديهي فقل له: الذات بما هو الذات كما قد سـمعت معجوز عنه . وهو بديهي، وليس ذلك إلا من جهة لا من جهات لأنه المقتضى لذاته أن يقضي، وما ثم إلا هو فيقضي بنفسه لنفسه، وعليها قضايا لا تتناهى لوجوب قضائه له بذلك وذلك على الطريقة التي يسـميها علماء البيان تجريدًا بيانيا فأنت إذا تجردت نفسـك من نفسـك طالبا ومطلوباً ، وطلبا وذاكرًا لذلك لا يمكنك تشـابه، وناسـيا له لا يتأتى منك ذكره ألسـت يقوم عندك مآ.. الأحكام صور متقابلة لا يشغلك شيء منها عن شي فـأنـت حقيقتهـا جميعاً ، وليسـت هي زائدة عليك بالحقيقة، وهي أغيارك، ومتغايرك هي في نفسها حكماً ، ومعاملة فهكذا فافهم هذا فالذات من هذه

الحقيقة القضـائية تسـمى الذات الوجود، وتسـمى القضـايا موجودات، ومراتب الوجود ثم الموجود جهـات جهة ما هو الوجود مطلقاً، وعلمه اللفظي العربي من هـذه الحيثيـة هو وجهـه، ومـا هو الوجود ا..رد عن كـل مـا يحكم بزيـادته عليه واسـمـه العلم هنـا هو هو وجهه ما هو الوجود المحيط ً تعينا بكل موجود فهو ذات كل موجود، وكل موجود صـفته، وتعينه، واسـمه العلم الجلالة الغير المشتقة من شيء أصـلا" الله "وأطال في ذلك بما لا تسعه العقول السليمة فضلا عن غيرها، واللـه أعلم، وكـان يقول: في قولـه تعـالى :" فـاعف عنهم واصــفح إن الله يحب المحسـنين "" المائدة :"١٣ وإذا أحبهم فيكو..م في مدارك المدركين فإذا أحببته كنته وقس على هذا فافهم انظر كيف لا يعبدون قالا، إلا من قام لهم بما يشتهون حالا فـافهم مـا منـك إلا إليـك ولا إليـك إلا، ومنك" إن لكم لما تحكمون " وكان يقول :الجود سـعة العطاء، والهبة إثبات العطية، وإتمامها على من أعطيها، والسـماحة سـهولة العطاء، والسـخاء إعطاء المحتاج لتفريج ما به من العطية فافهم، وكان يقول: لمـا كـان الوجود في دائرة الـدلالـة يظهر بموجوده سـمى الموجود مظهرًا، والوجود ظاهرًا به في كل مقام بحسـبه من هذه الدائرة، وكان يقول: لا يظهر لك الوجود حيـث ظهر، وكيف ظهر، ومهما ظهر إلا من حيـث هو وجود، وأنـت لا تـدرك ذلـك، ولاً شـيئـا منه إلا بأنه وجودك المدرك لذلك بإدراكه من حيث إنه وجودك المـدرك مـا ثم شيء خلاف هـذا "ألا إنـه بكـل شيء محيط "فافهم، وكان يقول :لمـا كـان الحق تعـالى لا يغفر أن يشرـك به فكذلك مظاهره لا يغفرون أن يشرك مآ. لأنه حقيقتهم الظاهرة المتمثلة مآ. فهوهم، وهو قواهم، وأمورهم كلها

أموره فإذا رأيت أحدًا منهم يكره ممن يتعين عليه حبه وتعظيمه أن يحب سواه، ويعظمه كحبه، وتعظيمه فاعلم أن ذلك شأن الله الذي لا يغفر أن يشرك به ظهر به مظهره فافهم، واعرف والزم وكان يقول: في قوله صلى الله عليه وسلم ": من اعترفً بذنبا ثم تاب تاب الله عليه "أي لأن إنكار الذنب، والاعتذار عنه بالكذب تزكية للنفس المذنبة وشهادة زور، وتجهيل للمنكر منه المتعذر عنده" وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم "" فصلت :"٢٣ انظر كيف كذبوا على أنفسهم . وهذا شيء نجده من نفوسنا أن المذنب إذا اعترف، وخضع رقيت له، وكرهت عقوبته، وتوبيخه بعد ذلك" قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم "والعكس بالعكس فافهم، وكان يقول: من ادعى لهً ملكا دون سيده في شيء من الأمور فقد خان وافترى، وكان عليه فتنة، ومن اعترف بأن ما في يده لسيده جعله عاملا فيه فلا يستكثر عليه ما يكثر إلا جاهل وإنما الإنكار موضع الفتنة، والاستدراج على من زعم أن ما في يده له. وتأمل قوله :صلى الله عليه وسلم :" أعطيت مفاتيح خزائن الأرض "فكان يعلم أن العبد كلما كثر ما في يده كثر فضله واتسع على غيره، وكثر فضل الله عليه فافهم فإضافة الأموال إلى العبد كإضافة الإقليم إلى العامل عليه والله أعلم، وقال في قوله تعالى ": لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم "أي لأ..م مع اعترافهم بأنه اللهوصفوه بالنبوة لمريم، ولأ..م وصفوه بالله في الزمن القديم الذي ليس هو موصوفهم فيه فإن موصوفه بوصف الحق المبين من حيث وجهه المحمدي، ولا يسمى في كل زمن إلا موصوفه من الوجه الذي ظهر به منه سيما، وهذا الوجه المحيط بجميع

الوجوه العينية الإلهية الفرقانية عيسى، وسواه ولأ..م وصفوه بالله، ولم يقوموا بمقتضى الإيمان بقوله :" ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد "" الصف :"٦ وقوله :" اعبدوا الله ربي وربكم "يعني الظاهر بوجه المحمدي فافهم، وأطال في ذلك، وكان يقول :لما كان الروح الخضري مشوباً رحمانياً رحيما من سريان سر الأحدية في دائرته، ومقامه بحسب مرتبته قال: لذي النسبة الربانية الإلهية في زمنه" إنك لن تستطيع معي صبرًا "الكهف :"٦٧ كقوله :بلسان حقيقته "لنتراني "فإنه منه، لقاليه مأثم إلا هذا فافهم كيف يستطيع الصبر ذو مقام معلوم لا يعرف، ولا يألف سواه، وما ناسبه مع من لا مقام له فهو كل آن في شأن ألا ترى أن الذي لا يعهد له في النفس روعة فإذا ألف ،واعتيد زالت فافهم، وكان يقول :ما دامت الملوك مطيعة للأولياء الذين هم العلماء بالحق، وأمرهم بينهم نافذ قائم فأمرهم فالح ونظامهم صالح، ونورهم واضح، ومتى انعكس الأمر انتكسوا لأن الأولياء هم ورثة الأنبياء على التحقيق، وأما حملة العلم المولدون للمسائل على وفق الأغراض، واتباع الأهواء فليسوا من هذا الأمر في شيء وإنما هم كما وصف الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، فالصواب الانتفاع بمحمولهم من غير تحكيم لهم، ولا رجوع لرأيهم، ولا تمكين لهم من تصرف إذ الحمار للحمل وللانتفاع لا لأنيحكم أو يسمع له، أو يطاع فافهم.

قلت :ولعل مراد الشـيخ قوما ينتصرـون لأهوائهم بالباطل كالواضـعين للحديث ً ترويجـا لبـدعهم وليس المراد مـآ. هؤلاء العلماء الذين نصـــبهم الله تعالى لإقامة الشريعة والله أعلم، وكان يقول :أئمة الهدى في الحقيقة أرواح مقدسون يتحولون في بشرـيا..م فمن نظر إلى ظاهرهم تحير، ومن نظر إلى نور بواطنهم تبصرـ والله أعلم. وكان يقول :ورثة النبي صلى الله عليه وسلم في كل زمان هم أنوار أزمنتهم سراجيتهم المقتبسـة بالتخصيص لهم من سراجية المشار إليه بقول ": وسراجا منيراً "فما داموا ناطقين ظاهرين فالنور ظاهر شائع، والأبصار مدركة، والفرق واضح بين المفاسـد، والمصالح، ومتى سكتوا عن بيان الحق تلفوا، وتحيروا واختلفوا فلا تقابل سراج زمانك بالأهواء، وارع له حقه تدم لك الأضـواء فافهم، وكان يقول: من شرط إمام الهدى أن يهاجر مآ... عما تشـــتهي الأنفس البشرـــية ألا ترى إلى آدم عليه السـلام ما أعطى الخلافة إلا لما هاجر من الجنة، وما فيها من شهوات النفوس إلى الأرض وهكـذا كـل من أريد لحق فإنه لا يقوم به حتى يخرج، ويهاجر مآ... عما يشـغل عنه "فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سـبيل الله "" النساء : 89" فـافهم وكـان يقول :إذا قـال الجمهور عن عارف لم لا يظهر معارفه العزيز الإلهية إلا في مقام خاصـبين قوم خاصـين، ولم لا يظهرها للناس، ويتكلم مآ. على الجمهور إن كانت حقا كما يزعم فقل لهم افهموا هذا المثال الدنيا غابة، والنفوس المحجوبة عن حقائق الحق المبين فيها سـباع، ووحوش كواسر، وصـاحب القلب السـليم أو السميع الشهيد بينهم كإنسان دخل ليلا في تلك الغابة، وهو حسن الكلام،والقراءة والصوت. فلما أحس بما فيها من السباع، والوحوش آوى إلى شجرة يختفي فيها

منهم، ولم يجهر بـالقرآن يتغنى به هناك حذرًا منهم فهل يدل اختفاؤه عنهم على أنه حكيم أو على أنه غير إنسـان لا والله لأنه لو تراءى لهم أو أسـمعهم صـوته، وقراءته لم يهتدوا به، ولم يفهموا عنه، وسـارعوا إلى تمزيقه، وأكله وكان هو الملقى بيـده إلى التهلكـة فـافهم هـذا المثـال، وقـل للمعترض المـذكور قد قال الله تعالى، لمحمد صلى الله عليه وسلم "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت مآ. "فأمره أن لا يجهر بالقرآن بحيث يسـمعه الجهلة المنكرون فيسـبون بجهلهم، ولا يخفيه عمن يؤمن به فهل يدل إخفاء النبي صـلى الله عليه وسلم قراءته عن الجاهلين المنكرين على بطلان قراءته أو يقدح في حقيقته ثم إذا مؤ.. لهذا العارف أسـباب إظهار أمره بما ينقهر لـه المنكرون، ويقرون لـه طوعـا أو كرهـاً، فحينئـذ يظهر عرفـانـه في الملأ اتباعاً، واقتداء بإظهار القرآن عند مؤ.. أسـباب إظهاره بكثرة أنصاره، وتمكينه كما أن الإنسـان لا ينبغي له مقابلة السـباع، والظهور لهم حتى يتهأ له أسـباب القهر لهم من قوة مكـة، وأنصـــار فـإن قـال: المعترض فلم لا يترك هـذا المعارف إظهار معارفه، ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن، ويقوى فيكون أسـلم له فقل له :إن ورثة النبي صـــلى الله عليه وســـلم لا يخالفون أمره لأن نوره إمام نفوســـهم فحيث سـلك سـلكوا، فكما أخفى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ما معه من الحق، وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى أتاه أمر الله تعالى بإظهار ما معه، فكذلك ورثته، وقل للمعترض أيضـا أرأيت لو أنكر ا..انين على رجل عاقل مخالفته لأمرهم أينبغي لـه أن يوافقهم على جنو..م فيتجنن مثلهم، ويـذهـب نور عقلـه حتى يألفوه، وهو يمكنه الفرار منهم بعقله، وقل له ً: أيضا أرأيت الإنسان الكائن بين

الكلاب الضـواري إذا لم يرضـوه بينهم حتى يمشي مثلهم مكبا على وجهه ويعوي كعيهم أينبغي لـه أن يفعـل ذلـك ليقيم بينهم، ويألفوه، وهو يمكنه الفرار عنهم، والحذر منهم مع بقائه على طريقته الإنسانية لا، والله لا ينبغي للقادر على الخير أن ينسـلخ منه ليرضى أهل الشر ويقيم معهم "والله ورسوكم أحق أن يرضوه "" التوبة :"٦٢ إن كانوا مؤمنين إلى آخر النسـق، فنعوذ بالله أن نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، فافهموا أيها المريدون، ولا يسـتخفنكم الذين لا يوقنون، وإياكم أن يلبسوا عليكم دينكم بجدالهم في الحق بعد ما تبين، ومن عرف الحق فيلزم، والله أعلم، وكـان رضي الله عنه يقول: أقل حال المريد مع أسـتاذه في حياته أن يكون لأسـتاذه كالأم لواحدها يؤثره بالراحات، ويحمل عنه المشقات ،ويحبه على جميع أحواله، وهكذا يكون الأسـتاذ لمريده في معنوياته فافهم، فإن إمام هدايتك يهتم بأمرك عند ربك أكثر من اهتمامه بنفسـه فهل يرحمك هكذا أب أو مألوف سواه، وتأمل في قول موسى عليه السـلام عن عصـاه" وأهش مآ. على غنمي "" طه :"١٨ يقل أخبط مآ. حاجتي من الثمر، وإنما فكر أمر رعيته ذكر شـكر في حضرـة النعم، ومـا قـال :" أتوكـأ عليهـا "إلا إظهـارًا للضـعف، والعجز فـافهم "هـدى ورحمـة للمحسـنين "" لقمان :"٣ إنمـا أجمل ماله فيها من المآرب كي لا تحصرـها مرتبة عددية فيكون إمدادها محصورًا، فهكذا إذا لم يعد ذلك أستاذك خدمك، فاعلم أنه أراد أن يجبرك من كسر نقص الحصر إلى كمال الإطلاق "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حسـاب "" الزمر :"١٠ فتأمل ذلك وكان يقول :الحق هو الوجود الثابت على مرتبته، والحقائق لا تنقلب فكلها حق حتى الباطل في أنه باطل هو حق" ذلك بأن

اللـه هو الحق وأن مـا يـدعون من دونه الباطل وأن "" لقمان :"٣٠ الآية فافهم، وكان يقول :المقصـود الخلوص من حكم الحجاب لا من صـورته ألا ترى الزجاجة، وسـائر الأجسـام الشفافة كيف هي صورة حجاب يمنعها وصول الأجسام إلى ما في باطنها وليس لها حكم الحجاب بالنســبة إلى ظهور الضــوء المختزن فيها، ونفوذ البصرـــ إلى مـا في باطنها، وانظر إلى قوله عليه الســلام "فرفع لي كل حجاب "أي خلصـت من منع كل مانع وصورته إلا حجاب العزة التي تلي الرحمن، وهو مظهر حكم العبودية قال: في الحديث" فخرج ملك من الحجاب فقال الله أكبر الله أكبر فقال من وراء الحجاب صـدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر" فانظر كيف حصل في صورة الحجاب، ورفع عنه حكمه حتى عرف المتكلم من وراء الحجاب فبحق قال ": وما صــاحبكم بمجنون "أي مـا هو بمجنون والله أعلم . وكان يقول :في حديث خزائن اللـه في الكلام ليس في الكلام إلا المعـاني التي يأخذ منها كل فهم بوســعه، ويلهم الحق منها كل مدرك ما يناسب استعداده ،وانظر إلى صواحب زليخا كيف قالوا في يوســف" ما هذا بشرًــا إن هذا إلا ملك كريم ،" وأما الأغيار، فلم يروه إلا فتى زليخـا وأمـا زليخـا، فما ظهر لهـا عنـد مشــاهدته إلا الحق فقالت" العزيز الآن حصــحص "" يوســف :"٥١ أي ظهر، وتجلى لهـا عين معنى قول الملائكـة لجده إبراهيم عن جده إسحاق" بشرناك بالحق "بعد ما سموه ً غلاما عليماً ، والولد سر أبيه، وهذا هو المراد بإتمام النعمة عليه، وعلى آل يعقوب ثم إنه عرفه أن الربوبية له من دائرة العليم الحكيم فقال ": إن ربك عليم حكيم" فافهم، وكان يقول :يوم من أيام الأستاذ عند ربه كألف سنة مما يعد المريدون عند ر..م، وكان يقول

:أنوار المريدين رقائق أنوار أستاذهم وأنوار الأستاذين حقائق أنوار مريديهم فكما أنه ليس في مرآة البحر إلا الشـمس فيضيء الليل كله كذلك ليس في المريد الكامل إلا أســتاذه، فيفيده المدد القبولي كله فافهم واعرف والزم تغنم، وكان يقول: أدنى التقوى الاحتجاب بالحســنات عن السـيئات، وأعلاها الاحتجاب بالحق تعالى عن الخلق، وغايتها الوافية الاحتجاب بشـهود الله الأحد عن رؤية سواه فافهم، وكان يقول: في حديث "إن الله خلق الأجسـام في ظلمة ثم رش عليهم من نوره "معنى كون الأجســام في ظلمة أ..ا مراتب إيهام، وإ..ام نشــأ مآ. من حيث جرمها الوهم البهيم، والنور المرشـوش عليها هو الروح، فمثال الأجسـام على الأرواح المرشوشة فيهـا من نور اللـه كنقـاب أســـود مغبر على وجه مبهج أقمر فمن لم ير من ذلك الوجـه إلا نقـابـه لم يبتهج، ولم يجـد سرورًا، وكـذلـك أوليـاء اللـه تعـالى من رأى أجسامهم لم يبتهج مآ. بل لم تزده تلك الرؤية إلا غفلةً واستغراقا في سوء الظنون مـآ.. وقلة الأدب معهم، وما ذاك إلا أنه حجب برؤية الحجاب عن رؤية الأحباب، وأطال في ذلك، وكان يقول: إذا وجدت من كمالاتك في نظامه ووسائلها من حكمه، وأحكامه، فاعلم أنه مولاك، ومربيك بوجوده ،وأستاذك، وإمامك، ووليك بموجوده فمن أي الجهتين شـــهدته فعامله على شـــاكلة شـــهودك، ولكل مقام مقال، وكان يقول، إذا تجلى سر الوجود بمخصـوص في زمان فقام به نادى منادي تخصـيصـه في ملأ الأرواح، والمعـاني ": إن للـه تعـالى قـد بني لكمً بيتـا فحجوه "، فتـأتي وفود المعـاني، والأرواح إلى ذلك الناطقمن كل فج قريب، وعميق ليشـــهدوا منافع لهم بالتكميل بين يديه. ويذكروا اسم الله الذي يلقيه إليهم زيادة إلهية على ما

رزقهم قبل ذلك وأطال في ذلك، وكان يقول : جميع ما تراه من المحقق راجع إليك فمن رآه ً زنـديقـا فذلك الرائي هو الذي ســبق له في الغيب الأزلي أنه زنديق لأن المحقق مرآة الوجود، وإن رأى أنه ً صــديقا فهو الذي ســبق له أنه صــديق، وأما حقيقـة ذلـك المحقق فلا يراهـا إلا، وهو في كمالـه أو من هو محيط بـه فـافهم واعرف الحق لأهلـه، واشـــهـده في مظـاهره ،والزم القيام بحقه على قدر طاقتك تسلم، وتغنم والله تعالى أعلى، وأعلم وكان رضي الله عنه يقول :في قوله تعالى ": ما ودعك ربك وما قلى وللأخرة خير لك من الأولى "" الضحى :٣ و "٤ القلي البغض والتوديع البعد أي عدم قلاه لك خير لك من عدم توديعه لك فما ودعك ربك هي الأولى من هاتين الكلمتين، وما قلي هي الآخرى منهما . وإنما كان كذلك لأن البعد مع المحبة، والرضـــا خير من القرب مع البغض، والغضـــب فافهم فمن جعل آخر أمره في كل حال خيراً له من أوله فهو محمدي له نصيب من كتر" وللآخرة خير لك من الأولى " "الضــحى :"٤ وأطال في ذلك، وكان رضي الله عنه يقول :الذات شيء واحد لا كثرة فيه، ولا تعدد بالحقيقة، وإنما تعدد الذات باعتبار تعينها بالصــفات تعـددًا ً اعتبـاريـا فقط، والتعـدد الاعتبـاري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشـجرة بالنظر لأصـلها فافهم، وكان يقول: في حديث "من أغبرت قدماه في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين عاما "يدخل فيه من مشى مع ولي لوجه الله تعـالى، وابتغـاء مرضـــاتـه فـإن الله تعالى يبعد وجهه عن النار حقا فافهم، وكان يقول: في قوله تعالى :" منكم من يريد الدنيا ومنكم تن يريد الآخرة "" آل عمران :"١٥٢ أي ومنكم من يريدنا لا يريد سوانا .

وفي الآية دليل على أن المؤمن قد يريد الدنيا، ولا يقدح ذلك في أصـــل إيمانه قال :وكـل من كـان طلبه النعيم الجثماني بعد الموت، فهو يريد الدنيا فأهل الله تعالى مجردون عن المقـامين، فلم يريدوا الدنيا، ولا الآخرة لتعلق همتهم بلا أين، وما لا يقبل الشركة، والعين لا ينقسـم إلى اثنين لأن الأحدية الفردية أمر ذاتي له لا قبله، ولا بعـده، ولا معـه عدد، وأطال في ذلك وكان رضي الله عنه يقول: كما أن للعبد من مولاه وجودًا فكـذلـك للمولى من عبده شـــهود" أنت مني وأنا منك "فافهم، واعرف، والزم والله أعلم، وكان يقول: المراد من العبد ذله الذي يظهر به عن ربه، ولـذلك أمر بالتعبد، فافهم فإذا فعلت ما يريده منك ربك فعل لك ربك ما تريده منه فاجعل مرادك منه هو" واعبد ربك حتى يأتيك اليقين "" الحجر :"٩٩ فافهم، وكان يقول :إذا بعت نفسـك لمظهر من مظاهر الحق المبين الهادي، فلا تخف عنه شـــيئا من عيوبك فإن البائع إذا بين، وصـــدق بورك له في بيعه، وإذا كذب، وكتم محقت بركة بيعه، والمشـتري إذا اشترى بعد بيان العيب لم يبق له أن يرد السلعة، وإذا اشـترى من غير بيان كان له الرد، ومن ثم جاء في الخبر الصـحيح" من اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه "فافهم، وكان رضي الله عنه يقول :متى رأيت مظهرًا من مظاهر الحق المبين في وصـف من الأوصـاف، فتوجه إليه بقلبك بوجه صـدق، ومحبة، واجعل نفسك له عبدًا خالصا لله، فإن لسان الحال منه ينادي على أسماء الأفهام في ذلك الوقت" قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم "" المائدة :"١١٩ وحسـب الذي صـار عبد الله أن العبد من مولاه، وكفي من كان محبا لله أن المرء مع من أحب فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله عليه الصلاة والسلام لعلي

رضي اللـه عنـه" أنـت مني وأنـا منـك "أي أنـت مني وجودًا فـإني أنـا المتعين بك لنفسيـ، وأنا منك شـهودًا لأنك الذي توجدني عرفانا للمؤمنين المتعرفين، وبذلك حصـلت بينهما الأخوة في إفادة كل منهما الآخر فقال له : " أنت أخي في الدنيا والآخرة "أي في زمن ختم النبوات، وفي زمن ختم الولايات، وكان يقول :عقل نفس المتعلم إنمـا هو تمثـل عقـل المعلم الفعـال في تلـك النفس عنـد ملاحظـة مفيـد، ومسـتفيد، وكان يقول: لسان حال كل أستاذ ناطق بالحق المبين يقول :لكل مريد صـادق تقرب إلي حتى أحبـك، فـإذا أحببتـك رأيتك أهلالي فظهرت فيك بما أنت مسـتعد له فافهم، وكان يقول: ما وجود المريد الصـادق الذي هو به حق إلا عند أسـتاذه الناطق بالحق المبين، فإن تحقق المريد بأسـتاذه كان حقاً، وإلا فلا يزال خلقا فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: وهو في عام أربع، وثمانمائة لم أجد إلى الآن مريـدًاً صـادقـا يتقرب إلى حقيقـة حقـه عندي بالنوافل حتى أحبه، ولو وجدته لوافيته بحقه فأحببته فكنت هو فكيف بمريدي على المطابقة والتمام. وكان رضي الله عنه يقول :في حديث "أبو بكر مني بمنزلة السـمع وعمر بمنزلة البصر "وبايع عن عثمان رضي الله عنه بيعة الرضوان بيده الكريمة، وقال: اللهم هذه يد عثمان فعثمان منه بمنزلة اليد، وقال :لا يبلغ عني إلا أنا أو علي فعلي لسـانه، واللسـان أخص المراتـب بـالناطق فلذلك قال: علي رضي الله عنه أنا الصـديق الأكبر يعني للحق المحمدي الصـادق عليه لا يقولها بعدي إلا كاذب، ولما كان اللسـان باب مدينة روح الكشـف. والبيان جاء في الخبر :" أنا مدينة العلم وعلي با..ا "وهذا الخبر وإن كان في سنده مقال فإن شاهد الحال يشهد به، وهو الثقة الأمين،

فافهم، وقال: في قوله :" ونحفظ أخانا ونزداد "" يوسـف :"٦٥ إذا وجدت أخا في الحق فـاحفظـه تزدد بـه ممن آخيته من أجله، فافهم، وكان رضي الله عنه يقول :إذا جئـت إلى أئمـة الهـدى، فلا تأ..م إلا لتهدي مآ.. ولا يحصـل ذلك إلا أن ترى نفسـك على غواية، وأنت مضـطر إلى كشف غمتها بنور روح الهداية "أمن يجيب المضـطر إذا دعاه "" النمل :".٦٢ وكان يقول :من قام به روح العليم الحكيم تمام القيام، فهو آدم عباد الله تعالى في زمانه فيجب عليه القيام بمصـالحهم كما يجب للأولاد على أبيهم، ومن ثم لم يسـع الأقطـاب، وأئمـة الهـدى أن يعتزلوا النـاس ، ويقطعوا عنهم مدد رحمتهم ورشد حكمتهم، فحاشا مثلهم أن يضع من يقول ": وعلى المولود لـه رزقهن وكسـو..ن بالمعروف "" البقرة :"٢٣٣ ولولا أوجبت لهم الرحمة ذلك، وإلا فلم صـبروا على ما كذبوا،وأوذوا ولكن كتب ربكم على نفسـه الرحمة فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: لو لم يصر ـ صدر أبي بكر من رق، وهمه عتيق لم يسع ما صبه الصدر المحمدي فيه من التحقيق، وهذا أصل تسميته عتيق فافهم ،وكان يقول: من أراد أن يظهر في هذا الوجود دون سـيده، فجزاؤه الخفاء عكس ما قصدوا من طلب الخفاء ليظهر مجد سيده جوزي بالظهور وتفرد الكلمة فـافهم، وقـال: في قوله تعالى :" قل كل يعمل على شـاكلته "" الإسراء :"٨٤ هي مرتبته الوجودية فلا يمكن ً كائنا أن يخرج عن حكم مرتبته الوجودية، وانظر كيف من شـاكلتـه مرتبـة جهل وحجاب كيف كلما توغل في الفنون العلمية، وتبحر في الكشـوفات النظرية لا يزيده ذلك إلا ً شـكا في الحق، وبعدًا عن الصـواب، ومن شاكلته مرتبة علم، وكشف كلما اعترضته الشكوك، والأوهام انفتح له فيها أعين

يبصرـــ مـآ. الحق، ويرى مآ. الصـــواب إما بإلهام أو بفهم عن تعليم، وانظر من شاكلته شاكلة صنعة كيف يتكبر فلا يزداد بتكبره في النفوس إلا ضعة، وهو مذموم موزور، وآخر مرتبة شـــاكلته عز فلا يزيده التواضـــع إلا عزًا، وهو ممدوح مأجور فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: وجه الحق في لســا..م هو الوجه الذي شــهدته من أســـتـاذك، فهو الوجه الذي تعرف الحق به إليك فافهم وكان يقول: أول من وصـف بالحسـد بغياً، والغرور حقدًا وسـوء الظن بربه، والتحكم على أمر سـيده ومعارضـــة علمه، واختياره مآ.... ووهمه هو إبليس، فمهما وقع ممن بعده شيء من ذلك فهو قرين إبليس فإن لم يعمل بقول: ذلك القرين فهو محفوظ منه، وإلا فهو مصرـــوع معه، وكلما قلت :قرناء الســـوء كثرت القرناء الكريمة، فافهم، وكان يقول: المعاني أرواح الأعيان، فما أرواح الكلم إلا ما تبين فيها من الأحكام، والحكم، وعلى قـدر علو هـذه المعـاني يكون حيـاة كمال هـذه المعـاني فمن منع العـارفين بـإنكـاره العنيف أن يبينوا في الحـديث الكلامي ما يأتون به من معنى لطيف، أو روح شريف فإنه عدو ذلك الكلام يجهله يريد أن يذره ميتاً دارسا. وهو يحسب أنه يحفظه من اللغو والتحريف، فيا أيها العارف إذا رأيت من هذا شـــأنه، فأنزله إلى اللفظ الـذي ليس عنـده من الحق ســـواه وائـت أنـت بمواجيـدك، وما أحوج العـارفين إلى التعرض من إظهـار معارفهم في مظاهر ظواهر النصـــوص التي ليس مبـدأ المنكر من الحق ســـواهـا فإن نفوس غالب الناس كثيفة، ومشـــاهد الحق شريفة، ولا يؤذي الأســـتاذين بالإنكار إلا أصـحاب النفوس الكثيفة، فافهم، وكان يقول :مدد أمر الأستاذ حبة وضعها في أرض قبول تلميذه وسقاها بتفهيمه،

وتأييده فمهما ظهر من التلميذ أو عنه من ذلك فهو من ثمرات تلك الحبة، ونتائج الحبة، وثمرا..ا، وإن كثرت إنما هي ملك لغارس الحبة في أرض يســتحقها، فكل ما للتلميذ من أمر رشــد فإنما هو في الحقيقة حق لأســتاذه، فلا يظن مريد أنه ظفر بشيــء لم يظفر بـه أســتـاذه، ومن ظن ذلـك فهو جاهل، وكان يقول: انظر إلى السحاب كيف يتفرق، وينحط لجهةالتراب، فاجعل نفسك بالعبودية ً ترابا يخدمك من جعل نفســه بالرياســة ً ســحابا فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: التراب محل الراحة "ومن آياته أن خلقكم من تراب "" الروم :"٢٠ وانظر إلى الإشارة في تكنية علي بأبي تراب تجد العلو في التترل من لم يطرح نفسه في التراب لم يسترح فافهم .

وكـان يقول :في قولـه :" فلما تجلى ربـه للجبـل جعله ً دكا "" الأعراف :"١٤٣ لولا وجد التجلي ما اندك فإذا وجدت من خشـع للحق جهرًا، فاعلم أنه قد وجد الحق فلذلك خشع، وإن لم يشعر هو، واحفظ له حرمة ذلك الوجد تسلم، وتغنم، وكان يقول: من شــهـد أن الأمر كله لواحد ما ثم فعل غيره، وإيجاده مطابق معلومه، ومراده لم ير في العالم إلا ً صدقا مطابقاً ، فليس عنده في العالم إلا الصدق لا ضده فافهم، وكان يقول: من شـهد أن الوجود لا يمكن أن يقوم به نقيضـه، ولا واسـطة بينهما لم يشـهد في الوجود إلا حقاً ، وأن يظن شـيئا بعد ظهوره لشيـء أو ظهر له بعـد بطونه عنه ومتى تم لهذا شــهوده، وكمل لم يشــهد إلا واحدًا، وشــاهده مشــهوده فـافهم، وكـان يقول: من حـدد عـدد ومن جرد وحـد، ومن تمكن من التصرـف بـالحكمـة في أحكام الأمرين أطلق، وقيد، وذلك هو الحق المبين، وكان يقول: صور الخيرات ملكية، وصور الشر شيطانية، فأيما صورة شر عرض لها ما به

تكون حسـنة فإ..ا شـيطان أعان الحق عليه فأسـلم، فهو لا يأمر صـاحبه إلا بخير مثال هذا صـورة الكذب شـيطانية فإذا كذب لإصلاح ذات البين أو لإقامة حق من حقوق الرب كحق دم أو نصر.ـة مظلوم أو كف ظالم عن ظلمة، وما أشـــبه هذا، فتلك الصــورة الشـيطانية حينئذ مسـلم لا يأمر إلا بخير، وقس على هذا فافهم، وكـان يقول :إذا ظهر الوجود في موجود بوصـــف أحـب أن يوافق، ومتى خولف فارق، فمن ثم لا تعيب على موجود أمره إلا كره منك ذلك، ولا يقبل منك إلا أن تسلم له" ومن يبتغ غير الإسلامً دينا فلن يقبل منه "فافهم، وكان يقول : الجنان درجات أعلاها الفردوس التي سـقفها عرش الرحمن الرب الأعلى الذي يطعم، ولا يطعم، ومنـه يـأتي لأهـل كـل جنـة ما لا عين منهم، ولا ممن دو..م رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أولئك فالعرش عنده ما لا يعلمه إلا رحمانية الحق ا..رد، والفردوس عنده من الرحمن ما جاءه بواسطة العرش، فلا يطلع عليه إلا العرش، وأهله، والجنة التي سـقفها الفردوس عند أهلها من الرحمن بواسـطة الفردوسيين ما لا علمه، ولا أدركه إلا أهل العرش، وأهل الفردوس، وهكذا إلى آخر الزمـان، فـأدناها أعناها عطاء، وأعلاها أعلاها علاء، وأهل كل جنة يرون ســقفها عرش الرحمن لأ..م لا يرون ر..م الرحمن إلا في مظـاهره وأطـال في ذلـك، وكـان يقول: في قول أبي يزيد رضي الله عنه حججت فرأيت البيت، ولم أر رب البيت ثم حججـت ثـانيـة، فرأيـت البيـت، ورأيـت رب البيت ثم حججت ثالثة فرأيت رب البيـت، ولم أر البيـت انتهى لو أن أبـا يزيـد عرف الحقيقة حق معرفتها لأنزل كل شيء مترلته، ولم يغب عنه أن الكل واحد إذا رأى العدد، ولا غاب عنه العدد إذا

رأى الواحد فافهم، وكان يقول: في قوله تعالى :" ورب المشرق " "الصافات :"٥ أي حله في كل دائرة مشرق لا يعرفه أهل تلك الدائرة إلا من ذلك المشرق، ولا تسجد له إلا من تلك الجهة، فالفقهاء مشارق الربوبية للجحميين، والصوفية مشارق الربوبية للفقهاء، وأهل الذوق الباطن مشارق الربوبية للصوفية، وهكذا إلى أعلى المشارق، وهم نواطق التحقيق، فلا يحاول من عبد سجود الرب إلا إن أتاه من مشرق دائرته، وهو الصورة التي إذا أتاه فيما فوقها قال: له أعوذ بالله منك ما أنت ربي، فإذا تحول له فيها قال: أنت ربي، وخر له ساجدًا لأنه تحول له في الصورة التي يعرف مآ.. وفيها فافهم .وكان يقول :قال :بعضهم في حديث "ما تركت شيئا يقربكم إلى الله إلا وقد بينته لكم "إلى آخره، فعلى هذا كل شيء لا يوجد في الكتاب، ولا في السنة، فليس بخير، ويؤيده "كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد " قلت :هذا صحيح لو قام دليل على أن كل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم، ودل عليه نقل عنه، وبلغنا لكن الصحابة رضي الله عنهم قد اعترفوا بأ..م نسوا كثيراً وأخفوا كثيراً شيئا رأوا المصلحة في إخفائه، مع هذا كيف يعرف أن مالا، وجدنا له ذكرًا فيما بلغنا من السنة ليس مما بينه، ودل عليه الشرع، ولم يبلغنا، وإذا لم نعرف ذلك فكيف نحكم أنه ليس بخير لكن الحق أن ما وجدنا له أصلا، ولو على بعد، ولم نجد صريحا يبطله، فهو خير، وما لا نجد له أصلا ولا مبطلا فهو موقوف موكول أمره إلى الله تعالى، وما وجدنا له مبطلا، فالأصل بطلانه لذلك حتى يأتي ما يصححه، ولعل من قال: بصحة العمل بالإلهام فيما يبطله بعض العمومات أو النصوص يخصص تلك المبطلات بقصة الخضر عليه السلام، وأمثالها،

ولقد أنصـف من قال: في أصـحاب الأحوال إننا نسلم لهم أحوالهم، ولا نقتدي مآ. حيث لم نجد ما يبطلها، ولا ما يصححها. وكان يقول :من توهم في نفسه الكبرياء، والعظمـة فلا فرق بينه، وبين من قال "إني إله من دونه "وكفي بذلك افتراء، وكان يقول: في حديث "أعوذ بك أن أغتال من تحتي "أي أعوذ بك أن يتغلب من مرتبته دون مرتبتي علي بتحكـه حتى يخرجني من نفوذ حكمي بـالـدخول في قيودحدود مرتبتـه فهـذا هو الاغتيـال من تحتي، وهذا هو حقيقة قوله تعالى :" جعلنا عليها ســـافلهـا "" هود :"٨٢ فافهم، وكان يقول :المحقق ا..رد المطلق يخاطب كل أهل مرتبة بلســـا..ا وكل شيء عنده بمقدار، فيخاطب أهل الخبر بخبرهم، وأهل النظر بنظرهم، وأهـل الـذوق بـذوقهم، وكـان يقول: علامـة الذكر بالحق أن يأتيك من الحق بمـا إذا بينتـه لـك تجلى في قلبـكً ثـابتـا كـأنه لم يزل متحققا عندك إلا أنك نسبته بعارض ثم لما بين لك بذلك البيان ذكرته ،فذكر إنما أنت مذكر فافهم، وكان يقول :في قوله :" فإن أتبعتني فلا تســألني عن شيء "" الكهف :"٧٠ الآية أي لأن كمال التـابع أن يتحقق بمتبوعـه وطريق ذلـك المحبـة، والتعظيم، ومن توابعهـا مطابقة إرادة المحب لإرادة محبوبه، فلا يسبقه بقول: ولا فعل، وأيضاً، فإن التابع إذا ســـأل متبوعـه عما لم يحدث له منه ذكرًا، فقد يقتضيــ حكمه المتبوع أن لا يجيب التابع عن ذلك، فإن أجابه حصـل الضرـر بمخالفة الحكمة،وإن لم يجبه، فلا يؤمن من ثوران نفس التـابع فيكـدر عليـه صــفـاء المودة، ويقطع عليـه طريق المطلوب من متبوعـه فـافهم، وكـان يقول: الذكر البيان :وهو إلهي ذكر من الله، ورحماني ذكر من الرحمن، ورباني ذكر من ر..م، ورحمة ذر رحمة ربك، ولم يوصف

في لسـان القرآن بالحدوث من هؤلاء إلا ما دون ذكر الله تعالى، فأيما فيكر وصـف بـالحـدوث فهو من إحـدى تلـك الـدوائر فـافهم، وكـان يقول: ليس لـك من كلام العارف الحق إلا ما فهمت منه، وليس لك منه إلا ما شـهدته فيه ،فاعمل على أن تتحقق بأستاذك، فتقوم حقا لاً خلقا فافهم، وكان يقول: في قوله تعالى :" وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى "" البقرة : 260" الآية الكلام عليها من وجهين أحـدهما ما يقتضـــيه ظاهر اللفظ، والثاني ما يقتضـــيه حقيقته، فأما الأول ففيه أسئلة: الأول ما الحكمة في كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع فضله على الذي مر على القرية، وهي خاوية ســأل أن يريه ربه كيف يحيي الموتى وذلك أرى ذلك بلا واســـطـة ســـؤال، فقيـل لـه ابتداء "وانظر إلى العظام "" البقرة :"٢٥٩ الآية، والجواب أن الذي مر على القرية حصل منه سؤال من غير تعيين مسئول منه فقال :" أنى يحي هـذه الله بعد مو..ا "" البقرة :"٢٥٩ وذلك إما لغفلته أو لجهله إن لم يكن نبيا أو لشـــغله بالتعجب إن كانً نبيا أو غير غافل، ولا جاهل، وأراه الله ما أراهً بياناً كشـفا من حيث يظهر أنه إجابة لسؤاله، وأراه ذلك بعد أن أماته مائة عـام ثم بعثـه، فلم ير ذلـك إلا في حال بعث الموت . وأما إبراهيم عليه الصــلاة والسـلام، فتوجه بسـؤاله إلى الحق قصـد الكمال حضـوره وأعطى مسـئوله إجابة لســؤاله على الفور كما دل عليه قوله" فخذ "فأتى بالفاء المقتضــية للفورً تنويها بـالاعتناء بأمره، وإظهارًا لكرامته، ورأى قبل الموت، والبعث منه ما لا رآه ذلك إلا بعد البعث من الموت فظهر فضـله بذلك على الذي مر على القرية. السـؤال الثاني فيما وقع الاستدراك بقوله :" ولكن ليطمئن قلبي "" البقرة :"٢٦٠ وما المراد

بالاطمئنان للقلب هنا. والجواب أن الاستدراك، وقع من نفي كون السؤال لعدم الإيمان تقرير كونه لاطمئنان القلب فقط، والمراد بالاطمئنان السكون من قلق التشوف لحصول هذا المسئول عنا والتشوف لقضاء الوطر منه لا السكون من قلق تردد وشك فيه السؤال الثالث ما وجه تقريم يوجبه مقابلة سؤاله هذا بأن يقال له" أو لم تؤمن " وقد سبق الإخبار عنه بأنه المصطفى في الدنيا، وأنه في الآخرة لمن الصالحين، والجواب أن أرني تستعمل تارة في طلب مشاهدة كيفية المعلوم المتحقق بالبرهان ليتحقق مع ذلك بالعيان، ويستعملً أيضا هذا في الإفحام، والتعجيز لعدم اعتقاد وجود صاحب ذلك الكيف أو إمكانه كما تقول :لضعيف ادعى حمل صخرة وحده كبيرة أرني كيف تحملها، وأنت تعتقد أنه لا يستطيع حملها، ولا يمكنه، وإبراهيم عليه السلام لم يرد هذا الثاني، ولا بطريق توهمه، وإنما اقتضت حكمة الرب بعباد أنه قال لإبراهيم" أولم تؤمن قال بلى "" البقرة :"٢٦٠ فحفظ عباده المؤمنين بذلك عند سماع هذه الآية من أن يخالطهم الوهم بذلك الظن السوء في حبيب من أحباب الله فيهلكوا ولا يشعرون، ويجوز أن يكون وقوع هذا السؤال قبل الإخبار بآية الاصطفاء والله أعلم. السؤال الرابع ما الحكمة في تعيين الأربعة دون غيرها من العدد وما الحكمة في تعيين جنس الطير دون غيره، والجواب أن عدد الأربعة أجمع للأعداد لأنه مجموع من الفرد البسيط، وهو الواحد، والفرد المركب، وهو الثلاثة، والزوج البسيط، وهو الاثنان، والزوج المركب، وهو الأربعة فكان فيه تذكير بقيام الخلق لر..م مثنى وفرادى .مثنى :اثنان بسيطان واثنان مركبان .وفرادى :فرد بسيط. وفرد مركب، وفيه تذكير

بأصـناف المبعوثين ً أيضا فمنهم كافر، ومنهم مؤمن ظالم لنفسه أو مقتصد مخلط أو ســـابق بـالخيرات، وإنما خص الطير لأن أشـــد الحيوانات نفورًا، وأقدرهم على الفرار ،والتباعد عما ينفرون منه، فإذا دعا هذا الجنس، وأجابه، وأتاه يسـعى كان مـا دونه أولى، وكان ذلك أعظم آية من غيره، والطير أيضـــا أفل رطوبة من باقي الحيوانـات، وميتته أسرع جفافا فيتيقن معه عدم الحياة ا..ســـمانية منه باطنا ً، وظاهرًا. السـؤال الخامس :ما الحكمة بتخصيص الجبال مآ.. الجعل في قوله :" ثم اجعـل على كـل جبـل "" البقرة : 260" هل الظاهر إرادة جميع الجبال أو أربعة أجبل فقط أو غير ذلك وما وجه كل واحد من هذه إن كان هو الظاهر، والجواب المراد جبـال بعدد الأجزاء التي يجزئها إليها إن كانت كثيرة فكثيرة أو قليلة فقليلة بـدليل قوله ": اجعل عل كل جبل منهن جزءًا "" البقرة :"٢٦٠ ولم يأمر بتبينهن، فحمـل الأمر على جميع الجبال متعذر عادة، والظاهر أن المراد أن يجعل على كل جبل جزءًا لا يعينه من كل واحد منهن لأن ذلك هو المناسب للقصة، وما فيها من رؤية ذلك الأمر العجيب. السـؤال السـادس :ما الحكمة في الإتيان بثم في قوله ثم ادعهن، ومـا الحكمـة في تعليق إتيا..م إليه على دعائه إياهن ولم يحيين فيأتين من غير دعـاء لهن منـه ومـا الحكمـة في إتيـا..ن ولم يكتف بطيرا..ن حيث مشـــين أو إتيا..ن غيره، وما الحكمة في إتيا..ن ساعيات لا طائرات، ولا ماشيات على هون إن كان ً سعياً متعلقا مآ.. وإن كان ً متعلقا به هو فما الحكمة في حصول ذلك منهن، وهو يسـعى أو دعائه لهن، وهو يسـعى. والجواب أنه جيء بثم ليحصل بكو..ن على الجبال مهلة، فلا يبقى في عدم الحياة منهن لطول المكث في محل الجفاف

ريب ما، ولو لوحظ في جعلهن على الجبال التي لا حائل لها عن الشمس التي كانت النمروذية ينسبون الآثار إليها، وتركها هناك برهة حتى يعلم أن الشمس لا تأثير لها حيث كن منها بمطلع، ولم يجئن، ولما دعاهن داعي الحق جئنه، وأتينه ً سعيا لكان قولا حسناً، وأما تعليق إتيا..ن إليه على دعائه لهن ففيه إرشاد إلى أن إحياء الموتى يكون بدعائهم" ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون " " الروم :"٢٥ لكن الدعاء من الله تعالى بالكلام النفساني اللائق به تعالى يقوم مقام الكلام اللساني في إيصال المراد إلى المدعو، فجعل الكلام اللساني هنا من إبراهيم عليه السلام مظهرًا للكلام النفساني من الحق تعالى في إحياء الموتى بالدعاء ليتمكن من رؤية الإحياء برؤية نفسه حين الكلام إذ كان مظهر اسمه المحيي، فلولا دعا بالقول لم يكن عنده من مظاهر الإحياء ما يحس فيحس الإحياء بإحساسه لأن في مظهره هذا مع ما في إحيائها بدعائه من البرهان الساطع على بطلان مذهب خصومه في الدين ما لا يخفى، ولو لم يكن ذلك مع قوله المسموع المتيقن بالحس لأمكنهم مكابرته في أن ذلك الإحياء في غير ما ينسبونه إليه، وأما إتيا..ن، ففيه تذكير بما أخبر به محيي الموتى من قوله ": يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده " " الإسراء :"٥٢ أي تحشرون إليه، وأما سعى الطائر في تحدره من الجبل فهو أبلغ في قوته، وتمام حياته، وصحته من غير ذلك. فكان سعيهن هذا دليلا على أ..ن عدن إلى أتم ما كن عليه، وفيه تذكير بكما بدأكم تعودون، وبحشر المبعوثين من الأجداث سراعاً، وأطال في ذلك إلى خمسة وعشرين سؤالا، ً وجوابا والله أعلم، وكان رضي، الله عنه يقول: منا سياسة الداعي إلى الله أن يؤلف الناس عليه أولا

بالإحسان، وطيب الكلام، وتخفيف المأمورات، فإذا رسخوا فله التحكم فيهم كيف شـاء، وعليه يحمل أمر بعض العارفين لمريده أن يعتزل زوجته، وأولاده، وعشيرته إذا خـاف عليـه الفتنـة، والشـــغـل عن الله تعالى، ولهذا وجبت الهجرة من أرض الفتنـة، وكان يقول :في قوله تعالى :" لله الواحد القهار "" إبراهيم :"٤٨ هذه الآية تدل على نفي الجهة عن الله تعالى وجه الدلالة أن قاعدة الترقي تقتضي أن يكون الإطلاع على ما في الأرض للأرض أقرب من الإطلاع على ما في الســموات فلو كانت السماء جهة لله لم تؤخر في الآية إذ لا يحسن أن يقال لا يخفى على الملك شيء في البلاد القاصــية ولا في بيته أو بلده، وإنما يحســـن أن يقال لا يخفى عليه شيء في بلده، ولا في البلاد عن بلده فلو كانت للحق جهة لاقتضـــت هذه الآية جهته لكن نحن متوافقون على أن الحق تعالى متره عن جهة الأرض، والآية تدل على أنه تعالى متره عن جهة السماء، فما فوقها أولا جهة غيرها فلا جهة للحق أصلا فافهم، وكان يقول: من نسب إلى نفسه الإمكانية فقد نسبه إلى محل الزوال والفناء فهو عرضة الزوال، والمحو، ومن نســب الأمر إلى مولاه الحق الواجب، فقد نســبه إلى حضرـة البقاء والدوام فهو في مراتب البقاء باقياً دائما. فانسب لنفسك أيها العبد ما تحبه أن يزول، ويفنى وانســـب لربك الحق ما تحب أن يدوم، ويبقى، وكان يقول: من شــغله الحق به لم يشــغله عنه بشيـء أقامه فيه من الخلق لأنه في ذلك بظاهره، وأما باطنه فعند ربه يقول: الله عز وجل في العبد إذا نام في ســجوده "انظروا إلى عبـدي جســـمـه بين يدي وروحه بين يدي فيباهي به ملائكته حيث لم يشـــتغل بسجوده عن معبوده" فافهم وكان يقول: إذا دعوت ربك، ولم تجب فذلك لعدم

صــدق اضــطرارك عند الدعاء كما وجب، وكان يقول: يجب على أئمة الهدى أن لا يقطعوا مددهم، وغذاء حكمتهم عن العباد، فإ..م عياله، والكريم لا يضيع عياله، وكان يقول: السرـ في المتكلم لا في كلامه فمتى انبسـط المتكلم إلى السـامع انشرح له كلامه، وإن قل ومتى انقبض المتكلم لم تنبســط للســامع معاني كلامه، وإنكثر، والكلام صــفة المتكلم فمن وجد الموصــوف وجد صــفته، وإلا فلا إذ الصــفة متى انفصلت عن موصوفها زالت مرتبتها، وغاب عنها فافهم، وكان يقول: قوة الاعتقاد موجبة لقبول النصــح، وعدم الاعتقاد أو ضــعفه موجب للرد، وكان رضي الله عنه يقول: لا بد لكل إمام حق أن يقابله إمام باطل، فآدم عليه الســـلام قابله إبليس، ونوح عليه الســـلام قابله يام وغيره، وإبراهيم قابله نمروذ، وموسى عليه الســـلام قابله فرعون، وداود عليه الســلام قابله جالوت، وأضرا به وســليمان عليه الســلام قابله صخر، وعيسى عليه السلام قابله في حياته الأولى بختنصر ،وفي الثانية الدجال، وأما محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يكن له مقابل حقيقة لإتيانه صلى الله عليه وســـلم بالإحاطة الخفية كما قال" وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس -هو الأول، والآخر، والظـاهر، والبـاطن " فهو حق قـذف به على الباطل، فإذا هو زاهق حتى قـال :أبو جهـل والله إني لأعلم أن محمدًا صـــادق، فلم يعدوه مقابلا فافهم، وفي هذا القدر كفاية من كلامه رضي الله تعالى عنه.

ومنهم سيدي يوسف العجمي الكوراني رحمه الله

وهو أول من أحيا طريقة الشيخ الجنيد رضي الله عنه بمصر بعد اندراسها، وكان ذا طريقة عجيبة فيالانقطاع، والتسليك، وله التلامذة الكثيرة، وعدة زوايا. توفي في زاويته بالقراف الصغرى في يوم الأحد نصف جمادى الأولى سنة ثمان، وستين، وسبعمائة وصلى عليه خلق لا يحصون، وأخذ العهد، ولبس الخرقة عن الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وعن الشيخ بحر الدين حسن الشمشيري، وتلقن الذكر، وهو لا إله إلا الله عليهما رضي الله تعالى عنهما، وهي سلسلة الشيخ الجنيد رضي الله عنه، ولما ورد عليه ،وارد الحق بالسفر من أرض العجم إلى مصر، فلم يلتفت إليه فورد ثانيا فلم يلتفت إليه فورد ثالثاً، فقال: اللهم إن كان هذا وارد صدق فاقلب لي عين هذا النهر ً لبنا حتى أشرب منه بقصعتي هذه، فانقلب النهر لبنا وشرب منه ثم ذهب إلى مصر وكان سيدي حسن التستري رضي الله عنه أقدم منه هجرة عند الشيخ، وكان يقاربه في الرتبة، وقيل إنه كان أرقي منه درجة فلحقه بأرض مصر فقال له سيدي يوسف يا أخي الطريق لا تكون إلا لواحد، فإما أن تبرز أنت للخلق، وأكون أنا خادمك، وإما أن أبرز أنا وتكون أنت خادمي قياما لناموس الطريق، فقال له سيدي حسن رضي الله عنه: بل أبرز أنت وأكون أنا خادمك فبرز سيدي يوسف رضي الله عنه، وأبرز بمصر الكرامات، والخوارق، وكانت طريقته التجريد، وأن يخرج كل يوم فقيراً من الزاوية يسأل الناس إلى آخر النهار، فمهما أتى به هو يكون قوت الفقراء ذلك النهار كائنا ما كان، وكان يوم الفقراء يأتي أحدهم بالحمار محملا خبزًا، وبصلا وخيارًا، وفجلا، ً ولحما ويوم

سـيدي يوسـف يأتي ببعض كسـيرات يابسـة يأكلها فقيراً واحدًا فسـألوه عن ذلك فقال أنتم بشرـيتكم باقية، وبينكم، وبين الناس ارتباط، فيعطونكم، وأنا بشرـيتي فنيـت حتى لا تكـاد ترى فليس بيني، وبين التجـار والسـوقـة، وأبناء الدنيا كبير مجانسـة، وكان صورة سؤاله أن يقف على الحانوت أو الباب، ويقول الله، ويمدها حتى يغيب، ويكاد يسـقط إلى الأرض، فيقول من لا يعرفه هذا الأعجمي راح في الزقزيـة، وكـان رضي اللـه عنـه يغلق بـاب الزاويـة طول النهـار لا يفتح لأحـد إلا للصـلاة، وكان إذا دق داق الباب يقول: للنقيب اذهب فانظر من شـقوق الباب، فـإن كـان معـه شيء من الفتوح للفقراء، فافتح له، وإلا فهي زيارات، فشـارات، فقال له: إنسان في ذلك فقال :أعز ما عند الفقير وقته، وأعز ما عند أبناء الدنيا ما لهم، فـإن بـذلوا لنـا مـا لهم بـذلنـا لهم وقتنـا. وكان رضي الله عنه إذا خرج من الخلوة يخرج وعينـاه كـأ..مـا قطعة جمر تتوقد فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهبا خالصاً، ولقد وقع بصره يوما على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب إن وقف وقفوا ،وإن مشىـ مشـوا، فأعلموا الشـيخ بذلك، فأرسل خلف الكلب، وقال :أخسأ فرجعت عليه الكلاب تعضه حتى هرب منها، ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين، فوقع بصرـه على كلب، فانقادت إليه جميع الكلاب، وصـار الناس يهرعون إليه في قضاء حوائجهم فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون، ويظهرون الحزن عليه، فلما مات أظهروا البكاء، والعويل، وألهم الله تعالى بعض النـاس، فـدفنوه فكـانـت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان، وهرب بعض مماليك السلطان

عنده خوفا من السلطان، فأرسل يقول :للسلطان اصفح عن هؤلاء، فقال: إن كنت فقيراً فلا تدخل في أمر السلطنة، فطلب السلطان منه مماليكه ليردهم، فلم يفعل، فقال: أنت تتلف مماليك السـلطان فقال :إنما أنا أصـلحهم، فترل إليه السـلطان، فأخرج إليه الشيخ مملوكا منهم، وقال له: قل :لهذه الأسطوانة كوني ذهباً، فقال :لها ذلك، فصـارت ذهبا يراه السـلطان بعينه، فاسـتغفر، وقبل رجل الشيخ، وقال له: الشيخ هذا صلاح أو فساد فعرض على الشيخً أرزاقا يوقفها على الفقراء، فأبي، وقال: لا أعود أصـحابي على معلوم، وأنشـد فيه الشـيخ يحيى الصنافيري حين وقع بينه، وبينه ما وقع في معارضة الشيخ يوسف في دخول مصر :

ألم تعلم بأني صيرفي — أحك الأولياء على محكى

فمنهم بهرج لا خير فيه — ومنهم من أجوزه بسبكي

وأنت الخالص الذهب المصفى — بتزكيتي ومثلي من يزكي

ومنهم الشيخ حسن التستري رحمه الله

تلميذ الشيخ يوسف العجمي وأخوه في الطريق جلس للمشيخه بعده في مصر، وقراها، وقصدته الناس من سائر الأقطار، وكان ذا سمت مآ.. وكمال في العلم، والعمل، وانتهت إليه الرياسة في الطريق، وكان السلطان يترل إلى زيارته فلم يزل الحاسدون من أرباب الدولة، وغيرهم بالسلطان حتى غيروا اعتقاده فيه ،وهم بحبسه أو نفيه فأرسل الوزير إلى زاويته ليسد با..ا، وكان الشيخ خارج مصر، في المطرية هو والفقراء فرجعوا فوجدوا الباب مسدوًا فقال: الشيخ من سد هذا الباب، فقالوا :سده الوزير فلان بأمر السلطان فقال: ونحن نسد أبواب بدنه، وطيقانه فعمى الوزير، وطرش، وخرس، وانسد أنفه عن خروج النفس، وقبله ودبره عن البول والغائط، فمات الوزير في الحال فبلغ ذلك السلطان، فترل إليه، وصالحه، وفتح له الباب وكان عسكر السلطان كله قد انقاد لسيدي حسن رضي الله عنه حتى خرجوا عن طاعة السلطان إلى طاعته رضي الله عنه؛ وجاءه مرة نصراني صائغ، فقال: إن السلطان أرسل لي ً فصا من المعادن الغالية أصنعه له في خاتم خاتون، فطرقته فانكسر نصفين، وأنا خائف من القتل، وطاب خاطري بوزن ثمنه، ولو كان بعشرة آلاف دينار، وما أعرف يا سيدي رد السلطان عني إلا منك، فدخل الشيخ رضي الله عنه الخلوة فحول باطن السلطان إلى أن صار هو يطلب قسم الفص نصفين، وذلك أن سريته المحظية طلبت هذا الفص، فبذل لها جملة فصوص، فلم ترض فسألت أن يكون الفص بينهما نصفين فأرسل السلطان قاصده إلى الصائغ بذلك، فأخبره الجيران بما وقع للصائغ، وقالوا إنه عند الشيخ فذهب

القاصد إلى الشيخ، فأخبر بذلك الصائغ، فأسلم، ودفن في زاوية الشيخ ولما أراد ابن أبي الفرج تربيع جنينته حكم التربيع على جعل زاوية الشـــيخ فيها فقال: للخادم انقل الشـــيخ إلى موضـــع آخر وأنا أبنيه لك فعزم الخادم على ذلك، فجاء إليه في المنـام، وقـال لـه: قـل :لابن أبي الفرج لا تنقلنا ننقلك فأخبره الخادم بذلك، فقال :هذه أضـغاث أحلام فشرع في نقله فلحقه شيء في جنبه فطلعت روحه في الحال .توفي رضي الله عنه ســنة ســبع وتســعين، وســبعمائة، ودفن في زاويته في قنطرة الموسكى على الخليج الحاكمي بمصر المحروسة رضي الله تعالى عنه.

ومنهم سيدي الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي رحمه الله

كان من الظرفاء الأجلاء الأخيار، والعلماء الراسـخين، والأبرار أعطى رضي الله عنه ناطقة سـيدي على أبي الوفاء، وعمل الموشـحات الربانية، وألف الكتب الفائقة اللدنية، وكان مقيما بالقرب من الجامع الأزهر، وكان له خلوة فوق سطحه موضع المنارة التي عملها السلطان الغوري، وكان يغلب عليه سكر الحال، فيترل يتمشى ويتمايل في الجامع الأزهر، فيتكلم الناس فيه بحسـب ما في أوعيتهم حسـناً، وقبحاً ،وله كتاب القانون في علوم الطائفة، وهو كتاب بديع لم يؤلف مثله يشهد لصـاحبه بالذوق الكامل في الطريق، وكان أولاد أبي الوفاء لا يقيمون له وزنا لأنه حاكى دواوينهم، وصـار كلامه ينشد في الموالد ،والاجتماعات والمساجد على رؤوس العلماء والصـالحين، فيتمايلون ً طربا من حلاوته، وما خلا جسـد من حسـد، وكان هو معهم في غـايـة الأدب، والرقـة، والخـدمـة، وأمسـكوه مرة، وهو داخل يزور السـادات فضربوه حتى أدموا رأسـه، وهو يتبسـم، ويقول: أنتم أسـيادي، وأنا عبدكم، ومن كلامه رضي الله عنه إذا أردت أن مؤ.. إخوان السوء، فاهجر قبل أن مؤ.... أخلاقـك السـوء فإن نفسـك أقرب إليك، والأقربون أولى بالمعروف، وكان يقول: كل أبناء الدنيا يقبلون عليها، وهم راحلون عنها في كل نفس لأ..م عمي عن شـهود ما إليه يصـيرون، وكان رضي الله عنه يقول: تفاخر الغنى، والفقر، فقال :الغنى أنا وصف الرب الكريم فمن أنت يا غير فقال له: الفقر لولا وصفي ما تميز وصـفك، ولولا تواضـحي ما رفع قدرك، وأنا وصـفي وسـم بذل العبودية، وأنت وصفك نازع الربوبية، وكان يقول: الفقيه منا ترتضع بلبن حي الصدور دون قديد

ميت السطور وكان يقول: من علامة المرائي إجابته عن نفسه إذا أضيف إليه نقص، وتنقيص الصــالحين من أهل زمانه إذا ذكروا، وكان يقول: الفقراء يراءون بالأحوال والفقهـاء يراءون بالأقوال وكان يقول من طلب الشـــهرة بين الناس فمن لازمه أر يرضيهم بما يسخط الله تعالى، وأن يصحبهم لهواه لا لله، وكان يقول :العارف ينمو حال حال حياته، ولا يشتهر إلا بعد مماته، وكان يقول : العارف كلما علا به المقام صـغر في أعين العوام كالنجم يرى صـغيراً، وإنما العيب من العيون، وكان يقول: لو أن الحلاج رضي الله عنه كمل حقيقة الفناء لتخلص مما وقع فيه من الغلط بقوله :أنا هو، ومن قوله أدنيتني منك حتى ظننت أنك أنا، وكان يقول: ثم من يدخل في مقـام البقـاء قبل الفناء بحكم الإرث للأنبياء ولكنه قليل وقوعه في القوم، ولذلك أنكروه، وكـان يقول: إذا أردت أن تفتح كنزاً، فإياك أن تلهو عن صرف العوائق أو تغفل عن العزيمة قبل حضــور صــاحب الكنز فإذا فتحت الكنز فإياك أن تشــتغل بشيء من الأمتعة عن الملك بل اجعل قصدك الملك لا غير حتى يهبك الخاتم خادم الاستخدام إن شاء ،فإن لم يعطك الملك سر الخاتم، فإنما ذلك لكونه يريد اتخاذكً جليسا له، وذلك أعظم من سر الخاتم فإن جليس الملك لا يحتاج قط إلى استخدام، ولا تعب، وقال: في معنى قولهم إن للربوبية سرًا لو ظهر لعطل نور الشريعة المراد بـه الفناء، وإعطاء سر التكوين، وأن العبد يفعل ما يشـــاء يعني لو أعطى العبد ذلك لتعطلت أفعال الشرــيعة كلها، وبطل القول بالكســب، واختل النظام، وقال رضي الله عنه في معنى قول بعضهم يصل الولي إلى حد يسقط عنه التكليف المراد به سقوط كلفة الأعمال ومشقتها من باب" أرحنا مآ. يا بلال "وقال :في معنى قول

ســـيـدي عمر بن الفـارض رضي اللـه عنه :وكل بلا أيوب بعض بليتي أي لأن بلاء أيوب عليه السلام في الجسد دون الروح، وبلاء العارف فيهما معاً، وقال في معنى قول بعضهم :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول، ودون الولي

يعني أن مقام النبوة يعطي للأخذ عن الله بواســطة، وحي الله، ومقام الرســالة يعطي تبليغ ما أمره الله به للعباد، ومقام الولاية الخاصــة يعطي الأخذ عن الله بـاللـه من الوجـه الخـاص .قـال :وهـذه الحقـائق الثلاثة كلها موجودة فيمن كان رســولا فافهم، ولا تظن أن أحدًا من أهل الله تعالى يعتقد تفضــيل الولاية على النبوة والرســالة، وقال في معنى قول: الشــيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى :

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد، وبالصخر

وقدمً إماما كنت أنت إمامه وصل صلاة الفجر في أول العصر

فهذى صلاة العارفين بربهم فإن كنت منه فانضح البر بالبحر

المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية، وماء الغيب هو خلوص التوحيد فإن لم يخلص لك بالعيان فتطهر بصعيد البرهان، وقدمً إماما كان إمامك في يوم الخطاب ثم صرت أنت إمامه بعد سـدل الحجاب وصـل صـلاة الفجر التي هي صـلاة مإ.. كشف الشهود بعد حجاب ظلمة الوجود في أول العصر الـذي هو أول زمـان انفجـار، فجرك، ولا تتـأخر لآخر دورك لأن الحكم للوقـت، والتأخير له مقت فهذه صلاة العارفين بر..م، وهم الذين لم يخرجوا عن متابعة

الأحكام الشرعية في جميع مشاهدة الربوبية، فإن كنت منهم، فانضح يعني اغسل بماء بحر الحقيقة ما تدنس من بر الشريعة. وقال :في قولهم النبي مشرع للعموم، والولي مشرـع للخصـوص أي النبي مبين للعوام برسـالته ومبين للخواص بولايته لا أن الولي يشرـــع الأحكـام الشرــعيـة، فـإنه ليس له ذلك، وإنما له تبيين الحقائق الكشـفية بطريق الولاء، والوراثة للأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام. كما أن الأولياء رضي الله عنهم تبين ما أجمل في الســنة، والنبي يبين ما أجلم في القرآن، وقال :في إنكار بعض المنكرين على قول: بعض العارفين إن الخضرـ مقام لا إنســان لا إنكار لأن الولي المحبوب يعطي من الكرامات كما كان للخضرـ من المعجزات وذلك عند الوراثة، والوراثة الخضرـية قبل الوراثة الموسـوية ،والوراثة بلا شـك مقام فافهم يا غلام. وقـال :في إنكـار بعضـــهم على من قال :حدثني قلبي عن ربي لا إنكار لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهـام الـذي هو وحي الأوليـاء، وهو دون وحي الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام ولا إنكار على من قال: كلمني الله تعالى كما كلم موسى، ففرق بين أخبر، وكلم يا من أنكر، وتوهم، وكان يقول :إثبات المســألة بـدليلهـا تحقيق، وإثبـا..ا بـدليـل آخر تدقيق، والتعبير عنها بفائق العبارة ترقيق، ومراعاة علم المعاني والبيان في تركيبها تنميق، والســلامة من اعتراض الشرــع فيها توفيق، وكان يقول: أقســـم الحي القدوس ألا يدخل حضرـــته أحد من أصـــحاب النفوس، وكان يقول :احذر أن تخرق سور الشرع يا من لم يخرج عن عادة الطبع، واحذر أن تقول: أنا مطلق من الحدود لأنني دخلت حضرــة الشـــهود فإن الذي دعاك هو الذي مإ.. وكان يقول :أهل الخصوصية مزهود فيهم أيام حيا..م متأسف

عليهم بعد مما..م، وهناك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم، وكان يقول :لأصــحابه عليكم بالتســليم للفقراء فيما ادعوه من المقامات، والأحوال، وكان يقول: من تحقق بمعارف الحضرة الإلهية، وانمحق وصفه بوصـــفها خرج من الاعتماد على عملـه، وعلمـه، وعن كـل شيء من بقـايا كونه، وكينونتـه التي كـان مـآ. مع معيـة وجوده تـدقيقـاً، وتحقيقـا لا بباطل، وهمه في إثبـات، وجوده فافهم وكان يقول :الاعتماد على العمل أول عائق يقع لأصـــحاب الســـلوك في بـدايتهم، وذلـك من غلبة الوهم على وجوههم، وتراكم الخيال على مزايا عقولهم، فلا يخرجون عن ذلك إلا بنور الكشـــف بأنه تعالى خالق لأعمالهم، وكان رضي الله عنه يقول: قد ادعى أقوام محو آثار البشرية، فأخطئوا الطريق فإن الأكابر من الصـحابة، والتابعين وصـلوا إلى محو الصـفات البشـرية، وما تركوا قطً شيئا من الواجبات الدينيةً علما منهم أ..ا اختيار الرب لهم، ودعوته لهم حين أذن مآ. أن يأتوه مآ.. ومن كان بأمر سـيده كان بغير أمر نفســه فافهم معنى الفناء يا من وقع في العنـاء" وما يعقلها إلا العالمون "" العنكبوت :"٤٣ وكان يقول :علامة الخروج عن الشيء تعسره، وعلامة الدخول في الشيء تيسره فمن صدق في خروجه عن الدنيا تعسرت أسبا..ا عليه فلا يتيسر له إلا ما كان على اسم غيره، وكان يقول :لا تطلب الأكوان، فإ..ا ما خلقت بالأصالة إلا لك، وأنت خلقت لربك، فإن طلبت ما خلق لك، وتركت ما أنت مطلوب له انعكس بك الســـير، وإن أقبلت على ربك طلبتك الأكوان بنفســها، وخدمك كل شيء، فافهم وقد قال: الحق لســيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه في منامه ما تريد يا أحمد فقال: أريد ما تريده

قال :تعالى لك المراد ولك مني كل يوم مائة حاجة مقضـــية . وكان يقول :إذا فتح على السـالك فتح التعرف لا يبالي قل :العمل أو كثر، وكان يقول :لما علم أهل الله تعـالى أن كـل نبـات لا ينبـت، ويثمر إلا بجعله تحت الأرض تعلوا الأرجل جعلوا نفوسـهم للكل أرضـا ليعطيهم ما أعطى أصفياءه، وأولياءه. وكان رضي الله تعالى عنه يقول :وقوع بعضهم في بعض المحرمات ليتستر مآ. عن أهل الزمان يقاس على من لم يجد ما يســبغ به اللقمة إلا الخمر قاله الغزالي قال: وإذا ســاغ ذلك لأجل حياة دنيوية، فأولى ما يفوت به حياة أخروية لا يقال ارتكا..م فيه ما يوقع الناس في ســوء الظنون مآ.. وهو حرام لأنا نقول إن من أخلاقهم العفو والصــفح، وعدم المؤاخذة بل هم رحمة بين أظهر العباد.

قلـت :ولو ســـامح العبـد فحق اللـه بـاق من حيـث أنه تعدى حدود الله تعالى، فالإشـكال باق والله أعلم، وكان يقول: قال :علماؤنا لا تصـلح العزلة إلا لمن تفقه في دينه، وقد كان الســلف يشــتغلون أولا بالعلم إلى ســن الأربعين ثم يعتزلون للاســـتعانة بالعزلة على العمل بما علموا فافهم، وكان رضي الله تعالى عنه يقول :دليلنا في القول بالخلوة ما صح أنه صلى الله عليه وسلم يختلي في غار حراء حتى، فجـأة الوحي فـدل على أن الخلوة حكم مرتـب عليـه الوحي وذريعة مء.. الحق، وظهور نور اللـه تعـالى، وكان يقول :من شرط الخلوة الطي، وله تأثير كبير، واختار القوم الأربعين لأن الأربعين فيها يكون نتاج النطفة علقة ثم مضــغة ثم صــورة، وهي مدة الدر في صـدفه وعدد أيام توبة داود عليه الصلاة والسـلام، وكان يقول :الفرق بين الكشف الحسي، والخيالي أنك إذا رأيت صورة شخص أو فعلا من أفعال

الخلق فغمض عينيك فإن بقي لك الكشـف فهو خيالي وإن غاب عنك فهو حسي، فإن الإدراك تعلق به في الموضــع الذي رأيته. وكان رضي الله عنه يقول :إذا ورد وارد الوقت فاقبله، ولا تتعشــقه فإن تعشــقته حجبت به عن الترقي، وكان يقول :إذا ورد عليك، وارد فاحفظه فإنك تحتاج إليه إذا ربيت، فإن أكثر الشيوخ إنما أتى عليهم في التربيـة لتفريطهم في حفظ مـا ذكرنـاه وزهـدهم فيـه، وكان يقول: من المحال أن ينفتح باب الملكوت، والمعارف، وفي القلب شـهوة كما أن من المحال أن ينفتح باب العلم بالله من حيث المشـــاهدة، وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملكي، والملكوتي، وكـان يقول: إذا ورد الوارد بخفـة، ولطافة، وأعقب علما فهو من الملك، وإن ورد بثقل، وتعب في الأعضـــاء، فهو من الشــيطان، فاعلم ذلك تفرق بينهما، وكان يقول :لما خلت المرآة المحســوســة من جميع الألوان انطبعت فيها صــورة الأكوان، وكـذلـك القلـب إذا تفرغ من انطبـاع الطبـاع، والأوهـام أشرق فيـه نور الشـعاع فأحرق هشـيم الشهوات، وتراءت لهم المغيبات، وأبصر ما مضى، وما هو آت، وكان يقول :ما يبدو لك من الإشراق إنما هو نور ذكرك يشرـق في مرآة قلبك ثم ينشد :

مثل لنفسك بيتا أنت ساكنه   من المرائي، وأثبت قطب مركزكا

وقل له: يا أنا هل كنت قط   أنا فلا يجيبك إلا أنت عنك بكا

وكان يقول :التطهر من الجنابة المعنوية مقدم على الحســية فإن الجنابة الحســية ربما رخص لصــاحبها في بعض الأوقات، والمعنوية لا رخصــة فيها البتة، ولهذا ترى كثيراً من الموسوسين ليس عنده نشقة من نسيم الحضرة القدسية لعمى بصيرة

قلبه، فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: أهل الطبيعة هم الدهرية القائلون بأن لا صانع للعالم إلا وجود الطبيعة، وأهل العلة هم الفلاسفة القائلون بقدم العالم، وكلهم في ظلمات بعضها فوق بعض وكان يقول: كل ما دلك على الله فهو نور، وكل ما لم يدلك عليه فهو ظلمة فتأمل، وكان يقول: في معنى قول :بعضهم في كل شيء اسم من أسمائه تعالى أي أن وجود الأشياء كلها مضافة إلى أسمائه تعالى متعلقة مآ. غير خارجة عنها من خير، وشر، ونفع، وضر، وإعطاء، ومنع، وغير ذلك .وكان يقول :يصل العارف إلى مقام، ويكون خطابه لغيره من باب خطاب الصفة لموصوفها، فافهم ما تحته، وكان يقول: ليس في الوجود إلا ما سبق به العلم، وأوجدته القدرة، وخصصته الإرادة، ورتبته الحكمة، فذرات الوجود ما خرجت عن حكم هذا الشهود فكيف يكون الغير حجابا على الحمقى، والغير منفى مآ.. الاعتبار، الله أكبر قد طلع النهار، وأضاءت الأنوار على رغم أنف الكفار :

إذا ما تجلى الحق من غيب ذاته تلاشى وجود الغير حقا بلا شك

وطاح حجاب الكون في كل مشهد فنزه وجود الحق منك عن الشرك

وكان يقول :لما طلب موسى عليه السلام من الحق الرؤية زيادة على ما آتاه من الكلام لم يجبه، وقال : " فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين "" الأعراف :"١٤٤ فدلت الآية على أنه لا ينبغي للعبد أن يطلب الزيادة على ما أعطاه الله تعالى إلا مع التفويض، وكان يقول :الفتح على المريد بالأمور قد يكون امتحاناً، وقد يكون تأنيساً، وقد يكون تثبتاً، وكان يقول؛ ينبغي للمريد أن يجتهد أن لا يخرج له نفس إلا بمحمود ،ولا يدخل عليه نفس إلا بمحمود فإن تم له ذلك فهو المريد

.قلت :هذا شيء لا يجيء بالتفعل إنما هي خلعة يخلعها الله تعالى على من يشـاء والله أعلم، وكـان يقول: إنمـا كان الأين في حقه تعالى محالا لأن الأين محتاج إلى أين فيتسـلسـل، وما يتسـلسـل، فلا يتحصـل، ولا يلزم من إطلاق مجاز اللفظ أن يكون له حقيقة فافهم وإذا فهمت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ، وقد قال :الإمام مـالك رضي الله تعالى عنه :بالمعاني تعبدنا لا بالألفاظ، وكان يقول: كل ما سـوى الله تعـالى لهو ولعب، ولو أعطاك من الشـهود ما أعطاك فلكل مقام مقال، ولما سمعت رابعة العدوية رضي الله تعالى عنهاً شخصا يتلو قوله تعالى ": وفاكهة مما يتخيرون "" ولحم طير مما يشـتهون "" الواقعة :٢٠ و "٢١ قالت نحن إذن صـغار حتى نفرح بالفاكهة والطير، فانظر رحمك الله تعالى كيف لم تفرح بغير الله تعالى وعلمت أن ما سـواه من الموهبة، والعطاء كالخشـخاشـة التي يسـكت مآ. الصغير وكان يقول :نظر الحق تعالى بالبصر جائز وقوعه في الدنيا عقلا لمن شاء الله تعالى صرح بذلك أبو الحسـن الأشـعري رضي الله تعالى عنه، ولا يلزم على ذلك محال فإياك يا أخي أن تقع في ورطة الإنكار فإنه يستحيل على السيد موسى عليه الصلاة والسلام أن يسأل ما كان مستحيلا أو أن يعطل صفة من صفات ربه أو أن يجهلها، وكان يقول: إنما حجب الخفاش عن الأبصـار لضـوء النهار ما غلب عليه من تراكم الأنوار فافهم، وكان يقول: في معنى قول موسى عليه السلام "رب أرني أنظر إليك ""الأعراف :"١٤٣ بلسـان الإشـارة أرني أي بالغيبة عني أنظر قدس ذاتك بتنزيه صـفاتك إذ لا يراك سـواك وامح عني الظلام ولا تحجبني بوهم الخيال، وكان قول :شهود حضرة الحق بحسب الحاضر لا بحسب الحضرة لأن الحقائق الربانية لا

تـدركهـا الإنســـانيـة من جميع وجوهها، فافهم تعلم أن تلون حقائق التجريد في مقامات التوحيد بحســب الرائي لا بحســـب المرئي في جميع أطوار التجليات مما يقال، ومما لا يقال، وكان يقول: احذروا زخارف أهل الرضـا عن النفس خصـوصـا الذين اتخذوا العلم حرفة، وشـبكة لصيد حرام الدنيا مع تكبرهم على الناس فإ..م قد حرموا خيري الدنيا والآخرة ولهم نعوت مصوتة، وأحوال مزريه لم تبق لهم بين الناس حرمة، ولا قبول شـفاعة. اتخذوا حسن الزي شعارًا، وتكبروا بذلك استكبارًا، وقد قال :الشيخ تاج الدين رحمه الله تعالى في الحكم لأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فافهم، ومما جربناه فصح أنه من أراد قضـــاء حوائجه ،ودفع مصـــائبه، فليرفع الأمر إلى الله تعالى قبل أن يعلم مآ. الناس هكذا عادة الله تعالى مع من يتعلق به أول مرة، فاعمل على ذلك فإنه الكبريت الأحمر، والفرج القريب، والمعين على ذلك الصــبر وكان يقول :بلغنا أن يونس عليه السلام اجتمعت روحه بروح قارون لما التقمه الحوت فرأى قارون نازلا، فقال: ليونس عليه الســـلام تعلق بربك يا يونس في أول أمرك ينجيك، فقال :لـه يونس، وأنـت قـال تعلقـت بـابن الخـالـة موسى، فوكلني إليه ولهذا كما قيل عاتب الله موسى عليه الســلام، وقال، وعزتي، وجلالي لو اســتغاث بي لأغثته، وكان يقول: أحســن الظن بربك من حيث محبة جماله، وجلاله، فإن ذلك . وصف له لا يتحول، ولا تحســن الظن بربك لأجل إحســانه إليك فربما قطع ذلك عنك فتسيـء الظن به، فليحذر الســـالك من علة هذا المقام وكان يقول غاية رحلة الســـائرين بالأشباح السير إلى الله وبداية رحلة السائرين بالأرواح في الله أي في التتره في

عجائب قدرته فافهم، فالأولون ينتهي سيرهم، والآخرون لا ينتهي لهم سير، وقد قيل مرة للشيخ أبي الفتح الواسطي رضي الله عنه ما تقول: في جماعة من أئمة الزهاد، ومن صدور هذه الأمة فلان، وفلان وفلان، فقال أولئك قوم خرجوا عن شهوا..م الدنيوية لأجل شهوا..م الأخروية، فأين الفناء في الله والبقاء به. ولما سمع الشبلي رضي الله عنه قوله :" منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة "صاح صيحة عظيمة، وقال فأين الذين يريدون الله تعالى. وكان يقول :في قوله تعالى :" كلوا واشربوا "" البقرة :"٦٠ وإن كان ظاهرهً إنعاما فباطنه انتقام، وابتلاء، واختبار لينظر تعالى من هو معه، ومن هو مع حظ نفسه فافهم دقائق أحكام الباطن، ولا تغتر برخص الظاهر تكن من أهل الفهم عنه، وكان رضي الله عنه يقول: إذا لم تجد أيها المريد صاحب الحال فعليك بصاحب القال ": فإن لم يصبها وابل فطل "" البقرة :"٢٦٥ وإياك، وصحبة من لا قال له ولا حال، وكان يقول: يجب على الفقير إذا آخى في الله تعالى أن يشاطر أخاه في ماله كما فعلت الأنصار مع المهاجرين حين قدموا عليهم المدينة، وهم فقراء فكل من ادعى الأخوة في الله فامتحنه مآ.. الميزان، وكان يقول :أخوك حقيقة من وافقك في الذوق، ومدد الإفهام لا من شاركك في معنى صورة النطفة في الأرحام، وكان يقول :ما رقي أحد إلى مركز عال إلا قلت أشكاله المعنوية، وجلت نفائس دقائقه على غالب الإفهام، وهذا موجب قلة الأتباع، والأصحاب لكمل العارفين، وكان يقول :الأدب أن يقول :العبد فلان من أصحابي إلا إن كان دونه بدرجات، فإن كان مساويه أو فوقه فليقل أنا خادمه أو مريده هكذا درج السلف، وكان يقول

:ينبغي لمن خدم كبيراً كاملا ثم فقده أن لا يخدم من دونه إلا إذا كان أكمل منه، وإلا جعل صحبته مع الله تعالى، وكان يقول: ما ثقل على الأشياخ خدمة أحد من الفقراء لهم إلا لعلة في قلب الخادم كتمها عنهم، وهذه علة لا يسلم منها إلا من أتى الله بقلب سليم، ولو أن الخادم كان أظهر لهم تلك العلة لربما وصفوا له دواءها أو شفعوا له فمحاها الله تعالى عنه من اللوح أو سألوا النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة فيه فيشفع إلا إذا كان قضاء مبرما لا مرد له، وقد رأى السيد عبد القادر الجيلي لمريده أنه لا بد له أن يزني بامرأة سبعين مرة، فقال :يا رب اجعلها في النوم، فكان كذلك. وكان رضي الله عنه يقول :مما اخترته من أدب المصاحبة، وا..السة أنك إذا جالست أهل الدنيا، فحاضرهم برفع الهمة عما بأيديهم مع تعظيم الآخرة، وإذا جالست أهل الآخرة، فحاضرهم بوعظ الكتاب، وآداب السنة، وتعظيم دار البقاء، وإذا جالست الملوك، فحاضرهم بسيرة أهل العدل، وسياسة العقلاء مع حفظ الأدب معهم، والعفاف عما بأيديهم، وإذا جالست العلماء، فحاضرهم بالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة في المذاهب المعلومة بالحق دون الهوى مع الإنصاف لهم، في القول :والفهم المبتكر إذا وافق الصواب مع عدم الجدال، والمراء المظهر لحب العلوم عليهم، وإذا جالست الصوفية لحاضرهم بما يشهد لأحوالهم الحقانية، ويقيم لهم الحجة على المنكر عليهم مع آداب الباطن قبل الظاهر وإذا جالست العارفين فحاضرهم بما شئت، فإن لكل شيء عندهمً وجها من وجوه المعرفة لكن بشرطين الكلام، وحفظ الحرمة، والأدب فإن حضر..م صياغة، فالمعنى الذي تدخل عليهم به يخرج منهم

يكسوك مشهدك فيهم، ويلبسك ما توجهت به إليهم إن خيراً، فخير، وإن شرًا فشر، وكان يقول: عليك بتكثير ســـواد القوم فإن من كثر ســـواد قوم فهو منهم . وكان يقول :سمعت شيخنا أبا عثمان المغربي رضي الله عنه يقول إذا زار إنسان قبر الولي فإن ذلك الولي يعرفه وإذا سـلم عليه رد عليه السـلام وإذا ذكر الله على قبره ذكر معـه لا ســـيما إن ذكر لا إله إلا الله، فإنه يقوم، ويجلس متربعاً، ويذكر معه ثم قال الشـيخ أبو المواهب رضي الله عنه، وحاشـا قلوب العارفين أن تخبر بغير فهم، ومعلوم أن الأوليـاء إنما ينقلون من دار إلى دار، فحرمتهم ً أمواتا كحرمتهم أحياء، والأدب معهم بعـد مو..م كـالأدب معهم حـال حيا..م فلا يعرض عنه بقدميه، ولا يمشيـــ على قبره برجليـه، ولا تعـاشر الأوليـاء إلا بالأدب في حال الحياة، وفي حال الموت قـال :وإذا مـات الولي صـــلى عليـه جميع أرواح الأنبياء، والأولياء ثم قال :وعلى هذا الذي ذكره شـيخنا قول صـاحب الحقائق، والدقائق حاشـا الصـوفي أن يموت، وكان يقول: من الأولياء من ينفع مريده الصــادق بعد موته أكثر ما ينفعه حال حياته، ومن العباد من تولى الله تربيته بنفسه بغير واسطة، ومنهم من تولاه بواسـطة بعض أوليائه ولو ً ميتا في قبره، فيربي مريده وهو في قبره، ويسمع مريده صـوته من القبر ولله عباد يتولى تربيتهم النبي صـلى الله عليه وسـلم بنفسـه من غير واسـطة بكثرة صـلا..م عليه صـلى الله عليه وسـلم . وكان رضي الله عنه يقول :سـمعت شـيخنا أبا عثمان رضي الله عنه يقول :بالدرس على رءوس الأشـهاد لعن اللـه من أنكر علي هـذا الطريق، ومن كـان يؤمن بـالله، واليوم الآخر فليقل لعنة الله عليه، وكان يقول: من اعترض على هذا الطريق لا يفلح أبدًا، وسمعت شيخنا

أبا عثمان يقول :إنما جاءت "ألم نشرـح " " الانشرـاح :"١ عقب "وأما بنعمة ربك فحدث "" الضـــحى :"١١ إشـــارة إلى أن من حدث بالنعمة، فقد شرح الله تعالى صـدره كأنه تعالى يقول: إذا حدثت بنعمتي، ونشرـ..ا، فقد شرحت صدرك ثم قال رضي الله عنه اعقلوا على هذا الكلام، فإنه لا يســـمع إلا من الربانيين، وكان رضي الله عنه كثير الرؤيا لرسـول الله صـلى الله عليه وسلم، وكان يقول: قلت :لرسول الله صـلى الله عليه وسـلم إن الناس يكذبونني في صـحة رؤيتي لك، فقال: رسول الله صــلى الله عليه وسـلم، وعزة الله، وعظمته من لم يؤمن مآ. أو كذبك فيها لا يموت إلا يهوديا أو نصرـانيا أو مجوسـيا هذا منقول من خط الشـيخ أبي المواهب رضي الله تعالى عنه، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: رأيت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم على سـطح الجامع الأزهر عام خمسـة وعشرـين وثمانمائة فوضع يده على قلبي، وقال: يا ولدي الغيبة حرام ألم تســـمع قول الله تعالى : " ولا يغتب بعضـــكم بعضـــا "" الحجرات :"١٢ وكـان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض الناس ثم قال صــلى الله عليه وســلم، فإن كان، ولا بد من ســماعك غيبة الناس، فـاقرأ ســـورة الإخلاص، والمعوذتين، وأهـد ثوا..ا للمغتـاب، فـإن الغيبـة والثواب يتوارثان، ويتوافقان إن شـــاء الله تعالى، وكان رضي الله عنه يقول : رأيت رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم فقال :لي هات يدك أبايعك، فقلت :يا رســـول الله لا قدرة لي أخاف أن يقع مني معصـــية بعد المبايعة، فقال: هات يدك فبايعني، ولا تضرـك الفلتة، والزلة إن وقعت، وتبت منها وكأنه يشـير صـلى الله عليه وسلم إلى أن العبد قد يصلح الله تعالى حاله ليسد عنه مآ. ثلمة تقع في دينه يعجب أو كبر،

ونحوهما هـذا منقول من خطـه رضي اللـه تعـالى عنـه، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: جاءني جماعة يأخذون عني الطريق فرأيت النبي صــلى الله عليه وســلم، فقال لي :الجماعة غير مؤمنين بك إلا واحدًا بعض الإيمان، فهو يراك بالعين العوراء، وســيختم الله له بخاتمة الخير، والموت على الإســلام. وكان رضي الله عنه يقول :ألبسـني رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم خرقة التصـوف، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في المنام، فقال لي :قل :عند النوم أعوذ بالله من الشـيطان الرجيم خمسـا بسـم الله الرحمن الرحيم خمسـا ثم قل :اللهم بحق محمـد أرني وجـه محمـد حـالا، ومـآلا فـإذا قلتها عند النوم، فإني آتي إليك، ولا أتخلف عنك أصلا ثم قال: وما أحسنها من رقية، ومن معنى لمن آمن به هذا منقول من لفظه رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يقول :رأيت رســول الله صـلى الله عليه وسـلم، فقلت: يا رسـول الله لا تدعني، فقال :لا ندعك حتى ترد علي الكوثر، وتشربـب منه لأنك تقرأ سـورة الكوثر، وتصـلي علي أما ثواب الصـلاة، فقد وهبته لك، وأما ثواب الكوثر فأبقه لك ثم قال: ولا تدع أن تقول أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، وأسـأله التوبة، والمغفرة إنه هو التواب الرحيم مهما رأيت عملك، أو وقع خلل في كلامك هذا منقول من لفظه رضي الله عنه. وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لي :أنت تشــفع لمائة ألف قلت :له بم اســتوجبت ذلك يا رســول الله قال :بإعطائك لي ثواب الصلاة علي، وكان رضي الله عنه يقول :استعجلت مرة في صلاتي عليه صلى الله عليه وسلم، وسلم لأكمل وردي، وكان ألفاً، فقال لي: صلى الله

عليه وسلم أما علمت أن العجلة من الشيطان ثم قال :قل :اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سـيدنا محمد بتمهل وترتيل إلا إذا ضـاق الوقت، فما عليك إذا عجلت ثم قال: وهذا الذي ذكرته لك على جهة الأفضـل وإلا فكيفما صليت، فهي صـلاة، والأحسـن أن تبتدئ بالصـلاة التامة أول صلاتك، ولو مرة واحدة وكذلك في آخرها تختم مآ. قال لي :صـلى الله عليه وسلم، والصلاة التامة هي اللهم صل على سـيدنا محمد وعلى آل سـيدنا محمد كما صـليت على سـيدنا إبراهيم ،وعلى آل سـيدنا إبراهيم، وبارك على سـيدنا محمد وعلى آل سـيدنا محمد كما باركت على سـيدنا إبراهيم ،وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد السلام عليك أيهـا النبي ورحمـة اللـه، وبركـاته هذا منقول من لفظه رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، فقال لي :إن شـيخك أبا سـعيد الصفوري يصلي علي الصلاة التامة، ويكثر منها، وقل له إذا ختم الصلاة أن يحمد الله عز وجل، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال :إذا كان لك حاجة، وأردت قضـاءها، فانذر لنفيسـة الطاهرة، ولو فلسـا فإن حاجتك تقضيـ وكان رضي الله عنه يقول: خذوا من مال السـلطان دون حواشيه، فإن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، أمرني أن أطلع إلى السلطان جقمق، وأسأله من الدنيا شـــيئاً ، فطلعت له فأعطاني مائة دينار، واعتذر إلي بأن ما عنده غيرها، وكان رضي الله عنه كثير البكاء، والحزن قريب الخشـــية قل من ســـمعه يبكي إلا، ويبكي معه، وكان يقول: رأيت امرأة بمصرـ تدور على الأبواب، وهي تغني في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها، فقال

:هي وليـة كبيرة، ولكنها تتســتر بذكر محبو..ا ألا تراها لا تذكر في كلامها إلا جدًا، وكان يقول: وقع بيني، وبين شــخص من الجامع الأزهر مجادلة في قول :صــاحب البردة رحمه الله تعالى :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وقال لي ليس له دليل على ذلك فقلت له :قد انعقد الإجماع على ذلك فلم يرجع، فرأيت النبي صـلى الله عليه وسلم، ومعه أبو بكر، وعمر جالسا عند منبر الجامع الأزهر، وقال لي: مرحبا بحبيبنا ثم قال: لأصحابه أتدرون ما حدث اليوم؟ قالوا :لا يـا رســول اللـه، فقـال :إنً فلانا التعيس يعتقد أن الملائكة أفضــل مني، فقالوا بأجمعهم لا يا رسول الله ما على وجه الأرض أفضل منك، فقال لهم: فما بال فلان التعيس الذي لا يعيش، وإن عاش عاش ذليلا خمولاً مضـيقا عليه خامل الذكر في الدنيا، والآخرة يعتقد أن الإجماع لم يقع على تفضيلي، أما علم أن مخالفة المعتزلة لأهل السـنة لا تقدح في الإجماع. قال رضي الله عنه ورأيته صـلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقلت :يا رسـول الله قول الأبوصـيري فمبلغ العلم فيه أنه بشرـ معناه منتهى العلم فيك عند من لا علم عنده بحقيقتك أنك بشرـ وإلا فأنت وراء ذلك كله بالروح القدسي والقالب النبوي قال صلى الله عليه وسلم: لا صدقت، وفهمت مرادك ". وكان رضي الله عنه يقول :رأيت رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فقال لي :ما أحســن مجلســك قد غفر الله لكل من حضرـه بذكركم لله تعالى عقب فراغ القارئ، وكان يقول :رأيت مرة كأنً حنشـا دخل بين ثيابي، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته عن ذلك، فقال: الحنش هو صاحبك فلان قد بدا له فيك

ورجع يؤذيك ولولا خوفه منك لعمل جهده في إيذائك، فكان الأمر كما قال صـــلى الله عليه وســـلم، كان رضي الله عنه يقول: كناني ســـيدي يحيى بن أبي الوفاء بأبي عابد، فرأيت ســـيدي عليا رضي الله عنه، وقال لي: هذه الكنية لا تصـــلح لك إنما تصـلح لأرباب الأثقال، وإنما كنيتك أبو حامد قال :ثم رأيت النبي صـلى الله عليه وسلم، فقال: كنيتك عندنا أبو حامد، وكذلك في السماء، وقد دخلت، في دائرة بني الوفاء ومقامك كبير، وأنت ولي، وكان رضي الله عنه يقول :كنت أطلب من شيخي أبي سعيد الصفروي رضي الله عنه أن أقبل قدميه، فكان يوعدني بذلك، ويقول لي :حتى يجيء الوقت، فلما مات ســنة إحدى وخمســين، وثمانمائة رأيت رســول الله صـلى الله عليه وســلم، فقال لي: اطلب من شـيخك وعدته، فأخذت قدميه رضي الله عنه بعد وفاته، وقبلتهما، وقلت له :يا سيدي هذا إنجاز وعدك، وحرمتك ميتا كحرمتك حياً، وكان يقول: قلت :لسـيدي، وشـيخي أبي سعيد الصفروي رضي الله عنه هل أترك أصـحابي وأعتزل عنهم خصـوصـا الذين يؤذونني، فقال: لا تتركهم، وخالطهم بحســن الظاهر، وجاملهم وابق على ما أنت عليه ثم رأيت النبي صــلى الله عليه وسـلم، فسـألته عن قول شـيخي، فقال :هو صـحيح، وامش على طريق شـيخك، وكان رضي الله عنه يقول: انقطعت عن رؤية رسـول الله صلى الله عليه وسـلم مدة، فحصل لي غم بذلك، فتوجهت بقلبي إلى شيخي يشفع في عند رسول الله صـلى الله عليه وسـلم، فحضر عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال :ها أنا فنظرت فلم أره ففلت ما رأيته، فقال :عليه الصـلاة والسـلام سـبحان الله غلبت عليه الظلمة، وكنت قد اشتغلت بقراءة جماعة في الفقه، ووقع بيني

وبينهم جـدال في إدحـاض حجج بعض العلماء، فتركـت الاشـــتغال بالفقه، فرأيته فقلت :يا رسول الله الفقه من شريعتك ضال: بلى ولكن يحتاج إلى أدب بين الأئمة، وكان رضي الله عنه يقول :تفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في فمي فقلت: يا رســـول الله ما فائدة هذا التفل فقال :لا تتفل بعدها على مريض إلا ويبرأ، وكان رضي الله عنه يقول: امتنعت عني الرؤيا لرســول الله صــلى الله عليه وســلم ثم رأيته، فقلت :يا رســول الله ما ذنبي، فقال: إنك لســت بأهل لرؤيتنا لأنك تطلع الناس على أسرارنا، وقد كنت قد أخبرت شـخصا من إخواني بشيء من الرؤيا فتبت إلى الله تعالى فرأيته بعد ذلك، وكان رضي الله عنه يقول: قال لي رسـول الله صلى الله عليه وسلم أنا لا أجتمع بمن يجلس مجالس الغيبة مع الناس، ولا يقوم منها . وكان يقول :رأيت رســول الله صــلى الله عليه وســلم، فقال لي :يا محمد ما هذه الغفلـة، ومـا هـذه الرقـدة، ومـا هذا الإعراض مالك تركت تلاوة القرآن، وما هذه الوريدات في جانب تلاوة القرآن لا تفعل ذلك أصـلا بل اتل كل يوم، ولو حزبين لا أقل من ذلك كل يوم قال: بعض أصحاب الشيخ، فما ترك الشيخ تلاوة القرآن من ذلـك اليوم وكـان يردد بعض الآيات مرارًا كثيرة يبكي، وتنحدر دموعه على خديه ، ولحيتـه، ويتـأوه حتى لا يقدر أحد أن يتكلم بحضرـتـه لما يرى من وجده، وكثرة بكائه، وكان رضي الله عنه كثيراً ما يسـجد بعد السـلام من النافلة سـجود الشـكر بعد ما يدعو، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت :يا رســول الله قد وهبت لك ثواب صــلاتي عليك، وثواب كذا، وكذا من أعمالي إن كان ذلك ما أردته بقولك للسائل الذي قال لك :" أفأجعل لك ثواب صلاتي كلها

فقلت له إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك." فقال لي :رسـول الله صـلى الله عليه وســـلم نعم ذلك أردت، ولكن أبق لنفســـك ثواب الكذا والكذا، فإني غني عنه.
وكان رضي الله عنه يقول :رأيت رســول الله صــلى الله عليه وســلم، فقبل فمي، وقـال :أقبـل هذا الفم الذي يصـــلي على ألفا بالنهار، وألفا بالليل ثم قال لي، وما أحسن" إنا أعطيناك الكوثر "" الكوثر :ا "لو كانت وردك بالليل ثم قال لي: ويكون دعاؤك اللهم فرج كرباتنا اللهم أقل عثراتنا اللهم اغفر زلاتنا، وتصـلي علي وتقول، وســلام على المرســلين، والحمد لله رب العالمين، وكان يقول :لا يأتي النصرـ قط إلا بعد حصـول الذل قال تعالى ": ولقد نصركـم الله ببدر وأنتم أذلة "وكان رضي الله عنه يقول :رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله صلاة الله تعالى عشرًا على من صلى عليك مرة واحدة هل ذلك لمن كان حاضر القلب؟ قال لا بل هو لكل مصـــل علي غافلاً، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له، وتستغفر له، وأما إذا كان حاضر القلب فيها، فلا يعلم ذلك إلا الله، وكان رضي الله عنه يقول: قلت :مرة في مجلس محمد بشرـــ لا كالبشرـــ بل هو ياقوت بين الحجر فرأيت النبي صـــلى الله عليه وســـلم، فقال لي: قد غفر الله لك، ولكل من قـالهـا معـك، وكـان رضي اللـه عنه لم يزل يقولها في كل مجلس إلى أن مات، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لي :كن أصحابك فلانا كذا، وفلانا كذا وكن فلانا أبا الظهور لأنه يتبع ظهور النساء ببصره، ولا عليك منه، كان رضي الله عنه يقول: رأيت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، فقلت له :يا رسول الله إني متطفل في علم التصوت، فقال: صلى الله عليه وسلم اقرأ كلام

القوم، فـإن المتطفـل على هـذا العلم هو الولي، وأمـا العالم به فهو النجم الذي لا يدرك هذا منقول من لفظه رضي الله عنه يقول :رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسـلم، فقال لي: عن نفسه لست بميت، وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن اللـه، وأمـا من يفقـه عن اللـه فها أنا أراه، ويراني، وكان رضي الله عنه: رأيت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، فسـألته عنالحديث المشهور" اذكروا الله حتى يقولوا مجنون "وفي صـــحيح ابن حبـان "أكثروا من ذكر اللـه حتى يقولوامجنون "فقال :صلى الله عليه وسلم صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي اذكروا الله، فـإني قلتهما معا مرة، قلت: هذا ومرة قلت هذا، وكان رضي الله عنه يقول :رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: لا تخف من الحساد، فإ..م إن كادوك، فإن الله عز وجل يكيديهم ألم تسـمع قول الله عز وجل "إ..م يكيدون كيدًا وأكيد كيدًا فهل الكافرين أمهلهم رويدًا "" الطارق :١٥ و ١٦ و "١٧ ورأى بعض العارفين رسـول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في مكان، فدخل عليه الشيخ أبو المواهب .فقام له صـلى الله عليه وســلم فقص ذلك على سـيدي أبي المواهب، فقال له :يا فلان اكتم ما معك فإن النبي صلى الله عليه وسلم هو روح الوجود، وما قام لأحد إلا قام له الوجود، وكان رضي الله عنه يقول :من أراد أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم، فليكثر من ذكره ليلاً ، و..ارًا مع محبته في الساعة الأولياء وإلا فباب الرؤيا عنه مسـدود لأ..م سـادات الناس، وربنا يغضب لغضبهم، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وســـلم، وكان رضي الله عنه يقول: إن أولياء الله يطلعون على أمور لم يطلع عليها العلماء، فلا يسع الخائف على دينه إلا الأدب والتسليم، وكان رضي

الله عنه يقول: عليك بصـحبة الفقراء لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة مع مـا يحملونـه عن أصـــحا..م في دار الدنيا من المصـــائب، والهموم، والأحزان، وما يتلقون بـه القادم عليهم في البرزخ من الفرح والأكوان، وكان يقول :ينبغي للفقير أن يتعاهد مع أخيه أن كل من سبق لحضرة الله تعالى منهما يكون وسيلة له عند ربـه، وكـان رضي الله عنه يقول: انظر إلى المؤمن لما صـــحب الحق تعالى منحيث تخلقه باســـمه المؤمن كيف لا تقدر عليه النار، وتقول له: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، وكان يقول: بلغنا أنه يؤتى بمن اســمه محمد يوم القيامة، فيقول :الله له أما استحيت إذ عصيتني، وأنت سمي حبيبي لكن أنا أستحي أن أعذبك، وأنت ســمي حبيبي اذهب، فادخل الجنة. وكان يقول :صـحبة المبتدي للمنتهي الذي لم يقف على مراسـم الرسـوم مضرـة غير نافعة لا سيما إن كان المنتهي خضري المقام المباين لحكم عالم الملك والشهادة فهذا ليس به انتفاع لأصحاب البداية البتة قال :المحقق أبو عبـد اللـه النفري أوقفني الحق تعـالى في التيـه ثم قـال لي :من جملة كلامه أصـــحب المحجوب، وفارق الموصـــول، وذلك لأن صـــحبة المحجوب أنفع للمحجوب من صـــحبة المكاشـــف بالغيوب لأنه يفعل على شـــاكلة ما شـــهد في الملكوت، وربمـا يكون ذلـك غير مطـابق لـه في الملـك لأن حكم الغيـب غير حكم الشـهادة واعتبر أيها المنكر بقصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، ففي ذلك مقنع للعاقل فافهم. وكان رضي الله عنه يقول :التســليم للقوم أســلم لكن الاعتقاد فيهم أغنم فكم اســتغنى بصـحبتهم فقير وجبر كسير وارتفع وضيع، وستر شنيع، ومات غوي، وهلك ظالم ورفعت مظالم. وفيهم ورد الحديث "مآ. ترزقون

وتمطرون وترحمون "وكان رضي الله عنه يقول :قد غلط أكثر الناس في وصف أهل الصلاح بالتحول والتقشف فقط وليس الأمر كما ظنوا ير فيهم السمين، والهزيل، والمترفه، والمتقشف، ودليل السمين قوله تعالى ": وزاده بسطة في العلم والجسم "" البقرة :"٢٤٧ وكان صلى الله عليه وسلم له عكن من السمن، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه بدينا عظيم البطن، وكذا ذكر شيخنا الحافظ ابن حجر في صفة الأستاذ الكبير سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه أنه كان غليظ الساقين عظيم البطن، وأما دليل المترفه، والمتقشف، فكثير في السنة المحمدية، وكان رضي الله عنه يقول: احذر بعد صحبة القوم أن تفشي أسرارهم لغيرهم، ومن ليس له مشر..م، ولا فوقهم، فإن الله تعالى ربما مقتك، فخسرت الدنيا، والآخرة، فلا يخفى أن إظهار السر كإظهار العورة، وقد حرم كشفها، والنظر إليها والتحدث مآ. وورد "من ستر عورة أخيه ستر الله عورته "، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه" وهذا الأمر يقع فيه كثير ممن يدخل في صحبة الفقراء من غير صدق، ويفارقهم بغير جميل

وأنشد:

تغير إخوان هذا الزمان فكل خليل عراه الخلل

وكانواً قديما على صحة فقد داخلتهم حروف العلل

قضيت التعجب من أمرهم فصرت أطالع باب البدل

وكان رضي الله عنه يقول :إذا نقل إليك أحدٌ كلاما عن صاحب لك فق له :يا هذا أنـا من صـــحبـة أخي ووده على يقين، ومن كلامك على ظن، ولا يترك يقين لظن، وكان ينشد كثيراً:

شاور أخاك إذا نابتك نائبة يوما   وإن كنت من أهل المشورات

فالعين تلقىٌ كفاحا ما نأى   ودنا ولا نرى نفسها إلا بمرآة

وكان رضي الله عنه يقول إياك، وعثرات اللســان عن بعض الأصـدقاء فقد أصـيب من هذا الباب خلقكثير لثقتهم بأصـــدقائهم، وما علموا أ..م جعلوا ذلكٌ ســـلاحا لوقت العداوة فإياك ثم إياك، وكان يقول من صحب ظالما فهو ظالم لأن مشاهدة الظالم تورث الغفلة عن الله تعالى، والرضـا عن النفس وتعقبه مجالسـة الشيطان، وكان يقول إياكم، وصـحبة الأحداث، والنسـاء، والأمراء، والسلطان، وأرباب الدنيا الـذين لاخير فيهم، وكـان رضي الله عنه يقول: إذا كثرت النيات كثر معنى العمل، وإن كان منفرد الصــورة، وذلك كمن صـــلى صـــلاة واحدةٌ ناويا مآ. أداء الفرض، وإحياء ســـنة الجماعة، والاقتداء به في ذلك وإظهار مآ.. الإســـلام، وتكثير ســـواد المصـــلين مع زيـادة الزهـد في الثنـاء عليه بذلك، وعدم الالتفات إليه، ونحو ذلك فهـذه حســـنـات كثيرة حفـت عملا واحدًا، وكان رضي الله عنه يقول العبادة مع محبة الدنيا شغل قلب ،وتعب جوارح فهي، وإن كثرت فهي قليلة، وإنما هي كثيرة في وهم صـاحبها وهي صور بلا أرواح إنما هي أشباح خالية غير حالية، ولهذا ترى كثيراً من أرباب الدنيا يصـــومون كثيراً، ويصـــلون كثيراً، ويحجون كثيراً، وليس لهم نور الزهاد، ولا حلاوة العباد، وكان يقول إنما ضرب الله مثل الحياة الدنيا بالماء

لأن الماء إذا أمسكته تغير ونتن، وصار بلية فكذلك الدنيا تصير بلية، وكان يقول أعلى الزهد زهد الرجل في المقامات العلية، والأحوال السنية وكان يقول إنما كان ذكر الله أكبر من الصلاة لأن الصلاة، وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات بخلاف الذكر فإنه مستدام في عموم الحالات، وكان يقول لا يجد أنس الذكر إلا من ذاق وحشة الغفلة، وكان يقول اختلفوا أيما أفضل الذكر سرًا أو جهرًا. والذي أقول أنا به أن الذكر جهرًا أفضل لمن غلبت عليه القسوة من أهل البداية، والذكر سرًا أنفع لمن غلبت عليه الجمعية ،وكان يقول إنما اختار أهل التعريف ذكر الله الله الله فقط دون لا إله إلا الله لوحشتهم من توهم ثبوت الإلهية حتى ينفو..ا، والذي أقول به أن من غلب عليه الأهواء فذكر لا إله إلا الله أنفع له، ومن خلص من الأهواء فذكر الجلالة فقط أنفع له، وكان رضي الله عنه يقول: كل عمل اتصل به شهوده فهو غير متقبل لأنه تعالى يقول، والعمل الصالح يرفعه فمن شهد له عملاً ً، ودام ذلك فعمله عند نفسه لا عند ربه فافهم وكان يقول الطامع كلب المطموع فيه فإن لم يكن عنده طمع سلم من ذلك الكلاب .وكان يقول الله أكبر ما أخفى لطائف التعريف يشرد عبده عن حضرته فيرده إليها بالتعنيف مع أنه في ذلك رب لطيف، وكان يقول سألت ربي ليلة أن يلهمني حمدًا أحمده به فأملى على لساني الوارد في الحال الحمد لله ولله الحمد بكل المحامد على كل المحامد بجميع المدائح المحمودة في جميع الحمد، والمدح بما يجب للحمد لك حمدًا أزليا لا أول لبداية حمده غير حمده بحمد لحمده في جميع المحامد الأزلية، والأبدية بلسان جمع الحمد،وفرقه في جمع المحمود بذاته

لذاته، وبصفاته لصفاته، وبفعله على فعله، وأطال في ذلك في شرح قوله في الحكم :من لم يشـــكر النعم فقد تعرض لزوالها فراجعه إن شـــئت، وكان يقول :احذر أن يكون شكرك لأجلك بل اجعل شكركً امتثالا لأمر ربك لك بالشكر، ولهذا قال تعالى :" أن اشـــكر لي "، "لقمان :"١٤ فافهم تعلم، وإن لم تعلم، واعرف قدر فوق أهل المعرفـة، وكـان رضي اللـه عنـه يقول مقـام الفقر من كـل شيء لله أتم من طلب المزيد، وكان يقول ذكر أهل الحضرة الحمد لله وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بـاللـه وزدت أنـا عليهم آيـة من كتاب الله تعالى لتكون حرزًا عليهم لأن كل أحد يحب دوام النعمة عليه ،وهي قوله تعالى ": ما شـــاء الله لا قوة إلا بالله "وهي كـانت هجير الإمام مالك رضي الله عنه فكان لا يقوم، ولا يقعد إلا قالها حتى إنه كتبهـا على بـاب داره، وقال جنة الرجل داره، والله تعالى يقول :" ولولا إذا دخلت جنتك قلت ما شـــاء الله لا قوة إلا بالله" أي لو قالها الرجل لســـلمت جنته من الآفات، وكان رضي الله عنه يقول في قوله تعالى ": ســـنســـتدرجهم من حيث لا يعلمون "أي بحقيقة الاســتدراج، وذلك أن يغطي عليهم حقائق الحق، ويلقى في أوهـامهم أ..م على صـــواب، وحق وأ..م غير مؤاخـذين على أفعالهم نســـأل الله اللطف، فمن أراد الوقـايـة من الاســـتـدراج فليخف عنـد ورود النعم عليـه أن يستعملها في غير ما وضعت له، وكان رضي الله عنه يقول ربما منع المريد من أجل قوله لشيخه لم فإنه ذنب عند أهل الطريق لا يشعر به كل أحد.

وكان يقول الطريق كلها أدب، وتأديب فهم يناقشـــون من جهة الحق مناقشـــة الجليس جليسـه، والصـاحب صـاحبه لأ..م جلسـاء الحق، وصـاحب الأدب لم يزل مســـتور العورة في الـدنيا، والآخرة، والعكس بالعكس ،وكان يقول: لا تجالســـوا العـارفين إلا بـالأدب فربمـا مقت من أســـاء أدبه معهم، ومحي من ديوان القرب وكان يقول من لم تؤدبه الصـوفية فليس بأديب، وكان يقول الواردات مختلفة من حيـث الموردة عليـه لا من حيث نفســـها فإ..ا واحد فهي كالمطر على أرض فيها أنواع من البذر فالمطر واحد، والنبات مختلف "يسـقى بماء واحد ونفضـل بعضـها على بعض في الأكـل "" الرعـد :".٤ فافهم وكان يقول التعبد هو مفتاح باب الخير فمن فـاتتـه الأوراد في بـدايتـه فقـد حرم الواردات في مإ.... فللأعمال أنوار كما أن للمعـارف أسرارًا فعليـك أيها الســـالك بالدوام على الأوراد، ولو بلغت المراد وكان يقول في معنى قول القوم فلان عنده استعداد أي صقل مرآة قلبه بأنواع ا..اهدات التي ســببها يكون الجلاء الموجب لتجلي صــور الحقائق في القلب الصــافي كما هو معلومً حسـا هذا في المحبين، وأما في المحبوبين فقلو..م منورة مصـقولةً اختصاصا إلهيا، وكان يقول ما ورد عليك هو ما ظهر منك لك، وما جلى عليك هو منك إليك مثال ذلك النواة إذا زرعت فكل شيء ورد عليها من ورقها وثمرها كان فيها مودعا بـالقوة كذلك أنت أيها الإنســـان لا يرد عليك قط خارج منك من غيرك بل الوارد عليـك فيكً غيبا ثم ظهر لك شـــهادة لتعرف مقدار ما أنعم الله عليك ووراء ما أشرت إليه رموز، ولغوز ضمنها كنوز سعد من لها يحوز، وبحرها يجوز. وكان رضي الله عنه يقول :ثم من العلوم اللدنية ما لا يمكن الجواب عنها حقيقة، ولا شريعة

مع أن التعبير عن كل ما يشهده الإنسان غير ممكن، وذلك أن من المشهود ما هو أو سـمع أن يدخل في ضـيق العبارة ،وألطف من أن تكشـفه الإشـارة، وذكر كل معلوم يدل على قلة علم صـاحبه لأن من العلوم ما لا يدخل تحت دائرة الحصرـ كـالعلوم الملكوتيـة المفـاضـــة من عوالم الغيوب مما لا يفهمـه العقـل، ولا يدركه الوهم، ولا يسـعه الحفظ وهو في قلوب العارفين به يكون أولاً مجملا ثم يفصـل لهم بحســب الوقائع، والحاجة إليه ثم منه ما لا يكون إلا غيبا في غيب ومنه ما يكون غيبا في شـــهادة ومنه ما لا يؤذن في إفشـــائه لأحد البتة، ومنه ما يؤذن في إفشـائه لقوم دون آخرين، وإذا كان ذلك كذلك فالجواب عن كل سؤال قال بعض من لاح له ما أشرنا إليه أكون حالة الأخذ عن البشرــية في حضرــة أشــاهد فيها ملائكة يتكلمون بعلوم لدنية أفهمها هناك بفهم يناســب تلك الحالة الملكية فإذا عدت إلى بشريتي نسيت ما علمت، ولم أذكر شيئا مما سمعت ،وذلك لأن خرجت من وصــف إلى وصــف، ومن عالم إلى عالم، وكل علم له عالم بوصــف ذلك العلم يـدرك حقائقه العالم، ولهذا كانت العلوم الكشـــفية غير العلوم العقلية، والعقلية غير النقلية، وعلم العبارة غير علم الإشـــارة فمن أراد أن يأخذ علم الإشـــارة من العبـارة فقـد طلـب المحـال، وأنكر على الرجـال، وحرم تمـام الكمال، وكان يقول :الـدرجـات في الـدنيـا دليـل على الـدرجـات في الآخرة، والكرامـات هنا دليل على الكرامات في الآخرة كما أن البعد هنا دليل على الطردفي الآخرة قال تعالى ": ومن كـان في هـذه أعمى فهو في الآخرة أعمى "" الإسراء :"٧٢ والمراد مـآ.. العمى هو عمى البصيرة بالضلال عن الرشد وطريق الحق نسأل الله العافية، وكان رضي الله

عنه يقول: من كان عمله ً متعلقا بالظواهر فله في الجنة مترلة تناســب الظواهر، ومن كان عمله متعلقا بالبواطن فله مترلة تناسـب البواطن، ومن كان علمه بدنيا فله مترلة في الآخرة تناســب أعماله العلمية، وكذلك القول فيمن كان علمه ً قلبيا أو روحيا أو سريا فلكل حال مقام عند الله تعالى، وعلى قدر سلوك الطريق يكون التحقيق، وكان يقول احذروا من قولكم . ذهب الأكابر، والصــادقون من الفقراء فإ..م ما ذهبوا حقيقة، وإنما هم ككتر صــاحب الجدار، وقد يعطي الله تعالى من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأول فإن الله تعالى قد أعطى سيدنا، وحبيبنا محمدًا صلى الله عليه وسلم ما لم يعط الأنبياء قبله ثم قدمه صلى الله عليه وســلم في المدح عليهم، ويا لله العجب من كثير من المتفقهة ينكرون ما أجمع عليه الأولياء ويصدقون بما وصل إليهم على لسان فقيه واحد. وربما يكون اســتناده في ذلك القول إلى دليل قياسي ضـعيف أو إلى شــذوذ من القول ما ذاك والله إلا لغلبة الحرمان ثم مع إنكاره إذا أصــابه هم أو مصــيبة يأتي إلى قبورهم فيحملهم الحملة دون الفقيه الذي صــدق قوله، وقدمه عليهم، وكان الأمر بالعكس فإياك يا أخي أن تحرم احترام أصحاب الوقت فتستوجب الطرد، والمقت فإن من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أو أنه وكان يقول :من وقف مع عاداته، وعلومه، ولم يظن أن فوق علمه علوما فهو محروم من جميع المواهب حتى من أهل مذهبه، ويســمى هذا بالجاهل المركب فإياك، والبحث مع مثل هذا أو الجدال ليرجع فإنه لا يرجع، ويتســع ا..ال بينكما، وربما صــار يســتفتي عليك، وينسبك إلى أمور أنت منها بريء حتى يتعب سرك فكف عنه ما دام يرى نفسه

عليك فإن الجاهل لا ينصف المحق أبدًا لعدم ذوقه لحاله إلا أن يداركه الله تعالى بالتسليم فيؤمن أن فوق كل في علم عليم، وكان يقول لا ينبغي للفقير أن يستكثرً شـيئا من الدنيا في مقابلة عمل قليل أخروي يبقى، وقد أعطى الشيخ ابن أبي زيد القيرواني مؤدب ولـده مـائـة دينار حين أقرأه حزبين من القرآن فقال المؤدب هذا كثير فأخرج ولده من عنده، وقال هذا يعظم الدنيا، وكان يقول: إذا رأيت نفسـك محرضة عن مودة أهل الله تعالى فاعلم أنك مطرود عن باب الله، وكان يقول :إذا رأيـت من رزق العلوم، وفتح لـه خزائن الفهوم فلا تحـاجـجـه بنقـل الطروس ولا تجـادلـه بعزة النفوس، وتقول هذا لم نجده في الأســـفار عن أحد من الأخيار فإن المواهب تفوق المكاســـب، وكان يقول من أنكر ما لم يجد حرم بركة ما وجد، ومن كان كثير الكير فهو فاقد التنوير وكان يقول تولوا الجميل للرجل الجليل. ل للرجل الجليل. وكان يقول من علامة من أذن له في الكلام قبول الناس له وان يقول :من ادعى أنه بر فلا يؤذي الذر، وكان يقول: في قول بعضـــهم ما فعلت كذا إلا بإذن من الله تعالى مراده بالإذن نور يقع في القلب ينشرح له الصدر وليس ذلك بحجة لفقد العصـمة لا سـيما إن كان على غير قانون الشر ـع فما كل واقع للفقير حق، وكان يقول هذا الكون كبيت يعمه الصـــدى ما قلته فيه رده عليك، ومرآة يتجلى فيهـا مـا بـدا منـك إليـك، وكـان يقول العـابـد في وهم، وتقييد، والمقرب في فرح، وتـأييد، وكان يقول: تترهت أبناء الأزل عن الوقوف مع العمل بالعلل وكان يقول لا تكن ممن يعبد ليعد، ولا ممن يســـود الجاه للجاه بل اعبد ربك لا لغرض، ولا لعرض، وكان يقول: علم اليقين يحصل عن قاطع البرهان، وعين اليقين يحصل

بشـــهود العيان، وحق اليقين تحقيق صــورة العيان مثال ذلك ما اســتفيد بالعلم المتواتر علم يقين، وفوقـه عين يقين، والحلول بـه حق يقين، وكان يقول الوارد مثل العطاس لا يرد إذا ورد، ولا يستجلب بحيلة، ولو دفع كان عناء ،وتعبا وعللاً، وكل وارد لا يوافق الشرع فهو الظلمة وكان يقول: أحسن بذر الفلاح ما بذره الفلاح ثم ستره بعد بذره حتى ينبت في بطن الأرض، وأقبحه ما نبت فوقها لأنه لا ثبات له، وكان يقول اتباع شهوات النفوس هي التي تنكس الرءوس، ومن أطلعه الله تعالى على دسائس نفســه أمن من عكسه ،ونكسه، وكان يقول علامة قبح القلوب أن لا يـدخـل فيه خلل، وعلامة قبح النفوس الســامة منه، والملل ،وكان رضي الله عنه يقول حقيقة الكشـف أن تنظر الظلمة عين النور، وتشـهد رفع الغطاء في الستور، وأعلى مراتب الكشــف أن يطلعه الله على المقر المســتودع، ودونه من أطلعه الله على البـداية دون الغاية ،وكان رضي الله عنه يقول من شـــهد بواطن الأواني .نال أسرار المعـاني، وكـان يقول :ظهور الأخيـار من غير اختبـار. وكان يقول من علامة المعتني به في الأزل أن لا يسلب ما فتح، ولا يخلع، ومن رام مزاحمة أهل العناية، وقع في شرك العناء، والتعب ولا يقضيـ أرب، وكان يقول إن أردت الوصـــول بلا تعب فاستمسك بأهل الحسب، وكان يقول من كان له بالتعظيم بين العوام صورة لم يكن له بالتخصـيص عند أهل التحقيق ســورة، وذلك لأن محب الله مشـــهور، ومحبوب الله مســتور، وكان يقول إســاءة الأدب على أهل الرتب توجب العطب، وكان يقول الإسرار بالذكر من شـأن الخواص لا المريدين لأن المريد يذكر ليســتنير قلبه ،والمراد من وجد النور قبل الذكر، ومن العجب ذكر الحاضر القريب فما بقي

للذكر سـلطان إلا على سبيل التعظيم أو حال غيبة الذاكر عن المذكور، وكان يقول في قولهم قيـل لي ليلة البارحة كذا مثلا مرادهم إما هاتف الحقيقة أو أنه ســـمع الملك من غير رؤية لشــخصــه أو رؤيته على غير صــورته الأصــلية أو مرادهم ما يسـمعونه من قلو..م ألم ما يفهم من حال الشيء بحسب مراتبهم في ذلك الوقت، والأخير خاص بالمريدين، وكان يقول من كان للخلقً أرضـــا فهو لربه أرضي، ومن على الخلق يتعـالى لا يقـال لـه تعـال، وكـان يقول إذا رأيت في منامك شـــيئا من البشرى فلا ترض عن نفسك حتى تعلم رضا الله عنها ،وكان يقول رب امريء مزار حمله الزائر الأوزار فتفقدوا نفوسكم عند قدوم الزائر.

وكـان يقول من حمـل الفقراء مـا يرد عليـه من النكـد فكـأنه لجال عيهم إذ ورد، وكان يقول كان الإسراء برسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى المراكز العلية ليشهد الملائكـة الملكوتيـة مـا ليس فيهم، ولا في الملكوت من عزيز الخصـــائص وكمال النعوت فأراد الحق بالإسراء أن يرى محمدًا صـلى الله عليه وسلم قدر ما أنعم به عليـه فكـان ظـاهره اجتبـاء وبـاطنه ابتلاء لعدم قيام العبد بشـــكر جميع النعم الربانية فافهم، وكان يقول لا تســـتقل بالعالم الفقير، ولا تنظر إليه بالتحقير فربما تقدم على أهل الزمان إذا جاء وقت الامتحان لهم وكان رضي الله عنه يقول شـيخ الأمير طبل كبير، وشـيخ السـلطان أخو الشيطان، وكان يقول الأستاذ هو من كمل الدوائر، وانطوى فيه علم الأوائل، والأواخر ويســـمى بالعالم المطلق فكل أســـتاذ شيخ، ولا عكس ،وكان يقول: من شرط المريد أن لا يخرج عن التحديد، وكان كثيراً ما يتمثل بقول الشيخ محيي الدين رضي الله عنه حين يستغرب أحدً قولا:

تركنا البحار الزاخرات وراءنا   فمن أين يدري الناس أين توجهنا

وكان رضي الله عنه يقول :كان سـجود الملائكة عليهم السـلام لآدم عليه السـلام إشـارة لتواضـع الصـغير للكبير، وإظهارًا للكرامة بظهور صـورته بسمة محمد صلى الله عليـه وسـلم وذلـك أن رأس آدم عليـه السـلام ميم، ويـديـه حـاء وسرته ميم،ورجليه دال، وكذا كان يكتب في الخط القديم وإنما لم تظهر اليد الأخرى حتى يكون يميناً، وشـمالا هكذا. لأن الأول أعظم في المدح، لأنه صـلى الله عليه وسـلم كان ينظر من خلفه كما ينظر من أمامه فيصـير يسـار الخلق يمينا لذلك الوجه المختص به صـلى الله عليه وسلم، ومن هنا قال بعض العارفين لا يقال ليد النبي صـلى الله عليه وسـلم يسـار، وإنما يقال اليمين الأول اليمين الثاني أو يمين وجهه، ويمين خلفه. وهنا دقيقة وهي خروج عدد المرسـلين الثلاثمائة عشرـ من اسـمه محمـد فـالميم الأول منـه إذا نطقـت مـآ. كانت ثلاثة أحرف، والحاء حرفان حاء، وألف، والهمز سـاقط، والميم المضعف كذلك بستة أحرف، والدال كذلك دال ألف لام فإن عددت حروف اسـمه كلها ظاهرها ،وباطنها حصـل لك من العدد ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد الرسل المتفرعين منه صلى الله عليه وسلم الجامعين للنبوة، ويبقى واحد من العدد هو لمقام الولاية المفرق على جميع الأولياء التابعين للأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام، وله صـلى الله عليه وسلم فافهم ،وقد التقطت جميع ما نقلته عنه من شرحه للحكم، ومن كتاب القانون له رضي الله عنه والله أعلم .

ومنهم الشيخ حسين الآدمي رحمه الله

أحد مشـايخ سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه، وكان مقيما بالحسينية بمصر قال سـيدي أحمد الزاهد : وكان أصـله من مراكش بأرض المغرب، وكان له هناك أرض يزرعهـا، ويرعى فيها غنمه فلما جاء إلى مصرـ كان كل يوم يرسـل غنيماته مع النقيب يرعاها بمراكش، ويبيتها بمصرـ، قال سـيدي أحمد رضي الله عنه، وكنت جالسـا عنده يوما فجاء يهودي، وقدم رجله وهي في النعل، وقال يا مسلم اقطع لي هذه الجلدة التي تؤذيني فقال بسـم الله وأخذ الشـفرة، وقال الله أكبر فصاح اليهودي أشـهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وقال يا أحمد إن عشت أفعل كذا رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ أحمد بن سليمان الزاهد رحمه الله

هو الشــــيخ الإمام العالم العامل الرباني شــــيخ الطريق، وفقيه أهلها .ربي الرجال، وأحيا طريق القوم بعد اندراسـها، وكان يقال هو جنيد القوم. وكان يتستر بالفقه لا تكاد تســمع منه كلمة واحدة من دقائق القوم، وصــنف عدة رســائل في أمور الدين، وكان يعظ النســاء في المســاجد، ويخصــهن دون الرجال، ويعلمهن أحكام دينهن، وما عليهن من حقوق الزوجية، والجيران، وعندي بخطه نحو ســتين كراســا في المواعظ التي كان يعظها لهن، وكان رضي الله عن يقول هؤلاء النساء لا يحضرن عروس العلماء، ولا أحـد من أزواجهن يعلمهن، وكـان يقول يينما أنـا ذاهـب إلى المكتب، وأنا صـبي عارضـني شخص من أولياء الله أشعث أغبر فطلب مني غدائي فأعطيته له ،وعزمت على الجوع فأخذه مني وقال لي يا أحمد تبني لك جامعا في خط المقســـم، وتلقب بالزاهد ،ويعارضــــك في عمارته جماعة، ويخذلهم الله عز وجل، وتصـبر المشار إليه في مصر ويتربى على يديك رجال فكان الأمر كما قال، ولم أجتمع بذلك الرجل بعد ذلك اليوم .قلت :وقد عارضــــه من العلماء جماعة منهم شـيخ الإسـلام ابن حجر، وجمال الدين صـاحب الجمالية التي بالقرب من خانقاه سـعيد السـعداء حتى أرسل إلى التراب، ومنعه أن ينقل تراب عمارة جامع الشيخ فقال الشــــيخ كل فقير لا يظهر له برهان لا يحترم له جناب ثم وضــــع رأســــه في طوقه ،وتوجه في تغيير خاطر السلطان على جمال الدين فأرسل ذلك الوقت وراءه وحبســـه ولم يذكر له ذنباً، ولم يزل جمال الدين ً محبوســا حتى فرغ الشــيخ من تعمير الجامع، وقال للتراب انقل، وقلبك قوي طيب لا نطلقه من الحبس حتى

تفرغ، وأنكر عليهً أيضـا قبل ذلك الشـيخ سراج الدين البلقيني، وبالغ في إنكاره عليه فبلغ ذلك سـيدي أحمد فقال ماذا ينكر علينا؟ فقال يقول إنك تأخذ طوب المساجد الخراب تبنى مآ. جامعك فقال كلها بيوت الله ثم إن الشيخ دخل الجامع الأزهر بقصد البلقيني، ونصب كرسيا في صحن الجامع وهو في حال حتى صارت عيناه كالجمر الأحمر ثم جلس على الكرسي وقال من يسـألني عن كل علم نزل من السـماء أجيبه عنه فبهت الناس كلهم، ولم يسـأله أحد فلماسرى عنه قال من جاء بي إلى هنا فقالوا له وقع منك كذا، وكذا وقلت كذا وكذا فقال لهم هل سـأل أحد فقالوا لا فقال الحمد لله لو خرج إلينا أحد لافترسناه ثم خرج من الجامع .

وكان رضي الله عنه إذا دعي إلى شـفاعة عند من لا يعرفه يقول لصـاحب الحاجة اذهـب فخـذ لـك أحـدًا من وجوه اليـاس، واسـبقني إلى بيـت الرجل فإذا جئت فقوموا، وتقوني وعظموني حتى تمهدوا ليً مكانا للشـفاعة فإني رجل مجهول الحال بين هؤلاء، وكان يقول ما دخل أحد إلى مسـجدي هذا ثم صـلى ركعتين إلا أخذت بيده في عرصات القيامة فإن الله شفعني في جميع أهل عصري، وكان يستر نفسه، ولا يذكر قط شـيئا من الكشـف إلا على لسـان بعضهم، وأخلى مرة مريدًا فكشف للمريد أن الشـيخ من أهل النار فتوجه إلى الله أن يمحو اسم شقاوته فدق الشيخ على المريد، وقال يا ولدي أنا لي منذ ثلاثين سنة أرى ذلك، ولا اعترضت، ولا سألت التغيير فأنت في ساعة واحدة تقلقات ثم توجه الفقير فوحد الشيخ قد حول اسمه في السعداء وكان رضي الله عنه يمتحن المريد قبل أن يأخذ عليه العهد سنة، وأكثر . ولما جاء سيدي محمد الغمري ليأخذ عنه الطريق وافق الدخول بعد العشاء،

وقـد أغلق بـاب الجـامع فقال افتحوا لنا فقال الشـــيخ نحن لا نفتح الجامع بعد العشـاء فقال إن المسـاجد لله فقال الشـيخ نفس فقيه يا فلان افتح له ففتحوا له فدخل فقال أين الشـيخ فقال له الشـيخ ما تفعل به فقال أطلب الطريق إلى الله فقال ما أنت من أهلها فقال ببركة الشـــيخ أكون إن شـــاء الله أهلا لها فتعرف له الشـيخ فعرفه، ولقنه الذكر، وجعله خادما في الميضـأة ثم نقله إلى البوابة ثم نقله إلى الوقادة فمكث عشرـ سـنين فقام عن الوقود في الفجر فخرج الشــيخ فقال يا محمـد فقـال نعم فقـال أوقـد الجـامع فجـال بيـده، وحلق على الجامع فأوقدت مصابيحه كلها فقال له الشيخ اذهب إلى بلبيس أنفع الناس ما بقي لك إقامة هنا فذهب إلى بلبيس فلم يصح له فيها قدم فانتقل إلى محلة أبي الهيثم فلم يصح له فيها قدم فذهب إلى المحلة الكبرى فكان من أمره ما كان كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى . وكان سيدي أحمد رضي الله عنه لا يدخل إلى بيته من الجامع إلا بعد صـــلاة الجمعة فكان يصـــلي ويدخل فيمكث إلى العصرــ فدخل يوما فرآهم يضـحكون، وهم مبسـوطون فقال مالكم. فقالوا شـخص يسـمى عبد الرحمن بن بكتمر أرسـل إلينالحما وملوخية، وعسـلا، وقال اطبخوا، وكلوا فقال الشيخ وجب حقـه علينـا فـأرســـل وراءه، وأخـذ عليه العهد وكانت مجاهدته فوق الحد، وقد رأيت له حبلاً مربوطا في الســـقف في خلوته فوق ميضــأة جامع ســـيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه فكان لا يضـع جنبه الأرض سـنين حتى وقع له الفتح، وكان من أمره ما كان. وأما سـيدي مدين فجاء إلى سـيدي أحمد بعد أن كان اشــتغل بالعلم زمانا فأخذ عليه العهد وأخلاه ففتح عليه ثالث يوم فكان سيدي أحمد

رضي الله عنه يقول كل الناس جاءونا، وسراجهم مطفأ إلا مدين فإنه جاء، وسراجه موقد فقويناه له وسافر سيدي محمد الغمري إلى ناحية دمياط فاشترى لبيت الشيخ علبة حلاوة فتحرك الريح فجاء حبل الراجع فرماها في البحر فلما وصل سيدي محمد إلى القاهرة، ودخل وسلم على الشيخ قال له يا محمد أين هديتك قال يا سيدي رماها الراجع في البحر فقال للخادم: أدخل هذه الخلوة، وأعرض عليه الخبر فدخل فوجد العلبة على الرف وهي تقطر ماء فقال يا محمد وصلت هديتك، ولما حضرته الوفاة تطاول بعض الفقراء للإذن له بالجلوس في الجامع بعد الشيخ فجمعهم الشيخ، وقال أنا أقسم بينكم الميراث في حياتي لئلا تتنازعوا بعد فقال لسيدي محمد الغمري يا محمد إن خيرك في الطريق لذريتك ما لأصحابك منه شيء سوى الرشاش ،وقال لسيدي مدين رضي الله عنه يا مدين أنت خيرك لأصحابك ما لذريتك منه شيء وقال لسيدي عبد الرحمن بن بكتمر يا عبد الرحمن أنت خيرك لنفسك ما لذريتك، ولا لأصحابك منه شيء، وكان يفوق الطريق بالمواهب، ولو كانت بالاختيار كان ولدي أحق مآ.. وكان يقول يا من يربي لنا ولدنا ونربي له ولده، وكان يخرج في السحر على باب الجامع يتبرك بمن دخل مصر من المسفرين، ويقول إ..م مر عليهم نسيم الأسحار، وكان إذا جاءه إنسان بولده الصغير ليدعو له يقول: اللهم لا تجعل لهذا الولد كلمة، ولا حرمة في هذه الدار، وكان يهجر الفقراء كثيراً وربما يأمر الفقير بالإقامة في الميضأة سنة كاملة فيفعل، وكان إذا جاءه شخص يريد ا..اورة للاشتغال بالعلم يقول يا ولدي ما نحن معدين لذلك اذهب إلى الجامع الأزهر ،وما كان يأذن للفقراء القاطنين عنده إلا

في تعليم فرائض الشرع وواجباته المتعلقة بالعبادات، وكان يمنعهم من تعلم الأمور المتعلقة بفصل الأحكام في البيوع، والرهون والشركات، ونحو ذلك، ويقول ابدءوا بالأهم، ولا أهم من معرفة الله في هذه الدار، والفقهاء قد قاموا عنكم بفروع الشريعة فإن قتلوا، والعياذ بالله، وتعطلت الأحكام وجب عليكم تعلم هذه الفروع لئلا تندرس الشريعة رضي الله عنه قلت: وقد سألت سيدي الشيخ محمد الحريفش الدنوشري وكان قد رأى سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه عن سبب تسميته الزاهد، وإن كان كل ولي لا بد له من الزهد، ومع ذلك فلم يشتهر به في مصر إلا هو فقط فقال صنع مرة الكيمياء نحو خمسة قناطير ذهبا ثم نظر إليه، وقال أف للدنيا ثم أمر بطرحها في سرداب جامعه فأشهره الله تعالى من ذلك اليوم بالزاهد. مات رضي الله عنه سنة نيف وعشرين وثمانمائة، ودفن بجامعه، وقبره ظاهر يزار، ويتبرك الناس به رضي الله عنه.

ومنهم سيدي عمر الكردي رحمه الله

كان رضي الله عنه مقيما ببركة ميدان خارج القاهرة وكان يغتسـل لكل فريضـة ً صـيفا كان أو شتاء، وكان الأمراء، والخوندات، والأكابر يأتون له بالأطعمة الفاخرة والحلاوات فيطعمها للحشـاشـين الذين يتفرجون، ويقول لهم يا إخواني ما لي أرى أعينكم حمرًا لا يزيـدهم على ذلـك، وكان النقباء يلومونه على عدم إطعامهم من ذلك الطعام فقال ً يوما للنقيب، املأ لك ً صحنا من هذه الحلاوة، وغطه، وقم بنا نأكله في تلك الجزيرة التي في وسط البركة فمضى هو والنقيب، وقال اكشف، وكل فوجده النقيب كله خنفسـا فقال كل فقال لهذا خنفس فقال أتلومني على عدم إطعامكم الخنفس كل يوم .قال الشـيخ أمين الدين إمامجامع الغمري رضي الله عنه ولما دفناه في تربة خشـقدم كان من جملة الحاضرين سيدي إبراهيم المتبولي رضي اللـه عنه فقال: وعزة ربي ما رأيت أصـبر منه نازلا في قطعة من جهنم، وما فيه من شعرة تتغير رضي الله تعالى عنه.

ومنهم سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله

كان من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية، ولم يكن له شيخ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يبيع الحمص المسلوق بالقرب من جامع الأمير شرف الدين بالحسينية من القاهرة المحروسة، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً في المنام فيخبر بذلك أمه فتقول :يا ولدي إنما الرجل من يجتمع به في اليقظة فلما صار يجتمع به في اليقظة، ويشاوره على أموره قالت له الآن قد شرعت في مقام الرجولية ،وكان مما شاوره عليه عمارة الزاوية التي ببركة الحاج فقال يا إبراهيم عمر ها هنا، وإن شاء الله تعالى تكون مأوى للمنقطعين من الحاج، وغيرهم، وهي دافعة البلاء الآتي من الشرق عن مصر فما دامت عامرة فمصر عامرة، ولما شرع في غرس النخل بالقرب من البركة لم يصح له بئر فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال: غدًا إن شاء الله تعالى أرسل لك علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلم لك على بئر نبي الله شعيب التي كان يسقي منه غنمه فأصبح فوجد العلامة مخطوطة فحفر فوجدها، وهي البئر العظيمة بغيطه إلى الآن .وأخبرني الشيخ جمال الدين يوسف الكردي رضي الله عنه أن الغلاء وقع أيام السلطان قايتباي حتى اجتمع عند الشيخ في الزاوية نحو من خمسمائة نفس فكان كل يوم يعجن لهم ثلاثة أرادب، ويطعمها لهم من غير إدام فطلب الناس منه أدما فقال للخادم اذهب إلى الخص الذي في النخل فارفع الحصير الخوص، وخذ حاجتك فذهب ورفع الحصير فوجد قناة تجري ذهباً، وفضة من علو نازلة في السفل فأخذ منها قبضة فاشترى مآ. ذلك اليوم أدما فقال :النقيب يا سيدي إذا

كان الأمر كذا دستورك نوسع على الناس فقال ما ثم إذن فذهب الخادم من وراء الشيخ فلم يجد القناة فحفر فلم يجد شيئاً، ولما سافر إلى القدس زار السيدة مريم عليها السلام بنت عمران فقرأ عندها ختما تلك الليلة فرأى بعض القراء سيدنا عيسى عليه السلام، وهو يقول: سلم لنا على إبراهيم .

وقل له جزاك الله عنه وعن والدته خيرًا، وأخبرني الشيخ جمال الدين يوسف أيضا قال اشتقت إلى أهلي بحصن كيفا من بلاد الأكراد فشاورت الشيخ، وإن ذلك بعد العصر فقال إن شاء الله يكون فدخلت الخلوة أقرأ ورد العصر فرأيت نفسي داخل بلدي، والناس تسلم علي، وشالوا الأعلام قدامي فدخلت دارنا فسلمت على أمي وأبي، ومكثت عندهم أخطب في الجامع، وأقرئ أطفالا مدة تسعة شهور فقوي اشتياقي إلى الشيخ فشاورت، والدي، ووالدتي فأذنا لي فخرجت إلى موضع خارج البلد فأذنا لي في خلوتي ببركة الحاج فخرجت لأسلم على إخواني فلم يسلموا علي فأخبر..م بسفري فقالوا: يوسف حصل له جنون فعلم الشيخ بذلك فقال :اكتم يا ولدي ما معك ثم بعد ثلاث سنين جاءت والدته بصحبة والده وقالا يا سيدي لولا خاطرك ما خلينا يوسف يجيء إلى سنة.

قلت، وهذه القصة من مسائل ذي النون المصري، وهي تشبه مسألة الجوهري الذي غطس في البحر فرأى نفسه ببغداد فتزوج، وجاء بالأولاد ثم رفع رأسه فإذا هو عند ثيابه بساحل الذيل بمصر فخرج في الحس ما كان في عالم الخيال، وكان هدا الشيخ يوسف من عباد الله الصالحين، وكان يذكر أنه يجتمع بالخضر عليه السلام كثيرًا فكانت لوائح الصدق ظاهرة على وجهه، وكان يقرأ القرآن بالسبع،

وحدثني مآ.. القصة في كماله، وعقله رضي الله عنه، ولما اجتمع عنده بنو حرام في زاويته ً خوفا من بني وائل أرسـل الشيخ لبني وائل قاصدًا يأمرهم بالصلح فقالوا :أيش للمتبولي في هذا يروح يقعد هو وصغاره في الجبل والله لا نرجع حتى نسقي خيلنا من حيضـان المدينة فقال: الشـيخ، وعزة ربي ما عادت تقوم لبني وائل رأس إلى يوم القيامة فهم إلى وقتنا هذا تحت حكم بني حرام.

وكان ســيدي إبراهيم رضي الله عنه مبتلي بالإنكار عليه من كونه لم يتزوج، وكان رضي الله عنه يقول : ما في ظهري أولاد حتى أتزوج بقصدهم ومكث نحو الثمانين سنة حتى مات لم يغتسل قط من جنابة لأنه لم يحتلم قط، وكان إذا جاءه الشاب، وشـــهوته ثائرة عليه يقول: له تطلب لك مدة، إلا ً دائما فإن قال أريد مدة حتى أقدر على مؤنة التزويج يقول له خذ هذا الخيط فشد به وسطك فما دام معك لا يتحرك لك شـهوة، وإن قال أريد عدم تحرك الشهوة طول عمري يمسح على ظهره فلا تتحرك له شـهوة، ولا ينتشرـ إلى أن يموت، وكان يقول: لمن يبلغه عنه إنكار يا أولادي أنا ســم ســاعة فما للناس ولي، وكان يســأل الفقراء القاطنين عن أحوالهم ويباســطهم فرأى يوما ً شــخصــا منهم كثير العبادة، والأعمال الصــالحة، والناس منكبون على اعتقـاده فقـال يـا ولـدي مـالي أراك كثير العبادة ناقص الدرجة لعل والـدك غير راض عنـك فقـال نعم فقـال تعرف قبره فقال نعم فقال اذهب بنا إلى قبره لعله يرضى قال الشيخ يوسف الكردي فوالله لقد رأيت والده خرج من القبر ينفض التراب عن رأســه حين ناداه الشــيخ فلما اســتوى قائما قال الشــيخ: الفقراء جاءوا، شافعين تطيب خاطرك على ولدك هذا فقال :أشهدكم أني قد رضيت عنه

فقالارجع مكانك فرجع، وقبره بالقرب من جامع شرف الدين برأس الحسينية قال :فلما رجعنـا إلى البركـة إذا امرأة تقول يـا سـيـدي قف فوقف بالحمارة فقال ما حـاجتـك فقـالت ابني أخذه الإفرنج، وأريد منك أن تدعو الله تعالى يرجع فقال :بســم الله فدعا ثم قال :ها هو ولدك فوقع بصرــها عليه فلما اجتمعت بولدها ذهبنا فقال: اشهدوا بأن الله رجالا في هذا العصر يجيب سؤالهم في الحال .

وكـان يقبض على لحيته، ويقول يا ما تقاسي مصرــ بعد هذه اللحية أنا أمان لها، وكـان رضي اللـه عنه يقول وعزة ربي لتتوزع أحوالي بعدي على ســبعين رجلا، ولا يحملون، وكان إذا ذهب إلى أحد من الأكابر لا يأخذ معه أحدًا من الفقراء، ويقول ارجعوا فإني عازم على أكل الســم، ولم تطيقوه، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كان طعام الأمراء ســما فكيف بطعام الملوك وظلم ابن البقري رجلا وأخذ بقرته التي يشرــب هو وأولاده لبنها فجاء إلى ســيدي إبراهيم رضي الله عنه فركب حمارته، وتوجه إلى ابن البقري فوجد عنده شيخه ابن الرفاعي فتكلم سيدي إبراهيم رضي الله عنهً كلاما بعزة بحضرـة شـيخه فقال له شـيخك هذا كان أبوه قرادًا في بلاده فما قال الشــيخ رضي الله عنه ذلك الكلام إلا والقرد، والدب، والحمار والكلب في وسـط داره حتى شهدهم الحاضرون تصديقا لكلام الشيخ ثم غابوا فاستغفر ابن البقري، وقضى الحاجة، ونام عنده جماعة من فقهاء الأزهر في بركة الحاج فوجدوا عند الشــيخ مملوكين أمردين من أولاد الأمراء ينامان معه في الخلوة فأنكروا عليه ثم رفعوا أمره إلى الشرـع بالصالحية فأرسل القاضي وراءه فحضر فدخل الصالحية فقال مالكم فقال القاضي هؤلاء يدعون عليك أنك تختلي بالشباب، وهذا حرام في

الشرــع فقال ما هو إلا هكذا وقبض على لحيته بأســنانه، وصــاح فيهم فخرجوا صائحين فلم يعرف لهم خبر بعد ذلك الوقت ثم جاء الخبر أ..م أسروا، وتنصروا في بلاد الإفرنج فشــفعوا فيهم عند الشــيخ فلم يقبل شــفاعة أحد ثم انقطع خبرهم .ورمـاه أهـل بيـت من متبول بـاللواط مع ولـدهم فقال هتك الله ذراريهم فمن ذلك اليوم صـار أولادهم مخانيث، وبنا..م زناة إلى يومنا هذا. ورماه واحد أيضـا بفاحشـة فقال له سـود الله نصـف وجهك فصـار له خد أسـود، وكذلك ذريته إلى وقتنا هذا.

وكان يقول :وعزة ربي ما رأيت في الأولياء أكبر فتوة من سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، ولذلك وأخي بيني، وبينه رســول الله صــلى الله عليه وســلم، ولو كان هنـاك من هو أكبر فتوة منـه لآخى بيني وبينه ،ودخل عليه مرة رجل، ومعه ولد صــغير فقال للولد هز هذه البقة فهزها فوقع منها اثنتان وســبعون حبة فقال للولد كلها كلها فإنك تأخذ بعددها نسـاء فتزوج ذلك الولد اثنتين وسـبعين زوجة، وكان رضي الله عنه يقول لا تكبروا خبزيعلى خبز أخي أحمد البدوي، وكان ســماً نـافعـا على الولاة فـإذا تشـــوش من أمير أو وزير مـات لوقتـه أو في ليلة وتعرض جماعـة من الظلمة إلى جماعة غيطه، وأراد الوزير، وكان يســمى قاتم التاجر أن يحـدث عليهم مظلمـة وقال إن كان المتبولي شــيخا ينفخني فقال يا ولدي ما أنا أنفخ وإنما أفوق ســهمي فلا يرد فدخل الوزير بيت الخلاء فانتظروه ليخرج فلم يخرج فـدخلوا عليـه فوجـدوا لحيته، ووجهه في حلق الخلاء، وهو ملطخ بالعذرة، وهو ميت فرجع غالب الولاة عن معارضته في أمر من الأمور، وكان رضي الله عنه

يقول لأصـــحـابـه، إذا غير أحـدكم منكرًا فليتوجـه بقلبـه إلى الله تعالى في إزالته، ويقلب أصـحاب المنكر فيزيلوا ذلك المنكر قال الشـيخ يوسـف رحمه الله تعالى، ولقد كناً يوما في حصن مسلة فرعون بالمطرية فجاء جماعة من الجند بجرار خمر فجلسـوا يشرـبون فقال سـيدي إبراهيم رضي الله عنه من يزيل هذا المنكر فقال فقير أنا فوضـع رأسـه في طوقه فما كان بأسرع من أن وقع الجند في بعضهم بعضا بالدبابيس، والنعال، وكسرـوا الجرار ثم جاءوا، واسـتغفروا، وتابوا على يد الشـيخ، وقالوا كلهم يقول أســـتغفر الله قال الشـــيخ محمد النامولي رحمه الله :وكنا إذا سـافرنا معه إلى ناحية طندتا يقول لنا البيات عند الشيخ علي بن الصعيدي يعني جدي أنا لأجل حل طعامه.

وقد كان جدي رحمه الله قد دقق في الورع كما ســـيأتي في ترجمته إن شـــاء الله تعالى، وسـمعت سيدي الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله يقول ليس أحد من الأولياء له سـماط يمد كل سـنة فوق سـد الإسـكندر ذي القرنين غير سـيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه ولا يتخلف أحد من الأنبياء والأولياء عن حضـــوره فيجلس النبي صـلى الله عليه وسـلم صـدر السـماط، والأنبياء يميناً، وشـمالا على تفاوت درجا..م ،وكذلك الأولياء، ونقباء ذلك السماط المقداد بن الأسود رضي الله عنه وأبو هريرة رضي الله عنه، وجماعة هكذا سمعته من سيدي عبد القادر قال، وقد حضرته سنين.

وكـان جماعـة من رعيـان الغنم يرعون برســـيمه في ناحية المطرية فأغلظ عليهم جماعة الشـيخ فبينما الشـيخ رضي الله عنه يوما راكب، وهو راجع من مصرـ إلى البركة، ومعه جماعة من الفقراء إذ أرسـلوا إليه عشرة كلاب شؤام بأطواق الحديد يعقرون الشـيخ وجماعته فلما وصـلوا إلى الشـيخ بصبصوا بأذنا..م، ولاذوا بالشيخ تبركا فجاء أصـحا..م إليهم فرجعوا عليهم فعقروهم، ومضـوا مع الشـيخ رضي الله عنه في خدمته، وكان إذا حصـــل بين ا..اورين نكد، وتشـــويش يدخل إلى المطبخ، ويضرـــب الدســـت بعصـــاه، ويقول أنت الذي جمعت عندي هؤلاء المخاميل فما يطلع النهار حتى يشـتوا عن المكان بأنفسهم من غير أن يخرجهم أحد، وكان رضي الله تعالى عنه لا يراه أحد يصـــلي الظهر في مصرـــ أبدًا، وكان بعض الفقهاء ينكر عليه فسـافر الشـام فوجد سيدي إبراهيم في الجامع الأبيض برملة لد يصلي فسلم عليه.

وسـأل قيم الجامع عنه فقال سـيدي إبراهيم دائما يصلي الظهر عندكم فقال نعم فرجع عن إنكـاره، وكان رضي الله عنه يقول لا تكبر تعظم، وكان يقول طهر قلبك من محبـة الدنيا يجر ماء الإيمان في قلبك جداول، ومن لم ينظف قلبه من ذلك لا يجري في قلبه ماء الإيمان، وكان رضي الله عنه يقول: لا أحب الفقير إلا إن كان له حرفة تكفه عن سـؤال الناس، ولما وقع من البقاعي، وغيره الكلام في شـأن سـيدي عمر بن الفارض جاؤوا إليه، وقالوا :له مثل سـلطان العشـاق يتكلم فيه فقال لهم من سـلطان العشــاق . فقالوا ســيدي عمر بن الفارض فقال ســيدي إبراهيم هذا وأمثاله ممن ملأ الأرض عياطا من أعطى أحدهم من سر الله عز وجل ما يغطي

شـارب ناموسـة، وإن يحط على من يسـلك برياضات البوني وغيره، ويقول: وعزة ربي إن عبـاد الأصـــنام أحســـن من هؤلاء فإن لله عز وجل أخبر عنهم أ..م كانوا يقولون :" ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى "" الزمر :"٣ هؤلاء اتخذوا أسماء الله المشرفة المعظمة لحصـول أغراض خسيسة من مناصب الدنيا لو عرضت على عاقل بلا سـؤال كان من الأدب ردها فكيف بمن يطلبها بمعصــار التوجه، والجوع ليلا، و..ارًا حتى يخف دماغه، وبعضهم يحصل له الماليخوليا، والجنون، وكان رضي الله عنه يلبسـن الصوف، ويتعمم به وكان له طليحية حمراء، ويقول أنا أحمدي، وكـان رضي اللـه عنه يعمل في الغيط ويدير الماء، وينظف القناة من الحشـــيش، وكان إذا رأىً إنســـانا يعلم ما في نفســـه، وما هو مرتكبه من الفواحش، وجاءته امرأة بولـدهـا ليقرأ عنـده في بركـة الحـاج فقـال أنـا مـا أجمع عنـدي أحـدًا من الحراميـة المقطوعين اليـد فقـالـت أمـه: بســـم الله حوالي ولدي فخرجت به إلى الخانكاه فسرق فقطعت يده، وصدق الشيخ، وكان الشيخ إذا جاءه جبة أو جوخة مثمنة يتحزم عليها بحبل، ويعزق الغيط، وهو لابسها ،ويقول: ليس لملابس الدنيا عندنا قيمة، وكان إذا فارقه إنسـان من مريديه إلى أصـحاب الخلوات، والرياضات يهجره، ويقول له: يا ولدي أنا أريد أن أجعلك رجلا، وأنت تريد أن تصـير كالبومة العمياء لا تنفع أحدًا، وأخباره مع الولاة وغيرهم مشهورة.

وكان رضي الله عنه يقول كل فقير لا يقتل بعدد شـــعر رأســـه من الظلمة فليس بفقير وكان يعارض السـلطان قايبتاي في الأمورحتى قال له : يوما السـلطان إما أنا في مصر أو أنت فخرج سيدي إبراهيم رضي الله عنه متوجها نحو القدس، فقالوا

له :إلى أين فقال إلى موضـع تقف فيه حمارتي فوقفت بأسـدود تجاه قبر سـيدي سـليمان رضي اللـه عنـه، فمات هناك سـنة نيف وثمانين، وثمانمائة، وخلع عليه سيدي سليمان رضي الله عنه الشـهرة فانطفأ اسـمه من ذلك اليوم، وصار الاسم لسيدي إبراهيم ،: المشهور بين الناس أنه خرج في غيظ من قايتباي، وذلك لا يليق بمقام الشـيخ لأن الكمل لا يغضـبون لأنفسـهم، وإنما ينقلون من مكان إلى مكان لترا..م، أو بنية صـالحة أو غير ذلك، والله أعلم. وعشـق رجل أمرد فهرب الأمرد منه إلى سـيدي إبراهيم، فوضـعه في خلوته فبلغ ذلك الرجل فغير هيئته في صـفة فقير، وجاء إلى سـيـدي إبراهيم يطلـب الطريق، فأدخله مع ذلك الأمرد، فأنكر بعض الناس على سـيدي إبراهيم فلما كان الغد خرج الفقير، وقال: يا سـيدي أنا تائب إلى الله تعالى فقال لماذا، فقال :يا سيدي وضعت يدي على الشاب، فأخذتني الحمى حتى لم أسـتطع أن أجلس إلى الصـباح، وقد تبت إلى الله تعالى قال له :الشـيخ حتى تأخذ حدها منك، فمكث مآ. نحو سـتة شـهور تخضـه حتى خرجت شهواته من الدنيا وما فيها رضي الله تعالى عنه، والله أعلم.

ومنهم الشيخ حسين أبو علي رحمه الله

كان هذا الشـيخ رضي الله عنه من كمل العارفين، وأصـحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات تدخل عليه بعد الأوقات تجده جنديا ثم تدخل فتجده ســبعا ثم تدخل فتجده فيلا ثم تدخل فتجده صــبياً ،وهكذا ومكث نحو أربعين ســنة في خلوة مســدود با..ا ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء، وكان يقبض من الأرض، ويناول النـاس الـذهـب والفضــة، وكـان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول :هذا كيماوي ســيماوي، ولما شرع الخواجـا ابن القنيش البرلسيـ في بنـاء زاويته قال :أعداؤه إن هذا المصروف العظيم إنما هو من كيمياء الشـيخ حسين فبرطلوا عليه بعض العياق أن يقتلوه، فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف، وأخذوه في تليس، ورموه على الكوم وأخذوا عل قتله ألف دينار ثم أصبحوا، فوجدوا الشيخ حسينا رضي الله عنه جالسـا ، فقال: لهم غركم القمر، وكانت النموس تتبعه حيثما مشىـ في شوارع، وغيرها فسموا أصحابه بالنموسية، وكان رضي الله عنه بريئا من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذي ضربت به رقا..م في الشريعة، وكان الشيخ عبيد أحد أصـحابه الذي هو مدفون عنده الآن مثقوب اللســان لكثرة ما كان ينطق به من الكلمات التي لا تأويل لها، وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب، فوحلت فلم يستطع أحد أن يزحزحها فقال: الشيخ عبيد اربطوها في بيضي بحبل، وأنا أنزل أســحبها ففعلوا فســحبها ببيضــه حتى تخلصــت من الوحل إلى البحر. مات رضي الله عنه في سـن نيف، وتسـعين وثمانمائة، ودفن بزاويته بساحل الذيل بمصر المحروسة ببولاق رضي الله عنه.

ومنهم سيدي الشيخ محمد الغمري رحمه الله

أحد أعيان أصحاب سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه، كان من العلماء العاملين، والفقراء الزاهدين المحققين، سار في الطريق سيرة صالحة وكانت جماعته في المحلة الكبرى، وغيرها يضرب مآ. المثل في الأدب، والاجتهاد، ولما أذن له سيدي أحمد الزاهد أن يذهب إلى المحلة، وقال له: إن مقامك مآ. عارضه الشيخ أبو بكر الطريني، فرده إلى محلة أبي الهيثم مدة ثم رجع إلى مصر فقال: سيدي أحمد لسيدي مدين اذهب، وطن أخاك في المحلة فسافر معه سيدي مدين، ولم يجيء إلى أن طاب الوقت بينه، وبين الطرينية ،وعملوا له مولدًا، وصرفوا عليه من مالهم، وكان رضي الله عنه يقول :خدمت عند سيدي أحمد رضي الله عنه مدة في البوابة ومدة في الوقادة، ومدة في النقابة، وكان قد قسم الفقراء إلى ثلاثة أقسام كهول ،وشباب، وأطفال، وجعل لكل قسم مكانا يخصه، ولا يختلط بالآخر، وكانوا لا يجتمعون إلاً يوما واحدًا في الجمعة فيتناقشون فيما وقع بينهم في بقية الجمعة لأنه كان أخذ عليهم العهد أن لا أحد يجيب عن نفسه قط بل يعفو عن الظالم أو يشكوه للشيخ يفعل فيه ما شاء من حيث أ..م كانوا يرون نفوسهم ملكا للشيخ يفعل فيهم ما شاء، وهم أوصياء على أجسامهم فينتصرون لها من حيث إ..ا مضافة إلى الحق، وما كان أحد منهم يتكدر قط مما يفعله الشيخ معه من هجر أو إخراج أو ضرب أو جوع أو نحو ذلك بل كانوا يرون الفضل للشيخ، ولمن غمز عليهم في ذلك لمكان صدقهم في طلب الأدب، وكان رضي الله عنه يقول: كان سيدي أحمد رضي الله عنه لا يأذن قط لفقير أن يجلس على سجادة إلا إن ظهرت

له كرامة، وكانت كرامتي أنني نمت عن الوقود، فأشرت إلى القناديل فاتقدت كلها، وأخبرني الأخ الصالح الشيخ شمس الدين الطنيخي أن الفقراء أرسلوه يوما إلى البستان فأتى بشيء من الرطب للفقراء، فغلبته النفس فأكل ثلاث رطبات، فأول ما رآه النقيب قال: هذا أكل من الرطب من وراء الفقراء، فأخبر..م أني أكلت ثلاث رطبات، فأمر الشيخ مآ... عن كل رطبة يوماً، وأخبرني رحمه الله أن الفقير كان يأتيه أبوه أو أخوه من البلاد، فيقع بصره عليه فلا يقدر يسلم عليه حتى يشاور النقيب، ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب الخيسي يوما الخلوة، فرآه جالسا في الهواء وله سبع عيون، فقال له: الكامل من الرجال يسمى أبا العيون، ووقع الغلاء في سنة، فأخرج الشيخ جميع ما في المخزن من القمح فباعه للناس، وصار يشتري مثل الناس، وقال: إن الله يكره الرجل المتميز عن أخيه .ولما أراد عمارة جامعه بمصر بسويقة أمير الجيوش أرسل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في عمارته على يد شخص يرعى المعزى في مصر كان مشهورًا بالولاية بباب النصر، فقال له :أرد لك الجواب غدًا، فلما كان الغد قال له :عمر أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه يحب المشي إلى الشفاعات مع قدرته على قضاء الحاجة بقلبه، ويقول: إن الحديث ورد فيمن مشى في قضاء الحاجة لا فيمن يقضيها بقلبه، ولما أرسل السلطان جقمق تجريدة خلف بن عمر أمير الصعيد جاءوا به في الحديد فعثر حمار بياع، فجل من فقراء سيدي محمد في الصعيد، فقال: يا سيدي محمد يا غمري فسمعه ابن عمر فقال من هذا فقال :شيخي فقال، وأنا الآخر أقول : سيدي محمد يا غمري لاحظني فسمعه سيدي محمد، وهو في المحلة قال

:الحاكي لي الشـيخ شهاب الدين بن النخال فطلب رضي الله عنه ثلاث حمير وقال

:اركبوا فركبنا مع الشـيخ، وسـافرنا إلى القاهرة، فجلس الشـيخ تحت قبة السلطان

حسن لحظة وإذا بابن عمر طالعون به الحديد إلى القلعة فقال لابن النخال اطلع

خلف هذا الرجل فإذا رأيت السـلطان أغلظ عليه، وأمر بإتلافه فضـع إصـبعك

السـبابة على الإ..ام، وتحامل عليه فإن كل من في الموكب تضـيق نفسـه، ويخنق

حتى السـلطان فلما طلع ورآه أغلظ عليه السـلطان فصـنع ما أمره الشـيخ فصاح

السـلطان أطلقوه واخلعوا عليه فتلطخ جماعة بالزعفران فترل ابن النخال فأخبر

الشـيخ فقـال اركبوا قضـيت الحاجة، ولم يكن أحد يعلم ابن عمر بالواقعة، ولا

بمجيء الشـيخ ورجع إلى المحلة، وقال: المعاملة مع الله تعالى، وما مع أحد منكم

دسـتور يتكلم بـذلـك حتى أموت قال لي :ابن النخال فما أخبرت مآ. أحدًا قبلك

.مـات رضي اللـه عنه سـنة نيف وخمس وثمانمائة، ودفن بجامع المحلة رضي الله

عنه.

ومنهم سيدنا، ومولانا شمس الدين الحنفي رحمه الله

كان رضي الله عنه من أجلاء مشايخ مصر، وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الفاخرة، والأحوال الخارقة، والمقامات السنية، والهمم العلية صاحب الفتح المؤنق، والكشف المخرق ،والتصدر في مواطن القدس، والرقي في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق، كان له الباع الطويل في التصريف النافذ واليد البيضاءفي أحكام الولاية، والقدم الراسخ في درجات النهاية، والطود السامي في الثبات، والتمكين وهو أحد من ملك أسراره، وقهر أحواله، وغلب على أمره، وهو أحد أركان هذه الطريق، وصدور أوتادها، وأكابر أئمتها، وأعيان علمائها علماً، وعملا، وحالا، وقالا: وزهدًا وتحقيقاً، ومهابة، وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود وصرفه في الكون، ومكنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العوائد وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه الفوائد ،ونصبه قدوة للطالبين حتى تلمذ له جماعة من أهل الطريق، وانتمى إليه خلق من الصلحاء والأولياء، واعترفوا بفضله، وأقروا بمكانته وقصد بالزيارات من سائر الأقطار، وحل مشكلات أحوال القوم، وكانرضي الله عنه ظريفا جميلا في بدنه، وثيابه، وكان الغالب عليه شهود الجمال رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .توفي رضي الله عنه سنة سبع وأربعين، وثمانمائة رضي الله عنه، وقد أفرد الناس ترجمته بالتأليف منهم الشيخ نور الدين علي بن عمر البتنوني رضي الله عنه، وهو مجلدان، والحق أنه لم يحط علما بمقام الشيخ رضي الله عنه حتى يتكلم عليه إنما ذكر بعض أمور على طريقة

أرباب التواريخ وأهل الطبقات بل لو رام الولي نفسه أن يتكلم على مقام نفسه لا يقـدر كما هو مقرر في كلام أصــحاب الدوائر الكبرى، والله أعلم، ولكن نذكر لك طرفاً صالحا مما ذكره الإمام البتنوني لتحيط به علما فنقول: وبالله التوفيق :اعلم أنه رضي الله عنه ربي يتيما من أمه وأبيه فربته خالته فكان زوجها يريد أن يعلمه الصـنعة فمضى به إلى الغرابلي فهرب إلى الكتاب ثم مضى به إلى المناخلي ،فهرب إلى الكتاب فكف عنه، فحفظ القرآن، وكان ابن حجر رفيقه في الكتاب قال: الشيخ أبو العبـاس السرــسي، ولما خرج الشــيخ محمد الحنفي من الكتاب جلس يبيع الكتب في ســوقها، فمر عليه بعض الرجال، فقال: يا محمد ما للدنيا خلقت، فترل من الـدكان، وترك جميع ما فيه من الغلة والكتب، ولم يســأل عن ذلك بعد ثم حبب إليه الخلوة ثم اختلى ســبع ســنين لم يخرج في خلوة تحت الأرض ودخلها، وهو ابن أربع عشرـة سـنة وكان رضي الله عنه ،يقول: إياكم، وكرامات الأولياء أن تنكروهـا، فإ..ا ثابتة بالكتاب، والســنة، ونقض العادة على ســبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل الســنة، والجماعة، وقد دعا الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يوما فترلت عليه مائدة من الســماء من حيث لا يعلم، قال: الشــيخ أبو العباس، وكنـت إذا جئتـه وهو في الخلوة أقف على بـا..ا فـإن قـال لي :ادخـل دخلت، وإن سكت رجعت فدخلت عليه يوما بلا استئذان فوقع بصري على أسد عظيم، فغشي علي فلما أفقـت خرجـت، واســتغفرت اللـه تعـالى من الدخول عيه بلا إذن قال :الشــيخ أبو العبـاس رضي اللـه عنـه، ولم يخرج الشــيخ رضي الله عنه من تلك الخلوةحتى سمع هاتفا يقول: يا محمد أخرج أنفع الناس ثلاث مرات، وقال له

:في الثـالثـة إن لم تخرج، وإلا هيـه، فقال: الشــــيخ فما بعد هيه إلا القطيعة قال
:الشيخ فقمت، وخرجت إلى الزاوية فرأيت على الفسقية جماعة يتوضئون فمنهم
من على رأسـه عمامة صفراء ومنهم زرقاء، ومنهم من وجهه وجه قرد ومنهم من
وجهـه وجه خترير، ومنهم من وجهه كالقمر فعلمت أن الله أطلعني على عواقب
أمور هؤلاء الناس، فرجعت إلى خلفي، وتوجهت إلى الله تعالى فستر عني ما كشف
لي من أحوال الناس، وصرت كآحاد الناس، وكان في خلوة الشيخ توتة مزروعة قال
:الشيخ رضي الله عنه فخطر لي أن أباسطها فقلت: يا توتة حدثيني حدوثة فقالت
بصـوت جهوري نعم إ..م لما زرعوني سقوني فلما سقوني أسست فرعت فلما فرعت
أورقت، فلما أورقت أثمرت فلما أثمرت أطعمت قال: الشــــيخ رضي الله عنه فكان
كلامها ســـلوكا لي، وقد حصـــل لي بحمد الله ما قالت :التوتة وكان رضي الله عنه
يجلس يعظ الناس على غير موعد فيجيء الناس حتى يملئوا زاويته بقدرة الله عز
وجل، وكان الشيخ حسن الخباز المدفون بتربة الشاذلية بالقرافة رضي الله عنه إذا
رأى سـيدي محمدًا وهو صـغير يقول: سـيكون لهذا الولد شـأن عظيم في مصر ثم
يقول، وأخبرني بذلكً أيضـــا ابن اللبان عن ابن عطاء الله عن ياقوت العرشي عن
أبي العباس المرسي عن أبي الحســن الشـاذلي رضي الله عنه أنه كان يقول: سـيظهر
بمصر رجل يعرف بمحمد الحنفي يكون فاتحا لهذا البيت، ويشتهر في زمانه ويكون
له شأن عظيم، وفي رواية أخرى عن الشاذلي رضي الله عنه يظهر بمصر شاب يعرف
بالشـاب التائب حنفي المذهب اسـمه محمد بن حســن، وعلى خده الأيمن خال ،
وهو أبيض اللون مشرب بحمرة وفي عينيه حور ويربي يتيما فقيراً، أخذ رضي الله

عنه الطريق بعد أن خرج من الخلوة عن الشـيخ ناصر الدين بن الميلق عن جده الشيخ شهاب الدين بن الميلق عن الشيخ ياقوت العرشي عن المرسي عن الشاذلي، فلذلك كان سـيدي أبو الحسـن يقول: الحنفي خامس خليفة من بعدي قال: أبو العباس رضي الله عنه، وكان سيدي محمد رضي الله عنه يأمر من يراه من أصحابه عنده شـهامة نفس بالشـحاتة من الأسـواق وغيرها حتى تنكسر النفس، ويقول :رحم الله من ساعد شيخه على نفسه، وكان رضي الله عنه يقول: ظفرت في زماني كله بصاحبين، ونصف صاحب، فأما الصاحبان فهما أبو العباس السرسي، والشيخ شـمس الدين ابن كتيلة المحلى، أما الأول فإنه أنفق على جميع ماله، وأما الثاني فإنه تمسك بطريقتي، واتبع سنتي، وأما نصف الصاحب فهو صهري سيدي عمر قال: أبو العباس رضي الله عنه قال لي: سـيدي محمد يوما أما ترضى أن تكون بدايتي ما.... فقلت :نعم .

وكان سـيدي علي بن وفا رضي الله عنهً يوما في وليمة فقال الناس ما تتم الوليمة إلا بحضور سيدي محمد الحنفي، فجاء إليه صاحب الوليمة فدعاه فأتى فقال: من هنا من المشـايخ .فقال سـيدي علي بن وفا، وجماعته، فقال: ادخل، واسـتأذنه لي فإن من أدب الفقراء إذا كان هناك رجل كبير لا يدخل عليه حتى يستأذن له فإن أذن، وإلا رجعنا خوف السلب، فدخل صاحب الوليمة فاستأذن له فأذن له سيدي علي ،وقام له، وأجلسه إلى جانبه فدار الكلام بينما، فقال: سيدي على ما تقول :في رجل رحى الوجود بيدهيدورها كيف شـاء فقال له: سـيدي محمد رضي الله عنه فما تقول :فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور فقال له: سيدي علي والله كنا

نتركها لك ونذهب عنها، فقال :سـيدي محمد رضي الله عنه لجماعة سـيدي علي، ودعوا صاحبكم فإنه ينتقل قريبا إلى الله تعالى فكان الأمر كما قال، وسمع سيدي محمد رضي الله عنه هاتفا يقول: بالليل يا محمد، وليناك ما كان بيد علي بن وفا زيادة على ما بيدك فعلمت أن ذلك لا يكون إلا بعد موته، فأرسلتً شخصا من الفقراء يسأل عن بيت سيدي علي بحارة عبد الباسط فوجد الصائح أنه قد مات، ودخل فقير إلى القاهرة فأشـكل حاله على الناس، وكان يمد يده في الهواء فيقبض من الدنانير، والمراهم فبلغ سيدي محمدًا فأحضره بين يديه، وقال: أكرمنا بما فتح الله بـه عليك فقبض قبضـة من الهواء وأعطاها لسـيدي محمد رضي الله عنه فوجدوها ثمانين دينـارًا . فطلب منه كذلك ثانياً، وثالثاً، وهو يعطيه لكن دون الأول فقال :زدني فقبض فلم يقع شيء بيده فقال : الشـيخ إن خزائن الله لا تنفد ثم ضرب وأخرج وسـلب حاله من ذلك اليوم، وكان الشريـف النعماني رضي الله عنه أحد أصحاب سيدي محمد رضي الله عنه يقول :رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وسـلم في خيمة عظيمة، والأولياء يجيئون فيسـلمون عليه واحدًا بعد واحد، وقائل يقول: هذا فلان هذا فلان، فيجلسون إلى جانبه صلى الله عليه وسلم حتى جاءت كبكبة عظيمة، وخلق كثير وقائل يقول هذا محمد الحنفي فلما وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أجلسه بجانبه ثم التفت صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وعمر، وقال لهما: إني أحب هذا الرجل إلا عمامته الصماء أو قال الزعراء، وأشار إلى سيدي محمد، فقال له: أبو بكر رضي الله عنه أتأذن لي يا رسول الله أن أعممه فقال :نعم فأخذ أبو بكر رضي الله عنه عمامة نفسه، وجعلها على رأس

سـيدي محمد، وأرخى لعمامة سـيدي محمد عذبة عن يسـاره وألبسـها لسـيدي محمد انتهى فلما قصـها على سيدي محمد رضي الله عنه بكى، وبكى الناس، وقال :للشريف محمد إذا رأيت جدك صـلى الله عليه وسلم فاسأله لي في أمارة يعلمها من أعمالي، فرآه صـلى الله عليه وسـلم بعد أيام، وسـأله الأمارة فقال له: بأمارة الصـلاة التي يصـليها علي في الخلوة قبل غروب الشمس كل يوم وهي :اللهم صل على محمد النبي الأمي، وعلى آله، وصـحبه وسلم عدد ما علمت وزنة ما علمت، وملء ما علمت فقال :سـيدي محمد رضي الله عنه صـدق رسـول الله صـلى الله عليـه وســـلم، وأخـذ عمامتـه، وأرخى لهـا عـذبة ونزع كل من في ا..لس عمامته، وأرخى لها عذبة، وصـار سيدي محمد رضي الله عنه إذا ركب يرخي العذبة، وترك الطيلسان الذي كان يركب به إلى أن مات رضي الله عنه ثم إن الشريف رضي الله عنه رأى النبي صـلى الله عليه وسـلم بعد ذلك أيضـاً، وقال له: إني أرسـلت إلى محمد الحنفي أمارة مع رجل من رجال الصعيد، وأن يعمل لعمامته عذبة فوصل الرجل الصعيدي بعد مدة، وأخبر سيدي محمدًا بالرؤيا رضي الله عنه، قال: الشيخ شـمس الدين بن كتيلة رضي عنه، وأول شـهرة اشـتهر مآ. الشـيخ محمد الحنفي رضي اللـه عنـه أن السـلطان، فرج بن برقوق كان يرمي الرمايا على الناس، وكان الشـيخ يعارضـه فأرسـل وراء الشـيخ وأغلظ عليه القول، وقال: المملكة لي أو لك فقـال لـه :الشــيخ رضي اللـه عنه لا لي، ولا لك المملكة لله الواحد القهار ثم قام الشيخ متغير الخاطر، فحصل للسلطان عقب ذلك، ورم في محاشمه كاد يهلك منه، فأرسل خلف الأطباء، فعجزوا فقال له بعض خواصه العقلاء هذا من تغير خاطر

الشـــيخ محمـد الحنفي، فقال: أرســـلوا خلفه لأطيب خاطره، فترل الأمراء إليه، فوجدوه خارج مصر ــ نواحي المطرية فأخبروه بطلب الســـلطان له فلم يجب إلى الاجتماع به فلم يزالوا يترددون بينه، وبين السلطان حتى رق له وأرسل له رغيفاً مبســوسـا بزيت طيب. وقال لهم :قولوا له :كل هذا تبرأ، ولا تعد إلى قلة الأدب نملخ آذانك فمن ذلك اليوم اشـتهر أمر الشـيخ رضي الله عنه للناس، وصـار الناس إذا لام بعضـهم ً بعضـا على أمر لم يفعله يقول له :يعني ينغاظ الحنفي، وشاعت هذه الكلمة بين الناس إلى الآن، وكان الاستادار لما جاء إلى الشيخ يدعوه للسلطان أغلظ على الشـيخ القول فدعا عليه الشـيخ، فأعلموا الســلطان بذلك فسـجنه ثم ضرب عنقه، وأرســـل رأســـه للشـــيخ في طبق فولى بوجهه عنه، وقال :ارفعوها، وادفنوها مع جثته، وكان سيدي الشيخ إسماعيل نجل سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه يقول: إن الشـــيخ رضي الله عنه أقام في درجة القطبانية ســـتة وأربعين ســـنة، وثلاثة أشـــهر، وأياماً، وهو القطب الغوث الفرد الجامع هذه المدة، وكان رضي الله عنه يقول: من الفقراء من يســـلك على يد رجل، وينفطم على يد غيره لموت الشـيخ الأول أو غير ذلك، وكان شـيخ شـيخه الشيخ شهاب الدين بن الميلق رحمه الله تعالى يكتب بكل مدة قلم ً كراسـا كاملا، فسـمع بذلك الناس، فتعجبوا من ذلـك، واســـتبعدوا، وقوعه فأمر الشـــيخ محمد الحنفي رضي الله عنه بعض مريديه أن يكتب بكل مدة كراســين فكتب، والناس ينظرون، وكان رضي الله عنه يقول: كان الشيخ ياقوت رضي الله عنه يقول :يا دهشتي يا حيرتي يا حرف لا يقرأ، وكان يقول وجدت مقام سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أعلى من مقام

سـيدي عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه ثم قال: وسـبب ذلك أن سـيدي عبد القادر سـئل يوما عن شـيخه، فقال: أما فيما مضىـ فكان شـيخي حمادًا الدباس . وأما الآن، فإني أسـقي من بين بحرين بحر النبوة، وبحر الفتوة يعني ببحر الفتوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأما سـيدي أبو الحسـن رضي الله عنه فقيل له من شـيخك؟ فقال أما فيما مضى فكان شيخي سيدي عبد السلام بن مشيش، وأما الآن فإني أسـقي من عشرـة أبحر خمس سـماوية، وخمسـة أرضـية كما تقدم في ترجمته، وكان رضي الله عنه إذا وعظ الناس في ترك الزنا يقول: إن الذي يشـبك الكلب مع الكلبة قادر أن يشـبك الزاني مع الزانية في حال زناه ثم يقول: هاه هاه فيصرـخ الناس، ويكثر ضـجيجهم، وكان رضي الله عنه يتكلم على خواطر القوم، ويخاطب كل واحد من الناس بشرـح حاله، وقال له: رجل بلغنا عن الشـيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه أنه عمل يوما ميعادًا سـكوتيا لأصـحابه، ومرادنا أن تعملوا لنـا ذلـك، فقال: نفعل ذلك غدًا إن شـاء الله تعالى فجلس على الكرسي، وتكلم بغير صوت، ولا حرف سرًا فأخذ كل من الحاضرين مشروبة وصار كل واحد يقول ألقي إلي في قلبي كذا، وكذا فيقول له: الشـيخ صدقت، فحصل الاتعاظ لكل واحد، وكان ذلك من الكرامات، وكان إذ حضرـ أحد من المنكرين ميعاده يصـير المنكر يضـطرب، وينتفض، ويتقلـب في الأرض، ويقول: والله ما هذا سـدى ثم يصـحبه، وجاءه شـخص فقال: يا سيدي ادع الله أن يرزقني شيئا من محبته فقال :رضي الله عنه لا أقول لك مثل ما قال : بعض العارفين رضي الله عنه لما سأله ذلك عني كتفك، ولكن أقول لك احضر الميعاد، فحضر يوما فألقي الشيخ عليه بعض

مسـائل من دلائل محبة الله تعالى فغشي على الرجل، وحمل ً مغشيا عليه فمكث ثمانية أيام لا يعي شيئا ثم مات فصلى عليه الشيخ رضي الله عنه، وقال: صلوا على شهيد المحبة، ودفنه في القرافة، وكان رضي الله عنه يلبس الملابس المثمنة الفاخرة فأنكر عليه بعض من لا معرفة عنده بأحوال الأولياء، وقال: بعيد أن يكون الأولياء يلبسون هذه الملابس التي لا تليق إلا بالملوك ثم قال :إن كان الشيخ، وليا يعطيني هذا السـلاوي أبيعه وأنفقه على عيالي فلما فرغ الشـيخ رضي الله عنه من الميعاد نزعه ثم قال: أعطوه لفلان يبيعه، وينفق ثمنه على عياله فأخذه الرجل، وصـــار يقول :شيء لله المدد ثم جاء الميعاد الثاني فوجده على الشيخ اشتراه بعض المحبين، وقال: هذا لا يصــلح إلا للشــيخ محمد الحنفي فأهداه له، وكان رضي الله عنه لا ترد له شــفاعة وكان يشــفع عند من يعرفه، وعند من لا يعرف، وقد ذكر شــيخ الإسـلام العيني في تاريخه الكبير والله ما سـمعنا، ولا رأينا فيما حويناه من كتبنا، وكتب غيرنا، ولا فيما اطلعنا عليه من أخبار الشــيوخ، والعباد والأســتاذين بعد الصــحابـة إلى يومنـا هـذا أن أحـدًا أعطى من العز والرفعـة ،والكلمـة النافذة، والشــفاعة المقبولة عند الملوك، والأمراء، وأرباب الدول، والوزراء عند من يعرفه، وعند من لا يعرفه مثل ما أعطى الشــيخ سـيدي شــمس الدين الحنفي ثم قال :وأبلغ من ذلك أنه لو طلب السـلطان أن يترل إليه ً خاضعا حتى يجلس بين يديه ويقبـل يـديـه لكـان ذلك اليوم أحب الأيام إليه، وفي مناقب الشــيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أن الخليفة قصد يوما زيارته فلما قرب من زاويته قام سيدي عبد القادر من مجلسه ودخل خلوته، ووقف خلف الباب، فلما دخل الخليفة

خرج إليه فسلم عليه، وجلس، وكان ذلك من سيدي عبد القادر رضي الله عنه تعظيما للخرقة والطريق حتى أنه لا يقوم للخليفة، وكان سيدي الشيخ شمس الدين الحنفي لم يقم قط لأحد من الملوك، ولا من الأمراء، ولا من القضاة الأربع، ولا غيرهم، ولم يغير قط قعدته لدخول أحد منهم، وكان هؤلاء إذا دخل أحد منهم لا يستطيع أن يجلس إلى جانبه، ولا يتربع بين يديه بل يجلس جاثيا على ركبتيه متأدبا خاضعاً، ولا يلتفت يميناً، ولا شمالا وكان الملك الظاهر جقمق سيء الاعتقاد في طائفة الفقراء، وكان يكره سيدي محمدًا، ومع ذلك كان يرسل له في الشفاعات فيقضيها، ويقول: لمن حوله كلما أقول :إني لا أقبل لهذا الرجل شفاعة لا أستطيع بل أقبل شفاعته، وأتعجب في نفسي من ذلك، ونزل إليه الملك المؤيد، فجاء إلى الزاوية فوجد الشيخ فوق سطح البيت، فطلع إليه سيدي أبو العباس، وأخبره فقال: قل له :قال :إنه ما يجتمع بأحد في هذا الوقت فوضع السلطان يده على رأسه، ورجع إلى القلعة، ولم يتغير من الشيخ إجلالا له رضي الله عنه .وأرسل إليه الأمير بيسق بشكارة فضة فوجده على الكرسي فصار يقبض منها، ويرمي للناس حتى أفناها كلها بحضرة القاصد كأنه يريه أن الفقراء في غنية عن ذلك، وأ..م لو أحبوا الدنيا ما كان لهم هذا المقام بين الناس ثم إن الأمير بلغه ما وقع فجاء إلى الشيخ، فقبل يديه فقال له: الشيخ قم إلى هذا البئر فاملأ منه هذه الفسقية للوضوء فيصير ثواب ذلك في صحيفتك إلى يوم القيامة، فخلع الأمير ثيابه وملأ دلوًا فوجده ثقيلا فعالجه حتى طلع به فوجده ذهباً، فقال: ذلك للشيخ فقال :صبه في البئر واملأ فملأه كذلكً ثانياً وثالثا فقال قل للبئر مالنا حاجة إلا

بالماء، فاستحقر الأمير ما كان أرسله للشيخ، وطلب الفقراء بالوعة للميضأة فغرز الشيخ عكازه، وقال: هذه بالوعة فهي إلى الآن يترل فيها ماء الوضوء: ولا يعرفون إلى أين يذهب، وكان أمير كبير يسمى بططر عند الملك المؤيد كلما يجيء يزور الشيخ يقوم يخلع ثيابه، ويملأ الفسقية للناس بنفسه، ويعود، ويلبس ثيابه، وتخفيفته، ولما تسلطن بعد الملك أحمد بن المؤيد كان يترل إلى زيارة الشيخ كل يوم أو ثلاثة لا يستطيع أن يتخلف عنه فيقول له: الشيخ إنك صرت سلطاناً، فالزم القلعة، فيقول :لا أستطيع، وكان يقول: للشيخ لا تقطع شفاعتك عنا، ولو كان كل يوم ألف شفاعة قبلناها، ولما عزل شيخ الإسلام ابن حجر أرسل الشيخ جاريته بركة إلى السلطان ططر، وقال لها: قولي له :رد الشيخ شهاب الدين إلى ولايته فطلعت إليه بركة، وقالت له: ذلك فكتب لها في الحالً مرسوما بولاية شيخ الإسلام ابن حجر، وأرسل له خلعة فكان ابن حجر رحمه الله لا ينسى ذلك للشيخ، وطلع الشيخ رضي الله عنه مرة للسلطان ططر يعوده من مرض، فتسامع الناس أن الشيخ رضي الله عنه طلع للسلطان، فترادف عليه أصحاب الحوائجفأمر السلطان أن لا يرد ذلك اليوم قضية، وسأل الشيخ أن يعلم الناس على قضاياهم، فعلم على خمسةوثلاثين قضية فلما أراد الشيخ الترول أخرج السلطان له فرسا بسرج مغرق، وكنبوشا ، وأمر بالقبة والطيرأن يكونوا على رأس الشيخ، وأمر الأمراء أن يركبوا معه إلى الزاوية، ففعلوا ذلك، وكانت القبة والطير مع أمير كبير يقال له :برسباي الدقماقي ثم تولى بعد ذلك المملكة فكان هو الملك الأشرف برسباي، وكان يراعي خاطر الشيخ، ويخاف منه مدة مملكته إلى أن توفي رحمه الله تعالى،

وجاء مرة قاض من المالكية يريد امتحان الشيخ. فأعلموا الشيخ أنه جاء ممتحناً،
فقال :الشيخ رضي الله عنه إن استطاع يسألني ما عدت أقعد على سجادة الفقراء
فلما جاء القاضي يســأل قال: ما تقول :في وتوقف فقال له :الشــيخ رضي الله عنه
نعم فقال :ما تقول: في، وتوقف فقال له الشـيخ رضي الله عنه نعم فقال ما تقول
في وتوقف فقا لله الشـيخ نعم حتى قال ذلك مرارًا عديدة فلم يفتح عليه بشيء
فقال القاضي كنت أريد أن أسـأل عن سـؤال وقد نسيته ثم كشف رأسه واستغفر
وأخـذ عليه العهد بعدم الإنكار على الفقراء والاعتراض عليهم وتكلم على الكرسي
في جامع الطريني بالمحلة الكبرى يوما في معنى قولهم يا فقيه فق فاقه يا صريم
الناقة قلت له: قم صــل قام جرى في الطاقة حتى أبكى الناس، وزعق بعضــهم،
وتخبط عقل بعضهم، وكان من جملة ما قال: معنى فق أي على أبناء جنسك فاقة
أي ولو مرة، وقولهم يا صريم الناقة أي يا زمام الناقة التي هي مطية المؤمن التي
مآ. يبلغ الخير وينجو من الشر، وقولهم قم صـل قام جرى في الطاقة فمعناه أنه
أمر بـالصــلاة فقط فزاد على ذلك طاقته من الأذكار، والصــيام، والقيام وجد في
الاجتهاد، والطاعات، ومعنى جرى في الطاقة أي أسرع وبادر، وفعل ما أمر به وزاد
في الطـاعة جهد الاســتطاعة التي هي الطاقة، وليس المراد مآ. الكوة المثقوبة في
الحـائط، وكـان ســيـدي أبو بكر الطريني رحمـه الله أول ما يدخل القاهرة يبدأ
بزيارة سـيدي محمد الحنفي رضي الله عنه لا يقدم عليه أحدًا، وقدم سـيدي أبو
بكر طعاما خبيزة للشـيخ حين قدم المحلة فقال له: الشـيخ يا أبا بكر هل أذن لك
أصحاب الغيط أن تأخذ من خبيز..م قال :لا فلم يأكلها الشيخ، وكذلك أبو بكر إلى

أن مات، وكان رضي الله عنه إذا نادى مريدًا له في أقصى بلاد الريف من القاهرة يجيبه فإن قال : مسرعا تعال سافر إليه أو افعل كذا فعله، ونادى يوما أبا طاقية من بلد قطور بالغربية فسمع نداء الشيخ، فجاء إلى القاهرة وكان هذا الشيخ من أرباب الإشارات فسمع بياع الحمص الأخضر يقول: يا ملانة بفليس يا ملانة بفليس فمضى خلفه، وصار يقول :في نفسه ملانة، وهي بفليس ثم صار يقول :للبياع يا ملانة بقلبين يا ملانة بقلبين، فقال :ما صيرها رخيصة إلا كو..ا بقلبين ثم رجع، وكان سبب تسميته أبا طاقية أن سيدي محمدًا رضي الله عنه قال له :اخلع عمامتك، وخمر هذا الطين ففعل فقيل له لما فرغ لم لا تلبس عمامتك، فقال: لم يقل لي الشيخ فإذا فرغت فالبسها فلا ألبسها إلا إن قال لي: فلم يقل له :الشيخ فأقام بقية عمره بطاقية حتى مات .وركب مرة إلى الروضة على حمار مكار فأعطاه إنسان عشرين دينارًا فقال أعطها للمكاري، فأعطاها له، وكان إذا دخل الحمام، وحلق رأسه تقاتل الناس على شعره يتبركون به، ويجعلونه ذخيرة عندهم .

وكان رضي الله عنه يجمع الفقراء ويدخل مآ. الحمام جبرًا لخاطرهم، وإشارة لتنظيفهم الباطن، وكان للشيخ بلان فسافر إلى بلاد المغرب فعرف أنه كانً بلانا لسيدي محمد الحنفي، فصار الناس يأخذون يده يقبلو..ا، ويقولون: هذه يد مست جسد الشيخ فبلغ ذلك مولاي أبا فارس سلطان تونس، فأرسل وراءه وقبل يده، ووضعها على مواضع من جسده يتبرك مآ. ثم أرسل، وكيله إلى مصر ليأخذ له العهد بطريق الوكالة، فأخذ عليه العهد وأمره أن يأخذ العهد على السلطان إذا

رجع، وكـان أهـل المغرب يرســـلون يـأخذون من تراب زاويته ويجعلونه في ورق المصـاحف، وكان أهل الروم يكتبون اسـمه على أبواب دورهم يتبركون به، وكانت رجـال الطيران في الهواء تـأتي إليـه فيعلمهم الأدب ثم يطيرون في الهواء والنـاس ينظرون إليهم حتى يغيبوا، وكان رضي الله عنه يزور ســكان البحر. فكان يدخل البحر بثيابه فيمكث ساعة طويلة ثم يخرج ولم تبتل ثيابه، ووقع لإمام زاويته أنه خرج للصـــلاة فرأى في طريقـه امرأة جميلـة، فنطر إليهـا فلما دخـل الزاويـة أمر الشـيخ غيره أن يصـلي، فلما جاء الوقت الثاني فعل كذلك إلى خمسـة أوقات فلما وقع في قلبه أن الشيخ أطلعه الله على تلك النظرة استغفر، وتاب فقال: الشيخ ما كل مرة تسـلم الجرة، ودخل مصرـ رجل من أولياء الله تعالى من غير اســتئذان سيدي محمد فسلب حاله، فاستغفر الله ثم جاء إلى الشيخ فرد عليه حاله، وذلك أنه كان معه قفة يضـع يده فيها ،فيخرج كل ما احتاج إليه فصـار يضـع يده فلا يجد شــيئا. وكان رضي الله عنه يقول :والله لقد مرت بنا القطبية، ونحن شــباب فلم نلتفـت إليهـا دون اللـه عز وجـل وكـان يقول: إن القطـب إذا تقطب يحمل هموم أهل الدنيا كلها كالسلطان الأعظم بل أعظم، وكان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة بجميع أركـا..ا ثم يصـــغر قليلا قليلا حتى يعود إلى حـالتـه المعهودة ،ولما علم الناس بذلك سد الطاق التي كانت تشرف على الخلوة رضي الله عنه، وكان إذا تغيظ من شـخص يتمزق كل ممزق، ولو كان مسـتندًا لأكبر الأولياء لا يقدر يدفع عنه شيئا من البلاء النازل به كما وقع لابن التمار، وغيره فإنه أغلظ على الشيخ في شفاعة وكان مستند الشيخ اسمه البسطامي من أكابر الأولياء،

فقال سـيدي محمد مزقنا ابن التمار كل ممزق، ولو كان معه ألف بسـطامي ثم أرسل السلطان فهدم دار ابن التمار وهي خراب إلى الآن، وعزم بعض الأمراء على سيدي محمد، ووضع له ً طعاما في إناء مسموم وقدمه للشيخ، وكان لا يتجرأ أحد يأكل معه في إناء فأكل منه الشـيخ ً شـيئا ثم شـعر بأنه مسـموم فقام وركب إلى زاويته، فاختلطت الأواني، فجاء ولد الأمير الاثنان فلعقا من إناء الشيخ، فماتا، ولم يضر الشـيخ شيء من السم، وكان يتوضأ ً يوما فورد عليه وارد فأخذ فردة قبقابه فرمى مآ.. وهو داخل الخلوة فذهبت في الهواء، وليس في الخلوة طاق تخرج منها، وقـال: لخادمه خذ هذه الفردة عندك حتى تأتيها أختها فبعد زمان جاء مآ. رجل من الشام مع جملة هدية، وقال :جزاك الله عني خيراً عني إن اللص لما جلس على صـدري ليذبحني قلت: في نفسي يا سـيدي محمد يا حنفي فجاءته في صـدره، فانقلب مغمى عليه ونجاني الله عز وجل ببركتك، وشـفع رضي الله عنه عند أمير يسـمى المناطح كان كل من نطحه كسر رأسـه، وكان ينطح المماليك بين يدي السـلطان الملك الأشرف برسباي، فقال :للقاصد قل :لشيخك اقعد في زاويتك، وإلا جاء لك ينطحك، ويكسر رأسـك فذكر القاصـد ذلك للشـيخ، فلم يرد عليه جوابا فلما دخل الليل كشـف ذلك الأمير رأسـه، وصـار ينطح الحيطان إلى أن مات فبلغ الخبر السـلطان، فقال: قتله الحنفي رضي الله عنه. وكان له جارية مباركة اسـمها بركـة أعتقهـا، وكتـب لهـا، وقـال :لها لا تخبري بذلك أحدًا فلما أخبرت أهل البيت بذلك قال لها: روحي اقعدي في المكان الفلاني، ولم تعلم ما أراد الشـيخ فجلسـت فيه ثم أرادت أن تقوم فما استطاعت، فسألت الشيخ أن يأذن لها في القيام

فقامت لكن لم تستطع المشي، فقالت استأذنوا سيدي في المشي فقال :إ..ا لم تسأل إلا القيام، والسهم إذا خرج من القوس لا يرد فلم تزل مقعدة إلى أن ماتت، وكان رضي الله تعالى عنه يقرئ الجان على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فاشتغل عنهمً يوما بأمر فأرسل صهره سيدي عمر، فأقرأهم في بيت الشيخ ذلك اليوم، وكان سيدي عمر هذا يقول طلبت مني جنية أن أتزوجها، فشاورت سيدي محمدًا رضي الله عنه فقال هذا لا يجوز في مذهبنا فعرضت ذلك على ملكهم حين نزلت معها تحت الأرض فقال: الملك لا أعترض على سيدي محمد فيما قال: ثم قال :الملك للوزير صافح صهر الشيخ باليد التي صافحت مآ. النبي صلى الله عليه وسلم ليصافح مآ. سيدي محمدًا رضي الله عنه فيكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم في المصافحة رجلان فصافحني، وأخبرني أن بينه، وبين وقت مصافحة النبي صلى الله عليه وسلم ثمانمائة سنة ثم قال: للجنية رديه إلى الموضع الذي جئت به منه ورآه كاتب السر ابن البارزي يوماً، وهو راكب ومعه جماعة من الأمراء فأنكر عليه، وقال: ما هذه طريقة الأولياء، فقال له :ناظر الخاص لا تعترض فإن للأولياء أحوالا فقال: لا بد أن أرسل أقول له :ذلك فلما دخل القاصد، وأخبر سيدي محمدًا قال له قل لأستاذك أنت معزول عزلا مؤبدًا، فأرسل له السلطان المؤيد، وقال له :الزم بيتك فما زال معزولا حتى قتله الملك المؤيد نعوذ بالله من النكران. وكانت أم سيدي محمود زوجة الشيخ رضي الله عنه تقول أهدت لنا امرأة أترجة صفراء، فوضعناها عندنا في طبق فانقطع الجان الذين كانوا يقرؤون على الشيخ فلما أكلناها جاءوا، فقال لهم: سيدي ما قطعكم عن ا..يء إلينا، فقالوا

:لا نقدر على رائحة الأترج ولا نقدر ندخل بيتا هو فيه فكان ســيدي محمد رضي الله عنه يأمر من نزل عنده الجان أن يضــع في بيته الأترج ،ويعمل من حبه ســبحاً، ويحفظها عنده لمن عرض له عارض في غير أوان الأترج .ودخلت على الشيخ يوما امرأة أمير، فوجدت حوله نساء الخاص تكبسه، فأنكرت بقلبها عليه فلحظها الشــيخ بعينه، وقال لها: انظري فنظرت فوجدت، وجوههن عظاما تلوح، والصديد خارج من أفواههن ومناخرهن كأن خرجن من القبور فقال لها :والله ما أنظر دائما إلى الأجانب إلا على هذه الحالة ثم قال للمنكرة إن فيك ثلاث علامات علامة تحت إبطك، وعلامة في فخذك، وعلامة في صدرك فقالت: صدقت والله إن زوجي لم يعرف هذه العلامات إلى الآن، واســتغفرت، وتابت. وأرســل ابن كتيلة مرة يشــفع عند إنســان من كبراء المحلة فقال :إن كان ابن كتيلة فقيراً لا يعارض الولاة، وإن لم يســكت ابن كتيلة قطعت مصــارينه في بطنه فتكدر ابن كتيلة من ذلك، وأرسل أعلم سيدي الشيخ محمدًا الحنفي فقال: هو الذي تتقطع مصارينه في بطنه فأرسل له سيدي محمد جماعة من الفقراء، وأمرهم إذا طلعوا المحلة أن يمروا على بيت ذلك الظالم، ويرفعوا أصوا..م بالذكر ففعلوا فصار يتقايأ، ومصارينه تطلع قطعاً قطعا إلى أن مات، وكان رضي الله عنه يأخذ القطعة من البطيخة، ويشق منها حتى يملأ كذا كذا طبقا كل طبق له لب خلاف الآخر حتى إنه يشق من البطيخ الأخضر بطيخا أصــفر حتى يبهر عقول الحاضرين رضي الله عنه، وسرقت له نعجة من الحوش فمكثت ستة أشهر غائبة فقال: الشيخ رضي الله عنه يوما لغلامه اذهب إلى الروضة فدق الباب الفلاني فإذا خرج لك صاحب الدار قل

له هات النعجة التي لها عندك ستة أشهر فأخرجها له، فقال: الشيخ رضي الله عنه هذه بضاعتنا ردت إلينا .وجاءه مرة قاض فقال: يا سيدي أهل بلدي رفعوا في قضية إلى أستاذهم بأنني فلاح فقال قضيت حاجتك فركب الأمير ذلك اليوم فرساً حرنا فجرى به في خوخة ضيقة، فانكسر ظهر الأمير، ووقع على ظهر الأرض ميتاً، وتولى ذلك الإقطاع رجل من أصحاب سيدي محمد فجاء إلى الشيخ يزوره ثاني يوم فكلمه على ذلك القاضي فكتب له عتاقة هو وذريته. وكان الشيخ إذا لم يجد شيئا ينفقه يقترض من أصحابه ثم يوفيهم إذا فتح الله تعالى عليه بشيء، فاجتمع عليه ستون ألفا فشق ذلك على الشيخ، فدخل رجل بكيس عظيم، وقال: من له على الشيخ دين فليحضر، فأوفي عن الشيخ رضي الله عنه جميع ما كان عليه ولم يعرف ذلك الرجل أحد من الحاضرين ،فقالوا: للشيخ عنه فقال :هذا صيرفي القدرة أرسله الله تعالى يوفي عنا ديننا، وأنشدوا بين يديه شيئا من كلام ابن الفارض رضي الله عنه فتمايل الشيخ العارف بالله تعالى سيدي الشيخ شمس الدين بن كتيلة المحلى فلحظه الشيخ فغاب عن إحساسه فرأى في منامه سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه واقفا على باب الزاوية، وفي فمه قصبة غاب كأنه يشرب مآ. ماء من تحت عتبة باب الزاوية ثم أفاق، فقال له :الشيخ الذي رأيته صحيح رأيت بعينك يا شمس الدين، وكان يقول: كثيراً لو كان عمر بن الفارض في زماننا ما وسعه إلا الوقوف ببابنا. ومرضت زوجته فأشرفت على الموت، فكانت تقول :يا سيدي أحمد يا بدوي خاطرك معي فرأت سيدي أحمد رضي الله عنه في المنام، وهو ضارب لثامين، وعليه جبة واسعة الأكمام عريض الصدر أحمر الوجه،

والعينين وقال لها كم تناديني، وتستغيثي، وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل من الكبار المتمكنين، ونحن لا نجيب من دعانا، وهو في موضع أحد من الرجال قولي يا سـيدي محمد يا حنفي يعافيك الله تعالى فقالت ذلك فأصـبحت كأن لم يكن مآ. مرض، وكان الشـيخ طلحة رضي الله عنه المدفون بالمنشـية الكبرى يقول قال لي :سـيدي محمد الحنفي يا طلحة خرج من زاويتي هذه أربعمائة ولي، وفي رواية ثلاثمائة وسـتون على قدمي كلهم داعون إلى الله تعالى، وأصـحابنا بالمغرب كثير، وبالروم ،والشام أكثر، وأكثر أصحابنا باليمن، وسكان البراري، والكهوف، والمغارات قـال :الشـيخ طلحة رضي الله عنه وكان ذلك آخر اجتماعي بالشـيخ رحمه الله تعالى.

وقـال :سـيدي محمد رضي الله عنه في مرض موته من كانت له حاجة فليأت إلى قبري، ويطلـب حـاجته أقضـها له فإن ما بيني، وبينكم غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصـحابه ذراع من تراب، فليس برجل، وكان رضي الله عنه يلقن الخائف من ظالم، ويقول: إذا دخلت عليه فقل بسـم الله الخالق الأكبر حرز لكل خـائف لا طـاقـة لمخلوق مع اللـه عز وجـل فيرجع إليـه المظلوم وعليـه الخلعـة، والوصـول بـالتعليق ،وأنكرت عليه امرأة ما يقدمه للفقراء من الطعام القليل في الصحون الرملي فقالت :قلة هذا الطعام، ولا هو ثم ذهبت وعملت طعاما بكثرة فيه فراخ وأوز، وحملته إلى الزاوية، فقال: سـيدي محمد رضي الله عنه لسـيدي يوسف القطوري رحمه الله كل طعامها كله وحدك فكل طعامها كله وحده، وشكا من الجوع ،فأخذته إلى بيتها، وقدموا له نحو ذلك الطعام، وكثر، وهو يشكو

الجوع لها فقال :الشـيخ البركة في طعام الفقراء لا في أوانيهم فاسـتغفرت، وتابت، وكان إذا تذكر أحدًا من أصـحابه الغائبين عن السـماط يأكل الشـيخ عنه لقمة أو لقمتين فتترل في بطو..م في أي مكـان كـانوا ثم يجيئون، ويعترفون بـذلك وكان إذا سـأله أحد من المبكرين عن مسـألة أجابه، فإن سـأله عن أخرى أجابه حتى يكون المنكر هو التارك للسـؤال فيقول: الشـيخ رضي الله عنه لذلك الشـخص أما تسأل، فلو سـألتنيً شـيئا لم يكن عندي أجبتك من اللوح المحفوظ وحضره الشيخ جلال الدين البلقيني رضي الله عنهً يوما في الميعاد، فسـمع تفسير الشيخ رضي الله عنه للقرآن، فقال: والله لقد طالعت أربعين تفسـيراً للقرآن ما رأيت فيهاً شـيئا من هذه الفوائد التي ذكرها سـيدي الشـيخ محمد، وكذلك كان يحضره شيخ الإسلام البلقيني، وشـيخ الإسلام العيني الحنفي، وشيخ الإسلام البساطي المالكي، وغيرهم وقبلـه الشـيخ سراج الـدين البلقيني رحمه الله بين عينيه، وقال له :أنت تعيش زمانا طويلا لأن الله تعالى يقول ": وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض "" الرعد :"١٧ وكان إذا اسـتغرق في الكلام، وخرج عن أفهام الناس يقول: وهاهنا كلام لو أبديناه لكم لخرجتم مجانين لكن نطويه عمن ليس من أهله، وكان له صـاحب في مكة المشرـفة فلما بلغه، وفاة الشـيخ رضي الله عنه سـافر إلى مصرـ لزيارة قبر الشـيخ، ولم يكن له في مصرـ حاجة غير ذلك، وجاءه رجل، فقال: يا سـيدي أنا ذو عيال فقير الحال فعلمني الكيمياء، فقال: الشـيخ رضي الله عنه أقم عندنا سـنة كاملة بشرط أنك كلما أحدثت توضـأت وصليت ركعتين فأقام على ذلك فلما بقي من المدة يوم جاء إلى الشيخ فقال له غدًا تقضيحاجتك فلما جاءه قال له: قم

فـاملأ من البئر مـاء للوضـــوء فملأ دلوًا من البئر فـإذا هو مملوء ذهباً ، فقال :يا سيدي ما بقي في الآن شعرة واحدة تشتهيه، فقال له :الشيخ صبه مكانه، واذهب إلى بلدك فإنك قد صرت كلك كيمياء.

فرجع إلى بلاده ودعا الناس إلى الله تعالى، وحصـل به نفع كبير قال :الشيخ شمس الدين بن كتيلة رضي الله عنه، وكان سـيدي محمد رضي الله عنه إذا صـلى يصـلي عن يمينه ً دائما أربعة روحانية، وأربعة جســمانية لا يراهم إلا ســيدي محمد أو خواص أصحابه، ووقعت له ابنة صغيرة من موضع عال فظهر شخص ،وتلقاها عن الأرض فقلنا له من تكون؟ فقال من الجن من أصــحاب الشــيخ، وقد أخذ علينا العهد أفلا نضر أحدًا من أولاده إلى سابع بطن فنحن لا نخالف عهده، وكان سكان بحر النيل يطلعون إلى زيارته،وهو في داره بالروضــة، والحاضرون ينظرون، قالت :ابنته أم المحاسن رضي الله عنها، وزاروه مرة، وعليهم الطيالسة، والثياب النظيفة، وصلوا معه صلاة المغرب ثم نزلوا في البحر بثيا..م، فقلت: يا سيدي أما تبتل ثيا..م من الماء فتبســم رضي الله عنه، وقال: هؤلاء مســكنهم في البحر، وجاءه مرة رجل في جوف الليل فوقف على دور القاعة فقال له: الشـيخ من فقال :حرامي فقال له :الشـيخ ما تسرـق، وتعمل شغلك فقال : يا سيدي تبت إلى الله، فإني سمرت فقال له الشـيخ إنزل ما عليك بأس فتاب، وحسـنت توبته، واسـتمر في زاوية الشيخ إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى، وأمر شــخصــا من أصـحابه يوما ينادي في شــوارع القاهرة، وأسواقها بأعلى صوته يا معشر المسلمين يقول لكم سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه حافظوا على الصلوات الخمس، والصلوات الوسطى حتى شاع ذلك

في جميع البلاد أن الشـيخ أمر بذلك، فاعترض بعض الشـهود على منادي الشـيخ، وقال :هذا ما هو للحنفي هذا لله عز وجل فرجع الفقير، وأخبر الشـيخ رضي الله عنه بما وقع فسـكت، فخرج يوم الثالث ينادي فمر على دكان الشـهود فقال له :شاهد منهم شيء لله يا سيدي محمد يا حنفي مات البارحة الرجل الذي قال :لك ما قال :فرجع إلى الشـيخ رضي الله عنه فأخبره فقال: لا تعد تقول :لأحد ما قلت لك، وكان رضي الله عنه يقول :كنا نقرأ حزب سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فكان بعض الناس يسـتطيله فألفت الحزب الذي بين أصـحابي الآن،وأخفيته، ولم أظهره حتى جاء الإذن من سـيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أدبا معه، ولعن شـخص إبليس في حضرـته، فقال له: لا تعود لسـانك إلا خيراً، ولو كان ذلك جائزًا، ولما تزوج الشـيخ شـمس الدين بن كتيلة رضي الله عنه بنت سـيدي محمد رضي الله عنه جلسـا يأكلان، فجاءت هرة فخطفت قطعة لحم فقال: الشيخ رضي الله عنه لعنك الله فقالت بنت الشـيخ رحمه الله تذكر اللعنة على لسانك، وأنت رجل يقتدي بك، وتفتي المسلمين فقال: الشيخ رضي الله عنه لا أعود لمثلها، وتاب من كل لفظ قبيح، وظهر شـخص بشـعره، وفي وسـطه مئزر يذكر الله في زاوية في حارة قناطر السـباع فهرع الناس إليه من الأمراء ،والتجار، وغيرهم فأرسـل الشيخ رضي الله عنه وراءه، فحضرـ فاصـفر لونه، وتغير، وقال :للقاصـد خذ هذه الفضة، وأعتقني من مقابلته فقال له: القاصـد لا بد فلم يزل به حتى جاء به إلى الشـيخ فلما نظر إليه الشيخ قال له: يا ولدي قلة الأدب ما يثبت معها شيء، و..ره وقال

:اخرج فخرج لا يدري أين يذهب، وانطفأ اسمه من ذلك اليوم فقال: الشيخ رضي الله عنه ما هي مائدة يقعد عليها طفيلي .

وكـان رضي اللـه عنـه يقول :أول مـا تترل لرحمـة على حلق الذكر ثم تنشرـ على الجماعة فكان الفقراء يمدون أيديهم في الحلقة لعل أن يصيبهم شيء من الرحمة، وسـمع رضي الله عنهً يوما امرأة تقول :ما أحسـن السجود في السماء بين الملائكة فقال لها محبة الله خير من ذلك، وكان رضي الله عنه يأمر أصـحابه برف الصـوت بالذكر في الأسواق والشوارع، والمواضع الخربة المهجورة، ويقول: اذكروا الله تعالى في هذه الأماكن حتى تصـير تشـهد لكم يوم القيامة، ويحرقوا ناموس طبع النفس فإنكم في حجاب ما لم تحرقوه، وكان أصـحابه إذا سـألوه أن يمضيـ مآ. إلى موضـع التترهات في حين يقول :حتى تحضر لنا نية صالحة، ودعاه ابن البارزي كاتب السر على أيـام الملـك المؤيد إلى وليمة، وقال إن الأئمة الأربعة قد طلبوكم فلان ،وفلان فقال: الشـيخ رضي الله عنه للقاصـد قل له :حرر النية في حضـور الفقراء، وهم يحضرـون، ولا تطلب حضـورهم لأجل أن تقول: حضرـ عندنا في الوليمة فلان، وفلان، وتجعلوا الفقراء حكـايـة ثم قـال :رضي الله عنه ما وطئ حافر فرسي باب أحد على هذا الوجه إلا وخربت دياره فرجع القاصـد، وأخبر بذلك ،فسـكت ،ولم يزل ممقوتا عند المؤيد حتى قتله كما تقدم، وسأله شخص يوما عن الحلاج، فقال الحلاج تكلم في حال غلبة هذا فولى أنا لكن ثم من يقول: فيه خلاف قولنا كسراج الـدين البلقيني، وغيره، وكان رضي الله عنه إذا عطش، وطلب كوز الماء للشرـب يقوم كل من في ا..لس من كبير أو أمير أو قاض فلم يزالوا واقفين حتى يفرغ

فيســـتأذنوه في الجلوس فيأذن لهم، وكانت ملوك أقاليم الأرض ترســـل له الهدايا فيقبلها فأرســـل إليه ملك الروم دابة تمشي على ثلاث قوائم مؤخرها على رجلين، وصدرها على واحدة وكانت قدر الجدي الصغير فأقامت عنده ستة أشهر، وماتت، وأهدى له سـلطان تونس الخضراء مشـطا لتسريح اللحية فإذا فردوه صار ً كرسيا لمصحف فأهداه الشيخ رضي الله عنه إلى الملك الأشرف برسباي ففرح به وأعجبه، وأهدى له ملك الهند ثوباً بعلبكيا في قصبة وشاشا في جوزة هند.

ودخل عليه مرة فقير فرأى عليه ً ثيابا لا تليق إلا بالملوك، فقال :سـيدي طريقتكم هذه أخذتموها عمن فإن من شـــأن الأولياء التقشـــف، ولبس الخشـــن فقال ما مقصـــودك؟ قـال: تترع يـا ســـيدي هذه الثياب التي عليك وتلبس هذه الجبة، ونذهب ماشـــيين إلى القرافة فأجابه الشـــيخ رضي الله عنه، وخرجا ماشـــيين فرأى بعض الأمراء الشـيخ رضي الله عنه فعرفه، فترل من على فرسه، وخلع على الشيخ السلار الذي كان عليه، وأقسم عليه بالله تعالى أن يقبله، ورجع هو ومماليكه مع الشيخ رضي الله عنه حتى شيعوه للزاوية فقال: الشيخ لذلك الفقير رأيت يا ولدي أيشـكنا نحن والله لولا أنت من أولاد الفقراء ما حصـل لك خير فتاب ذلك الفقير واسـتغفر، وكشف رأسه، ولم يزل يخدم الشيخ إلى أن مات رحمه الله تعالى، وكان رضي الله عنه لا يشتري قط ملبوسا إنما هو هدايا المحبين، وكان رضي الله عنه إذا ركب يذكر الله تعالى بين يديه جماعة كطريقة مشـايخ العجم، ويقول هو شـعارنا في الـدنيـا، ويوم القيـامـة، وكان يجعل من خلفه جماعة كذلك يذكرون الله تعالى بالتوبة فكان الناس إذا سمعوا حسهم من المساجد أو الدور يخرجون ينظرون

إليه فيدعو، لهم، وكان إذا كتم أحدً شـــيئا عنه من ماله يذهب ذلك المال الذي كتمه كله، ولا يبقى معه إلا المال الذي يعترف به. ودخل الحمام يوما مع الفقراء أخذ ماء من الحوض ورشـه على أصحابه، وقال :النار التي يعذب الله مآ. العصاة من أمة محمد صـــلى الله عليه وســـلم مثل هذا الماء في ســـخونته ففرح الفقراء بذلك، وكان رضي الله تعالى عنه إذا زار القرافة سـلم على أصحاب القبور، فيردون السـلام عليه بصوت يسمعه من معه، ولما طلع فقراء الصعيد، ومعهم الفرغل بن أحمد رضي الله عنه في شـفاعة ابن عمر أمير الصـعيد قال: سـيدي محمد الحنفي رضي الله عنه لا تقضي لهؤلاء حاجة لأ..م جاءوا بغير أدب، ولم يسـتأذنوا صاحب هذا البلد فكان الأمر كما قال: ولما دخلوا بالفرغل على السلطان أحمد جقمق قال له :أنت مشد هذا البلد فلم يجبه السلطان لكونه مجذوباً، وسمع رضي الله عنه بعض الفقراء في الزاويـة يقول: لبعض قم يـا فلان اكنس الزاوية قال له: قم أنت فما زالا يقولان ذلك ســاعة فخرج الشـــيخ رضي الله عنه، وهو يقول :أنت وأنت اخرجا، واجلســـا على باب الزاوية وامنعا الناس من الدخول، وأنا أكنســـها ففعلا فخلع الشـيخ ثيابه، وشـد وسـطه وطوى الحصر، ونفضها، وكنسها وافتتح القرآن يتلوه من الفـاتحـة إلى آخر ســـورة الأنعام حتى فرغ من الكنس رضي الله عنه. وكـان أميراً كبيراً، والمقـدمون الألوف هم الـذين يمدون ســـماطه في المولد الكبير، ودخل يوما فرأى الأمراء يبنون في الكوانين فقال: لا إله إلا الله لو أمرنا الملوك أن يبنوا الكوانين لفعلوا، وكان شـــخص من التجار شـــديد الإنكار على ســـيدي محمد رضي الله عنه حتى كان يجيء إلى باب الزاوية أحياناً، ويرفع صوتهبالألفاظ

القبيحة في حق الشيخ فدار عليه الزمان، وانكسر، وركبته الديون، فجاء إلى الشيخ رضي الله عنه فتلقاه بالترحيب، وجمع له من أصحابه مالا جزيلاً، ولم يزل يعتقد الشيخ إلى أن مات، ولم يعاتبه رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يتنزه عن سماع المعازف، وجميع آلات اللهو، فدخل يوما يزور سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه فرأى المازروني عمالاً، والآلات تضرب فأمره بالسكوت حتى يزور فزار الشيخ رضي الله عنه، وعمل مجلس الذكر.

فلما خرج عاد المازرني إلى حاله، ولم يتعرض الشيخ لكسر آلاته، وسمع مرةً مدرسا من الحنفية يقول :في درسه الحكم كذاً خلافا للشافعي رضي الله عنه فزجره، وقال: تقولً خلافا للشافعي بقلة أدب لم لا تقول: رضي الله عنه، وإلا رحمه الله فقال :المدرس تبت إلى الله تعالى يا سيدي، وكان إذا رأى رضي الله عنه في جبهة فقير أثر سجود يقول: يا ولدي أخاف عليك أن يكون هذا من الرياء، وذكرواً يوما عنده سيدي عبد القادر الجبلي رضي الله عنه فقال: لو حضر عندنا عبد القادر هنا لكان تأدب معنا، وكان رضي الله عنه يقول: نحن أسرار الوجود، وكان إذا وضع يده على الفرس الحرون لم يعد إلى حرونته، وكان رضي الله عنه يكره مشايخ القرى، والمدركين للبلاد، ويقول :أبا لا أقول بإسلامهم، وكان يقول : من اعتقد شيخاً، ولم يره كسيدي أحمد البدوي، وغيره لا يصير بذلك مريدًا له إننا هو محب له فإن شيخ الإنسان هو الذي يأخذ عنه، ويقتدي به، وكان يكره للفقير لبس الطليحية، ويقول: الفقر في الباطن لا في الظاهر وكان رضي الله عنه إذا رأى من الفقراء، وا..اورين عورة سترها عليهم، ويصير يسارقهم بحيث لا

يشـــعرون، ويرغبهم في ذلك الأمر الذي فيه صـــلاحهم، وكان رضي الله عنه يكره للفقير أن يكون عند شـــيخه، ولا يشـــاوره في أموره كلها، ويقول: والله ما عرف الكيلاني، وابن الرفاعي، وغيرهما الطريق إلى الله تعالى إلا على يد شيخ، وكم لعب الشـــيطان بعابد، وقطعه عن الله عز رجل، وكان إذا تشـــوش من فقير ظهر عليه المقت، وكان يقول: الفقراء ما عندهم عصا يضربون مآ. من أساء الأدب في حقهم، وما عندهم إلا تغير خواطرهم، وســـألوه مرة ما تقول: الســـاقية في غنائها؟ قال :تقول لا يرى ملان إلاً طالعا ولا فارغ إلاً نازلا. ورأى مرة شـــابين أمردين ينامان في خلوة فلم يفش عليهما أمرًا، وصـــار يحكي الحكايات المناســـبة للتنفير عن مثل ذلك حتى قال :بلغنا عن الشـبلي رحمه الله تعالى أنه دخل يوما خربة يقضي فيها حاجته فوجد فيها حمارة فراوده الشـيطان عليها فلما أحس الشبلي رضي الله عنه بذلك رفع صـوته، وصـاح يا مسـلمون يا مسـلمون الحقوني، وأخرجوا عني هذه الحمارة فإني أعرف ضـعف نفسي عن سلوك طريق الصيانة ثم قال: سيدي محمد رضي اللـه عنـه فـإذا كان هذا حال مثل الشـــبلي رضي الله عنه في حمارة، فكيف بالصـــور الجميلة ففطن لذلك الشـــابان فتفرقا عن الاجتماع حتى كأ..ما لم يكونا عرفا بعضـهما، وكانت الفضة لا تنقطع من جيبه لأجل الفقراء فكان لا يقدم عليه فقير إلا وضـع يده في جيبه ،وأعطاه من غير عدد، وكان الذي يلاحظه يقول: والله عطايا الشـيخ أكثر من عطايا السلطان كل يوم، وكان رضي الله تعالى عنه إذا ركب في شـــوارع مصرـــ لا يلقاه أمير أو كاتب سر أو ناظر خاص إلا ورجع معه إلى أي مكان أراد وتلقاه رجل أعجمي فأنشده:

**نهاري نسيم كله إن تبسمت		أوائله منها برد تحيتي**

فقال :الشيخ رضي الله عنه هذا الرجل كلما صلى الصبح وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سمع رد السلام من النبي صلى الله عليه وسلم، فيستنير النور، ويقوى حتى يصير كأصيل النهار فكأنه يقول: حصيل لي اليوم الفتح، وكان الخضر عليه السلام يحضر مجلسه مرارًا فيجلس على يمينه فإن قام الشيخ قام معه، وإن دخل الخلوة شيعه إلى باب الخلوة، وسئلً يوما عن الصالح فقال هو من صلح لحضرة الله عز وجل، ولا يصلح لحضرة الله عز وجل إلا من تخلى عن الكونين، وسئل عن الولي فقال هو من قال لا إله إلا الله، وقام بشروطها، وشروطها أن يوالي الله، ورسوله بمعنى أنه يواد الله بشهادته له بالوحدانية، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وكان رضي الله عنه يقول: إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإن حصل مدد للزائر بعد الموت أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطي الزائر من المحد على قدر مقام المزور قال: بعضهم المزور في الحقيقة هو الصفات لا الذوات فإ..ا تبلى، وتفنى، والصفات باقية، وكان الشيخ رضي الله عنه يخرج إلى قبر رجل كان أبارًا فقيل له: في ذلك فقال: إنه كان يخبر عن رأس ماله في كل إبرة يبيعها، وكان يقول :قوموا لأهل العلوم الربانية فإن قيامكم في الحقيقة إنما هو لصفة الله تعالى التي أنار مآ. قلوب أوليائه، وكان بالشيخ رضي الله عنه عدة أمراض كل مرض منها يهذ الجبال منها البلغم الحار، والبلغم البارد فاجتمع عنده الأطباء، وقالوا إن النصف الأعلى قد تحكم منه البلغم الحار، والنصف الأسفل قد تحكم منه البلغم البارد فإن

داوينا الأعلى غلب عليه الأسـفل، وإن داوينا الأسفل غلب عليه الأعلى فقال: لهم خلوا بيني وبين الله تعالى يفعل بي ما يريد، وأقام رضي الله عنه بذلك المرض سبع سـنينً ملاما فرشه ما سمعه أحد يقول :آه إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وثمانمائة، وكان مع وجود هذا البلاء العظيم يتوضــأ للصــلاة قبل دخول الوقت بخمس درج، والأذكار، والأحزاب تتلى حوله في كل صـلاة، ولا يصلي إلا مع جماعة، ولما دنت وفاته بأيام كان لا يغفل عن البكاء ليلا، ولا ما..... وغلب عليه الذلة، والمســكنة، والخضــوع حتى ســأل الله تعالى قبل موته أن يبتليه بالقمل، والنوم مع الكلاب، والموت على قارعة الطريق، وحصـــل له ذلك قبل موته فتزايد عليه القمل حتى صــار يمشيـ على فراشــه، ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيئاً، ومات على طرف حوشه، والناس يمرون عليه في الشوارع، وإنما تمنى ذلك ليكون له أسـوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ماتوا بالجوع، والقمل، وكان السيد عيسى عليه الصلاة والسلام يقول والله إن النوم مع الكلاب لكثير على من يموت، ولمـا دنـت وفاته قال لزوجته: لا تتزوجي بعدي فمن تزوج بك خربت دياره، وأنا لا أحب أن تكوني سببا لخراب دار أحد رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني رحمه الله

أحد أصحاب سيدي الشيخ أحمد الزاهد رضي الله عنه، كان من أكابر العارفين، وانتهت إليه تربية المريدين في مصر وقراها وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه، قالوا ،وكان رضاعه على يد سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه، وفطامه على يد سيدي الشيخ محمد الحنفي رضي الله عنه السابق ذكره، فإنه لما توفي سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه جاء إلى سيدي محمد رضي الله عنه، وصحبه وأقام عنده مدة في زاويتهً مختليا في خلوة ثم إنه طلب من سيدي محمد إذنا بالسفر إلى زيارة الصالحين بالشام، وغيره فأعطاه الشيخٍ إذنا فقام مدة طويلة سائحا في الأرض لزيارة الصالحين ثم رجع إلى مصر فأقام مآ. واشتهر، وشاع أمره، وانتشر، وقصده الناس، واعتقدوه، وأخذوا عليه العهود، وكثرت أصحابه في إقليم مصر، وغيرها، ولما بلغ أمره سيدي الشيخ أبا العباس السرسي خليفة سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه قال: لا إله إلا الله ظهر مدين بعد هذه المدة الطويلة، والله لقد أقام عندي سيدي في هذه الزاوية نحو الأربعين يوما حتى كمل. قلت :هكذا رأيته في آخر مناقب سيدي محمد الحنفي عند ذكر أصحابه الذين أخذوا عنه، والمشهور بين جماعة سيدي مدين، والغمري، وغيرهم أن فطام سيدي مدين رضي الله عنه كان على يد سيدي أحمد الزاهد فالله أعلم بما كان، وهو من ذرية سيدي أبي مدين المغربي الثلمساني رضي الله عنه، وجده الأدنى على المدفون بطبلية بالمنوفية ووالده مدفون في أشمون جريسان، وكلهم أولياء صالحون، وأول من جاء من بلاد المغرب جده الذي في

طبلية فدخلها، وهو مغربي فقير لا يملك شيئاً، فجاع جوعا شديدًا فمر به إنسان يقود بقرة حلابة فقال له :احلب لي شيئا من اللبن أشربه، فقال له: ثور فصارت في الحال ثورًا، ولم تزل ثورًا إلى أن ماتت، ووقع له كرامات كثيرة فلم يمكنوه أن يخرج من بلدهم طبلية حتى مات، وأما والد سيدي مدين رحمه الله تعالى، فانتقل إلى أشمون فولد له سيدي مدين فاشتغل بالعلم حتى صار يفتي الناس، واستسلم من أشمون عدة بيوت من النصارى منهم أولاد إسحاق، ومنهم الصديرية، والمقامعة، والمساعنة، وهم مشهورون في بلد أشمون ثم تحرك في خاطره طلب الطريق إلى الله تعالى، واقتفاء آثار القوم، فقالوا له: لا بد لك من شيخ فخرج إلى مصر فوافق سيدي محمد الغمري حين جاء إلى القاهرة يطلب الآخر ما يطلب سيدي مدين فسألوا عن أحد يأخذون عنه من مشايخ مصر فدلهما على سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه فهما بين القصرين، وإذا بشخص من أرباب الأحوال قال لهما: ارجعا ليس لكما نصيب الآن عند الأبواب الكبار ارجعا إلى الزاهد، فرجعا إليه فلما دخلا تنكر عليهما زمانا ثم لقنهما، وأخلاهما ففتح على سيدي مدين رضي الله عنه في ثلاثة أيام، وأما سيدي محمد الغمري رضي الله عنه فأبطأ فتحه نحو خمس عشرة سنة، ومن كرامات سيدي مدين رضي الله عنه أن منارة زاويته الموجودة الآن لما فرغ منها البناء مالت إليه، وخاف أهل الحارة منها فأجمع المهندسون على هدمها، فخرج إليهم الشيخ على قبقابه فأسند ظهره إليها، وهزها والناس ينظرون فجلست على الاستقامة إلى وقتنا هذا، ومن كراماته المشهورة أن يوسف ناظر الخاص بمصر ظلم شخصا من تجار الحجاز،

وكان مستند الشيخ عبد الكريم الحضرمي رضي الله عنه فسأل الشيخ في التوجه إلى الله تعالى فيه فتوجه فيه تلك الليلة، فرأى يوسف في مقصورة من حديد مكتوب عليها من خارج مدين مدين فأصبح فأخبر التاجر، وقال من هو مدين هذا فقال شيخ في مصر يعتقده يوسف فقال ارجع إلى مكان شيخه لا طاقة لي به، وشاوره بعض الفقراء في السفر إلى بلاده ليقطع علائقه، ويجيء إلى الشيخ بالكلية، فأذن له فباع ذلك الفقير بقرته، وبعض أمتعته، وجعل ثمنها في صرة، ووضعها، في رأسه فلما جاء في المركب نفض الراجع عمامته فوقعت بالصرة في بحر النيل أيام زيادته فلما دخل الشيخ حكى له ما وقع فرفع سيدي مدين رضي الله عنه طرف السجادة وأخرج تلك الصرة تقطر ماء، وكان إذا رأى فقيرًا لا يحضر مجلس الذكر يخرجه، ولا يدعه يقيم عنده فقال: لفقير يوما ما منعك يا ولدي عن الحضور فقال: الحضور إنما هو مطلوب لمن عنده كسل ليتقوى لغيره، وأنا بحمد الله ليس عندي كسل فأخرجه الشيخ، وقال: مثل هذا يتلف الجماعة، ويصير كل واحد يدعي بدعواه فيختل نظام

الزاوية، وشعارها، وخرج فقير يوما من الزاوية فرأى جرة خمر مع إنسان فكسرها فبلغ الشيخ رضي الله عنه ذلك فأخرجه من الزاوية، وقال: ما أخرجته لأجل إزالة المنكر وإنما هو لإطلاق بصره حتى رأى المنكر لأن الفقير لا يجاوز بصره موضع قدميه، ووقع أن ثور الساقية انطلقً يوما فأكل من طحين الفقراء فذبحه الشيخ، وقال :قد صار الماء الذي يملؤه لوضوء الناس فيه شبهة رضي الله عنه، وجاءته رضي الله عنه امرأة فقالت: هذه ثلاثون دينارًا، وتضمن لي على الله الجنة فقال

لها :الشـيخ رضي الله عنه مباسـطا لها ما يكفي، فقالت: لا أملك غيرها فضمن لها على اللـه دخول الجنـة فماتت فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون الثلاثين دينارًا من الشيخ، وقالوا: هذا الضمان لا يصح فجاء..م في المنام، وقالت لهم :اشكروا لي فضل الشـيخ فإني دخلت الجنة، فرجعوا عن الشيخ وحكى أن الشيخ رضي الله عنه كانً يوما يتوضـأ في البالوعة التي في رباط الزاوية فأخذ فردة القبقاب فضرب مآ. نحو بلاد المشرق ثم جاء رجل من تلك البلاد بعد سنة، وفردة القبقاب معه، وأخبر أنً شـخصا من العياق عبث بابنته في البرية فقالت: يا شيخ أبي لاحظني لأ..ا لم تعرف أن اسمه مدين ذلك الوقت، وهي إلى الآن عند ذريته رضي الله عنه . وكان الشيخ عبادة أحد أعيان الســادة المالكية ينكر على ســيدي مدين رضي الله عنه، ويقول :أيش هذه الطريق التي يزعم هؤلاء نحن لا نعرف إلا الشرــع فلما انقلب بعض أصحاب الشيخ عبادة إلى سيدي مدين رضي الله عنه صحبوه، وتركوا حضور درسه ازداد إنكارًا، فأرســل ســيدي مدين، وراءه يدعوه إلى حضــور مولده الكبير الذي يعمل له في كل ســنة فحضرـ فقال: الشــيخ رضي الله عنه لا أحد يتحرك له، ولا يقوم، ولا يفســح له فوقف الشــيخ عبادة في صـحن الزاوية حتى كاد يتمزق من الغيظ ســاعة طويلة ثم رفع ســيدي مدين رضي الله عنه رأســه، وقال: افســحوا للشـيخ عبادة، فأجلســه بجانبه ثم قال له :سؤال حضر فقال: الشيخ عبادة رحمه اللـه تعالى ســـل فقال :هل يجوز عندكم القيام للمشرـكين مع عدم الخوف من شرهم فقال: لا فقال :ســـيدي مدين رضي الله عنه بالله عليك ما تكدرت حين لم يقم لك أحد فقال : نعم فقال :لو قال لك :إنسان لا أرضي عليك إلا إن كنت

تعظمني كما تعظم ربـك مـاذا تقول :لـه قال : أقول له كفرت فدارت فيه الكلمة فانتصـبً قائما على رءوس الأشـهاد، وقال :ألا اشـهدوا أنني قد أسـلمت على يد سـيدي مدين رضي الله عنه، وهذا أول دخولي في دين الإسـلام، ولم يزل في خدمة سـيدي مدين رضي الله عنه إلى أن مات رحمه الله تعالى، ودفن في تربة الفقراء، وحكى لـه الشـيخ العارف بالله تعالى سـيدي محمد الحريفيش الدنوشري أحد أصحاب سيدي محمد الغمري رضي الله عنه قال: لما مات شيخنا رضي الله عنه لم يعجبنا أحد بعده نجتمع عليه فسـألت بعض الفقراء فقال :عليك بسـيدي مدين فسـافرت إليه فقالوا لي: الشـيخ يتوضـأ في الرباط فدخلت عليه، فوجدته رجلا بعمامة كبيرة وجبة عظيمة، وإبريق وطشت وعبد حبشي واقف بالمنشفة، فقلت :لشخص أين سيدي مدين فأشار إلي أنه هذا فقلت: في نفسي لاذا بذاك، ولا عتب على الزمن بتحريك التاء المثناة من فوق لأن عهدي بسـيدي محمد رضي الله عنه أن يلبس الجبة، والعمامة الغليظة، والتقشف الزائد، وليس لي علم بأحوال الرجال فقال لي :أصـلح البيت قل لاذا بذاك، ولا عتب على الزمن بسـكون الفوقية فقلت :الله أكبر فقال :على نفسـك الخبيثة تسـافر من البلاد إلى هنا تزن الفقراء بميزان نفسـك التي لم تسـلم إلى الآن فقلت تبت إلى الله تعالى، وأخذ العهد علي، وأنا في بركة سـيدي مدين رضي الله عنه إلى الآن، وكنت أسـمع هذه الحكاية من سـيدي علي المرصـفي يرويها عن شـيخه سـيدي محمد بن أخت سيدي مدين عن سيدي محمد الحريفيش هذا فلما اجتمعت بسيدي محمد الحريفيش سنة خمس عشرة، وتسعمائة بدنوشر حكاها لي على جهة المباسطة فلما رجعت إلى القاهرة أخبرت

ماً. سيدي عليا رضي الله عنه، وأنا فرحان بذلك، فقال لي :على وجه المباسطة كنت بلا سند فصرت بسند، وضاقت النفقة على السلطان جقمق فأرسل يأخذ خاطر سيدي مدين رضي الله عنه بالمساعدة على نفقة العسكر، فأرسل للسلطان قاعدة عمود حجر فحملها العتالون إلى القلعة، فوجدها السلطان معدنا فباعها، وجعلها في بيت المال، واتسع الحال على السلطان ،فقال: السلطان هؤلاء هم السلاطين . وجاءه شخص قد طعن في السن، وقال :يا سيدي مقصودي أحفظ القرآن في مدة يسيرة فقال :ادخل هذه الخلوة فأصبح يحفظ القرآن كله، وكان الشيخ رضي الله عنه إذا سأله أحد عن مسألة في الفقه لا يجيبه، ويقول: اذهب إلى عيسى الضرير يجيبك عنها وكان عيسى هذاً أمياً مقيما عنده في الزاوية فجاءه جماعة متعنتون على وجه الامتحان، فقال :اذهبوا إلى عيسى الضرير يجيب عنها فقالوا :لا نطلب الجواب إلا منك فقال: الجواب في الكتاب الفلاني الذي عندكم على الرف في سابع سطر من عاشر ورقة، فوجدوا الأمر كما قال: فاستغفروا، وتابوا، ووقائع سيدي مدين رضي الله عنه كثيرة مشهورة بين مريديه، وغيرهم .

ومن أصحابه سيدي محمد الشويمي المدفون قبالة قبره رحمه الله وسيدي أحمد الحلفاوي رضي الله عنه المدفون في صحن الزاوية .فأما الشويمي رضي الله عنه، فكان من أرباب الأحوال العظيمة، وكان يعمل هلالات المواذن، والضبيب، وكان يجلس بعيدًا عن سيدي مدين رضي الله عنه فكل من مر على خاطره شيء قبيح يسحب العصا، ويترل عليه ً غنيا أو فقيراً كبيراً أو صغيراً أو أميراً لا يراعي في ذلك أحدًا فكان من يعرف بحاله لا يتجرأ يجلس بين يدي سيدي

مدين رضي الله عنه أبدًا ومرض سـيدي مدين رضي الله عنه مرة أشرف فيها على الموت فوهبه من عمره عشر سنين ثم مات في غيبة الشويمي رضي الله عنه فجاء، وهو على المغتسل فقال كيف مت، وعزة ربي لو كنت حاضرك ما خليتك تموت ثم شرب ماء غسـله كله، وكان رضي الله عنه يقول: لأصـحابه عليكم بذكر الله تعالى تقضي لكم جميع حوائجكم .وجاءه مرة شـخص يحمل حملة امرأة يحبها، ويريد أن يتزوجها، وهي تأبى فقال له: ادخل هذه الخلوة، واشـتغل باسـمها فدخل، واشتغل باسمها ليلا، و..ارًا .

فجاءته المرأة برجليها إلى الخلوة، وقالت له :افتح لي أنا فلانة فزهد فيها، وقال :إن كان الأمر كذلك فاشـتغالي بالله أولى فاشـتغل باسـم الله تعالى ففتح عليه في خامس يوم رضي الله عنه . وكان الشـويمي رضي الله عنه يدخل بيت الشـيخ يحسس بيده على النساء فكن يشكون لسيدي مدين رضي الله عنه فيقول: حصل لكم الخير فلا تشـوشـوا .واحتاج المطبخ يوما ، وهم في أشـمون قلقاساً ، فأعطوه خرجاً ، وحمار، وقالوا :له اشترا لنا قلقاسا من الغيط فخرج إلى ناحية التربة فملخ لهم من الحلفاء ً قلقاسـا حتى ملأ الخرج، ورجع بالفلوس فاعتقده النسـاء من ذلك اليوم، ولما مات سـيدي مدين رضي الله عنه ،وطلب ابن أخته سـيدي محمد رضي الله عنه الشياخة في الزاوية بعد الشيخ خرج له بالعصا، وقال :إن لم ترجع يا محمد، وإلا اسـتلفتك من ربك ثم دخل، فأخرج سـيدي أبا السـعود ابن سـيدي مدين، وهو ابن خمس سـنين فأجلسه على السجادة، وقال: اذكر بالجماعة، فرجع ابن أخت سيدي مدين، ولم يتجرأ أن يطلع الزاويةحتى مات الشويمي رضي الله

عنه، وكان، وهو جمال في أشمون يحمل القمح أيام الحصاد، وكان لا يحمل الجمل إلا قنة واحدة فذكروا ذلك لشـيخ العرب، فقال: دقوا قتتي، وحمل غيري فوجدوا قتته خمسـة أرادب فقال الجمل يحمل أكثر من خمسـة أرادب، وهو الذي زرع الخروبة التي هي قريب من التيه في طريق الحجاز حين توضأ سيدي مدين رضي الله عنه لما سافر إلى الحج، ووقائه كثيرة مشـهورة عند جماعة سيدي مدين رضي الله عنه.

وأما الحلفاوي رحمه الله

فكان رجلاً صالحا سليم الباطن، وكان يمشي بحلفايته بحضرة الشيخ في الزاوية، وكان الشويمي رضي الله عنه يتأثر من ذلك، ويقول له: أنت قليل الأدب فغضب يوما منه فهجره فلما كان الغروب آخر اليوم الثالث جاء له الشويمي، وصالحه وقال رأيت الحق يغضب لغضبك يا أخي، ولم يفتح علي بشيء من مواهب الحق منذ هجرتك فبلغ ذلك سيدي مدين رضي الله عنه فقال: أنا رأيته يمشي بحلفايته هذه في الجنة رضي الله عنه توفي سيدي مدين رضي الله عنه سنة نيف، وخمسين، وثمانمائة رضي الله تعالى عنه .

ومنهم سيدي الشيخ محمد بن أحمد الفرغلي رحمه الله

المدفون في أبي تبج بالصعيد كان رضي الله عنه من الرجال المتمكنين أصحاب التصريف، ومن كراماته رضي الله عنه أن امرأة اشتهت الجوز الهندي فلم يجدوه في مصر فقال :للنقيب مخيمر يا مخيمر ادخل هذه الخلوة واقطع لها خمس جوزات من الشجرة التي تجدها في داخل الخلوة، فدخل فوجد شجرة جوز فقطع لها منها خمس جوزات ثم دخل بعد ذلك فلم يجد شجرة، ومر عليه شيخ الإسلام ابنحجر رضي الله عنه بمصر يوما حين جاء في شفاعة الأولاد عمر، فقال :في سره ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه على وجه الإنكار عليه فقال له: قف يا قاضي فوقف فمسكه، وصار يضربه، ويصفعه على وجهه، ويقول: بل اتخذني، وعلمني، ودخل عليه بعض الرهبان فاشتهى عليه بطيخا أصفر في غير أوانه فأتاه به، وقال، وعزة ربي لم أجده إلا خلف جبل قاف، وخطف التمساح بنت مخيمر

النقيب فجاء وهو يبكي إلى الشيخ فقال له: اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه، وناد بأعلى صوتك يا تمساح تعال كلم الفرغل فخرج التمساح من البحر، وطلع كالمركب، وهو ماش، والخلق بين يديه جارية ً يمينا وشمالا إلى أن وقف على باب الدار فأمر الشيخ رضي الله عنه الحداد بقلع جميع أسنانه، وأمره بلفظها من بطنه فلفظ البنت حية مدهوشة، وأخذ على التمساح العهد أن لا يعود يخطف أحدًا من بلده ما دام يعيش، ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر، وكان رضي الله عنه يقول: كثيراً كنت أمشي بين يدي الله تعالى تحت العرش.

وقال لي :كذا وقلت له :كذا فكذبه شخص من القضاة فدعا عليه بالخرس فخرس حتى مات، وكان آخر عمره مقعدًا، ويتكلم على أخبار سائر الأقاليم من أطراف الأرض، ويبدلون له كل يوم، والثاني زربونا جديدًا، وسمعت سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول: زرت الفرغل بن أحمد رضي الله عنه، وأنا شاب فأخبر جماعته بخروجي من بلاد الشرقية، وقال: ها هو محمد بن حسن الأعرج خرج بقصد زيارتنا، وكانت له نصرانية تعتقده في بلاد الإفرنج فنذرت إن عافي الله تعالى ولدها أن تصنع للفرغل بساطا فكان يقول: ها هم غزلوا صوف البساط ها هم دوروا الغزل على المواسير ها هم شرعوا في نسجه ها هم أرسلوه ها هم نزلوه المركب ها هم وصلوا إلى المحل الفلاني ثم الفلاني فقال : يوما واحد يخرج يأخذ البساط، فإنه قد وصل على الباب فخرجوا فوجدوا البساط على الباب كما قال الشيخ رحمه الله، وأرسل مع القاصد الذي جاء بالبساط بعضا من الهدية وقال له: غمض عينك فغمض عينه فوجد نفسه في بلده طينات وسطى، وجعلوه حارس

الجرن، وهو صـغير في بني صـميت فأخذً فريكا أخضرـ وطلع فوق جرن يحرقه فتســامع النـاس إن هذا ا..نون أحرق الجرن فطلعوا له، وضربوه فقال: أنا قلت :للنـار لا تحرقي إلا فريكي بس، وانظروا أنتم فوجدوها لم تحرق إلا الفريك. وقال :لرجل زوجني ابنتك فقال :مهرها غال عليك فقال: كم تريد فقال :أربعمائة دينار فقال اذهب إلى الســاقية، وقل لها قال :لك الفرغل املأ قادوس ذهب، وقادوس فضـة فملأت له قادوسـين فلم يزل هو وذريته مستورين ببركة الشيخ حتى ماتوا، وجـاءه ابن الزرازيري فقبـل رجله فقال له :وليتك من الخلصــة للملصــة فولاه السـلطان كشف أربع أقاليم الصعيد، وأرسل قاصده إلى أمير في مصر يشفع عنده في فلاح فقال: قل لشـيخك أنت دوكاري فرجع القاصـد إلى الشـيخ فأخبره فنقر بإصــبعه في الأرض كهيئة الذي يحفر، فجاء الخبر أن الســلطان غضــب على ذلك الأمير، وأمر مآ.. داره فهي خراب إلى الآن ناحية جامع طولون ثم ضرب عنقه بعد ذلك فقالوا له : ما ســببه؟ قال لا أعرف لهً ســببا إلا أن الله تعالى حركني لذلك، وجلس عنده فقيه يقرأ القرآن فنط الفقيه فقال له: نطيت فقال له :من أعلمك يا سـيدي، وأنت لا تحفظ القرآن؟ فقال :كنت أرى نورًا متصـلا صـاعدًا إلى السـماء فانقطع النور، ولم يتصــل بما بعده فعلمت أنك نطيت، وكان رضي الله عنه يقول :أنا من المتصرفين في قبورهم فمن كانت له حاجة فليأت إلى قبالة وجهي، ويذكرها لي أقضـيها له، ووقائعه رضي الله عنه لا تحصيها الدفاتر. توفي سنة نيف وخمسين وثمانمائة رضي الله تعالى عنه آمين .

ومنهم سيدي الشيخ أبو بكر الدقدوسي رحمه الله

شـــيخ ســـيدي عثمان الخطاب رضي الله عنهما، كان رضي الله عنه من أصــحاب التصريـف النافذ، وكانت الأعيان تقلب له. حكى لي شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي رحمه الله تعالى قال :أخبرني سيدي عثمان الخطاب رحمه الله تعالى أنه حج مع ســيدي أبي بكر رضي الله عنه ســنة من الســنين فكان الشــيخ يقترض طول الطريق الألف دينـار فما دو..ا على يـدي فـإذا طـالبني الناس أجيء إليه فأخبره بذلك فيقول له: عد لك من هذا الحصا بقدر الدين فكنت أعد الألف حصــاة، والخمســمائة، والمائة والأربعين والثلاثين، وأذهب مآ. إلى الرجل فيجدها دنانير قال :فلما دخلنا مكة كان الشـيخ رضي الله عنه يضع كل يوم سماطا صباحا ، ومساء في ساحة لا يمنع أحدًا يدخل، ويأكل مدة مجاورته بمكة قال :وهذا أمر ما بلغنا فعله لأحد قبل سيدي أبي بكر. وكان له صاحب يصنع الحشيش بباب اللوق فكان الشـيخ رضي الله عنه يرسل إليه أصحاب الحوائج فيقضيها لهم قال: سيدي عثمان رضي الله عنه فسألته ً يوما عن ذلك، وقلت المعصية تخالف طريق الولاية فقال: يا ولدي ليس هذا من أهل المعاصي إنما هو جالس يتوب الناس في صـــورة بيع الحشــيش فكل من اشــترى منه لا يعود يبلعها أبدًا هكذا أخبرني ســيدي نور الدين الطرابلسي عن سيدي عثمان رحمه الله تعالى.

ومنهم سيدي عثمان الخطاب رحمه الله

أجل من أخذ عن سـيدي أبي بكر الدوقدسي رضي الله عنه من الزهاد المتقشـفين، كان له فروة يبسها شتاء وصيفاً، وهو محزم بمنقطة من جلد، وكانً شجاعا يلعب اللبخة فيخرج له عشرـة من الشـطار،ويهجمون عليه بالضرـب فيمسك عصاه من وسطها، ويرد ضرب الجميع فلا يصيبه واحدة هكذا أخبر عن نفسه في صباه، وكان رضي الله عنهً رحيما بالأولاد الأيتام، ويقول: أنا قاسيت مرارة اليتم لموت أبي، وأنا صغير، وكان مطرقا على الدوام لا يرفع قط رأسه إلى السماء إلا لحاجة أو مخاطبة أحد، وكان لم يزل في عمل مصالح فقراء الزاوية، وغيرهم إما في غربلة القمح، وإما في تنقيته، وإما في طحنه، وإما في جميع آلات الطعام وإما في خياطة ثياب الفقراء، وإما في تفليتها، وإما في الوقود تحت الدست، وإما في جميع الحطب من البساتين، وبلغ الفقراء، والأرامل عنده أكثر من مائة نفس، وليس له رزقة، ولا وقف إلا على مـا يفتح اللـه بـه كل يوم، وكان كل من بار عنده شيء من الخضرـــ يقول :خلوه للشـــيخ عثمان، وكان إذا ضـــاق عليه الحال يطلع للســـلطان قايتباي يطلب منه فيرسم له بالقمح، والعدس، والفول، والأرز، ونحو ذلك فقال: له السلطان يوما يا شيخ عثمان أيش بلاك مآ.. الناس كلهم أطلقهم لحال سبيلهم، وأرح نفسك فقال :له، وأنت الآخر أطلق هذه المماليك، والعسـكر واقعد، وحدك فقال هؤلاء عسكر الإسـلام فقال، وهؤلاء عسـكر القرآن فتبسـم السـلطان، ولما شرع في بناء الإيوان الكبير عارضه هناك ربع فيه بنات الخطأ فطلع للسلطان فقال يا مولانا هذا الربع كان مسجدًا، وهدموه، وجعلوه ربعا فصدق قول الشيخ ورسم مآ.. الربع، وتمكين

الشيخ من جعله الزاوية، فأرشوا بعض القضاة فطلع إلى السلطان، وقال :يا مولانا يبقى عليكم اللوم من النـاس ترســـمون مـآ.. ربع بقول فقير مجـذوب، فقـال :السلطان ثبت عندي قول الشيخ فهدمه فظهر المحراب، والعمودان فأرسل الشيخ رضي الله عنه وراء السلطان فنزل فرآه بعينه، وطلب أن يصرف على العمارة. فأبى الشـــيخ، فقال :أســـاعدك في كب التراب فقال :لا نحن نمهده فيها مهدا فهذا كان سـبب علوه إلى الآن، وبقية الزاوية كانت زاوية شـيخه الشـيخ أبي بكر الدقدوسي رضي الله عنه، وأخبرني شـيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي، والسيد الشريف الخطابي المالكي النحوي رحمهما الله تعالى قالا سمعنا سيدي عثمان رضي الله عنه يقول: لما حججت مع ســيدي أبي بكر ســألته أن يجمعني على القطب، فقال : اجلس هاهنا، ومضىـ فغاب عني سـاعة ثم حصل عندي ثقل في رأسي فلم أتمالك أحملها حتى لصقت لحيتي بعانتي فجلسا يتحدثان عندي بين زمزم، والمقام سـاعة وكان من جملة ما سـمعت من القطب يقول: آنستنا يا عثمان حلت علينا البركة ثم قال :لشــيخي توص به فإنه يجيء منه ثم قرأ ســورة الفاتحة، وســورة قريش ودعوا، وانصرـفا ثم رجع ســيدي أبو بكر رضي الله عنه فقال ارفع رأســك قلت لا أسـتطيع فصـار يمرجني، ورقبتي تلين شـيئاً فشـيئا حتى رجعت لما كانت عليه فقال يا عثمان هذا حالك، وأنت ما رأيته فكيف لو رأيته فمن ثم كان سيدي عثمان رضي الله عنه لا يريد الانصرــاف عن جليســـه حتى يقرأ ســورة الفاتحة، ولإيلاف قريش لا بد له من ذلك قال :الشـــيخ شـــمس الدين الطنبخي رحمه الله تعالى، وما رأيت سيدي أبا العباس الغمري رضي الله عنه يقوم لأحد من فقراء

مصرــ غير الشـــيخ عثمان الخطاب كان يتلقاه من باب الجامع رضي الله عنهما، وكذلك كان سـيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يحبه، ويعظمه ،وكان كل واحد منهما يجيء لزيارة الآخر، وكان إذا قال له: شـخص يا سـيدي عثمان المدد يقول : عثمان حطبة من حطب جهنم فماذا ينفعكم خاطره رضي الله عنه .

وأخبرني سيدي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه أنه جاور عنده مدة فخرج يتوضـأ ليلا فوجد رجلاً ملفوفا في نخ في طريق الميضـأة فقال له :قم ما هو محل نوم فكشـف عن وجهه، وقال :يا أخي أنا عثمان أخرجتني أم الأولاد، وحلفت أ..ا مـا تخليني أنام في البيت هذه الليلة، وكانت مســلطة عليه ،وكذلك كانت امرأة صـاحبه الشـيخ عثمان الديمي، وكان عيال كل منهما تخرج على الآخر، وكان كل منهما ينادي الآخر بيا عثمان فقط من غير لفظ لقب، ولا كنية رضي الله عنهما.

خرج رضي الله تعالى عنه زائرًا للقدس فتوفي هناك ســنة نيف وثمانمائة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ محمد الحضري رحمه الله

المدفون بناحية ما.. بالغربية، وضريحه يلوح من البعد من كذا، وكذا بلدًا، كان من أصحاب جدي رضي الله عنهما، وكان يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم، والمعارف ما دام صاحيا ، فإذ قوي عليه الحال تكلم بألفاظ لا يطيق أحد سماعها في حق الأنبياء، وغيرهم، وكان يرى في كذا كذا بلدًا في وقت واحد، وأخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي أنه جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة، فقال: بسم الله فطلع المنبر فحمد الله وأثنى عليه ومجده ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام فقال : الناس كفر فسل السيف ونزل فهرب الناس كلهم من الجامع .

فجلس عند المنبر إلى أذان العصر، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع ثم جاء بعض أهل البلاد ا..اورة فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى مآ. قال :فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة هذا، ونحن نراه جالسا عندنا في بلدنا، وأخبرني الشيخ أحمد القلعي أن السلطان قايتباي كان إذا رآه قاصدًا له تحول، ودخل البيت خوفا أن يبطش به بحضرة الناس، كان إذا أمسك أحدًا يمسكه من لحيته، ويصير يبصق على وجهه ،ويصفعه حتى يبدو له إطلاقه، وكان لا يستطيع أكبر الناس، يذهب حتى يفرغ من ضربه، وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام، وكان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالفوارير أرى ما في بواطنهم .توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين، وثمانمائة رضي الله عنه.

ومنهم سيدي عيسى بن نجم خفير البرلسرحمه الله

رضي اللـه تعـالى عنـه كـان من العلماء العـاملين وله ا..هدات العالية في الطريق، وسـمعت سـيدي علي المرصـفي رضي الله عنه يقول: مكث سيدي عيسى بن نجم رضي الله عنه بوضـوء واحد سـبع عشرـ سـنة فقلت: يا سـيدي كيف ذلك .فقال :توضـأً يوما قبل أذان العصرـ واضطجع على سريره، وقال :للنقيب لا تمكن أحدًا يوقظني حتى أســتيقظ بنفسيـــ فما تجرأ أحد يوقظه فانتظروه هذه المدة كلها فاستيقظ، وعيناه كالدم الأحمر فصلى بذلك الوضوء الذي كان قبل اضطجاعه، ولم يجدد وضـوءًا وكان في وسطه منطقة فلما قام، وحلها تناثر من وسطه الدود رضي الله عنه. قلت :وهذه الحالة من أحوال الشـهود فيمضيـ على صـاحبها عمره كله كأنه لمحة بارق كما يعرفه من سـلك أحوال القوم، وأخبرني الشـيخ محمد البرلسيـ أن شـخصا نذر إن ولدت فرسي هذهً حصانا فهو لسيدي عيسى بن نجم فولدتً لهحصانا. فلما كبر أراد أن يبيعه، وقال أيش يعمل سيدي عيسى فبينما هو مار به ذات يوم، وقد صـار تجاه سـيدي عيسى رمح من صاحبه حتى دخل الزاوية فرمح صاحبه وراءه فدخل الحصان قبر الشيخ فلم يخرج رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ شهاب الدين المرحومي رحمه الله

أحد أصحاب العارف بالله تعالى سيدي مدين رضي الله عنه، كان طريقه ا..اهدة، والتقشــف وكان يلبس الفروة صــيفاً، وشــتاء يلبســها على الوجهين، وكان لم يزل مطرقا إلى الأرض، وكان يقرئ الأطفال بمصر ــ العتيق بالقرب من ســـيدي محمد ساعي البحر، ومكث عند شـيخه سـيدي مدين رضي الله عنه إلى أن توفي لم يذق له ً طعاما.

فقيل له في ذلك فقال :أنا لم آكل لشيخي ً طعاماً خوفا أن أشرك في طلبي للشيخ ً شـــيئا آخر رضي اللـه عنـه، وكـان رضي الله عنه يقول: ذهبت الطريق، وذهب عشـــاقها، وصـــار الكلام فيها معدودًا عند الناس من البدعة فلا حول، ولا قوة إلا بـالله العلي العظيم، وكان الغالب عليه رضي الله عنه الخشـــوع، والبكاء لا تكاد تجده إلا ً باكيا قال: سـيدي، وشيخي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه زرته مرة، وقلت :له يا سـيدي مقصـودي الطريق إلى الله عز وجل فقال: يا أخي والله ما ما أعد نفسي سلمت من النفاق طرفة عين، ولم تأخذ علي عهدًا قال: فلما أردت الانصراف قلت :يا سيدي ادع لي فخر ً باكيا بوجهه إلى الأرض، وصار يفحص كالطير المذبوح، وقال :لنفســه عشــتي يا شــقية إلى زمان صــار يطلب من مثلك الدعاء، ويوبخ نفســـه رضي الله عنه، ومن أجل أصــحابه ســـيدي الشـــيخ أبو الســـعود الجارحي، وسيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي سليمان الخضيري رحمهما الله تعالى، ورضي عنهما، وكان ســـيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول: الشـــيخ سليمان الخضيري عندي أكمل من الشيخ أبي السعود رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين رحمه الله

أعاد الله تعالى علينا، وعلى المسلمين من بركاته، واشتهر بابن عبد الدائم المديني، كانت مجاهداته فوق الحد فظهر صدقه في تلامذته فخرج من تحت تربيته سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد أبو الحمائل السروري، والشيخ العارف بالله تعالى سيدي نور الدين الحسني بن عين الغزال، وسيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي نور الدين علي المرصفي، وخلائق كثيرة من العجم، والمغاربة، ومدار طريق القوم اليوم في مصر على تلامذته رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه ذا سمت مآ.. ونظافة، وترافة أقبلت عليه الخلائق فطردهم بالقلب فلم يصر حوله فقير، وصار يخرج إلى السوق فيشتري حاجته بنفسه، ويحمل الخبز إلى الفرن بنفسه إلى أن مات، ودفن على باب تربة سيدي مدين رضي الله عنهما، وكان رضي الله عنه يقول: شبعنا كلاماً، وقال :وقيل :في هذه الدار، وما بقي إلا القدوم على الواحد الأحد وله رسالة عظيمة في علم السلوك يتداولها أهل طريقته في مصر وغيرها. قلت :وسبب دفنه على باب التربة دون أن يدخلوه فيها مع جماعة سيدي مدين كما أخبرني به شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري بمصر رضي الله عنه أن سيدي أبا السعود ابن سيدي مدين، وجماعته لم يمكنوه من الدخول للوقعة التي كانت بينهم وبينه حينجلس للمشيخة بعد سيدي مدين رضي الله عنه دون ولده، وأبي السعود وقالوا له: الطريق جاءتك من أين؟ الولد أحق، وهذا الداء لم يزل بين أولاد الأشياخ، وبين جماعة والدهم إلى عصرنا هذا إلا

من حماه اللـه عز وجل من حمية الجاهلية، ولما منعوه من زاوية ســـيدي مدين انتقل إلى مدرسـة أم خوند بخط بين السورين، فانقلب الفقراء معه فركب جماعة من زاوية سـيدي مدين، ومضـوا إلى أم خوند صـاحبة المدرسـة، وكانت سـاذجة فقالوا :لها أنت عمرت المدرسـة يحصل لك الأجر، وإلا التعب من غير أجر فقالت الأجر فقالوا: إن هذا الذي يســمي نفســه المديني أخذ الأجر كله له، والدعاء وما بقي يحصـل لك شيء فركبت بنفسـها، وجاءت فأخرجته منها فانتقل إلى مدرسـة ابن البقري بباب النصرـ و..ا توفي رضي الله عنه، وأخبرني الشــيخ شــمس الدين الصـعيدي المؤذن بمدرسـة أم خوند قال :جاء مغربي إلى سـيدي الشيخ محمد ابن أخت سـيدي مدين، فقال :يا سـيدي أنت رجل ذو عيال، وفقراء كثيرة، وليس لك رزقة، ولا معلوم، ومقصودي أعلمك صنعة الكيمياء تنفق منها على الفقراء، فقال لـه :جزاك اللـه عنـا خيراً فقـال يا ســـيدي فلوس آخذ مآ. الحوائج، فأعطاه فجاء بالحوائج فقال الشيخ كمل جميلك، وادخل هذه الخلوة، واعملها ثم أعرضها علينا فجاء بعدته، ودخل الخلوة، فقال: الشــيخ رضي الله عنه للفقراء، وهذا الرجل ما يعرف من أحوال الفقراء شـــيئـا إنمـا كيميـاء الفقراء أن يعطيهم الله تعالى قلب الأعيـان بلفظ كن ثم قـال لهم: هـذا الوقت يخرج محروق الوجه، واللحية فبعد لحظـة دق البـاب، وقـال افتحوا لي احترقـت ففتحوا لـه فوجـدوه محترق الوجـه واللحية، وقال: انطلق في الكبريت فقال :الشيخ رضي الله عنه لا حاجة لنا بكيمياء فيها حرق الوجوه، واللحى اذهب لحال سبيلك قال :الشيخ شمس الدين

الصـعيدي رحمه الله تعالى، وإنما لم يرده الشيخ أولا من غير تجربة صيانة للخرقة ليعلمـه أن الفقر في غنية عن ذلك وأن كترهم القناعة في هذه الدار لا غير. والله أعلم .

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي المحلي رحمه الله

كان من رجال الله المعدودة، وكان رضي الله عنه يبيع السـمك القديد مع البطيخ مع التمر حنا، والمرسـين والياسـمين، والورد وكان إذا أتاه فقير يسـتعين به في شيء من الدنيا يقول: له هات لي ما تقدر عليه من الرصاص فإذا جاء به يقول له: ذوبه بالنار فإذا أذابه يأخذ الشـيخ بإصبعه شيئا يسيراً من الترب ثم يقول : عليه باسم اللـه، ويحركـه فإذا هو ذهب لوقته، وأنكر عليه مرة قاض في دمياط، وقال له :ما مـذهبـك فقال : حنشي ـــ ثم نفخ على القاضي فإذا هو ميت، وكان رضي الله عنه يمشي في البلد، ويقول :يا علماء البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد، وكراماته رضي الله عنه كثيرة، وأرسـل مرة سـيدي حسين أبو علي رضي الله عنه السلام له. فقال :ســيدي على المحلي رضي الله عنه نعطيك هدية في نظير الســلام ثم غرف له من البحر ملء القفة جواهر فقال: الفقير ليس لي، ولا لشـيخي حاجة بالجواهر فردها في البحر .مات سنة نيف وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ الإمام العارف بالله تعالى سيدي علي بن شهاب جدي الأدنى رحمه الله

كان رضي الله عنه من المدققين في الورع، ويقول :الأصل في الطريق إلى الله تعالى طيب المطعم، وكان إذا طحن في طاحون يقلب الحجر، ويخرج ما تحته من دقيق الناس يعجنه للكلاب ثم يطحن، ويخلى للناس بعده الدقيق من قمحه، ولم يأكل فراخ الحمام الذي في أبراج الريف إلى أن مات، وكان والدي رحمه الله تعالى يأتيه بفتاوى العلماء بحله فيقول :يا ولدي كل من الخلق يفتي بقدر ما علمه الله عز وجل ثم يقول : يا ولدي إ..ا تأكل الحب أيام البذار، ويطيرو..ا بالمقلاع، ولذلك يعملون لها أشياء تجفلها في الجرون، ولو كان الفلاحون يسمحون بما يأكله الحمام ما فعلواً شيئا مما ذكرناه ثم بالغ فتورع عن أكل العسل النحل ،وقال: إني رأيت أهل الفواكه ببلادنا يطيرون النحل عن زهر الخوخ، والمشمش وغيرهم، ولا يسمحون بأكل أزهارهم، فقال له: والدي رحمه الله تعال أما قال :الله تعالى المالك الحقيقي "كلي من كل الثمرات " فقال :الثمرات المملوكة أم المباحة؟ فسكت والدي ثم قال له :والدي إن كل تفيد العموم فنحن على العموم فقال :الخاص مقدم على العام، وقد حرم الله عليك أن ترعى بقرتك في زرع الناس بغير رضاهم ثم تشرب لبنها فكشف والدي رحمه الله رأسه، واستغفر، وقال: مثلي لا يكون معلما لك يا سيدي، وكان يقرئ الأطفال، ولا يدخل جوفه قطً شيئا من ناحيتهم، ولا من ناحية آبائهم حتى في أيام الغلاء كان يجوع، ويطعم ذلك لأرامل البلد، وأيتامها، وكان عنده موهبة معلقة في سقف الزاوية كل صغير فضل من

خبزه شيء يضـعه فيها قال: عمى الشـيخ عبد الرحمن فكانت تملأ كل يوم، وكان الأطفال نحو مائة نفس، فيرســل العرفاء بقفف صــغار بعد العشــاء تفرقه على مساكين البلد، وأوقات هو بنفسه، وإذا كان الزمان زمان رخاء يترصد المراكب التي ترسي من قلة الريح بســاحل بلده فيرســله لهم مع الجبن، والفول الحار، ومعهما مهما وجد، وكان لا يأكل قط من طعام فلاح، ولا شيخ بلد، ولا مباشر، ولا أحد من أعوان الظلمة من منذ وعى على نفسه ،وقدم إليه مرة رجل قباني في بولاقً طعاما فلم يأكله فقال: يا ســيدي هذا حلال هذا من عرقي فقال: لا آكل من طعام من يمسك الميزان لعدم تحريرها في الغالب على وجه الخلاص.

وسـمعت شـيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه يقول :كان جدك من إخواني في الجامع الأزهر، وكان يضرب بي وبه المثل في شدة الاجتهاد، وصيام النهار، وقيام الليل بنصف القرآن كل ليلة، وكان يفوقني في الورع فإنه لم يأكل من طعام مصرـ قط، ويقول: سـمعت أخي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: طعام مصر سـم في الأبدان وكذلك كان لا يشرـب من ماء محمول على يد غيره من البحر أبدًا بل كان يأخذ له جرة، ويذهب إلى بحر النيل فيملؤها، ويشرــب منها حتى تفرغ، وكنا نتعامل عليه، ونحن شـباب فنشرـ.اً جميعا في الليل ونقول: حتى ننظر أيش يعمل إذا عطش، فيجس الجرة بيده فيجد فارغة فيتبســم، ويضــحك، ويســكت وكان كتابه المنهاج، والقاطبية، والمنحة، وحل الثلاث كتب، وصــار يقرأ بالســبع، وغيره، وعمره نحو العشرــين ســنة وكنت لا أفارقه، ولا يفارقني فجاءته والدته بالكعيكات التي كان يتقوت منها على عادته فأخذت قميصه تغسله فوجدت فيه

أثر احتلام، فقالت إني أخاف عليك من أهل هذا البلد فإن كنت في طاعة فسـافر معي أزوجك في بلدي، وتقعد عندي فشاورني، فقلت استخر ربك فقال: لا أستخير في طاعـة والـدتي، وكان رحمه الله تعالى بارًا بوالدته، وكانت امرأة لها قوة تحمل الأردب وحـدها وتضـعه على ظهر الحمارة قال: وكان جدك رضي الله عنه يقول :علمتني أمي، وأنا صغير انتهى ما سمعته من شيخي شيخ الإسلام رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه إذ غرقت مركب فيها شيء يؤكل كالرمان، والقلقاس والقصـب لا يمكن أحدًا من أهل بلده أن يمسـك من ذلكً شيئا يقول: تشغلوا ذمتكم بشيء أنتم في غنية عنه، وغرق على رغم أنف صـاحبه، ودعا الله أن لا يصـح في دور ذريتـه برج حمام فبنوه مرارًا وكتبوا لـه الجلـب، ولم يفرخ شـيئـا مع أن جيرا..م عندهم الأبراج، وهو فيها بكثرة، وكان رضي الله عنه يقول: مات أبي، وأنا صـغير فما رباني إلا أمي فكنت أرعى للناس مآ..... بالكرا، وأتقوت.. وحفظت القرآن، وأنا أرعى البهائم فكنت أكتب لوحي، وآخذه أحفظه في الغيط فمر علي بعض الفقراء السـائحين فقال: يا ولدي اسـمع مني، وشـاور والدتك، وسـافر إلى مصر تعلم مآ. العلم، فشاورت أمي فسمحت لي بذلك وزودتني زوادة آكلها في نحو أربعة شهور ثم صـارت تتفقدني إلى أن رجعت إليها، وأخبرني جماعة ممن قرؤوا عليه أ..م لم يضـبطوا عليه غيبة واحدة في أحد إلى أن مات ،وكذلك لم يضـبطوا عليه قط مدة صـحبتهم سـاعة فراغ فكان إن لم يكن في عمل أخروي كان في عمل ينفع الناس قالوا، وكانت طريقته أنه يقوم رحمه الله بعد رقدة من الليل فيتوضـأ، ويصلي ما شاء الله أن يصلي ثم يثني ذيله في وسطه، ويتحزم عليه، وفي وسطه سراويل ثم

يأخذ جرارًا كبارًا ويبتدئ بالقراءة فلا يزال يملأ إلى قريب الفجر، وربما قرأ نصف القرآن إلى الفراغ، فكان يملأ سبيل زاويته التي أنشأها بحري بلده. ثم يملأ سبيل الجامع ثم يملأ سبيلا على طريق منف خارج جرن البلد، ولما زوي أولاده الثلاثة والدي، ومحمد، وعبد الرحمن أعمامي كان يملأ لهم سقايتهم حتى مسقاة الكلاب ولا يمكن أحدًا منهم يملأ، ولا أحدًا من عيالهم ثم يرجع إلى ميضأة زاور فيملؤها، ويملأ حيضان أخليتها، وينظفها ثم يصعد إلى سطح الزاوية، فيسبح الله وينزهه ثم يؤذن فينزل فيصلي الفجر، ويقرأ السبع هو، وعرفاء الأطفال ثم يصلي بالناس الصبح ثم يجلس يتلو القرآن إلى طلوع الشمس، فتجتمع الأولاد في المكتب فلا يزال يعلم هذا الخط وهذا رسم الخط، وهذا الإدغام وهذا الإقلاب، وهكذا، ويؤدب هذا، ويرشد هذا، ويسمع لهذا إلى أذان العصر فيملأ الميضأة أو يكملها ثم يفتح دكانه على باب زاويته فيها الزيت الطيب، والزيت الحار والعسل، والرب والأرز، والفلفل والمصطكي، وغير ذلك فلا يزال يبيع للناس إلى أن يقضي حوائجهم للطعام، والأكل قبل المغرب فيؤذن، ويصلي بالناس ويجلس للسبع إلى صلاة العشاء.

فإذا صلى العشاء بالناس لا يفرغ من وتره حتى لا يبقى أحد يمشي في الأزقة، ونيام الناس فيغفو لحظة ثم يقوم يتوضأ، ويصلي، ويأخذ الجرار، ويملأ الأسبلة كما تقدم هذا كان عمله على الدوام شتاء، وصيفاً ،وكانت زوجته رحمها الله تعالى تقول له: يا سيدي أما تستريح لك ليلة واحدة فيقول ما دخلنا هذه الدار لذلك، وكان رضي الله عنه إذا قويت الشبهة في ثمن شيء يبيعه لا يأخذ من ذلك

المشـتري ثمنا بل يعطيه حاجته، ويقول سـامحناك فكان يظن أن ذلك لمحبته له، وإنما ذلك لقوة الشـبهة في ماله على حسـب مقام الجد رضي الله عنه. قلت :وقد تحدثت بذلك للشـيخ محمد النامولي أجد أصـحاب سـيدي إبراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه فقال: صـحيح كان هذا دأبه مدة صـحبتنا له ثم قال لي سـمعت سـيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: ما في أصـحابنا قط أكثرً نفعا من الشيخ علي الشعراوي ثم قال لي :الشيخ محمد رضي الله عنه، فإن شككت في قول :سـيدي إبراهيم رضي الله عنه فأعرض هذه الأحوال المتقدمة على مشـايخ مصرـ الآن لا نجد أحدًا منهم يستطيع المداومة على هذه الأعمال جمعة واحدة ثم نظر إلي وحولي الفقراء، والمعتقدون، وقال: إن كنت تعمل فقيرًا فاتبع جدك، وإلا فأنت سكة، وصورة، وشيء ما في المقصورة فقلت :أستغفر الله العظيم، وأخبرني أنه كان إذا نزل سـيـدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه من البركة للريف يقول: للفقراء الميعاد عند الشـيخ علي الشـعراوي هذه الليلة فتكون ليلة عظيمة قال :الشـيخ محمد رحمه الله، فترلنا أيام التين فاعترضنا أهل الصالحية وأهل برشوم، وقالوا :يا سـيـدي انزل هنـا نطعم الفقراء التين فقـال: لا نأكل التين إلا عند الشـيخ علي الشعراوي في ذلك البر فقال :الفقراء تترك بلد التين، ونطلب التين في غير بلده قال :فأول ما خرج جدك وسـلم على الشيخ، والفقراء أخرج لهم قفة كبيرة من أطيب التين فقال: الفقراء لسـيدي إبراهيم رضي الله عنه اسـتغفر الله لنا، وتابوا من اعتراضـهم الباطل، وأخبرني عمي الشـيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى أن سـبب عمارة والدي بيوت الخلاء في زاويته مع كو..ا كانت خارجة عن البلد والفلاحون

في الغـالب لا يعتنون بدخول الأخلية أنه ورد عليه الشـــيخ سراج الدين التلواني، فخرج فرأى الأولاد يقولون تعالوا بنا نتفرج على هذا القاضي الذي يخرى، فحصل عنـد والـدي خجـل عظيم لأجـل ضـــيفه، فطلب البناء، وبنى بيوت الأخلية ذلك اليوم، وكان رضي الله عنه إذا زرع مارســا من القمح يجعل بينه وبين الناس خطا من الفول، وإذا زرع مع الناس الفول جعل بينه، وبينهم خطا من القمح، وهكذا في ســائر الحبوب، فإذ حصـد ترك للناس خط الفول أو أخذه إذا شـاء، فإنه فوله، وكان إذا سرح للحصــاد يأخذ الإبريق معه للوضــوء، فإذا جاء وقت الصــبح ترك الحصـاد، وصـلى فكان شريكه يتكدر لأجل ذلك فيقول: كل طعام اكتسب بطريق حرام فهو حرام رضي الله عنه يقول : بلغني أن الأرض لا تأكل قط جســـما نبت من حلال، فكـان بعض فقهـاء بلاده ينكر ذلـك عليه، ويقول : هذا خاص بالأنبياء عليهم الصـلاة، والسـلام، والشهداء فلما مات والدي أدخلوه عليه، فوجدوه ً طريا كما وضـعوه، وبين دفن والدي ودفنه إحدى وعشرـون سـنة، فأرسـل الملحد للجد وراء الفقهاء الذين كانوا ينكرون على جدي ذلك، وقال: انظروا فاســـتغفروا الله، وتابوا .

وكان رضي الله عنه يكره من يقول له :يا نور الدين ويقول :نادوني باســـمي علي كما سماني بذلك والدي، وبات سيدي الشيخ علي العياشي أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه، وهو من أرباب القلوب ليلة في زاوية جدي فسمع جدي يقرأ القرآن في قبره، فابتدأ من ســورة مريم إلى ســورة الرحمن فطلع الفجر فسكت الصوت فأخبر أهل البلد بذلك، فقالوا هذا الشيخ علي رحمه الله تعالى ،

وكان رضي الله عنه يقول: لا تجعل على قبري شـاهدًا، وادفنوني خلف جدار هذه القبـة التي في الزاويـة، ففعلوا فليس لقبره علامـة إلى وقتنـا هـذا، وأخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن رضي الله عنه قال: لما حضرت والدي الوفاة دعا بكتاب سيدي عبد العزيز الدريني رضي الله عنه المسمى بطهارة القلوب فقال لوالدك اقرأ لي في أحوال القوم عند خروج أرواحهم فقرأ له فتنهد، وقال :سـبقونا على خيول دهم، ونحن في أثرهم على حمير دبرة، وطلع النفاطات في لسـانه حتى تزلع لسـانه فكانت جدتي رحمها الله تعالى تقول: والله ما يسـتأهل هذا اللسـان يا طول ما ختم القرآن في الليل، فيقول سكتوها عني لو علمت ما أعلم من مناقشة الحساب ما قالت ذلك، وأخبرني والدي في التربية سيدي خضر رحمه الله قال: إن جدك كان لا يجيء إلى القـاهرة إلا ويـأتي معـه بـالجراب الخبز، وإبريق يملؤه من النيـل فيشرـب، ويـأكـل من ذلك إلى أن يرجع ولم يذق لي طعاما قط، وقال لي: تعرف سبب معرفتي بجدك قلت لا قال :نزلنا سنة من السنين مع سيدي محمد بن عبد الرحمن نـائب جده، وبعض بني الجيعان نتفرج في بلدكم أيام الربيع فأقمنا مدة فطاب لسـيدي محمد الوقت فشرـع في زراعات، وبني حواصل، وصرف ً مصروفاً واسـعا فطلب ً شـخصـاً أمينا يكون وكيلا عنه في ذلك فقال: جميع الفلاحين ليس عندنا أحد أكثر أمانة من الشـيخ علي رضي الله عنه فأرسـلوا، وراءه فحضر، فقال :إني لا أصـلح لذلك فقالوا :لا بد فأخذ مفاتيح الحواصـل فلما طلع البطيخ خزنه، وصـار كل بطيخة حصـل فيها تلف ينادي عليها إلى أن تنتهي الرغبات فيها ثم يكتب ثمنها عليه ويعطيها لمساكين البلد وصار يكتب تفاوت علف البهائم في

اليوم الفلاني، والثور الفلاني مرض الليلـة الفلانيـة، فلم يـأكـل عشـــاه تلك الليلة، ونقص من غذائه في الوقت الفلاني، وهكذا فلما حضرـــ ابن عبد الرحمن ثاني مرة إلى البلد أرســل خلف جدك يطلب منه قائمة المصرـوف، فنظر فيها ثم خرج من الخيمة مكشـوف الرأس خارًا على أقدام جدك يقبلها، ويبكي، ويقول: يا شيخ علي اجعلني في حل فإني والله ما علمت بمقامك ثم صـار يقول: مثل هذا الرجل يكون وكيلا عني، وأخبرني عمي الشــيخ عبد الرحمن رحمه الله قال: أهدي لنا ســيدي محمـد عبـد الرحمن ثلاثـة أطبـاق على رءوس ثلاثـة من العبيـد في واحـد أثواب صـوف، وشـاشان وثياب بعلبكية، وفي الآخر حلاوة، ومكبرات، وفي الآخر أنواع من الطيب فرد القماش وقبل الحلاوة، والطيب.

وفرق الطيـب على صـــبـايا البلد، والحلاوة على أيتام البلد، ولم يذق هو ولا أهل بيته شيئا من ذلك، وأراد عمي عبد الرحمن أن يأخذ له ً إصبعا من الحلاوة فمنعه وقال يا ولدي هذا سم في الجسد فإنه كان جده يقبض العشور انتهى قال: سيدي خضرـــ وقد عاشرت جدك، وأنا مباشر البلد إلى أن مات فما رأيته وضـــع يده في طعام الفلاحين، ولا أخذ على شـــهادته لهم في الخراج، والإجارات ،وعقود الأنكحة، ولا خطابته لهم، ولا إمامته مآ. درهما واحدا قال :وكان يفضل للفلاح على أستاذه الدرهم الواحد فيكتبه للفلاح لثاني ســـنة، ويقول لو أمكنني تخليصـــه لك هذه السنة لخلصته لك من أستاذك. ،وكان إذا ضاق به الحال من حيث الكسب بالبيع يكتب المصـاحف ويصنع الطواقي المضربة دالة في قلب دالة، وكل واحده يعطونه فيها الدينار الذهب ويقولون إن كل طعنة فيها مرقية بكلمة من القرآن لأنه كان

إذا خاط يقرأ مع ذلك القرآن فكان يحسب رأس ماله فيها وأجرة مؤنته وخياطته، ويتصدق ببقية الدينار على الأرامل، والمساكين، وبلغني عنه أنه كان يقرأ القرآن، وهو ينسخ كتب العلم لا يشغله أحدهما عن الآخر، وتخرج كتابته سالمة من الغلط مع ذلك، وأخبرني جماعة ممن كانوا يقرءون عليه أنه كان يأكل اللبن، والطعام المائع مع ا..ذومين ويقول: إن هؤلاء خاطرهم مكسور، وكان الذين يقرءون عليه يقولون: ما رأيناه قط نائما في النهار في أيام الصيف، ولا غيره.

وكان رضي الله عنه يقول :إن النهار لم يجعل للنوم، ولما حج وتلقاه الناس وافق طلوعه للبلد أذان العصر فصعد سطح الزاوية، وأذن، ونزل وصلى بالناس ثم نزل فنظف بيوت الخلاء، وملأ الميضأة قبل دخول الدار ثم شرع من تلك الليلة في ملء الأسبلة المتقدم ذكرها على يديه على عاداته، ولم يسترح كما يقع للحجاج، وكان يقول: الوقت سيف، ولما جاء من الحج كثر بكاؤه، وحزنه زيادة على ما كان عليه قبل الحج، ولم ير ضاحكا قط حتى مات، وكان إذا لبس القميص أو العمامة لا يترعها للغسل قط إلا إن نزعوها، وكانوا ينسونه بعض الأوقات فتصير كالوحل، ومع ذلك على ثيابه الفخر، والنور يخفق منها من نور الأعمال، وكانت عمامته من الصوف الأبيض، وكان أشبه الناس بجدي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه شيخ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجامع الأزهر، وغيره في وجهه، ولحيته وهمته، وجسمه حتى إن الجماعة الذين قرءوا على جدي كلهم مطبقون على ذلك، وكانوا يذهبون إلى الجامع الأزهر لرؤية الشيخ نور الدين لشبهه بجدي لا غير، ولما دفن سيلي نور الدين الشوني رضي الله عنه رأيته ثاني يوم فقال :لي

جاءني جدك إلى هنا هذه الليلة، وقال :آنســت مكانك، لماذا كان لك حاجة فناديني أحضر إليك في الحال ورأيت بينهما اتحادا عظيما، ولذلك جعلنا اسميهما مسبوكين معا في الدعاء لهما في قراءة الأســباع والكرسي، وغيرهما في الزاوية التي دفن فيها الشـيخ نور الدين الشـوني رحمه الله تعالى واحد يدعى له بقرينة تخصـه فإن كلا منهما والدي رضي الله عنهما، وكان رضي الله عنه يقول :لا يعجبني كثرة العبادات من العبد.

وإنما يعجبني كثرة خوفه من الله عز وبئ، ومناقشته لنفسه، ورافقه مرة في سفره من القـاهرة إلى بلـده رجـل عليـه آثـار الفقراء، فقال له: جدي ما حرفتك قال له :مؤذن في جزيرة الفيل فقال له :هل أقمت مقامك نائبا فقال الأمر ســهل، فقال :هـذا فراق بيني، وبينـك، وســاق وتركـه، وكـان رضي الله عنه لا يمكن أحدا من الفقراء البرهامية يفعل شيئا في بلده مما يفعلونه في غيرها من أكل النار، ودخولها، وجر السيف على اللسان، وعلى الكف، ويقول :إن كنتم برهامية فأتوا لنا بالبرهان على ذلك من الكتاب، والسنة أو من فعل سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه فـانتصر ـــ جماعة من البلد للفقراء على جدي. وقالوا لا بد أن يفعلوا هذه الليلة ذلك حتى تنفرج عليهم فأتاهم تلك الليلة ســيدي إبراهيم الدســوقي رضي الله عنه، وقال لهم :أطيعوا الشيخ عليا رضي الله عنه، وأنا بريء من كل عمل يخالف هدى الخلفاء الراشـدين، والأئمة ا..تدين، فأصبحوا، واستغفروا، وتابوا ورجعوا عن ذلك الفعل، فقال لهم: أنا رجل برهامي، ولو كنت أعلم رضا سيدي إبراهيم بذلك لكنت أول فاعل له لأنه قدوتي وشيحي، وكذلك وقع له مع فقراء الأحمدية، وكان

شـيخهم الشـيخ الصـالح سـيدي عبده الرحمن ابن الشـيخ، وهيب السـطوحي الأحمدي تلك الليلة فقال له: يا شـــيخ عبد الرحمن إن كنت تطلع بلدنا فاطلعها على الكتاب، والسـنة، وإلا فأنت مهجور فدارت فيه الكلمه، ونالى بأعلى صـوته يا فقراء تفرقوا عني، فـإني رجعـت إلى اللـه تعـالى عن هـذه الطريقة ثم عقد التوبة على يد جدي من تلك الليلة,ثم جعل له خصـــا في الجزيرة التي هي الآن متعلقة بالفقراء تجاه فم بحر الفيض وصـــار يتعبد فيها، والبحر محيط به يزوره الناس في المراكب إلى أن مات، وكان يقول: كل هذا ببركة الشيخ علي بن شهاب فانه أنقذني من الضـلالة، وظهرت الشيخ بعدالرحمن رضي الله عنه كرامات عظيمة: منها أ..م قطعوا مرة حطبا بغير إذنه من جزيرته، وســـافروا به فانقلبت المركب بالقرب من بولاق وغرق من فيها، ولم تزل منحدرة إلى أن أرســـت على جزيرته، فقال: هذه بضـاعتنا ردت إلينا فقال صـاحب المركب يا سـيدي الشـيخ تغرق المركب كلها في حزمتين حطـب، فقال: هذا من ســـيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ما هو مني، وكان جدي رضي الله عنه إفا خرج من بيته للصلاة لا يستطيع تارك الصلاة يفارقه حتى يصـــلي هيبـة منـه رضي اللـه عنه، وكان إذا رأى جماعة الفلاحين في مجلس لغوهم يقول :يـا أولادي اللعمر يضـــيق عن مثـل ذلك عن قريب تندمون، وكان رضي الله عنه ينتهي نسبه إلى سلطان تلمسان أبي عبد الله في الجد الرابع، وبعده إلى السيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه، وكان لا يظهر ذلك، ويقول: إن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم مإ. عن التفاخر بالنسب ولا يقدس الإنسان حقيقة إلا عمله، ولو كان من أولاد أكابر الصحابة، وكان يقول: انظروا إلى الموالي الذين

صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كسلمان، وبلال كيف صار شأ..م بطاعة الله ورسوله، وأخبرني سيدي كمال الدين زوفا من أولاد عمنا بنواحي البهنسا أن جدنا الخامس سيدي موسى المكنى بأبي عمران رضي الله عنه قال له: سيدي أبو مدين رضي الله عنه لمن تنتسب قال :لي مولاي أبي عبد الله سلطان تلمسان قال له: فقر وشرف لا يجتمعان، فقال :يا سيدي تركت الشرف، فقال :الآن نربيك .قلت :وتبعه على ذلك أعمامي ووالدي فلما خفت موت نسبتنا بالكلية ذكر..ا في مؤلفاتي، وأخبرني الشيخ كمال الدين المتقدم أن نسبتنا القديمة، وجدوا عليها خطوط أولياء المغرب، وعلمائها، وقضا..ا فوقع بين أولاد عمنا، وبين الخليفة سيدي يعقوب العباسي، فأرشى عليها من أخذها، وغيبها، وقال: ليس لنا أولاد عم أبدًا خوف انقراض بيتهم أو ضعفه فيعطي أولاد عمنا الخلافة، ولعمري الشرفاء أحق بذلك، وهم كثير في أرض مصر فالله يكثر منهم، ويعرفنا بمقدارهم، والقيام بخدمتهم آمين.

مات جدي رضي الله عنه سنة إحدى وتسعين وثمانمائة، وله من العمر سبع وخمسون سنة رضي الله عنه، وليكن ذلك آخر من ذكرناه من أهل القرن التاسع وتركنا جماعات كثيرة من أهل القرافتين، وغيرهما استغناء بكتب الزوار الموضوعة لذلك، فإن كتابنا هذا إنما وضعناه بالأصالة لبيان أهل الطريق، وأحوالهم، وأ..م كانوا على الكتاب والسنة فربما تكثر البدع من فقراء أهل هذا العصر زيادة على ما هي عليه الآن، فيعتقد العامة أن السلف الذين يزعم هؤلاء أ..م على قدمهم كانوا على هذه البدع، فلذلك لم نذكر في الغالب في هذا الكتاب من المشايخ إلا

من له كلام في الطريق أو أفعال تنشـــط المريدين، هذه طريق التأسي بالأشـــياخ، وأما الكرامات ونتائج الأعمال، فليست هذه الدار محلا لها إنما محلها الدار الآخرة، فلـذلـك لم نـذكر منها إلا بقدر تســـكين القلب لذلك الولي ليؤخذ كلامه بالقبول، والاعتقاد، والله حسبي ونعم الوكيل. ولنشر-ع في ذكر الخاتمة الموعود بذكرها في الخطبة، فنقول، وبالله التوفيق :

خاتمة في ذكر مشايخي الذين أدركتهم في القرن العاشر رضي الله تعالى عنهم

وقد ســبقني إلى نحو ذلك ســيدي الشــيخ عبد العزيز الدريني رضي الله عنه في منظومة له فقال :في أولها وهو لسان حالي ً أيضا:

وأذكر الآن رجالا كانوا   كأنجم يزهو بهم الزمان

مشايخا صحبتهم زمانا   أو زرتهم ً تبركا أحيانا

مشايخي الأئمة الأبرار   وأخوتي الأحبة الأخيار

أرجو بذكرهم بقاء الذكر   لهم وفوزي بجزيل الأجر

فإنهم عاشوا بأنس الرب   سرا، وذاقوا من شراب الحب

فهم جلوس في نعيم الحضره   وجوههم في نضرة من نظره

وكل شيخ نلت منه ً علما   أو مأدبا فهو إمامي ً حتما

وكل شيخ زرته للبركة فقد   وجدت ريح تلك الحركة

إلى أن قال :

لم يبق في الستين، والستمائة في الناس من أشياخنا إلا فئه

وإنني لغفلتي أقلهم وقد تقضي منهم أجلهم

وقد عددت منهم جماعة اشتهروا بالفضل والبراعة

وما سكت عن سواهم صدا ولم أطق حصر الجميع ً عدا

وإنما ذكرت ً قوما درجوا ومن مضيق سجنهم قد خرجوا

قد كان لي بأنسهم سلوان وما نسيت ذكرهم إذ بانوا

وقد بقيت بعدهم ً فريداً مخلفا عن رفقتي وحيدا

أقطع الأوقات بالرجاء ليحضر الوفاة بالوفاء

وفي الزمان منهم بقيه قليلة صالحة مرضيه

فقل لهم إذا أقاموا بعدنا يدعو لنا فقد دعونا جهدنا

إذا علمت ذلك فأقول، وبالله التوفيق . فمن مشايخي رضي الله عنهم

سيدي محمد المغربي الشاذلي رحمه الله

كان رضي الله عنه من الراسخين في العلم .أخذ الطريق عن سيدي الشيخ أبي العباس السرسي تلميذ سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه، وكان من أولاد الأتراك، وإنما اشتهر بالمغربي لكون أمه تزوجت مغربياً ، وكان الغالب عليه الاستغراق رضي الله عنه، وكان بخيلا بالكلام في الطريق عزيز النطق بما يتعلق مآ.. وذلك من أعظم دليل على صدقه، وعلو شأنه فإن أهل الطريق رضي الله تعالى عنهم هكذا كان شأ..م، وقد بلغني أ..م سألوه أن يصنف لهم رسالة في الطريق، فقال: أصنف الطريق لمن؟ هاتوا ليَّ راغبا صادقا إذا قلت له: أخرج عن

مـالك، وعيالك خرج فســـكتوا، وكان رضي الله عنه يقول :الطريق كلها ترجع إلى لفظتين ســـكتة، ولفتة وقد وصـــلت. قلت :معناه عدم الالتفات لغير الله تعالى، والإقبال على أوامر الله، وكان إذا جاءه أحد من الفقهاء يقول له: خذ علينا العهد، فيقول :يا أولادي روحوا واســتكفوا البلاء فإن هذه طريق كلها بلاء أنتم في طريق تأكلون ما تشـــتهون، وتلبســـون ما تشـــتهون والناس يخافونكم، ويطلبون منكم الســـكوت عنهم، وهذه طريق يقام عليكم الميزان فيها، ويطلق الناس ألســـنتهم عليكم، ولا يجوز لكم فيها أن تردوا عن أنفسـكم، وإن لبس أحدكمً ثوبا مصقولا أو ظهرًا من محررات الخام خرج الناس عليكم.

وقـالوا هـذا مـا هو لبـاس الفقراء، فيرجعون عن طلـب أخـذ العهد عليكم فيقول :أعجبني صـــدقكم في دعوى الكذب، ولما جاءه ســـيدي إبراهيم المواهبي يطلب التربية قال له: تربية بيتية، وإلا ســـوقية قال يا ســـيدي ما معنى ذلك. قال :أما التربية السـوقية، فأعلمك مآ. كلمات هذيانات ككلام الموسـطين في الفناء، والبقاء، وأحوال القوم، وآذن لك بالجلوس على سجادة وتصير تأخذ كلاماً ،وتعطي كلاما.

وأما التربية البيتية، فتشـــارك جميع أهل البلاء في ســـائر أقطار الأرض في بلائهم، ويقال فيك ما قيل فيهم من البهتان، والزور، وتصـبر كما صـبر من سبقك من أولى العزم من الأوليـاء، ولا كلام، ولا ســـجـدة، ولما أججوا النار على ســـيدي إبراهيم المواهبي رضي اللـه عنـه في تقريره في قولـه تعـالى :" وهو معكم أينما كنتم " وعقدوا له مجلســـا في الجامع الأزهر جاء ســـيدي محمد المغربي رضي الله عنه، وهم في أثناء الكلام فسكتوا كبهم فقال: تكلموا حتى أتكلم معكم، فلم يتجرأ

أحد أن ينطق فقال :الشيخ نحن أحق بتتريه الحق منكم أيها الفقهاء، ومن طلب إيضـاح ذلك فليبرز إلى أتكلم معه فسكتوا فأخذ بيد إبراهيم رضي الله عنه، وقام معـه فلم يتبعهما أحـد، وكـان الـذي تولى جمع الناس وشـــن الغارة عليه العلائي الحنفي، وقال: هذا يتكلم في الماهية وذلك لا يجوز ثم إن الفقهاء لحقوا ســيدي محمدًا يترضـــون خاطره فقال لهم :الطريق ما هي كلام كطريقكم إنما هي طريق ذوق فمن أراد منكم الذوق فليأت أخليه، وأجوعه حتى أقطع قلبه، وأرقيه حتى يذوق، وإلا فليكف عن هذه الطائفة فإن لحومهم سـم قاتل. وكان رضي الله عنه يقول :الســالكون ثلاثة :جلالي، وهو إلى الشرـيعة أميل، وحمالي وهو إلى الحقيقة أميل، وكمالي جامع لهما على حد سـواء، وهو منهما كمل، وأفضل، وكان رضي الله عنه يقول: حد الصـفات مشـتمل على النفي، والإثبات على حد كلمتي الشـهادتين سـواء، فإن نظرت إليها من حيث عدم الذات مآ.. وهو طرف النفي قلت :ليسـت هي هو كلا إلـه، وإن نظرت إليهـا من حيـث تعلقهـا بالذات، وهو طرف الإثبات قلت: ولا غيره كإلا الله فلا يجوز الوقف عند قوله ليســـت هي هو كما لا يجوز الوقف عند قوله لا إله حذرًا في الأول من إثبات الغيرية المحضـــة لصـــفات الله تعالى، وفي الثاني حذرًا من النفي المحض لذات الله تعالي هذا حكم كل كلام متعدد اللفظ متحد المعنى، وذلك أن الكلمات المنطقية على معنى واحد مرتبط بعضـــها ببعض كقولهم ليســـت هي هو، ولا غيره فلا يجوز التكلم على بعض منهـا دون بعض لأن ذلـك مما يخـل بالمعنى الواحد من حيث إنه يتكلف لجزء الكلام معنى آخر وهذا مما يفسد نظام الكلام، ويحرفه عن سبيل الاستقامة، وكان يقول :إنما

أوجد العالم أجساماً، وجواهر وأعراضا نقيض ما هو موصوف به ليعلمنا بالفرق بيننا، وبينه، وقد استوى على العرش بقدمه، وبذاته وعلى جميع الكون بعلمه، وصفاته قلت: وفي قوله، وبذاته نظر فإن الذات لا يصح في حقها استواء كما أجمع عليه المحققون، وإنما يقال استوى تعالى بصفة الرحمانية على العرش، فرحم بذلك الاستواء جميع من تحت العرش إماً مطلقا وإما رحمة مغياة بغاية كرحمة إمهال الكفار بالعقوبة في دار الدنيا والله أعلم، وكان رضي الله عنه يقولفي معنى قول حجة الإسلام: ليس في الإمكان أبدع مما كان أي ليس في الإمكان أبدع حكمة من هذا العالم يحكم مآ. عقلنا بخلاف ما استأثر الله تعالى بعلمه، وبإدراكه وأبدعيته خاصة به، فهو أكمل، وأبدع حسنا من هذا العالم بالنسبة إليه تعالى وحده فلو كان هذا العالم يدخله نقص لنقص كمال الوجود، وهو كامل بإجماع لأنه لا يصدر عن الكامل إلا كامل قال تعالى :" والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون "" الذاريات :٤٧ و "٤٨ ومعلوم أن الامتداح لا يكون إلا فيما هو غاية و..اية، وإلا فكيف يمتدح الحق تعالى بمفضول، وكان رضي الله عنه يقول: من واجب حسنات الأبرار شهود الأغيار لترتيب العبادة، والأحكام في هذه الدار، وإن كان ذلك من سيئات المقربين الذين استغرقهم الأنوار، واستهلك عندهم السوى كما استهلك الليل في النهار، وكان يقول :اطلب طريق ساداتك، وإن قلوا، وإياك، وطريق غيرهم، وإن جلوا. وكفي شرفا بعلم القوم قول موسى عليه الصلاة والسلام للخضر عليه السلام "هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدًا" قال :وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب

طلب علم الشريعة، وكان يقول: ابن الشريعة ناظر بعين الحكم الطاهر، ونسبة فعل الخلق إليهم لنوجه الخطاب، وترتب الأحكام عليهم" والله خلقكم وما تعملون "" الصافات :"٩٦ وابن الحقيقة ناظر بعين الحكمة الناطقة، ونسبة الفعل إلى الحق لأنه الفاعل المختار حقيقة" وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون "" القصص :"٦٨ فإذا كان أدب الشريعةً مبنيا على شهود الخلق في شهود الحق،وأدب الحقيقةً مبنيا على فناء الخلق في شهود الحق وتباين الأمران تعين إظهار الأمر الظاهر، وتحتم إبطان الأمر الباطن خشية المعارضة، والتعطل هذا سبب عدم بناء الحكم في الظاهر على الحكمة الباطنة إذ لو ترتب عليها حكم لتعذر على غالب الناس الجمع بينهما وأفضى لنا الحرج، والتشديد إلى شقاق بعيد ،وكان رضي الله عنه يقول: في قول سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه :

وألسنة الأكوان إن كنت   واعيا شهود بتوحيد بحال فصيحة

يريد بقوله :شهود بتوحيد توحيد كل العالم أي التوحيد القهري الحالي المدخل للطائع والكافر والفاجر في حكم العبادة بالحال، وقوله: بحال فصيحة أخرج التوحيد بالقال فلم يتعرض له، ولا لأهله لأنه مخصوص بالمؤمنين دون الكافرين، وليس هو المقصود الأعظم في الآية المقتبس منها البيت وهي قوله تعالى ": وإن من شيء إلا يسبح بحمده "" الإسراء :"٤٤ فشيء نكرة، وهي في سياق النفي تعم كل شيء من موحد وجاهد، وحيوان وجماد فكأن الحق تعالى يقول: كل شيء يوحدني، ويعبدني بباطنه، وإن اختلف أمر باطنه قال: وقوله :

وإن عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الأخبار في كل حجة

فما عبدوا غيري، وما كان قصدهم سواي، وإن لم يضمروا عقد نيتي

فهذا هو التوحيد الحالي العام المشـار إليه في الآية بقوله :" لا تفقهون تسـبيحهم إنه "" الإسراء :"٤٤ أي هذا التوحيد الباطن فتفطنوا له إن كنتم فقهاء فإنه محتاج إلى الفهم، وهو موضـع العلم الباطن الرباني ولولا أن الله تعالى رحم أمة، ودفع عنهم الحرج لوجه عليه العذاب، والنقمة لعدم فهمهم هذا التوحيد ": كان حليما غفورا "" الإسراء :"٤٤ ومن شواهد توحيد الحال هذه الظلال في قوله :" وظلالهم بـالغـدو والآصـال "" الرعـد :"١٥ فكل الوجود وجد دليلا على موجده فلا يكون بعضـه غير دليل حتى المخالف بدلالة وجوده، ومخالفته عابد راكع ساجد شاء أم أبى، فالقول: بأن كل جاحد في الظاهر موحد في الباطن جائز بين قوم يفهمون كلام الله، ومواضـع إشـاراته لا الذين يكذبون بما لم يحيطوا به علما من أسراره وبيانه، ولكن هـذا التوحيد لا ينفع الكفار بشـاهد حديث القبضـتين، وحديث الفراغ، وجفوف الأقلام فلو كـان ينفعهم هـذا التوحيـد الحـالي لمـا دخـل أحد منهم النار فافهم، وكان رضي الله عنه يقول : أيضـا في قول: سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوا قضيت بردتي

مراده الردة النسبية لا الدينية لأن الرجوع، والترول من مقام المقربين إلى حسنات الأبرار التي هي سيئات المقربين ردة عند القوم، وذلك أن من لازم حسنات الأبرار شهود الأغيار المعارض للفناء، ويسمى الشرك الأصغر، وكان رضي الله عنه يقول في

رؤية النبي صـلى الله عليه وسـلم يقظة المراد برأيه كذلك يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسـمانية لأن من بالغ في كمال الاستعداد، والتقرب صار محبو باللحق، وإذا أحبـه كـان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحال اليقظة التي لغيره، وحينئذ لا يرى رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلا بروحه المتشكلة بتشكل الأشباح من غير انتقـال بـانتقال ذاته الشرـيفة، ومجيئها من البرزخ إلى مكان هذا الرائي لكرامتها وتتريهها عن كلفة ا..يء، والرواح هذا هو الحق الصراح.

وكان رضي الله عنه يقول :إنما جعل قتل الكلب المعلم للصـيد ذكاة لائتمارة بأمر سـيده، وانتهائه، بزجره، فهو كالمدية بيد مولاه ولو كان مع نفسـه، وهواه لحرم أكل صـيده، والله أعلم هذا ما رأيته في الرسـالة المنسـوبة إليه بين أصحابه، وكان رضي الله عنه يقول: إذا أراد أن يسـلب إيمان عبد عند الموت يسـلطه علي، ولي يؤذيـه، وكان رضي الله عنه ينفق نفقة الملوك من كيس صـغير في عمامته، ويوفي منه الديون عن أصحابه عن المحتاجين، وكان رحمة بين العباد. مات رضي الله عنه سنة نيف، وعشر وتسعمائة، ودفن بالقرافة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ سيدي محمد عنان رضي الله تعالى عنه

:كـان رضي الله عنه من الزهاد العباد وما كنت أمثله، وأحواله إلا بطاوس اليماني أو سـفيان الثوري، وما رأيت في عصرـنا مثله، وكان مشايخ العصر إذا حضرواعنده صـاروا كالأطفال في حجر مربيهم، وكان على قدم في العبادة، والصيام، وقيام الليل من حين البلوغ، وكان يضرـب به المثل في قيام الليل، وفي العفة، والصيانة، ولما بلغ خبره إلى سـيدي الشـيخ كمال الدين إمام جامع الكاملية سـافر إلى بلاد الشرـقية بقصـد رؤيته فقط . فلما اجتمع به أعجبه عجبا شـديدًا فأخذ عليه العهد، وسافر به إلى سيدي أبي العباس الغمري بالمحلة فآخى بينه، وبينه، وكان رضي الله عنه له كرامات عظيمة :منها أنه أطعم نحو خمسـمائة نفس من سـتة أقداح دقيق حتى شـــبعوا، وذلك أن فقراء بلاده اجتمعوا هذا العدد، وطلعوا بلده على غفلة، وكان قـد عجن طحينـة على العـادة أول مـا خط عـارضـــه، فقـال: لوالدته خذي هذه الفوطـة، وغطى هـذه القصـــعة، وقرصي فقطعت منها الخبز حتى ملأت البيت، وحجيرة البيت، ونصف الدار فقال لها: اكشفي القصعة يكفي فكشفتها فلم تجد فيها شـــيئا من العجين فقال: وعزة ربي لو شـــئت لملأت البلد كلها خبزًا من هذا العجين بعون الله تعالى ومنها أنً شـخصـا كانً زمنا في جامع الإسـكندرية، وكان كل من تشـــوش منه يقول: يا قمل اذهب إلى فلان فتمتلئ ثياب ذلك الشـــخص قملا حتى يكاد يهلك فبلغ ســـيدي محمدًا رضي الله عنه ذلك، وهو في زيارة كوم الأفراح فقال :اجمعوني عليه فجمعوه عليه فقال :له أنت ما عرفت من طريق الله إلا القمل ثم أخذه بيده، ورماه في الهواء فغاب عن أعين الناس من ذلك اليوم،

فلم يعرف أحد أين رماه الشـيخ وحكى لي الشيخ علي الأتميدي فقيه الفقراء عنده أن سيدي محمدًا رضي الله عنه أرسل النقيب من برهمتوش إلى سيدي أبا العباس الغمري في المحلة بعد العشاء، وقال: لا نخل الصبح يؤذن إلا، وأنت عندي فمضى أبو شـبل، ورجع فقال له: الشـيخ عديت من أي المعادي فقال :يا سـيدي ما درت بالي للبحر، ولا علمت به فقال: الشـيخ سر لأصحابه طوى البحر مآ.... وعزمه فلم يجده في طريقه، ومنها ما أخبرني به سـيدي الشـيخ العالم العامل المحدث الشـيخ أمين الـدين إمـام الغمري قال: كنت في ســـفر مع ســـيدي أبي العباس الغمري. وسـيدي محمد بن عنان فاشـتد الحر علينا، ونزل الشـيخان، وجلسـا بين حمارتين، ونشرا عليهما بردة من الحر فعطش سيدي أبو العباس الغمري رضي الله عنه فلم يجد ماء فأخذ ســيدي محمد بن عنان طاســة،وغرف مآ. ماء من الأرض، وقدمه لسيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه فلم يشربه، وقال :يا شيخ محمد الظهور يقطع الظهور، فقـال: وعزة ربي لولا خوفي الظهور لتركنهـاً عينـا يشر ـب النـاس، والدواب منها إلى يوم القيامة، وكان ذلك ببلاد الشرقية بنواحي صـنضـبسط هذه حكاية الشـــيخ أمين الدين رضي الله عنه بلفظه، وكان من الصـــادقين. وحكى لي الشيخ بدر الدين المشتولي رحمه الله قال :سمعت سيدي عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه يقول: إن الشـيخ محمد بن عنان رضي الله تعالى عنه يعرف السماء طاقة طاقة، وأخبرني سـيدي الشـيخ شـمس الدين الطنيخي رحمه الله تعالى صهر سيدي محمد بن عنان أنً شخصا أكولا نزل مع الشيخ محمد رضي الله عنه وهم في مركب مسافرين نحو دمياط فأخبروا سيدي محمدًا رضي الله عنه أنه أكل تلك

الليلة في المركب فرد سمك فسيخ، ونحو قفة تمر فدعاه سيدي محمد رضي الله عنه .

وقال له :اجلس، وقسمً رغيفا نصفين، وقال كل وقل بسم الله الرحمن الرحيم فشبع من نصف الرغيف، ولم تزل تلك أكلته لم يزد على نصف الرغيف حتى مات، فجاء أهله، وقالوا للشيخ جزاك الله عنا خيرًا خففت عنا، وأخبرني سيدي الشيخ أمين الدين رحمه الله تعالى أمام الغمريً أيضا أنً شخصا في مقبرة برهمتوش كان يصيح في القبر كل ليلة من المغرب إلى الصباح، فأخبروا سيدي محمدًا رضي الله عنه بخبره فمشى إلى المقبرة وقرأ سورة تبارك ودعا الله تعالى أن يغفر له فمن تلك الليلة ما سمع له أحدً صياحا فقال: الناس شفع فيه الشيخ .

وكان رضي الله عنه وقته مضبوطا لا يتفرغ قط لكلام لغو، ولا لشيء من أخبار الناس ويقول كل نفس مقوم على بسنة، وكان يتهيأ لتوجه الليل من العصر لا يستطيع أحد أن يخاطبه إلى أن يصلي الوتر فإذا صلى قام للتهجد لا يستطيع أحد أن يكلمه حتى يضحى النهار، وكان هذا دأبه ليلا و..ارًا شتاء وصيفاً ،وكنا ونحن شباب في ليالي الشتاء نحفظ ألواحنا، ونكتب في الليل، ونقرأ ماضينا، وهو واقف يصلي على سطح جامع الغمري ثم ننام، ونقوم فنجدهً قائما يصلي، وهو متلفع بحرامه فنقول هذا الشيخ لا يكل، ولا يتعب هذا، والناس من شدة البرد تحت اللحف لا يستطيعون خروج شيء من أعضائهم، وسمعت سيدي محمدًا السروي شيخ الشناوي يقول: ما رأت عيني أعبد من ابن عنان، وكان رضي الله عنه يحب الإقامة في الأسطحة، وكل جامع أقام فيه عمل له فوق سطوحه خصا ً، وتارة

خيمة، وأخبرني أنه أقام في بدء أمره ثلاث سـنين في سـطح جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكان لا يترل إلا وقت صلاة الجماعة أو وقت حضـور عرس الشيخ العارف بالله تعالى سيدي يحيى المناوي فإنه كان من أهل علمي الظاهر ،والباطن وكذلك كان يحضرـه جماعة من الأولياء كسـيدي محمد السرـوي رضي الله عنه، وسـيدي محمد ابن أخت سـيدي مدين رضي الله عنه، وأضرا مآ... وسـمعته رضي الله عنـه يقول :سـخر اللـه تعـالى لي الدنيا مدة إقامتي في جامع عمرو، فكانت تـأتيني كـل ليلـة بإناء فيه طعام ورغيفين، وما خاطبتها قط، ولا خاطبتني ،ولكن كنـت أعرف أ..ا الـدنيا، وسـمعته يقول: حفظت القرآن، وأنا رجل فحفظت أولا النصـف الأول على الفقيه ناصر الدين الأخطابي ثم النصف الثاني على أخي الشيخ عبد القادر.

وكان رضي الله عنه إذا نزل في مكان فكأني الشـمس حلت في ذلك المكان لا أكاد أشـهد غير ذلك هذا، وأنا صغير لا أفصح عن مقامات الرجال، والله إنه ليقع لي في الليلة الباردة أنني أقوم، وأنا كسـلان عن الوضوء، والصلاة فلا أجد أحدًا في ذهني حاله ينشـطني غيره، فإني أعرض هذا الحال، وأقول في نفسيـ لو قام الشيخ محمد رضي الله عنه في مثل هذه الليلة هل كان يرجع إلى النوم بغير وضـوء، وصـلاة فيزول عني الكسـل بمجرد ذكر حاله رضي الله عنه، ولقد سـمعته رضي الله عنه يقول: من منذ، وعيت على نفسيـ لا أقدر على جلوسي بلا طهارة قط، ولقد كانت تصيبني الجنابة في الليالي الباردة فلا أجد ماء للغسل إلا بركة كانت على باب دارنا في ليالي الشتاء، فكنت أنزل فيها، وعلى وجهها الثلج، فأفرقه يميناً، وشمالا ثم

أغطس، فأجد الماء من الهمة كأنه مسـخن بالنار، والله لقد رأيته بعيني يسـتنجي في الخلاء، فيطئ عليه الماء للوضــوء فيضرــب يده على الحائط ويتيمم حتى يجد المـاء، ولا يجلس على غير طهـارة لحظة، وكان يقول: مجالســـة الأكابر تحتاج إلى دوام الطهـارة، وأردت ليلـة من الليالي أمد رجلي للنوم، فكل ناحية أردت أن أمد رجلي فيها أجد فيها وليا من أولياء الله تعالى، فأردت أن أمدحها إلى ناحية سيدي محمد رضي الله عنه بباب البحر فوجد..ا تجاه قبره فنمت جالساً ، فجاءني ومسك رجلي ،ومدها ناحيته، وقال: مد رجلك ناحيتي البســاط أحمدي فقمت، ونعومة يده في رجلي رضي الله عنه.

وكان يتكدر ممن يضــع بين يديه شــيئا من الدنيا ليفرقه على الفقراء، ويقول ما وجدت أحدًا يفرق، وســخك في البلد غيري، وأخبرني الشــيخ عبد الدائم ولد أخيه قال: بعت مركب قلقاس من زرع عمي، وجئته من ثمنها بأربعين دينارًا، ووضعتها بين يديه بكرة النهار فصاح في وقال: الله لا يصبحك بخير تصبحنا فرفعتها من بين يديه، وأنا خجلان. وكان رضي الله عنه إذا دعاه من في طعامه شبهة يجيبه، ولكن يأخذ في كمه رغيفا يأكله على سفرة ذلك الرجل مسارقة من غير أن يلحظ أحد به هكذا رأيته وكان حاضرًا الشـيخ أبو بكر الحديدي والشيخ محمد العدل رضي الله عنهما فأرادا أن يفعلا مثل فعله فقال: كلا أنتما لا حرج عليكما، ولما طلب الغوري الشرـيف بركات سـلطان الحجاز، ورأى منه الغدر جاء إلى سيدي محمد رضي الله عنه بعد صـلاة العصرـ ،ونحن جلوس بين يديه فقام له الشيخ، واعتنقه ،وقال له :الشريف أريد أهرب هذا الوقت، وخاطرك معي لا يلحق بي الغوري حتى أتخلص

من هذه البلاد فإن النوق تنتظرني نواحي بركة الحاج فدخل ســـيدي محمد رضي الله عنه الخلوة فانتظره الشريـف فلم يخرج، والوقت ضـاق فقال: لي، وللشـيخ حسـن الحديدي خادمه اسـتعجلا لي الشـيخ ففتحنا باب الخلوة فلم نجد الشـيخ فيها فرددنا الباب فبعد سـاعة خرج، وعيناه كالدم الأحمر، فقال: اركب يا شريف لا أحد يلحقك فما شعر الخوري به إلا بعد يومين فتخلص إلى بلاد الحجاز، فأرسل في طلبه فلم يلحقوه ،وســمعت ســيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول :أنا ما عرفت الشـيخ محمد بن عنان إلا من سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه كنت، وأنا عنده أبيع الجمير في غيطه في بركة الحاج أســـمعه يقول؛ وعزة ربي لتتوزعن حملتي بعد موتي على سـبعين رجلا، ويعجزون، فقال له: الشـيخ يوسـف الكردي رحمه الله تعالى يا سـيدي من يأخذ خدامة الحجرة النبوية بعدكم؟ فقال: شخص يقال له :محمد بن عنان سيظهر في بلاد الشرقية، وكان رضي الله عنه يقول: الفقير مـا رأس مـاله في هذه الدار إلا قلبه، فليس له أن يدخل على قلبه من أمور الدنيا شـيئا يكدره، والله لقد رأيته، وهو في جامع المقسـم بباب البحر أوائل مجيئه من بلاد الريف جاءه شخص وقال له :يا سيدي إن جماعة يقولون هذه الخلاوي التي فيهـا الفقراء لنـا، وكـان ذلـك يوم الوقت فخرج، وأمر بنقل دســـوت الطعام إلى الســـاحة التي بجوار ســـيدي محمد الجبروني رضي الله عنه ،وكمل طبخ الطعام هناك، وقال :الفقير رأس ماله قلبه، وأخبرني الشـــيخ شـــمس الدين اللقاني الملكي رحمه الله تعالى قال: دخلت على سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يوماً، وأنا في ألم شديد من حيث الوسواس في الوضوء، والصلاة فشكوت ذلك إليه فقال

:عهدنا بالمالكية لا يتوســوســون في الطهارة، ولا غيرها فلم يبق عندي بمجرد قوله ذلك شيء من الوسواس ببركته.

وكـان رضي اللـه عنـه لا يعجبـه أحـد يصـــلح للطريق في زمـانـه، ويقول :هؤلاء يســتهزئون بطريق الله، ولم يلقن أحدًا قط الذكر غير الشـيخ أحمد النجدي جاءه بالمصحف، وقال: أقسـمت عليك بصاحب هذا الكلام إلا ما لقنتني الذكر فغشي على الشيخ رضي الله عنه من قسمه عليه بالله عز وجل ثم لقنه :وقال : يا ولدي الطريق ما هي مآ.. إنما هي باتباع الكتاب، والسـنة، وجاءه مرة شـخص لابس زي الفقراء، فقال: يا سيدي كم تنقسم الخواطر فقطب الشيخ وجهه، ولم يلتفت إليه فلما قام الرجل قال :الشـيخ لا إله إلا الله ما كنت أظن أني أعيش إلى زمان تصـير الطريق إلى اللـه عز وجل فيه ً كلاما من غير عمل ،وكان مدة إقامته في مصرـــ لا يكاد يصـــلي الجمعة مرتين في مكان واحد بل تارة في جامع عمرو، وتارة في جامع محمود وتارة في جامع القراء بالقرافة، وحضرـــته صـــلاة الجمعة مرة بالقرب من الجامع الأزهر، فقال: هذا مجمع الناس، وأنا أســـتحي من دخولي فيه، وكان رضي الله عنه يزور الفقراء الصادقين أحياء، وأمواتا لا يترك زيار..م إلا من مرض، وكنت أنظره لم يزل يدير السـبحة، وهو يقرأ القرآن. وكان رضي الله عنه يكره للفقير أن يغتسل عرياناً، ولو في خلوة، ويشدد في ذلك، ويقول :طريق الله ما بنيت إلا على الأدب مع الله تعالى، وكل من ترخص فيها لا يصلح لها.

قال :سـيدي أبو العباس الحريثي :ورآني مرة أغتسـل، وفي :وسـطي فوطة في الليل فعاب ذلك علي، وقال : بدن "الفقير كله عورة لم لا اغتسلت في قميص، وكان رضي الله عنه إذا حضرـ عند مريض قد أشرف على الموت من شـدة الضعف يحمل عنه فيقوم المريض وينام الشـيخ رضي الله عنه مريضـا ما شـاء الله ،ولعلها المدة التي كانت بقيت على ذلك المريض، ووقع له ذلك مع سـيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه، ومع سـيدي علي البلبلي المغربي، وكنت أنا حاضرًا قصـة سيدي علي رضي الله عنه، وقام في الحال يتمشى إلى ميضأة الجامع الأزهر فتوضأ، وجاء فرقد رضي الله عنه فتعجب الناس من ذلك، ودعي مرة إلى وليمة فجاء إلى باب الدار، فقيل له: إن سيدي عليا المرصفي رضي الله عنه هنا فرجع، ولم يدخل فقال: بعض الناس إنه يكرهه، وقال :بعضـهم الفقراء لهم أحوال فبلغ ذلك سـيدي محمدًا رضي الله عنـه فقـال :ليس بيني وبين الرجـل شيء، وإنمـا كان بينه، وبين أخي الشـيخ نور الدين الحسـني، وقفة فحفظت حق صـاحبي بعد موته لكونه ً متقدما في الصحبة وكـان لا يركـب قط إلى مكـان في زيـارة أو غيرهـا إلا ويحمـل معه الخبز، والدقة، ويقول نعم الرفيق إن الرجل إذا جاع، وليس معه خبز اسـتشرفت نفسه للطعام ، فإذا وجده أكله بعد اسـتشراف النفس، وقد مإ. الشارع صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وسـمعته رضي الله عنه يقول: كل فقير نام على طراحة فلا يجيء منه شيء في الطريق لأن من ينام على الطراحة ما قصده قيام الليل الذي هو مطية المؤمنين، وبراقهم ثم يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم نام على عباءة مثنية طاقين فنام عن ورده تلك الليلة، فقال: لعائشة رضي الله عنها رديها إلى حالها الأول فإن لينها،

ووطاء..ا منعتني قيام ليلتي، وأخبرني سيدي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رضي الله عنه قال: كان شخص من أرباب الأحوال بناحية شان شلمون بالشرقيةً جالسا في البرية، وقد حلق على نفسه بزرب شوك ،وعنده داخل هذه الحيقة الحيات، والثعالب، والثعابين، والقطط والذئاب، والخرفان، والإوز، والدجاج فزاره الشيخ محمد رضي الله عنه مرة، فقال: أهلا بالجنيدي ثم زاره مرة أخرى فقال :أهلا بالجندي ثم زاره مرة أخرى فقال : مرحبا بالأمير ثم زاره مرة أخرى، فقال :أهلا بالسلطان ثم زاره مرة أخرى فقال : مرحبا براعي الصهب فكانت تلك آخر تحيته.

قلت :ومناقب الشيخ رضي الله عنه لا تحصر والله أعلم .ولما حضرته الوفاة، ومات نصفه الأسفل حضرت صلاة العصر، فأحرم جالسا خلف الإمام لا يستطيع السجود ثم اضطجع، والسبحة في يده يحركها فكانت آخر حركة يده آخر حركة لسانه فوجدناهً ميتا فجردته من ثيابه أنا، والشيخ حسن الحديدي، وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة عن مائة وعشرين سنين، ودفن بجامع المقسم بباب البحر، وصلى عليه الأئمة، والسلطان طومان أي وصار يكشف رجل الشيخ ويمرغ خدوده عليها، وكانً يوما في مصر مشهودًا رضي الله عنه.

ومنهم سيدي الشيخ أبو العباس الغمري الواسطي رحمه الله

كان جبلاً راسيا وكنزاً مطلسـما ذا هيبة على الملوك فمن دو..م، وكان له كرامات كثيرة يحفظها جماعته :

منها أنـه وقع من جماعتـه صرة فيها فضـــة أيام عباب البحر، والمركب منحدرة نواحي سـما نود فلم يشـعروا مآ. إلا بعد أن انحدرت كذا كذا بلدًا فأوقف الشيخ رضي اللـه عنـه المركـب، وقـال روحوا إلى المكان الفلاني، وارموا الشـــبكة تجدوها ففعلوا فوجدوها. ومنها ما حكاه لي ولده سـيدي أبو الحسـن رضي الله عنه قال :كنت مع والدي، ومعنا عمود رخام على جملين فجئنا إلى قنطرة ضـيقة لا تسـع سـوى جمل واحد فسـاق الشـيخ رضي الله عنه الجمل الآخر فمشىـ على الهواء بالعمود، ومنها أنه أراد أن يعدي من ميت غمر إلى زفتي فلم يجد المعدية فركب على ظهر تمساح، وعدى عليه، ومنها ما أخبرني به الشيخ أمين الدين رضي الله عنه إمام جامع بمصر أ..م لما أرادوا أن يقيموا عمد الجامع بيتوا على الناس يساعدو..م . فقام الشـــيخ وحده فأقام صـــفين من العمد فأصـــبحوا، فرأهم واقفين، وأخبرني الشـيخ حسـن القرشي رحمه الله قال: نزل عندنا سيدي أبو العباس يقطع جميزة في ترعـة أيـام الملق، ومعـه مركـب أخرى تخفف الخشـــب فيهـا، وكانت المراكب امتنعـت من دخول بحر المحلـة من قلـة مـائة فمكث الشـــيخ رضي الله عنه إلى الفجر فبينما هو يصـلي إذ دخلت لنا مركب وفيها شـخص نائم فنبهه سـيدي أبو العباس فقام، فقال: من جاء بي إلى هنا فإني كنت في سـاحل سـاقية أبي شـعرة في البحر الشرقي فقالوا له جاء بك هذا السبع يعنون الشيخ رضي الله عنه فحملوا

الخشب في المركبين . وساروا رضي الله عنه، وكان سيدي الشيخ الصالح محمد العجمي رضي الله عنه كاتب الربعة العظيمة التي بجامعة بمصر يقول: والله لو أدرك الجنيد رضي الله عنه سيدي أبا العباس رضي الله عنه لأخذ عنه الطريق، وكان رضي الله عنه لا يمكن أحدًا صغيرًا يمزح مع كبير، ورأى مرةً صبيا يغمز رجلا كبيرًا فأخرجهما من الجامع، ورمى حوائجهما، وكان لا يمكن أمرد يؤذن في جامعه أبدًا حتى يلتحي، وعمر رضي الله عنه عدة جوامع بمصر وقراها، وكان السلطان قايتباي يتمنى لقاءه فلم يأذن له، وجاءه مرة ولده السلطان محمد الناصر على غفلة يزوره فلما، ولي قال :أخذنا على غفلة وأجواله كثيرة مشهورة في بلاد الريف، وغيرها، وقد رأيته مرة واحدة حين نزل إلى بلدنا ساقية أبي شعرة في حاجة، وعمري ثمان سنين.

مات رضي الله عنه في صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بأخريات الجامع بمصر المحروسة رضي الله تعالى عنه.

ومنهم سيدي الشيخ نور الدين الحسني المديني رحمه الله

أحد أصحاب سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين كان رضي الله عنه من العارفين بالله عز وجل، ورأيته، وأنا صغير وأخذ عنه الشيخ تاج الدين الذاكر بعد أن مات سـيدي محمد ابن أخت سـيدي مدين، وكلاهماكان أخذ عنه، وسمع يوماً شخصا يبيع خشب الشيوخ التي تسرح مآ. النساء، الكتان، وهو يقول :يا قفة شـيوخ بنصـف فضـة فأخذ منها معنى، وقال: قفة شـيوخ بنصف فضة، وقال :قد رخصـــت الطريق فلم يلقن أحدًا بعدها حتى مات رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه مرصـــدًا لقضـــاء حوائج الناس عند الأمراء،والحكام، وكان بينه، وبين ســـيدي محمد بن عنان ود عظيم، ومؤاخاة رضي الله عنهما .

ومنهم شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الخزرجي رحمه الله

أحد أركان الطريقين الفقه، والتصوف، وقد خدمته عشرين سنة فما رأيته قط في غفلة ولا اشتغال بما لا يعني لا ليلا، ولا ما.... وكان رضي الله عنه مع كبر سنه يصلي سنن الفرائض قائماً، ويقول لا أعود نفسي الكسل، وكان إذا جاءه شخص، وطول في الكلام يقول: بالعجل ضيعت علينا الزمن، وكنت إذا أصلحت كلمة في الكتاب الذي أقرؤه عليه أسمعه يقول: بخفض صوته الله الله لا يفتر حتى أفرغ، وكنت أتغدى معه كل يوم، فكان لا يأكل إلا من خبز الخانقاه وقف سعيد السعداء، ويقول: واقفها كان من الملوك الصالحين، ووقف وقفها بإذن النبي صلى الله عليه وسلم.

وصنف المصنفات الشائعة في أقطار الأرض، ولازمت الناس قراءة كتبه لحسن نيته، وإخلاصه، ولما قرأت شرحه على رسالة القشيري في علم التصوف أشار علي بحفظ الروض، وكنت حفظت المنهاج قبل ذلك فعرضته عليه، وقلت: إنه كتاب كبير فقال اشرع، وتوكل فإن لكل مجتهد نصيباً، فحفظت منه إلى باب القضاء، وحصل لي رمي الدم من الحصر في الحفظ فأشار علي بالوقوف، وقرأت شرحه على الروض إلى باب الجهاد، وقرأت عليه تفسير القرآن العظيم للبيضاوي مع حاشيته عليه، وحاشية الطيبي على الكشاف، وحاشية السيد، وحاشية الشيخ سعد الدين التفتازاني.

وحاشـية الشيخ جلال الدين السيوطي إلى سورة الأنبياء، وقرأت عليه شرح آداب البحث له، وحاشيته على جمع الجوامع، وطالعت عليه حال تأليفه لشرح البخاري فتح البـاري للحـافظ ابن حجر، وشرح البخاري للكرماني، وشرحه للعيني الحنفي، وشرحه للشـيخ شـهاب الدين العسـقلاني على قدر كتابتي له في شرحه، وخطى متميز فيه، وأظنه يقارب النصـف، وكنت إذا جلسـت معه كأني جالسـت ملوك الأرض الصـالحين العارفين، وكان أكبر المفتين بمصر يصـير بين يديه كالطفل وكذلك الأمراء، والأكـابر، وكـان كثير الكشـف لا يخطر عنـدي خاطر إلا، ويقول: قل :ما عندك، ويبطل التأليف حتى أفرغ، وكنت إذا حصـل عندي صـداع لحال المطالعة لـه يقول: انو الشـفاء بالعلم فأنويه فيذهب الصـداع لوقته، وقال لي :مرة من صـغري وأنـا أحب طرايق القوم، وكان أكثر اشـتغالي بمطالعة كتبهم، والنظر في أحوالهم حتى كـان النـاس يقولون هـذا لا يجيء منه شيء في علم الشرع، فلما ألفـت كتاب شرح البهجة، وفرغت منه اسـتبعد ذلك جماعة من الأقران، وكتبوا على نسـخة منه كتاب الأعمى والبصـير تنكيتا علي لكون رفيقي في الاشـتغال كان ضريرًا، وكان تأليفي له إلى أن كان فروغه في يوم الاثنين، ويوم الخميس فقط فوق سـطح الجـامع الأزهر، وكـان، وقتي رائقاً، وظاهري بحمد الله تعالى محفوظاً، وكنت مجاب الدعوة لا أدعو على أحد إلا، ويسـتجاب فيه الدعاء، فأشـار على بعض الأولياء بالتسـتر بالفقه، وقال :اسـتر الطريق فإن هذا ما هو زما..ا فلم أكد أتظاهر بشيء من أحوال القوم إلى وقتي هذا، وحكي لي يوما أمره من حين جاء إلى مصر إلى وقت تلك الحكاية، وقال: أحكي لك أمري من ابتدائه إلى انتهائه إلى

وقتنـا هذا حتى تحيط به علما كأنك عاشرتني من أول عمري فقلت: له نعم قال :جئـت من البلاد، وأنا شـــاب فلم أعكف على أحد عن الخلق، ولم أعلق قلبي به وكنـت أجوع في الجـامع كثيراً فـأخرج بالليل إلى قشرـــ البطيخ الذي كان بجانب الميضــأة، وغيرها فأغســله وآكله إلى أن قيض الله لي ً شــخصــا كان يشــتغل في الطواحين، فصار يتنقدني، ويشتري لي ما أحتاج إليه من الكتب، والكسوة، ويقول :يا زكرياء لا تســأل أحدًا في شيء، ومهما تطلب جئتك به فلم يزل كذلك ســنين عـديـدة فلما كـان ليلـة من الليـالي والنـاس نيام جاءني، وقال لي: قم فقمت معه فوقف لي على سـلم الوقد الطويل، وقال لي :اصـعد هذا فصـعدت فقال لي :اصعد فصـعدت إلى آخره فقال لي: تعيش حتى يموت جميع أقرانك، وترتفع على كل من في مصرـ من العلماء، وتصـير طلبتك شـيوخ الإسـلام في حياتك حين يكف بصرـك فقلت: لا بد لي من العمى قال :ولا بد لك ثم انقطع عني فلم أره من ذلك الوقت ثم تزايد على الحال إلى أن عزم على الســلطان بالقضــاء فأبيت، وقال: إن أردت نزلت ماشــيا بين يديك أقود بغلتك إلى أن أوصــلك إلى بيتك فتوليت، وأعاني الله على القيام به. ولكن أحسست من نفسي أني تأخرت عن مقام الرجال فشكوت إلى بعض الرجال فقال :ما ثم إلا تقديم إن شــاء الله تعالى فإن العبد إذا رأى نفســه ً متقدما فهو متأخر، وإن رأى نفسـه متأخرًا فهو متقدم فسكن روعي، وقال: رضي الله عنه ما كان أحد يحملني كما يحملني الســلطان قايتباي كنت أحط عليه في الخطبـة حتى أظن ما عاد قط يكلمني فأول ما أخرج من الصــلاة يتلقاني، ويميل يدي ويقول: جزاك الله خيراً فلم تزل الحسدة بنا حتى أوقعوا بيننا الوقعة، وكان ً

ماسكا لي الأدب ما كلمني كلمة تسوءني قط ولقد طلعت له مرة، فأغلظت عليه القول فاصفر لونه فتقدمت إليه وقلت له والله يا مولانا إنما أفعل ذلك معك شفقة عليك، وسوف تشكرني عند ربك، وإني والله لا أحب أن يكون جسمك هذا فحمة من فحم النار، فصار ينتفض كالطير وكنت أقول له أيها الملك تنبه لنفسك فقد كنتً عدما فصرت وجودًا، وكنت رقيقا فصرت حرًا وكنت مأمورًا، فصرت أميراً، وكنت أميرا فصرتً ملكا فلما صرتً ملكا تجبرت ،ونسيت مبدأك ومنتهاك إلى آخره، وقال لي: كان أخي الشيخ علي النبتيتي يجتمع بالخضر عليه السلام، فباسطه يوما في الكلام فقال: للخضر عليه السلام ما تقول في الشيخ يحيى المناوي فقال :لا بأس به فقال : ما تقول :في فلان ما تقول فلان ما تقول في الشيخ زكريا فقال :لا بأس به إلا أن عنده نفيسة .

فلما أرسل لي أخي الشيخ علي الضرير بذلك ضاقت على نفسي، وما عرفت الذي أشار إليه بالنفيسة، فأرسلت إلى سيدي علي البتيتي الضرير، فقلت له: إن اجتمعت بالخضر فاسأله من فضلك على ما أشار إليه بالنفيسة فلم يجتمع به مدة تسع شهور فلما اجتمع به سأله، فقال له إذا أرسل تلميذه أو قاصده إلى أحد من الأمراء يقول له: قال :الشيخ زكريا كيت، وكيت فيلقب بالشيخ فلما أرسل لي الشيخ بذلك فكأنه حط عن ظهري جبلا، وصرت أقول للقاصد إذا أرسلته إلى أحد من الأمراء، والوزراء قل: للأمير أو الوزير يقول لك: زكريا خادم الفقراء كذا، وكذا، وقال لي مرة كنتً متعكفا في العشر الأخير من رمضان فوق سطح الجامع الأزهر، فجاءني رجل تاجر من الشام، وقال لي: إن بصري قد كف ودلني

الناس عليك تدعو الله أن يرد علي بصري، وكان لي علامة في إجابة دعاني فسـألت لله أن يرد عليه بصره فأجابني لكن بعد عشرة أيام فقلت له: الحاجة قضيت، ولكن تسافر من هذا البلد فقال :ما هي أيام نقول: فقلت له إن أردت أن يرد الله عليك بصرك تسافر، وذلك ً خوفا أن يرد عليه بصره في مصر فهتكني بين الناس فسافر مع جمال فرد الله عليه بصره في غزة، وأرسل لي ً كتابا بخطه فأرسلت أقول له متى رجعت إلى مصر كف بصرك فلم يزل بالقدس إلى أن مات بصيراً، وقد ألبسني الخرقة، ولقنني الذكر من طريق سيديمحمد الغمري، وذكر لي أنه سافر إلى المحلة الكبرى، فأخذ عنه لبس الخرقة، وتلقين الذكر ،وقرأ عليه كتابه المسمى بقواعد الصوفية كاملا قال: وكان أصحابه يفرحون بحضوري عنده لأجل سؤالي له لمعاني الكلام فإ..م كانوا لا يتهجمون عليه بالسؤال من هيبته لأنه كان جليل القدر، وكان كثير الصدقة ما أظن أحدًا كان في مصر أكثر صدقة منه كما شاهدته منه، ولكن كان يسرها بحيث لا يعلم أحدًا من الجالسين، وجاءه مرة رجل أسمر، وكان ً شريفا من تربة قايتباي، فقال له :يا سيدي خطفت عمامتي هذه الليلة وكان حاضرًا الشيخ جمال الدين الصاني، والشيخ أبو بكر الظاهري جابي الحرمين فأعطاه الشيخ جديدًا فرماه في وجه الشيخ وخرج غضبان منه فأعلمت الشيخ بذلك، فقال: هو أعمى القلب الذي جاء بحضرة هؤلاء الجماعة، وكنت ً يوما أطالع له في شرح البخاري فقال لي: قف اذكر لي ما رأيته في هذه الليلة، وقد كنت رأيت أنني معه في مركب قبعها حرير، وحبالها حرير، وفرشها سندس أخضر،

وفيها أرائك، ومتكآت من حرير، والإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه جالس فيها، والشيخ زكريا عن يساره فقبلت يد الإمام الشافعي رضي الله عنه .

ولم تزل تلك المركب سائرة بنا حتى أرست على جزيرة من كبد البحر الحلو، وإذا فواكهها مدلاة في البحر فطلعت من المركب فوجدت ً بستانا من الزعفران كل نوراة منه كالإسباطة العظيمة، وفيه نساء حسان يجنين منه فلما حكيت له ذلك قال: إن صح منامك يا فلان، فأنا أدفن بالقرب من الإمام الشافعي رضي الله عنه، فلما مات أرسلوا هيئوا له قبراً في باب النصر فصار الشيخ جمال الدين، والشيخ أبو بكر الظاهري يقولان ما صح منامك يا فلان فبينما نحن في ذلك، وإذ بقاصد الأمير خير بك نائب السلطنة بمصر يقول: إن ملك الأمراء ضعيف لا يستطيع الركوب إلى هاهنا، وأمر أن تركبوا الشيخ على تابوت، وتحملوه للأمير ليصلي عليه في سبيل المؤمنين بالرميلة، فحملوه، وصلوا عليه، فقال: ادفنوه بالقرافة فدفنوه عند الشيخ نجم الدين الخبوشتاني تجاه وجه الإمام الشافعي رضي الله عنهما، وذلك في شهر الحجة سنة ست وعشرين وتسعمائة.

ومنهم الشيخ علي النبتيتي الضرير رحمه الله

كان من أكابر العلماء العاملين، والمشـــايخ المتكلمين، وكانت مشـــكلات المســـائل ومعضـلا..ا ترسـل إليه من الشام، والحجاز، واليمن وغيرها فيحل مشكلا..ا بعبارة ســـهلة، وكانت العلماء كلهم تذعن له، وكان مقيما ببلده نبتيت بنواحي الخانقاه السرـياقوسـية، والخلق تقصـده من سـائر الأقطار، وكان إذا جاء إلى مصرـ تندلق عليه الناس يتبركون به، وقد اجتمعت به مرات عند شـيخنا شـيخ الإسـلام الشـيخ زكريا في المدرسـة الكاملية مرات، وحصـل لي منه لحظ وجدت بركته في نفسي إلى وقتي هذا، وأسمعني حديث عائشة رضي الله عنها فيمن أرضي الله بسخط الناس إلى آخره، وقـال لي: احفظ هذا الحديث فإنك ســـوف تبتلي بالناس وكان يجتمع بالخضرـ عليه السـلام، وذلك أدل دليل على ولايته، فإن الخضرـ لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية، وسمعته يقول :وهو بالمدرسة الكاملية لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن جمعت فيه ثلاث خصال فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط، ولو كان على عبادة الملائكة: الخصـــلة الأولى أن يكون العبد على سـنته في سـائر أحواله، والثانية ألا لا يكون له حرص على الدنيا، والثالثة أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام لا غل، ولا غش ولا حسد، وحكى له عن الشيخ أبي عبد الله التســتري أحد رجال رســالة القشــيري أنه كان يجتمع بالخضرـ عليه الســلام، ويقول: إن الخضرـــ لا يجتمع بـأحـد إلا على وجـه التعليم له فإنه غني عن علم العلماء لما معه من العلم اللدني، وقد بلغني أن الشيخ عبد الرازق الترابي أحد

تلامـذتـه جمع منـاقبـه نظماً، ونثرًا فمن أراد الزيـادة على ما ذكرناه فعليه بذلك الكتاب توفي في يوم عرفة سـنة سـبع عشرة، وتسعمائة، ودفن ببلده، وضريحه مآ. ظاهر يزار، وهذا من نظمه :

وما لي لا أنوح على خطائي   وقد بارزت جبار السماء

قرأت كتابه، وعصيتً   سرا لعظم بليتي، ولشؤم رائي

بلائي لا يقاس به بلاء   وآفاتي تدل على شقائي

فيا ذلي إذا ما قال ربي إلى   النيران سوقوا ذا المرائي

فهذا كان يعصينيً مرارا   ويزعم أنه من أوليائي

تصنع للعباد، ولم يردني   وكان يريد بالمعنى سوائي

إلى أن قال في آخرها :

فيا ربي عبيد مستجير   يروم العفو من رب السماء

حقير ثم مسكين فقير   بنبتيت أقام على الرياء

علي باسمه في الناس يعرف   وما يدري اسمه حال ابتداء

فآنسه إذا أمسىً وحيدا   رهين الرمس في لحد البلاء

رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ علي بن الجمال النبتيتي رحمه الله

أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري، وكان من الرجال المعدودة في الشدائد، وكان صاحب همة يكاد يقتل نفسه في قضاء حاجة الفقراء، وحج هو وسيدي أبو العباس الغمري، وسيدي محمد بن عنان، وسيدي محمد المنير وسيدي أبو بكر الحديدي، وسيدي محمد العدل في سنة واحدة، فجلسوا يأكلون تمرًا في الحرم النبوي فقال: سيدي أو بكر الحديدي لا أحد يأكل أكثر من رفيقه، وكانت ليلة لا قمر فيها فلما فرغوا عدوا النوى، فلم يزد واحد على آخر تمرة واحدة، وأخبرني الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري أن الشيخ أبو العباس الغمري رضي الله عنه أودع عنده قفص دجاج، وهو في الريف ليرسله له في القاهرة فتحزم، وتشمر، وشاله على رأسه من نبتيت إلى القاهرة، وكان يسافر كل سنة إلى مكة بالحبوب يبيعها على المحتاجين، وكان مشهورًا في مكة بالخواف في البيع لأنه كان يخر في الثمن بزيادة على الناس ،ويقول :لا أبيع إلا بذلك الثمن بنفسه فكل من رضي بذلك الثمن يعلم أنه محتاج فيعطيه، ولا يأخذ له ثمناً، وكل من قال: هذا غال لا يبيعه ويعرف أنه غير محتاج، وكان يفرق كل سنة الثياب على أهل مكة، ويفرق عليهم السكر، وكذلك على أهل المدينة فكل من أخبر الناس بذلك يسترد منه ما أعطاه له، ويقول: يا أخي غلطت فيك هذا ما هو لك، وكان يخلط ماله على الذي يجيئه من الناس باسم الفقراء، ويفرقه ويقول: هذا من مال فلان وفلان، توفي سنة نيف وتسعمائة ودفن في نبتيت في زاويته، ولم أجتمع عليه غير مرة واحدة

فدعا لي بأن الله يسترني بين يديه في القيامة، فنسأل الله أن يقبل ذلك رضي الله تعالى عنه.

ومنهم الشيخ عبد القادر بن عنان أخو الشيخ محمد ﷺ

صحبته نحو سبع سنين على وجه الخدمة، وكان يتلو القرآن آناء الليل، وأطراف النهار إن كان يحصد أو يحرث أو يمشي لأن ورده كان قراءة القرآن فقط، وكان سيدي محمد بن عنان يقول الشيخ عبد القادر عمارة الدار والبلاد، وكان رضي الله عنه يغلب عليه الصفاء، والاستغراق تكون تتحدث أنت، وإياه فلا تجده معك، ووقائعه كثيرة مع الحكام، ومشايخ العرب لأنه كان كثير العطب لهم، وكان يقول :كل فقير لا يقتل من هؤلاء الظلمة عدد شعر رأسه فما هو فقير. مات سنة العشرين والتسعمائة ودفن ببرهمتوش ببلاد الشرقية، وقبره مآ. ظاهر يزار رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ محمد العدل رحمه الله

صحبته نحو خمس سنين، فكان ذا سمت حسن، وقبول تام بين الخاص، والعام، وكان أصله من جماعة سيدي علي الدويب، وكان أخلاه سنة كاملة لا يحضر جمعة، ولا جماعة، فأرسل له الشيخ محمد بن عنان كتابا يقول له: فيه إن لم تخرج للجمعة والجماعة، وإلا فأنت مهجور حتى تموت، فخرج من الخلوة، واجتمع بسيدي محمد بن داود، وسيدي أبي العباس الغمري، وهجر شيخه الدويب، وذلك أن شيخه كان من أرباب الأحوال الذين لا يقتدي بأحوالهم، وكان مقصد الجماعة لسيدي محمد العدل أن يكون من المقتدى مآ.. وأصل تسميته العدل أنً شخصا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له قل لمحمد العدل الطناجي يتبع سنتي وينفع الناس فاشتهر بالعدل من ذلك اليوم، ومات، ودفن بطناح، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ ابن داود المنزلاوي رحمه الله

اجتمعت به مرات، ودعا لي بالبركة في العمر، وذلك أن ســـيدي خضرًـا الذي كان كفلني، وأنـا يتيم أخـذني بيـده، وجـاء بي إلى ســـيدي محمد بن عنان ،وكان عند الشيخ محمد العدل، والشيخ محمد بن داود ،والشيخ أبو بكر الحديدي، وقال كل منكم يدعو لهذا الولد دعوة فدعا كل واحد منهم لي دعوة ،فوجدت بركة دعائهم إلى وقتي هـذا، وكان ســـيدي محمد بن داود يضربــب به المثل في اتباع الكتاب ، والسنة، وخدمة الفقراء، والمنقطعين وعدم تخصيص نفسه عنهم بشيء من المأكل، والمشربــب، والملبس، وربما كانت زوجته تطبخ له الدجاجة فلا تظهره عليها حتى تنـام الفقراء ليـأكلهـا وحـده فيأخذها، ويخرج إلى الزاوية، وينبه الفقراء ويفرقها عليهم، وأحواله مشهورة في المترلة، وولده الشيخ شهاب الدين كان يضرب به المثل في اتباع الكتاب، والســنة، وما رأيت في عصريـي هذا أضــبط منه للســنة، ولا من الشـيخ يوسـف الحريثي. مات بالسـمية قرية في بلاد المترلة، ودفن بزاويته، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ محمد السروي رحمه الله

المشـهور بأبي الحمائل أحد الرجال المشـهورة في الهمة، والعبادة، وكان يغلب عليه الحال فيتكلم بالألســن العبرانيه، والسر-يانية، والعجمية وتارة يزغرت في الأفراح، والأعراس كما تزغرت النســاء، وكان إذا قال: قولا ينفذه الله له، وشــكا له أهل بلده من الفأر، وكثرته في مقثأة البطيخ فقال :لصــاحب المقثأة رح، وناد في الغيط حسـب ما رسم محمد أبو الحمائل إنكم ترحلون أجمعون، فنادى الرجل لهم كما قال: الشــيخ فلم ير بعد ذلك اليوم منهم، ولا فأرًا واحدًا فســمعت البلاد بذلك، فجاءوا إليه فقال: لهم يا أولادي الأصــل الإذن من الله، ولم يرد عنهم الفأر وكان مبتلي بزوجته يخاف منها أشــد الخوف حتى كان يخلي الفقير في الخلوة فتخرجه من الخلوة بلا إذن من الشــيخ فلا يقدر يتكلم، وأخبرتني قبل مو..ا أنه كان كثيراً يكون جالســا عندها فتمر عليه الفقراء في الهواء فينادونه فيجيبهم، ويطير معهم فلا تنظره إلى الصـباح، وكان لا يقرب أحدًا قط إلا بعد تكرار امتحانه بما يناســبه، وجاءه الشــيخ علي الحديدي يطلب منه الطريق، فرآه ملتفتا لنظافة ثيابه، فقال :إن كنت تطلب الطريق، فاجعل، ثيابك ممسـحة لأيدي الفقراء فكان كل من أكل سمكا أو زفرًا يمسح في ثوبه يده مدة سنة، وسبعة شهور حتى صارت ثيابه كثياب الزباتين أو الســماكين وكان فقيهاً موسوسا فلما رأى ثيابه لقنه الذكر وجاء منه في الطريق، وأخذ عنه تلامذة كثيرة، وســمعته يحكي قال: بينما أنا ذات يوم في منارة جامع، فارسـكور ليلة من الليالي إذ مر علي جماعة طيارة، فدعوني إلى مكة فطرت معهم، فحصل عندي عجب بحالي فسقطت في بحر دمياط، فلولا كنتً قريبا من

البر وإلا كنت غرقت، وسـاروا، وتركوني وكان إذا اشتد عليه الحال في مجلس الذكر ينهضً قائما ويأخذ الرجلين، ويضرب مآ.. الحائط، وأخبرني الشيخ يوسف الحريثي قال :رأيت الشـيخ محمد السرـوري وقد حصل له حال في جامع فارسكور فحمل تـامور الماء، وفيه نحو الثلاثة قناطير من الماء على يد واحدة وصـــار يجري به في الجامع، وأخبرني الشـيخ علي بن ياقوت أنه سـمعه يقول: لقنت نحو ثلاثين ألف رجل ما عرفني منهم أحد غير محمد الشناوي وقد اجتمعت به مرارًا عديدة، وهو في الزاوية الحمراء خارج القاهرة، ولقنني الذكر، ولما دخل مصرــ ســكن بنواحي جامع الغمري، فكنت أقبل يده فيدعو لي فأجد بركة دعوته في نفسيــ وكان يكره للمريد قراءة حزب الشـاذلية، وأحزاب غرهم، ويقول: ما رأينا قط أحدًا وصل إلى اللـه بمجرد قراءة الأحزاب، والأوراد، وكـان يقول: نحن ما نعرف إلا لا إله إلا الله بعزم وهمة، وكان يقول: مثال أرباب الأحزاب مثال شـــخص من أســافل الناس اشتغل بالدعاء ليلا، و..ارًا أن الله تعالى يزوجه بنت السلطان، وكان يقول: لجماعة الشـــيخ أبي المواهـب على وجـه التوبيخ بلســـان حـالهم اجعـل لي، واعمـل لي، واصـــطفني، ولا تخلي أحـدًا فوقي، وأحـدكم نـائم بطول الليل، ومهما وجده من الحرام والشــبه يلف ما هكذا درج الســلف، وقال: كنتً يوما أقرأ على الشــيخ يحيى المنـاوي في جـامع عمرو بن العـاص في خلوة الكتـب وقت القيلولة، فدخل علينا رجل في وســطه خيشــة محزم عليها بحبل، وهو أســود كبير البطن، فقال :السـلام عليكم فقلنا، وعليكم السـلام، فقال :للشـيخ أيش تعمل مآ.. الكتب كلها فقال: أكشف عن المسائل فقال :أما تحفظها فقال له :الشيخ لا فقال أنا أحفظ

جميع ما فيها فقلنا له كيف فقال: كل حرف فيها يقول :لك كن رجلا جيدًا ثم خرج فلحقنا منه مآ.. فخرجنا خلفه فلم نجد أحدًا ،وكان رضي الله عنه يغير على أصحابه أن يجتمعوا بأحد من أهل عصره، ويقول: الذي أبنيه مؤ.... عند غيري، ولما حج رضي الله عنه اجتمع عليه الناس في مكة من تجار، وغيرهم، وقال :لخادمه نحن جئنا نتجر، وإلا نتجرد للعبادة في هذا البلد، ولا نشتغل بالناس، فإذا كان وقت المغرب امض إلى بيوت هؤلاء الجماعة الذين يأتون إلينا، وقل لهم الشيخ يمسي عليكم، ومحتاج إلى ألف دينار وقل: لكل واحد منهم بمفرده، وكل من لقيته قل له، هكذا فلم يأت أحد منهم من تلك الليلة وانقطعوا كلهم من ذلك اليوم ،فقال الحمد لله رب العالمين، ووقائعه مشهورة بين أصحابه رضي الله عنه ومات رحمة الله عليه بمصر وصلى عليه بالجامع الأزهر، ودفن بزاويته بخط بين السورين في سنة اثنتين، وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ علي نور الدين المرصفي رحمه الله

كان من الأئمة الراسخين في العلم، وله المؤلفات النافعة في الطريق، واختصر رسالة القشيري رضي الله عنه، وتكلم على مشكلا..ا، وقرأ..ا عليه بعد قراء..ا على الشيخ زكريا رحمه الله تعالى، فكنت أعرض عليه ما سمعته من شرح الشيخ لها فيقره، ويمدحه، ويقول: كان الشيخ زكريا من العارفين، ولكنه تستر بالفقه، وتلقنت عليه الذكر ثلاث مرات متفرقات أول مرة، وأنا شاب أمرد دخلت عليه بعد العصر فقلت له: يا سيدي لقني الذكر بحال قوي فقال :بسم الله الرحمن الرحيم يا ولدي، وأطرق ساعة، وقال : لا إله إلا الله فما استتمها الشيخ إلا وقد غبت عن إحساسي فما استفقت إلا المغرب، فلم أجد عندي أحدًا، فمكثت خمسة عشر يوما مطرودًا لا أستطيع الاجتماع به لسوء أدبي معه في قولي لقني بحال قوي الثانية لقنني فسمعت منه لا إله إلا الله ثلاث مرات فعبت كذلك، فرأيت في تلك الليلة كأن الشيخ بيده ثلاث مآثر فغرزها في جلدي إلى آخرها، فلما أفقت ذكرت له ذلك فقال :الحمد لله الذي أظهر أثرها الثالثة لقنني حين لقن الشيخ أبا العباس الحريثي رضي الله عنه لكونه كان أصفى قلبا مني، وأكبر سنا وأعرف بمقام الرجال ثم لا زلت أتردد بصحبته مدة حياة الشيخ رضي الله عنه، وذكر لي سيدي أبو العباس رحمه الله أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات، فقال :الشيخ الفقير، ووقع له أنه قرأ في يوم، وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة، وكان رضي الله عنه يقول: إذا وقع من المريد شيء مذموم عند شيخه، وهو محمود عند غيره، فالواجب عليه عند أهل الطريق رجوعه إلى كلام شيخه

دون كلام غيره، وإن قال: للمريد إن كلام شـيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه بالرجوع إلى كلام شـيخه، وأولى إذا كان من الراسـخين في العلم، وكان رضي الله عنـه يقول: إذا خرج المريـد عن حكم شـيخـه، وقـدح فيـه فلا يجوز لأحد تصـديقه لأنه في حالة مؤ.. لارتداده عن طريق شـيخه وهذا الأمر قال: أن يسـلم منه مريد طرده شـيخه لأنه لضـعفه يخاف من تجريحه فيه، وتنقضـه عند الناس حين يرون أن شـيخه طرده، وتضـيق عليه الدنيا، فلا يجدً منفسـا إلا الحط في شيخه، والرد عن نفسه بنحو قوله لو رأينا فيه يعني الشيخ خيراً ما فارقناه، فيزكي نفسـه، ويخرج في شـيخه، وبذلك يسـتحكم المقت فيه لا سـيما إن اجتمع بعد شيخه على من ينقص شيخه، ويزدريه ويظهر فيه المعايب فإنه يهلك مع الهالكين، ولكن إذا أراد الله بمريد خيراً جمعه عند غضـب شـيخه على من يحب شـيخه، ويعظمـه فـإن المريد يندم على شـيخه ضرورة، ويرجع إليه، وكان رضي الله عنه يقول :إذا خرج المريد عن حكم شـيخه وانقطع عن مجلسـه فإن كان سـبب ذلك الحياء من الشـيخ أو من جماعته لزلة وقع فيها أو فترة حصلت منه فهو كالطلاق الرجعي، فللشيخ أن يقبله إذا رجع لأن حرمة الشيخ في نفس هذا المريد لم تزل لا سـيما، والمريد أحوج ما يكون إلى الشـيخ حال اعوجاجه فينبغي للشـيخ التلطف مـآ.. المريـد، وعدم الغلظة عليه، والهجر له إلا أن يكون وثق به لقوة العهد الذي بينه، وبينه.

وكان رضي الله عنه يقول :ليس للمريد أن يسـأل شـيخه عن سبب غيظه، وهجره له بل ذلك من سوء الأدب، وكان رضي الله عنه يقول: لا يجوز للمريد عند أهل

الطريق أن يجيب عن نفسه أبدًا إذا لطخه شيخه بذنب لأنه يرى ما لا يرى المريد فإنه طبيب، وكان يقول: ليس للشـيخ أن يبين للمريد صـورة الفتح الذي علم من طريق الكشـف أنه يئول إليه أمر المريد بعد مجاهداته، وكمال سـلوكه لأن المريد إذا حصـل معنى صـورة ذلك في نفسه، وتكرر شهوده له ربما ادعى الفتح، وباطنه معرى عن ذلك إذ النفس معرضــة للخيالة، وعدم الصــدق، وكثرة الدعوى، وربما فارق هذا شـيخه، وادعى الكمال لعلمه بصورة النتج علما لا حذقاً، ولاً ذوقا كما يظهر المنـافق صــورة المؤمن في العمل الظاهر، وباطنه معرى عن الموجب لذلك العمل، وكلامه رضي الله عنه غالبه سطرته في كتابة رسالة الأنوار القدسية، وغيرها من مؤلفاتي. وكان رضي الله عنه في بداية أمره أمياً، واجتمع بسيدي مدين رضي الله عنه وهو ابن ثمان سـنين، ولم يأخذ عنه كما سمعته منه فلما كبر اجتمع بابن أخته سـيدي محمد رضي الله عنه، وأخذ عنه الطريق، واجتمعت عليه الفقراء في مصرـ وصـار هو المشـار إليه فيها لانقراض جميع أقرانه، وكان رضي الله عنه من شـأنه إذا كان يتكلم في دقائق الطريق، وحضرـ أحد من القضـاء ينفل الكلام إلى مسـائل الفقه إلى أن يقوم من كان حاضره ويقول :ذكر الكلام بين غير أهله عورة، ومن وصـيته لي إياك أن تسـكن في جامع أو زاوية لها وقف، ومسـتحقون، ولا تسـكن إلا في المواضـع المهجورة التي لا وقف لها لأن الفقراء لا ينبغي لهم أن يعاشروا إلا من كان من حرفتهم، وعشرـة الضـد تكدر نفوسـهم. مات رضي الله عنه، ورحمة سـنة نيف وثلاثين وتسـعمائة، ودفن بزاويته بقنطرة الأمير حسـين بمصر، وقبره مآ. ظاهر يزار رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله

كان رضي الله عنه وجهه يضيء من نور قلبه ذا سمت حسن، وتجمل بالأخلاق الجميلة تكاد كل شعرة منه تنطق، وتقول: هذا ولي الله، وكان رضي الله عنه يفرش زاويته باللباد الأسود لئلا يسمع وقع أقدامهم إذا مشوا، ويقول: حضرة الفقراء من حضرة الحق لا ينبغي أن يكون فيها علو صوت، ولا حس قوي، وكان أصحابه في غاية الجمال، والكمال، وكان رضي الله عنه له التلامذة الكثيرة، والاعتقاد التام في قلوب الخاص، والعام وكان رضي الله عنه كثير الشفاعات عند السلطان، والأمراء .

وكان رضي الله عنه يمكث السبعة أيام بوضوء واحد كما أخبرني بذلك خادمه الشيخ عبد الباسط الطحاوي. قال :وانتهى أمره أنه كان في آخر عمره يتوضأ كل أحد عشرً يوما وضوءًا واحدًا قال :وعزم عليه جماعة في جامع طولون ليمتحنوه في ذلك فدعوه إلى ناحية الجيزة في الربيع، وصاروا يعملون له الخراف، والدجاج، واللبن بالرز، وغير ذلك وهو يأكل معهم من ذلك جمله ثم لا يرونه يتوضأ لا ليلا ، ولا مإ.... مدة تسعة أيام فقيل للشيخ في ذلك يا سيدي إنك في امتحان مع هؤلاء فتشوش منهم، وجاء إلى البحر يعدى، فعدى في مركب، والجماعة الممتحنون في مركب فغرقت مآ. فأخبروا الشيخ، فقال :لله الحمد ثم تدارك ذلك، وقال: ما وقعت مني قبل ذلك قط قال :الشيخ عبد الباسط خادمه رحمه الله تعالى فمرض الشيخ بسبب هذه الكلمة نحو سبعة وأربعين يوماً، وأخبرني أخي الشيخ الصالح شمس الدين المرصفي رضي الله عنه أنه قال لي :أربعون سنة أصلي الصبح بوضوء

العشـاء، وقد طويت سجادتي بعدي،ومكث رضي الله عنه خمسا وعشرين سنة لم يضع جنبه على الأرض، وكان رضي الله عنه يقول: ليس القناعة أن يأكل الفقير كل ما وجد من يســير الخبز والأدم إنما القناعة أن لا يأكل إلا بعد ثلاثة أيام لقيمات يقمن صـلبه، وأكثرها خمس ولما حضرته الوفاة قالوا له: يا سيدي من هو الخليفة بعـدكم لنعرفـه، ونلزم والأدب معـه، فقال قد أذنا لفلان، وفلان وعد عشرـة من أصـحابه أن كل من حضر منهم يفتتح الذكر بالجماعة، والطريق تعرف أهلها، ولو هربوا منها تبعتهم، وكان من العشرـة سيدي شهاب الدين الوفائي، وسيدي الشيخ إبراهيم، وسـيدي الشـيخ عبد الباسـط، وهم أجل من أخذ عنه، فنسـأل الله أن يفسـح في أجلهم للمسـلمين، وكان رضي الله عنه يقول: لا تصـح الصـحبة لشخص مع شـيخه إلا إن شرب من مشرـوبه، واتحد به اتحاد الدم في العروق مات رحمه الله تعالى سـنة نيف وعشرـين وتسعمائة ،ودفن بزاويته بجوار حمام الدود خارج باب زويلة وكانت جنازته مشهورة رضي الله عنه آمين.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي أبو السعود الجارحي رحمه الله

هو من أجل من أخذ عن الشيخ شهاب الدين المرحومي رضي الله عنه، وكانت له في مصر الكرامات الخارقة، والتلامذة الكثيرة، والقبول التام عند الخاص، والعام، والملوك، والوزراء، وكانوا يحضرون بين يديه خاضعين، وعملوا بأيديهم في عمارة زاويته في حمل الطوب، والطين، وكان كثير ا..اهدات لم يبلغنا عن غيره ما بلغنا عنه في عصره من مجاهداته، وكان يترل في سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل، وأما الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية، وكان رضي الله عنه يقول: إني لا أبلغ إلي الآن مقام مريد ولكن الله تعالى يستر من يشاء، وكان رضي الله عنه إذا سمعً كلاما يسمعه بالسمع الباطن، وسمع قائلا يقول: يا سيدي فسدت المعاملة، ونودي على الفلوس بأ..ا بطالة فصاح، وسقط على وجهه، ونتف لحيته، ومكث يصيح يوما كاملا ،وجاءه مريد من بلبيس يريد أن يجتمع به فلم يأذن له فقال :جئتك من مكان بعيد فقال له :تمن علي بمجيئك من موضع بعيد اذهب لا تأتني لثلاث سنين، فلم يجتمع به إلا بعد ثلاث سنين ثم قال: الشيخ كان المريد يسافر ثلاث شهور في طلب مسألة في الطريق، ويرى تلك السفرة قليلة، وكان رضي الله عنه يعامل أصحابه بالامتحان، فلا يكاد يقرب منهم أحدًا إلا بعد امتحانه سنة كاملة، وكان يلقي حاله على الفقير فيتمزق، وأخبرني الشيخ شمس الدين

الأبوصيري رضي عنه أجل أصحابه قال: لم يزل الشيخ يمتحنني إلى أن مات، وأراني ضرب المقارع على أجنابه من الدعاوي التي كان يدعيها علي عند الحكام قال :وكنت أعترف عند الحكام إيثارًا لجناب الشيخ أن يرد قوله :فإذا قال :هذا زنى بجاريتي أقول نعم أو يقول: هذا أراد الليلة أن يقتلني أقول نعم أو يقول :هذا سرق مالي أقول :نعم .

وكان رضي الله عنه يتنكر عليناً أوقاتا فلا نكاد نعرفه، وهرب منا إلى مكة، ونحن في الحبس، فلم نشعر به إلى أن وصل إلى مكة، فخرجت أنا وأبو الفضل المالكي في غير أوان الحج فوصلنا مكة في خمسة عشريوماً، فلما وصلنا إلى مكة استخفى منا وأشاع أنه سافر إلى اليمن، فسافر إليه خمسة شهور من مكة ،فخرج إلينا شخص خارج زبيد، وقال: إن شيخكم في مكة في هذا اليوم فرجعنا فلما بقي بيننا، وبين مكة يوم، وليلةخرج إلينا، وقال: إن شيخكم باليمن فرجعنا إليه، وقال لنا :إن الذي قال :لكم إن شيخكم بمكة شيطان، فرجعنا إلى اليمن، فخرج إلينا، وقال: إن شيخكم بمكة، فلم نزل كذلك ثلاث سنين حتى ظهرلنا أنه بمكة، فأقمنا معه، فادعى علينا دعاوي، وضربونا، وحبسونا، ولم نر منه يوما واحدًا كلمة طيبة، وكان رضي الله عنه يقول: ليس لي أصحاب .قلت :وقال لي : يوما من حين عملت شيخا في مصر لي سبع، وثلاثون سنة ما جاء لي قط أحد يطلب الطريق إلى الله، ولا يسأل عن حسرة، ولا عن فترة، ولا عن شيء. يقربه إلى الله، وإنما يقول؛ أستاذي ظلمني، وامرأتي تناكدني جاريتي هربت جاري يؤذيني شريكي خانني، وكلت نفسي من ذلك، وحننت إلى الوحدة، وما كان لي خيرة إلا فيها، فيا ليتني لم أعرف أحدًا،

ولم يعرفني أحـد. وكـان رضي اللـه عنه إذا غلب عليه الحال نزع ثيابه، وصـــار ً عريانا ليس في وسطه شيء، وجاءه مرة أمير بقفص موز، ورمان فرده عليه، فقال :هذا لله تعالى فقال :الشـيخ إن كان لله فأطعمه للفقراء، فأخذه الأمير، ورجع به إلى بيته، فأرســل الشــيخ فقيرين بصــيرًا، وضريرًا، وقال: الحقاه، وقولا له يا أمير أعطنا شــيئا لله من هذا الموز، والرمان فتوجها مثل ما قال: لهما الشــيخ، ولحقاه وقالا له يا أمير أعطنا ً شـيئا لله، فنهرهما، ولم يعطهما ً شيئا فرجعا، وأخبرا الشيخ بما وقع لهما، فأرســل له الشــيخ يقول: له تقول :هذا الله، وتكذب على الفقراء، وتنهر من يقول لـك: أعطنـا يـا أمير شـــيئا ً، فلا عدت تأتينا بعد ذلك اليوم أبدًا، فحصــل له العزل، ولحقته العاهات في بدنه، ومات على أسـوأ حال، ولما حضرـت الشـيخ الوفاة أرسل خلف شيخ الإسلام الحنفي، وجماعة وقال: أشهدكم علي بأني ما أذنت لأحد من أصـحابي في السـلوك فما منهم أحد شـم رائحة الطريق ثم قال :اللهم اشـهد اللهم اشـهد اللهم اشـهد، وكان رضي الله عنه له شـطحات عظيمة، وكان كثير العطب، فكان عطبه للناس بحمية.

مـات رحمـه الله ســـنة نيف، وثلاثين وتســـعمائة، ودفن بزاويته بالكوم الخارج بـالقرب من جـامع عمرو في السرـداب الـذي كان يعتكف فيه، وما رأيت أسرع ً كشـــفا منه ،وحصـــل لي منا دعوات وجدت بركتها ،وكان رضي الله عنه يقول :لا تجعـل لـك قط مريـدًا، ولا مؤلفا ً، ولا زاوية وفر من الناس فإن هذا زمان الفرار، وسـمعته مرة يقول: لفقيه من الجامع الأزهر متى تصـير هاء الفقيه راء، والحمد لله رب العالمين .

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المنير رحمه الله

أحد أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه، وهو الذي أمره بحفر البئر، والسقي منها على الطريق في المحل الذي هو فيه الآن قبل عمارة البلد، فأقام مدة يسقي عليها، وبني لزوجته خصا ثم عمرت الناس حول الخص إلى أن صارت بلدًا، وكان يحج كل سنة، ويقدس بعد أن يصل إلى مصر، ويقيم شهرًا ،وأخبرني رضي الله عنه قبل موته أنه حج سبعة، وستين حجة هذا لفظه لي بالجامع الأزهر، وهو معتكف أواخر رمضان، وكان رضي الله عنه يكره الكلام في الطريق من غير سلوك، ولا عمل ويقول: هذا بطالة، ومكث نحو ثلاثين سنة يقرأ في الليل ختمة، وفي النهار ختمة، وكانت عمامته صوفا أبيض، وكان يلبس البشت المخطط بالأحمر، ويقول: أنا رجل أحمدي تبعا لسيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه، وترددت إليه في حياته نحو العشرين سنة، وحججت معه الحجة الأولى سنة خمس عشرة وتسعمائة، وكان رضي الله عنه أكثر أوقاته يحج على التجريد ماشيا، وعلى كتفه ركوة يسقي الناس منها، وكان رحمه الله يطوي الأكل، والشرب في الطريق، وفي مدة إقامته بمكة، والمدينة خوف التغوط في تلك الأماكن، وكان عليه القبول، وكان له شعرة طويلة بيضاء، وكان يحلقها في كل سنة في الحج، وكان رحمه الله يحمل لأهل مكة، والمدينة ما يحتاجون إليه من الزاد، والسكر، والصابون والخيط، والإبر، والكحل لكل واحد عنده نصيب فكانوا يخرجون يتلقونه من مرحلة، وكان سيدي محمد بن عراق رضي الله عنه ينكر عليه، ويقول هذه الأشياء يحملها من الأمراء، وتجار مصر من الحرام، والشبهات فبلغه ذلك فمضى إليه حافيا مكشوف الرأس

.فلما وصــل إلى خلوته بالحرم النبوي قبل العتبة، ووقف ً خاضــعا ً غاضــا طرفه، وقال :يا ســيدي يدخل محمد المنير فلم يرد عليه ســيدي محمد بن عراق ً شــيئا فكرر عليه القول فلم يرد عليه ً شـــيئا فرجع منكسرًــا، فما حكيت هذه الحكاية لســيدي على الخواص حين قدم مع الحاج المصرــي قال: وعزة ربي قتله، وعزة ربي قتله، فإنه ما ذهب قط لفقير على هذه الحالة إلا وقتله فجاء الخبر بأنه مات بعد خروج الحاج من المدينة بعد عشرين ً يوما.

قلت :ولما بلغني أنه حضرته الوفاة أخبرت أخي العباس الحريثي، وأخي أبا العباس الغمري، فقالوا :نســافر إليه نعوده، فتوافقنا أن كل من ســبق رفيقه بعد الفجر ينتظره في باب النصرـــ فذهبت فقال لي: البواب إن جماعة وقفوا، وانتظروا هنا ساعة ثم ساروا نحو طريق الخانكة فظننت أنه الشيخ أبو العباس الغمري فرحلت خلفـه فرافقني فقير هيئـة أهل اليمن .وقال :أين قاصــد؟ قلت :المنير فقال :وأنا كذلك وكان تحتي حمار أعرج، وكان ذلك في أيام الشــتاء، وكان أقصرـ الأيام فما ارتفعت الشــمس إلا، ونحن داخلون المنير ،فدخلت فوجدت الشــيخ محتضرًــا له ثلاثة أيام لم ينطق فقال: من أنت؟ قلت :عبد الوهاب فقال يا أخي كلفت خاطرك من مصر فقلت ما حصل إلا الخير فدعا لي دعوات منها أسأل الله تعالى أن يسترك بســتره الجميل في الدنيا، والآخرة ثم ودعته بعد الظهر، وأقمت بالخانكة إلى بعد العصرـ ثم دخل ســيدي أبوالعباس، فاعتقد أني ما رحت إلى الشــيخ إلى الآن، فقال :اركب فقلت له :إني رحت إلى الشيخ، وسلمت عليه وبالأمارة تحت رأسه مخدة

حمراء مصـبوغة فهذه كرامة للشيخ، فإن المدة بعيدة من مصر لا يصل المسافر في العادة إليها أواخر النهار. مات رضي الله عنه سـنة نيف، وثلاثين وتسـعمائة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ أبو بكر الحديدي رحمه الله

رفيق المنير في الحج كل سـنة، وكان من أكرم الناس، وكان إذا دعاً شـخصـا إلى طعامه، ولم يرض يكشـف رأسـه ويصير يمشي خلفه حتى يجيبه وكان من أصحاب الشـيخ أحمد بن مصـلح المترلاوي أبي الشـيخ عبدالحليم، وكانت طريقته سـؤال الناس للفقراء سـفرًا، وحضرًـا في طريق الحاج، وغيره، وكان رضي الله عنه يحمل لأهل مكة الدراهم، والخام وما يحتاجون إليه، وهو الذي أشار علي بلبس الصوف الجبب الحمر ،والسـود من حين كنت صغيراً بحضرة سيد محمد بن عنان، والشيخ محمـد العـدل رضي اللـه تعـالى عنه، وعن الجميع، وكان رحمه الله بمرض عسر البول، فكان يصـيح كلما يبول، ورأى الشـيخ محمدًا العدل رضي الله عنه يحسس على بطن امرأة أجنبيـة لمرض كـان مآ. فصـاح عليه واديناه، وامحمداه الله أكبر عليك يا عدل فقال: والله ما قصد..ا بشهوة، فقال له :أنت معصوم نحن ما نعرف إلا ظاهر السنة وقال لي :مرة يا عبدالوهاب قم معي، فخرجت معه إلى سوق أمير الجيوش، فصـار يأخذ من هذا نصـفاً، ومن هذا عثمانياً،ومن هذاً درهما فما خرج من السـوق إلا، ومعه نحو أربعين نصـفاً، فلقيً شـخصـا معه طبق خبز، فأعطاه ثمنه وصار يفرق على الفقراء والمساكين، وهو ذاهب إلى نحو بين القصرين، وقال :نفعنا الفقراء من هؤلاء التجار على رغم أنفهم ثم صـار يعطي هذا نصـفاً، وهـذاً درهما إلى أن فرغت، وكان معه مقص يقص كل شـارب رآه، فإن لم يرض صاحبه يصيح، ويقول: واديناه، والإسلاماه، وامحمداه إلى يقصه غصباً، وكان رضي الله عنه الغالب عليه البسط، والإنشراح، وكان رضي الله عنه حصل للشيخ محمد

بن عنان قبض لا يستطيع أحد أن يكلمه إلا إذا حضر الشيخ أبو بكر الحديدي رضي الله عنه فبمجرد ما يراه يتبسم، ولما حج هو، والشيخ أبو العباس الغمري والشيخ محمد بن عنان، والشيخ محمد المنير والشيخ علي بن الجمال نزلوا بباب المعلا، فبينا هم جلوس إذ جاء..م امرأة من البغايا، فقال لها الشيخ ما تبغين، فقالت ما يفعله الرجال بالمرأة، فقال لها اذهبي إلى هذا الرجل يعني سيدي محمد بن عنان فجاءت إليه فقال لها: ما تبغين

قالت: ما يفعله الرجل بالمرأة فأخذ العكاز، وقام لها فهربت، فضحك الجماعة فقال :من أرسل لي هذه؟ فقالوا: الشيخ أبو بكر فقال ما حملك على هذا؟ قال :حتى تنظر إليها نظرة بحال تكون سببا لتوبتها عن مثل ذلك فلم تفعل فتبسم الشيخ محمد بن عنان وقال: لا آخذك الله بذلك .توفي بالمدينة النبوية سنة خمس، وعشرين وتسعمائة، ودفن بالبقيع، رحمه الله تعالى، ويرحمنا إذا عدنا إليه آمين .

ومنهم شيخي وقدوتي إلى الله تعالى العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي رحمه الله

كان رضي الله عنه من الأولياء الراسخين في العلم أهل الإنصاف، والأدب في أولاد الفقراء، وفقد ذلك كله بعد الشناوي، وكان رضي الله عنه يقول ما دخلت على فقير إلا، وأنظر لنفسي دونه، وما امتحنت قط فقيراً، وكان رضي الله عنه يحكي عن الشيخ عبد الرحيم القناوي رضي الله عنه أنه رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف فقام له إجلالا للخرقة الصوف، وكان رضي الله عنه أقامه الله في قضاء حوائج الناس ليلاً، و..ارًا، وربما يمكث نحو الشهر، وهو ينظر بلده، ولا يتمكن من الطلوع لها، وهو في حاجة الشخص، وكان أهل الغربية، وغيرها لا أحد يزوج، ولده، ولا يطاهره إلا بحضوره، وكان رضي الله عنه يلقن الرجال، والنساء، والأطفال، ويرتب لهم ا..الس في البلاد ،ويقول يا فلانة اذكري بأهل حارتك ،ويا فلانة اذكري بإخوانك، فجميع مجالس الذكر التي في الغربية ترتيبه، وكان رضي الله عنه يقول: أشعلنا نار التوحيد في هذه الأقطار، فلا تنطفئ إلى يوم القيامة.

ومن مناقبه رضي الله عنه أنه أبطل الشعير الذي كان في بلاد ابن يوسف لأنه كان يموت فيه خلق كثير لأن ابن يوسف كان رجلا عنيدًا ظالماً، وكانً ملتزما بتلك البلاد وكان يستلزم بطيق السلطنة، وجميع العساكر من هذا الشعير، وكان لا يقدر أحد يتجاهى عليه وكان يأخذ الناسً غصبا من جميع البلاد حتى يموتوا من العطش، فتعرض له سيدي الشيخ محمد الشناوي شفقة على الفقراء، والمساكين فكان يجمع تلامذته، وأصحابه، ويقعد يملخ في الشعير، ويقول اعتق الفقراء لئلا

يموتوا، فتحمل منه ابن يوســـف في الباطن، وظن أنه يبطل عادته من البلاد، فأتى إليه بطعام فيه سـم فقدمه للشـيخ، وجماعته فلما جلسوا يأكلون صار دودًا ببركة الشـيخ، فتغيظ منه الشـيخ، وقال :لا بد أن أبطل هذا الشعير ببركة الله تعالى لئلا مؤ.. الخلق، فكان محبو الشــيخ يتفقدونه بالماء والطعام، وهو يقطع في الشــعير فكان حمادة الذي بمحلة ديبة لم يقطع الطعام عن الشيخ، وهو ملازم للإرسال له في كل يوم فدعا له الشيخ بالبركة في المال، والولد فهو إلى الآن في بركة دعاء الشيخ هو وأولاده، وعزم الشـيخ على السـفر لبلد السلطان ابن عثمان بسبب ذلك، فرآه السـلطان سليمان في داره ليلا وهو راكب حمارته السوداء، وقال له أبطل الشعير الذي ببلاد مصر في درك ابن يوسف ،فقال: للوزراء ذلك عند الصباح .

فكاتبوا نائب مصرـ قاسـم كزك، فأرسـل لهم إن الخبر صحيح والذي رآه السلطان هو الشـيخ محمد الشـناوي، فأرسـل السـلطان بإبطال الشعير، فهو إلى الآن بطال ببركة الشـيخ رحمه الله، وكانت مآ..... وحبوبه على اسـم المحاويج لا يختص منها بشيـــء، وكـان لا يقبـل هدايا العمال ولا المباشرين، ولا أرباب الدولة، وأهدى له نائب مصرـ قاسـم كزك أصـوافاً، وشاشات، وبعض مال فرده عليه، وقال: للقاصد الفقراء غير محتاجين إلى هذا وعزة ربي عندي جلة البهائم خير من هديتك، وقال :للقاصـد لا تعد تأتينا بشيـء، وكان رضي الله عنه لم يزد في مقاعده جبائر القطن ملفوفة من كثرة الركوب في حوائج الناس، وما رأيت في الفقراء أوســـع خلقا منه، وكان يقول: الطريق كلها أخلاق، وكان إذا جلس إليه أبعد الناس عنه لا يقوم من مجلسه حتى يعتقد أنه أعز أصحابه أو أقاربه من حسن إقباله عليه، وطلع مرة

لابنة الخليفة قصرـها، فلقنها الذكر، ولقن جوار..ا ووقعت عصـــائبهن من كثرة الاضـــطراب في الـذكر. فلما نزل قـال :الحمـد للـه الـذي مـا كان هناك أحد من المنكرين على هـذه الطائفة، وكان كثر تربيته بالنظر ينظر إلى قاطع الطريق، وهو مار عليه فيتبعه في الحال لا يسـتطيع رد نفسـه عن الشـيخ، ورأيت منهم جماعة صـــاروا من أعيـان جماعته، وكان رضي الله عنه إذا افتتح ا..لس بعد العشـــاء لا يختمه في الغالب إلا الفجر ،فإذا صـــلى الفجر افتتح إلى ضـــحوة النهار، وأخبرني الشـيخ محمد السـنجيدي قال: كنا إذا زرنا الشيخ محمدًا في ابتداء أمره في ناحية الحصـة لا نرجع إلاً ضعافا من كثرة السهر لأننا كنا نمكث عنده اليومين، والثلاثة، والأربعة لا يمكننا النوم بحضرـــته لا ليلاً، ولا ما.... فإن قراءة القرآن عنده دائماً، فـإذ فرغ من القرآن افتتح الذكر فإذا فرغ من الذكر افتتح القرآن، وهذا كان دأبه إلى أن مـات رحمه الله. وكان عنده جماعة ســـيدي أحمد البدوي رضي الله عنه بمكان، وسمعته مرة يحدثه إلى القبر، وسيدي أحمد يجيبه، وهو الذي أبطل البدع التي كانت الناس تطلع مآ. في مولد سـيدي أحمد البدوي رضي الله عنه من يهب لـه أمتعـة النـاس، وكـل أموالهم بغير طيبـة نفس، وتعلموا أنـه حرام، وكانوا قبله يرون أن جميع مـا يـأخـذونـه من بلاد الغربية حلال ويقولون هذه بلاد ســـيدي أحمـد، ونحن من فقرائـه، وكـان يطلعون بـالـدف، والمزمـار، فـأبطل ذلك وجعل عوضـــه مجلس الـذكر، فيفتح الـذكر من نواحي قحافة، ويجمع معه خلائق كثيراً يذكرون إلى أن يدخلوا مقام سيدي أحمد، ويحصل للناس بسط عظيم برؤيته،

وخشـــوع، وبكـاء ورقـة، ومنـاقبه كثيرة مشـــهورة بين الناس، وأذن بتلقين الذكر لجماعة قبل، وفاته رضي الله عنه، وأنشد:

أهيم بليلي ما حيي، وإن أمت أو كل بليلي من يهيم بها بعدي

فمن الجماعة الشـيخ شـهاب الدين السـبكي رضي الله عنه، ومنهم الشـيخ عبد الرحيم المناوي، ومنهم الشيخ أبو العباس الحريثي رضي الله عنه ثم الفقير رحمه الله، وقال: وقد صار معكم الإذن إذا فتح الله عليكم، وأما الآن فتلقوا كلمة لا إله إلا الله ً تشبيهاً ً وتبركا بطريق القوم، وكان ذلك في ربيع الأول سنة اثنتين، وثلاثين وتسـعمائـة، ودفن بزاويتـه بمحلـة روح، وقبره مـآ. ظـاهر يزار معمور بـالفقراء، وا..اورين بواسـطة ولده الشـيخ عبد القدوس، فسـح الله في مدته للمسلمين، ولما ودعتـه بزاويـة سـيدي محمد بن أبي الحمائل رضي الله عنه قال: ليس هذا آخر الاجتماع لا بد من اجتماعنا مرة أخرى، ولما حضرته الوفاة ما علمت بذلك إلا من وارد ورد علي قال :اذهب إلى محلة روح، فلم أسـتطع أرد نفسي عن ذلك الخاطر حتى سـافرت إليه ً تصـديقا لقوله لا بد من الاجتماع مرة أخرى، فدخلت عليه فوجدته محتضرًـا ففتح عينيه ،وقال: أسـأل الله أن لا يخليك من نظره، ولا من رعـايتـه طرفة عين، وأن يسـترك بين يديه ثم توفي تلك الليلة، ودفن في غفلة من الناس، واقتتل الناس على النعش، وذهلت عقولهم من عظم المصيبة مآ. فإنه كان معدًا لتفريج كر..م ً سـاعيا في إرشـادهم لخير دنياهم، وخير أخراهم، رضي الله عنه ورحمه.

ومنهم الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي رحمه الله

كان من الأخلاق النبوية على جانب عظيم، وكان كثير التواضـع، والازدراء لنفسـه، وجاءه مرة شـخص يطلب الطريق فقال: يا أخي النجاسـة لا تطهر غيرها، وجاءه رضي الله عنه شخص مرة بجبة صوف، وقال: يا سيدي :اقبل مني هذه الجبة لأني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الليلة، وقبلني على صدري، وأنا لابسها فأبى الشـيخ، وقال شيء مسه النبي صلى الله عليه وسلم لا أقدر على لبسه خوف أن يقع مني معصـية، وأنا لابسـها، ولكن نتبرك مآ. فمسـح مآ. على وجهه وردها على صاحبها، وكان رضي الله عنه يربي من كان عنده دعوى بالمسارقة فيقرأ عليهً شـيئا من أحوال القوم ثم يصير يورد عليه الأسئلة، ويعطف عليه بالجواب بحيث يظن أن ذلك الفقير هو الشيخ، والشيخ هو المريد، وجاءه شخص من اليمن فقال أنا مأذون لي في تربية الفقراء من شـيخي، فقال: الشـيخ عبد الحليم الحمد لله الناس يسـافرون في طلب الشـيخ ونحن الشـيخ جاء عندنا فتلقنعلى اليماني، ولم يكن بذاك، وكان الشـيخ يعلمه في صـورة المتعلم إلى أن كمله وزاد حاله ثم كساه عند الفسر، وزوده، وصار يقبل رجل اليماني، ويقول: صرنا محسوبين عليكم، ولقيه رجـل من أربـاب الأحوال، وكـان مشـهورًا بالكرامات، فقال: يا عبد الحليم أنت مسـكين ما كنت أظن مع هذه الشـهرة أنك عاجز هكذا ثم قبض هو دراهم من الهواء، وأعطى الشـيخ عبد الحليم فأثر ذلك في سيدي الشيخ عبد الحليم ثم قال له: يا عبد الحليم اشـتغل بالله تعالى حتى تصـير الدنيا في طوعك هكذا، فانقطع الشيخ عبد الحليم في الخلوة تسعة شهور يقرأ في الليل ختماً، وفي النهار ختما ثم

خرج ينفق من الغيب إلى أن مات، وأقمت عنده في زاويته نحو سبعة، وخمسين يوما رأيت الفقراء احتاجوا إلى شيء إلا ويخرج لهم من كيس صغير كعقدة الإ..ام جميع ما يطلبونه ورأيته بعيني قبض منه ثمن خشب من دمياط نحو خمسين دينارًا، وكان رضي الله عنه لا يسأله فقير شيئا إلا أعطاه حتى يخرج بعمامته وجبته فيرجع بالفوطة في وسطه، وعمر رضي الله عنه عدة جوامع في البحر الصغير، وله جامع بالمترلة فيه فقراء، ومجاورون، وفيه سماط على الدوام، ومارستان للضعفاء من الفقراء، والغرباء والمستضعفين، وكراماته كثيرة مشهورة في بلاده رضي الله عنه .مات رحمه الله سنة نيف، وثلاثين وتسعمائة، وكان رضي الله عنه لا يخصص نفسه بشيء من الهدايا الواصلة إليه بل أسوته بأسوة الفقراء في ذلك، واجتمع عنده في زاويته نحو المائة نفس، وهو يقوم بأكلهم، وكسو..م من غير وقف إنما هم على ما يفتح الله عز وجل، ولما وقف الناس عليه الأوقاف أخبرني أن الحال ضاق على الفقراء، وقال: تعرف سببه؟ قلت: لا فقال :لركون الفقراء إلى المعلوم من طريق معينة، وكانوا قبل ذلك متوجهين بقلو..م إلى الله تعالى، فكان يرزقهم من حيث لا يحتسبون، ومن مناقبه أني نصب عليه شخص مرة وأخذ منه أربعمائة دينار يبني مآ. بئر ساقية، ويجعل عليه ً سبيلا في طريق غزة، وقال :إن الناس محتاجون إلى ذلك فأخذ الفلوس تزوج مآ.. وفتح له ً دكانا مآ. فلما استبطأه الشيخ أرسل خلفه جماعة فأخرج لهم إبريق ماء حلو، وقال :لهم هذا من ماء البئر والناس يدعون للشيخ كثيرًا فلما ورد على الشيخ جماعة مسافرون سألهم عن البئر فقالوا ليس هناك شيء، فأرسل يطلبه، فجاء فقال له

:الشيخ ما فعلت بالفلوس، فقال : للشيخ الماء الذي أرسلته لك في الإبريق، وقلت إنـه من البئر فـإن هـذا الكلام لا حقيقـة له، وإني تزوجت بالفلوس، فأراد الفقراء حبسـه، فمنعهم الشـيخ، وقال :الدنيا كلها لا تسـاوي إرعاب مسلم، وخلي سبيله، وكان رضي عنه شديد المحبة لي حتى قال لي: مرة لا أحب أحدًا في مصر مثلك أبدًا، رضي الله عنه، وأرضاه، ورحمنا به آمين.

ومنهم الشيخ علي أبو خودة رحمه الله

كان رضي الله عنه من أرباب الأحوال، ومن الملامتية، وكان رضي الله عنه يتعاطى أسباب الإنكار عليه قصدًا، فإذا أنكر عليه أحد عطبه، ورأيته خارج باب الشعرية، وهو يقول: الخادمة أيش قلت :من يخلي هذا الرجل هراره في رجليه يعني الشيخ عبد القادر الدشـــطوطي، فلما مر عليه كركبت بطن الشـــيخ عبد القادر، وســـاح هرره على المســـطبة التي كان قاعدًا عليها، فقال الله يلقيك فعرف أنه أبو خودة رضي الله عنه، وكان الشـيخ عبد القادر قد كف بصره، وكانت خودة سـيدي على من الحديد، وكان زنتها قنطارًا،وثلثا لم يزل حاملها ليلاً ، و..ارًا، وكانً شـيخا أسمر قصـيراً، وكان معه عصـا لها شـعبتان كل من زاحمه ضربه مآ. وكان رضي الله عنه يهوى العبيد السـود، والحبش لم يزل عنده نحو العشرـ يلبسـون الخود لكل واحد منهم حمار يركبه فكانوا هم جماعته كل موضـــع ركب يركبون معه، وما رآه أحد يصلي مع الناس إلا وحده.

وكان رضى الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفســه، وحســن على مقعدته ســـواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرــة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى النـاس، ولا عليـه من أحد وكان إذا حضرـــ الســـماع يحمل المنشـــد، ويجري به كالحصـــان، وأخبرني الشـــيخ يوســـف الحريثي رضي الله عنه قال: كنت يوما في دمياط، فأراد السفر في مركب قد انوسقت، ولم يبق فيها مكان لأحد فقالوا للريس إن أخذتت هذا غرقت المركب لأنه يفعل في العبيد الفاحشـة، فأخرجه الريس من المركب فلما أخرجوه من المركب قال: يا مركب تسمري، فلم يقدر أحد يسيرها

بريح، ولا بغيره، وطلع جميع من فيها، ولم تسرـــ وأخبرني أيضـــا أنه نزل معه في مركب، فمرس عليها الريح فضرـــا بعكازه فلم تتزحزج فترل هو وعبيده يمشـــون على الماء إلى أن وصلوا إلى شربين، والناس ينظرون ذلك.

وكان رضي الله عنه يخرج خلفه على قرقماش أمير كبير كان أيام الغوري، فيضرـبه بحضرـة جنده فإذا آلمه الضرـب يهرب منه فيتبعه، فإذا قفل عليه الباب خلعه فلا يسـتطيع أحد أن يرده حتى يرجع هو بنفسـه ،واجتمعت به مرات عديدة، وقال لي: مرة أحذر أن تنيكك أمك، فقلت :لعبد من عبيده ما معنى كلام الشـــيخ قال :يحـذرك أن يـدخـل حـب الـدنيا في قلبك لأن الدنيا هي أمك .مات ســـنة نيف، وعشرـين وتســمعمائة، ودفن بزاويته بالحســينية بالقرب من جامع الأمير شرف الدين الكردي رضي الله عنه، ورحمنا به والمسلمين.

ومنهم الشيخ محمد الشربيني رحمه الله

شيخ طائفة الفقراء بالشرقية كان من أرباب الأحوال، والمكاشفات، وكان رضي الله عنه يتكلم على سائر أقطار الأرض كأنه تربى فيها، ورأيته مرة وهو لابس ً بشتا من ليف، وعمامته ليف، ولما ضعف ولده أحمد، وأشرف على الموت، وحضر عزرائيل لقبض روحه قال له: الشيخ ارجع إلى ربك فراجعه، فإن الأمر نسخ فرجع عزرائيل، وشـــفي أحمد من تلك الضـــعفة، وعاش بعدها ثلاثين عاماً، وكان رضي الله عنه يقول :للعصا التي كانت معه كوني ً إنسانا فتكون إنسانا ً، ويرسلها تقضى الحوائج ثم تعود كما كانت، وكراماته كثيرة، وكان رضي الله عنه يخرج من بلده شربين كل ليلـة من المغرب لا يرجع إلى الفجر لا يعلمون إلى أين يـذهـب، وكـان الأمير قرقماش، وغيره من الأمراء يعتقـدونـه اعتقـادًا زائـدًا، وعمر له زاوية عظيمه، ولم تكمل، وكان من طريقته أنه يأمر مريديه بالشـــحاتة على الأبواب ً دائما في بلده، ويتعممون بشرـاميط البرد السـود، والحمر والحبال وكان الشـيخ محمد بن عنان، وغيره ينكرون عليـه لعـدم صـــلاته مع الجماعة، ويقول: نحن ما نعرف ً طريقا تقرب إلى الله تعالى إلا ما درج عليه الصــحابة، والتابعون، وكان يقبض من الهواء كـل شيء يحتـاجون إليـه للبيـت، وغيره ويعطيـه لهم، وأخبر بـدخول ابن عثمان السلطان سليم قبل دخوله بسنتين، وكان يقول: أتوكم محلقين اللحاء، فكان الناس يضـــحكون عليـه لقوة التمكين الـذي كانت الجراكســـة عليه، فما كان أحد يظن انقراضـهم في مدة يسـيرة. مات رحمه الله تعالى قبل العشرين، والتسعمائة ودفن بزاويته سربين، وقبره مآ. ظاهر يزار رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ علي الدويب رحمه الله

بنواحي البحر الصغير :كان رضي الله عنه من الملامتية الأكابر، وأرسل لي السلام مرات، ولم أجتمع به إلا في النوم، ذلك أني سمعت قائلا يقول لا إله إلا الله على الدويب قطب الشرقية، وما كنت سمعت اسمه فسأله جماعة الشيخ محمد بن عثمان فأخبروني به، وقالوا له: موجود، وهو شيخ لشيخ محمد العدل الطناحي، وكان يلبس عمامة الجمالين ونعلهم، وعمر أكثر من مائة سنة رضي الله عنه، وكان مقيما في البرية لا يدخل بلده إلا ليلا، ويخرج قبل الفجر، وكان رضي الله عنه يمشي على الماء في البحر، وما رآه أحد قط نزل في مركب، وجاء إلى مصر أقام مآ. عشرين سنة، وكان لم يزل ً واقفا تجاه المارستان بين القصرين من الفجر إلى صلاة العشاء، وهو متلثم وبيده عصا من شوم ثم تحول إلى الريف وظهرت له كرامات خارقة للعادة وكان رضي الله عنه يقول: فلان مات في الهند أو في الشام أو في الحجاز فبعد مدة يأتي الخبر كما قال: الشيخ، ولما مات رأوا في داره نحو المائة ألف دينار، وما علموا أصل ذلك، فإنه كان متجردًا من الدنيا، فأخذها السلطان. مات رحمه الله بالقباب بالشرقية، ودفن في داره رحمه الله سنة سبع، وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ أحمد السطيحة رحمه الله

كان من الرجال الراسخين صحبته عشرين سنة، وأقام عندي أياماً، ولياليَ، وأن رضي الله عنه يقول :ما أحببت أحدًا في عمري قدرك، وكان رضي الله عنه على قدم الشيخ أحمد الفرغل رضي الله عنه في لبسه كل جمعة مركوبا جديدًا يقطعه مع أنه سطيحة لا يتحرك، وكان رضي الله عنه يتكلم في الخواطر، ويقضي حوائج الناس عند الأمراء، وولاة الأمور، وطريقه مخلاة بلا معارض، ووقعت له كرامات كثيرة: منها أن أم زوجته تسللت عليه ليلة فرأته قد انتصب قائماً سليما من الكساح كأحسن الشباب، فلما شعر مآ. زجرها، فخرست وتكسحت وعميت إلى أن ماتت، وكان رضي الله عنه لم يزل في عصمته أربع نساء، وكانت كفه ألين من العجين خفي الصوت لا يتكلم إلاً همسا كثير المباسطة خفيف الذات ،ولما وردت عليه من بلد سيدي أحمد البدوي قال: كم نفر معك فقلت :سبعة قال :قل :بيت الوالي ثم ضيفنا ضيافة كثيرة تلك الليلة، وكان على زاويته الوارد كثيراً يعشي، ويعلق على البهائم، وله زرع كثير، والناس تقصده بالهدايا من سائر البلاد، وكان يحضنه خادمه على الفرس كالطفل، وله طرطور جلد طويل، وله زناق من تحت ذقنه، ويلبس الجبب الحمر، وكانت آثار الولاية لائحة عليه إذا رآه الإنسان لا يكاد يفارقه، وحاكي إنسان به، وعمل له طرطورًا، وركب على فرس في حجر خادم، فانكسرت ركبته فصاح اذهبوا بي إلى الشيخ أحمد السطيحة فأتوه به فضحك الشيخ عليه، وقال: تزاحمني على الكساح تب إلى الله، ورقبتك تطيب فتاب واستغفر، فأخذ الشيخ زيتاً، وبصق فيه، وقال: ادهنوا به رقبته فدهنوها فطابت،

وكانت، وارمة مثل الخلاية فصـارت تنقص إلى أن زال الورم، وقلع الطرطور، وصار يخدم الشـيخ إلى أن مات، وكان من بلد تسـمى بطاً، وكان ببولاق فترل في مركب ليسافر، وكان الريس لا يعرفه، فطلعه هو، وجماعته فلما أن طلع الشيخ انخرقت المركب، وغرقت بجانب البر، فأخذوا بخاطر الشيخ، فقال: الشيخ للريس سد خرق مركبك فإننا لم نعد نترل معك، ومن مناقبه رضي الله عنه أن بعض الفلاحين سـخر بطرطوره، وأكل شـوك اللحلاح، فوقفت شـوكة في حلقه فمات في الحال، وخطب مرة بنتا بكرًا فأبت، وقالت: أنا ضـاقت علي الدنيا حتى أتزوج بسـطيحة فلحقها الفالج فلم ينتفع مآ. أحد إلى أن ماتت، وطلبته بنت بنفسـها فقال لها: البنات يا امرأة المكسـح، وعايروها فدخل مآ. الشـيخ، وأزال بكار..ا، وسـاح الدم حتى ملأ ثيا..ا ووضـعوا ثو..ا بالدم على رمح في الدار لينظره الناس، ومن كراماته أنه شـفع عنـد أمير من الأمراء كـان نـازلا بمنف فقبل شـفاعته .فلما خرج من عنده رجع، وحبس الرجـل ثـانياً، فطلعت في رقبته غدة فخنقته فمات في يومه، ومن كراماته أن امرأة تكسـحت، وعجز الأطباء عن دوائها مدة أربع سـنين فدخل الشـيخ لها، وبصـق في شيء من الزيت، وقال: ادهنوا بد..ا فدهنوها في حضرـة الشـيخ فبرئت وحضر مجلس سماع في ناحية دسوق فطعنه فقير عجمي تحت بزه فقال :طعنني العجمي ثم قال يا رب خذ لي حقي فأصبح العجمي مشنوقا على حائط لا يدرون من شنقه، ومن كراماته أنه وقف على باب زاويتي مرة، وهو في شفاعة عند الباشا فقال: يكون خاطركم معنا في هذه الشـفاعة، فأخذتني حالة فرأيت نفسيـ واقفا على باب الكعبة فقال :يا هو أبعدت عنا، وكان رضي الله عنه يعرف سريان

القلوب وكان رضي الله عنه صـائم الدهر، وتوفي سـنة اثنتين، وأربعين وتسـعمائة ودفن بزاويته بشـــبراً قبالة الغربية وقبره ظاهر يزار، وكان يدعو عليها بالخراب ، وعلى أهلهـا الذين كانوا ينكرون عليه فوقع بينهم القتل وخربوا، وهي خراب إلى وقتنـا هـذا فقلـت لـه : الفقير يعمر بلـده، وإلا يخر..ا فقال :هؤلاء منافقون وفي حصادهم مصلحة للدين فنسأل الله أن يحفظنا من الشيطان، والحمد الله وحده .

ومنهم الشيخ بهاء الدين المجذوب رحمه الله

المدفون بالقرب من باب الشـعرية بزاويته، كان رضي الله عنه من أكابر العارفين، وكان كشفه لا يخطئ، وكان رضي الله عنه أولاً خطيبا في جامع الميداني، وكان أحد شـهود القاضي، فحضر يوما عقد زواج فسمع قائلا يقول: هاتوا لنا رجال الشهود، فخرجً هائما على وجهه، فمكث ثلاثة أيام في الجبل المقطم لا يأكل، ولا يشرب ثم ثقـل عليـه الحـال فخرج بالكلية، وكان رضي الله عنه يحفظ البهجة فكان لا تزال تسمعه يقرأ فيها، وذلك أن كل حالة أخذ العبد عليها يستمر فيها، ولو خرج عنها يرجع إليهاً سريعا حتى إن من ا..اذيب من تراهً مقبوضا على الدوام لكونه جذب على حالة قبض، ومنهم من تراه مبسوطاً، وهكذا، وكان الشيخ فرج ا..ذوب رضي الله عنه لم يزل يقول: عندك رزقة فيها خراج ودجاج، وفلاحون لكونه جذب وقت اشتغاله بذلك، وزمن ا..ذوب من حين يجذب إلى أن يموت زمن فرد لا يدري بمرور زمـان عليـه، ورأيـت ابن البجـائي رضي اللـه عنـه لم يزل يقول :الفـاعـل مرفوع، والمخفوض مجرور، وهكذا لأنه جذب، وهو يقرأ في النحو، ورأيت القاضي ابن عبد الكـافي رضي الله عنه لما جذب لم يزل يقول: وهو في بيت الخلاء، وغيره، ولا حق، ولا اسـتحقاق، ولا دعوى، ولا طلب، ولا غير ذلك، ومن وقائعه رضي الله عنه أننا حضرـناً يوما معه وليمة فنظر للفقهاء في الليل، وزعق فيهم، وقال : لهم :كفرتم بكلام الله ثم حذفهم بقلة من الماء كانت بجانبه فصـعدت إلى نحو السـقف ثم نزلت فقال :فقيه منهم كسر القلة فقال: له كذبت فوقعت على الأرض صـحيحة كما كانت، فبعد خمس عشرة سنة رأى الفقيه فقال له: أهلا بشاهد الزور الذي

يشــهد أن القلة انكسرــت، ومكاشــفاته مشــهورة بين الأكابر بمصرـ من المباشرين وعامة الناس. مات رحمه الله سنة نيف وعشرين وتسعمائة رضي الله عنه وأرضاه آمين .

ومنهم الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله

كان من أكابر الأولياء رضي الله عنه صحبته، نحو عشرين سنة، وحصل لي منه نفحات وجدت بركتها وكان صاحياً، وهيئته هيئة ا..اذيب رضي الله تعالى عنه، وكان مكشوف الرأس حافيا ، ولما كف صار يتعمم بجبة حمراء،وعليه جبة أخرى فإذا اتسخت تعمم بالآخرى، واجتمعت به في أول يوم من رمضان سنة اثنتي عشرة وتسعمائة، وكنت دون البلوغ، فقال: اسمع من هذه الكلمات، واحفظها تجد بركتها إذا كبرت فقلت له: نعم فقال يقول :الله عز وجل يا عبدي لو سقت إليك ذخائر الكونين فملت بقلبك إليها طرفة عين فأنت مشغول عنا لابنا فحفظتها فهذه بركتها. وقال لي :أمورًا أخر لم يأذن لي في إفشائها، وكان يسمى بين الأولياء صاحب مصر، وقالوا: إنه ما رؤى قط في معدية إنما كانوا يرونه في مصر، والجيزة، وحج رضي الله عنه ماشيا حافياً، وأخبرني الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رحمه الله أنه لما وصل إلى المدينة المشرفة وضع خده على عتبة باب السلام، ونام مدة الإقامة حتى رجع الحج، ولم يدخل الحرم، وعمر عدة جوامع في مصر، وقراها، وكان رضي الله عنه له القبول التام عند الخاص، والعام وكان السلطان قايبتاي يمرغ وجهه على أقدامه.

ومن مناقبه أ..م زوروا عليه برجل كان يشبهه، فأجلسوه في تربة مهجورة في القرافة ليلا، وراحوا إلى السلطان، وقالوا له: إن سيدي عبد القادر الدشطوشي يطلبك في بالقرافة ليلا فترل إليه، وصار يقبل أقدامه فقال: الرجل المزور عليه الفقراء محتاجون لعشرة آلاف دينار فقال :السلطان بسم الله فمضى ثم أرسلها

له فبلغ السلطان أ..م زوروا عليه، فأرسل خلف المزور فضربه إلى أن مات، وكان من شأنه التطور، وحلف اثنان أن الشيخ نام عند كل منهما إلى الصباح في ليلة واحدة في مكانين، فأفتى شيخ الإسلام الشيخ جلال الدين السيوطي بعدم وقوع الطلاق، وأخبرني الأمير يوسف بن أبي أصبغ قال: لما أراد السلطان قايتباي أن يسافر إلى بحر الفرات استأذن الشيخ عبد القادر الدشطوطي في السفر، فأذن له قال: الأمير يوسف فكنا طول الطريق ننظره يمشي أمامنا، فإذا أراد السلطان يترل إليه يختفي، فلما دخلنا حلب وجدنا الشيخ رضي الله عنه ضعيفا بالبطن في زاوية بحلب مدة خمس شهور، فتحيرنا في أمره رضي الله عنه، ودخلت، وأنا شاب أعزب.

فقال لي :تزوج، واتكل على الله خذ بنت الشيخ محمد بن عنان فإ..ا صبية هائلة، فقلت ما معي شيء من الدنيا فقال: بلى قل :معي أشر في قل :اثنان قل :ثلاثة معي قل :أربعة قل :خمسة، وكان لي عند شخص بنواحي المترلة ذلك القدر فحسبه الشيخ، وكنت أنا ناسيه ثم أذن الظهر فتغطى الشيخ بالملاية، وغاب ساعة ثم تحرك ثم قال :الناس معذورون يقولون عبد القادر ما يصلي والله ما أظن أني تركت الصلاة منذ جذبت، ولكن لنا أماكن نصلي فيها فقلت: للشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه فقال :صدق له أماكن إنه يصلي في الجامع الأبيض برملة لد، وسمعته مرة يقول كل من قال: السعادة بيد أحد غير الله كذب، وإني كنت جهدان في الدنيا يضرب بي المثل فحصل لي جاذب إلهي، وصرت أغيب اليومين، والثلاثة ثم أفيق أجد الناس حولي، وهم متعجبون من أمري ثم صرت أغيب

العشرة أيام، والشهر لا آكل، ولا أشرب فقلت: اللهم إن كان هذا وارد منك فاقطع علائقي من الـدنيا فمات الأولاد، ووالد..م، والبهائم، ولم يبق أحد دون أهل البلد، فخرجت سـائحا إلى وقتي هذا فهل كان ذلك في قدرة العبد. قلت له لا، وسمعته يقول: للشـــيخ جلال الـدين البكري :يـا جلال الـدين وقفنـا هـذا كلـه للفقراء، والمســـاكين، والمتكشـــفين الركب، وكأني بك، وقد جاءوا إليك بســـياق فلان، وفلان اجعـل لهـذا وظيفـة فتخرب المكان ،وكان رضي الله عنه عالما بأحوال الزمان، وما الناس عليه، وكان رضي الله عنه أكثر ما ينام عند شـــخص نصرـاني في باب البحر فيلومه الناس، فيقول :هذا مسـلم، ومن بركته أسـلم النصرـاني على يديه، وحسـن إسـلامه، وسـمعته يقول: وقد سـأله الشـيخ شـمس الدين البهنسي عن جماعة في مصرـ من الفقراء الذين في عصره فقال: يا ولدي هؤلاء بعيدون عن الطريق والله ما يذوقون قشرـ الطريق فضلا عن لبها، ولما دنت وفاته أكثر من البكاء، والتضرع وكـان يقول :للبناء الذي يبنى في القبة عجل في البناء، فان الوقت قد قرب فمات، وبقي منها يوم فكملت بعده، ودفن في قبره وأوصي أن لا يدفن عليه أحد، وأوصى أن يعمل فوقه، وجانبه مجاديل حجر حتى لا تســع أحدًا يدفن معه. مات ســـنة نيف وثلاثين وتســعمائة وصــلى عليه ملك الأمراء خير بك، وجميع الأمراء، وأكابر مصر، وكراماته مشهورة في مصر، والبلاد التي كان يمر فيها رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي حسن العراقي رحمه الله

المدفون بالكوم خارج باب الشعرية رضي الله عنه بالقرب من بركة الرطلي، وجامع البشـــيري ترددت إليـه مع ســـيدي أبي العباس الحريثي، وقال أريد أن أحكي لك حكايتي من مبتدأ أمري إلى وقتي هذا كأنك كنت رفيقي من الصــغر، فقلت له :نعم فقال كنتً شابا من دمشق، وكنت صانعاً، وكنا نجتمع يوما في الجمعة على اللهو واللعب، والخمر، فجاءني التنبيه من الله تعالىً يوما ألهذا خلقت؟ فتركت ما فيهم فيـه، وهربـت منهم فتبعوا ورائي فلم يـدركوني، فـدخلـت جـامع بني أمية، فوجدتً شـخصـا يتكلم على الكرسي في شـأن المهدي عليه السـلام، فاشـتقت إلى لقائه فصرـت لا أسـجد سـجدة إلا وسـألت الله تعالى أن يجمعني عليه فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب أصلي صلاة السنة، وإذا بشخص جلس خلفي، وحسس على كتفي، وقـال لي: قد اســتجاب الله تعالى دعاءك يا ولدي مالك أنا المهدي فقلت تـذهـب معي إلى الـدار، فقال نعم، فذهب معي، فقال: أخل ليً مكانا أنفرد فيه فـأخليـت لهً مكانا فأقام عندي ســبعة أيام بلياليها، ولقنني الذكر، وقال أعلمك ورعي تدوم عليه إن شـاء الله تعالى تصـوم يوماً، وتفطر يوماً، وتصـلي كل ليلة خمسـمائة ركعة، فقلت: نعم فكنت أصـلي خلفه كل ليلة خمسـمائة ركعة وكنتً شـابا أمرد حسـن الصورة فكان يقول: لا تجلس قط إلا ورائي فكنت أفعل، وكانت عمامته كعمامة العجم، وعليه جبة من وبر الجمال فلما انقضـــت الســـبعة أيام خرج، فودعته، وقال لي: يا حســـن ما وقع لي قط مع أحد ما وقع معك فدم علي، ورعك حتى تعجز، فإنك ستعمر عمرًا طويلا انتهى كلام المهدي.

قال :فعمري الآن مائة وسبعة وعشرون سنة قال :فلما فارقني المهدي عليه السلام خرجت سـائحا فرحت إلى أرض الهند، والسـند والصـين، ورجعت إلى بلاد العجم، والروم، والمغرب ثم رجعت إلى مصر بعد خمسين سنة سياحة فلما أردت الدخول إلى مصر منعوني من ذلك، وكان المشـار إليه فيها سـيدي مدين المتبولي رضي الله عنه فأرسـل يقول لي: أقم في القرافة فأقمت في قبة مهجورة عشر سـنين تخدمني الـدنيـا في صـورة عجوز تـأتيني كل يوم برغيفين وإناء فيه طعام فلا كلمتها، ولا كلمتني قط ثم سـألت في الدخول فأذنوا لي أن أسـكن في بركة القرع فأقمت فيها سـنين عديدة في حارة. ثم جاء الشيخ عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه يريد أن يبني له جامعا هناك فصـار يقاتلني، ويقول : اخرج من هذه الحارة فقلت له يومـا مـالك، ولي أنا مالي أحد يعتقدني من الأمراء، ولا من غيرهم فما لك ولي فلم يزل بي حتى خرجت إلى هذا الكوم فيه سـبع سنين فبينما أنا ذات يوم جالس هنا إذ طلع على الـدشـطوطي، فقال: انزل من هذا الكوم، فقلت :لا أنزل، فخرجت النفس مني، ومنه فدعا علي بالكسـاح، فتكسـحت، ودعوت عليه بالعمى فعمي فهو كالطوبة الآن هناك، وأنا رمة في هذا الموضـع وأنا أوصيك يا عبد الوهاب أنك لا تصـادم أحدًا قط بنفس، وإن صـدمك فلا تصـادمه، وإن قال لك: اخرج من زاويتـك أو دارك، فاخرج، وأجرك على الله، وكان رضي الله عنه إذا جاءه شـخص بجوخة أو ثوب صـوف يأخذ السـكين، ويشرـحها سـيورًا سـيورًا ثم يخيطها بخيط دارج، ومسلة، ويقول: إن نفسي تميل إلى الأشياء الجديدة، فإذا قطعتها لم يبق

عندها ميل. توفي رضي الله عنه سـنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن في القبة التي في الكوم المتقدم ذكره رضي الله عنه.

ومنهم سيدي إبراهيم بن عصيفير رحمه الله

كان خطه الذي يمشي فيه من باب الشعرية إلى قنطرة الموسكي إلى جامع الغمري، وكان كثير الكشـف، وله وقائع مشهورة، وكان أصله من البحر الصغير، وظهرت له الكرامات، وهو صغير :منها أنه كان ينام في الغيط، ويأتي البلد، وهو راكب الذئب أو الضـــبع، ومنها أنه كان يمشيـــ على الماء لا يحتاج إلى مركب وكان بوله كاللبن الحليب أبيض، وكان يغلب عليه الحال فيخاصـم ذباب وجهه، وكان يتشـوش من قول المؤذن الله أكبر فيرجمه، ويقول :عليك يا كلب نحن كفرنا يا مســـلمين حتى تكبروا علينا وما ضـبطت عليه قط كشـفا أخرم فيه، وليلة أحرقت منارة المدرسـة التي هي مسـكننا بين السـورين أخذ من إنسـان نصفين وأعطاهما للسقاء، وقال :كب هذه الراوية على هذا الحريق فصـبه على الأرض تجاه المدرسة، فقال :الناس للسقاء اللهم إن هذا مجذوب ما عليه حرج تصب الماء على الأرض خسارة، فطلع الوقاد تلك الليلة ،فأوقد المنارة، ورشـق الجنيب في حائطها، وكانت خشـباً، ونزل، ونســـيـه فاحترقت تلك الليلة، ووقعت الثلاثة أدوار كأن إنســـانا نزعها، وحملها، ووضعها على الأرض ممدودة في الشارع لم تصب أحدًا من الجيران، وكان رضي الله عنه يقول: جاكم ابن عثمان جاكم ابن عثمان فكان غز الغوري يسخرون به .

وكان رضي الله عنه كثير الشـطح، وكان أكثر نومه في الكنيسـة، ويقول النصارى لا يسرـقون النعال في الكنيســة بخلاف المســلمين، وكان رضي الله عنه يقول: أنا ما عندي من يصـوم حقيقة إلا من لا يأكل اللحم الضـاني أيام الصوم كالنصارى، وأما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضاني، والدجاج أيام الصوم فصومهم عندي باطل،

وكان رضي الله عنه يقول: لخادمه أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان فينقلب عليك بالشر، وجرب أنت نفسك، ولما سافر الأمير جانم إلى الروم شاوره، فقال :تروح وتجيء سالما ففارقه، وراح للشيخ محيسن فقال له: إن رحت شنقوك، وإن قعدت قطعوا رقبتك فرجع إلى الشيخ ابن عصيفير فقال: تروح وتجيء سالماً، وكان الأمر كذلك فراح تلك السفرة، وجاءً سالما ثم ضرب عنقه بعد ذلك، فصدق الشيخان. ولما سافر ابن موسى المحتسب بلاد العصاة أرسل إلى عياله بقمقم ماء ورد، وقال: صبوه على كفنه، وهو على المغتسل فجاء الخبر بأ..م قتلوه، وأتوا به في سحلية فصبوه عليه كما قال: الشيخ، وكان شخص يؤذيه في الحارة فدعا عليه ببلاء لا يخرج من بدنه إلى أن يموت فتورمت رجلاه، ونتفخا وخرج منهما الصديد، وترك الصلاةحتى الجمعة، والجماعة وصار لا يستنجي قط، فإذا غسلوا ثوبه يجدوا فيه العذرة كثوب الأطفال وقال له: شخص مرة ادع لي يا سيدي فقال الله :يبليك بالعمى في حارة اليهود فعمي كما قال: في حار..م، وقال له :شخص ومعه بنية حاملها ادع لبنيتي هذه فقال: الله يعدمك حسها فماتت بعد يومين، وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلا، و..ارًا، وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل، وكان إذا مرت عليه جنازة، وأهلها يبكو يمشي أمامها معهم، ويقول زلابية هريسة زلابية هريسة، وأحواله غريبة، وكان يحبني وكنت في بركته، وتحت نظره إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ودفن بزاويته بخط بين السورين تجاه زاوية الشيخ أبي الحمائل رضي الله عنه.

ومنهم سيدي الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلي رحمه الله

كان من أولاد سـيدي خليل النشـيلي أحد أصـحاب سيدي أبي العباس المرسي رضي اللـه عنـه، ورأيته، وهو في أوائل الجذب، والحروز معلقة على رأســـه، وكان أهله يعتقـدون أنـه من الجـان، ولم أزل أوده، ويودني إلى أن مات، وأول ما لقيته، وأنا شـــاب أمرد، وقـال لي: أهلا يا ابن الشـــوني أيش حال أبوك، وكنت لا أعرف قط الشـوني فبعد عشر سنين حصل لي الاجتماع بالشوني فأخبرته، بقول :الشيخ شهاب الدين فقال: صــدق أنت ولدي، وإن شــاء الله تعالى يحصــل لك على يدينا خير، وكان رضي الله عنه يأتيني، وأنا في مدرســة أم خوند سـاكن فيقول: أقل لي بيضـا قريصــات، فأفعل له ذلك، فيأكل البيض أولا ثم الخبز ثانيا وحده، وكان رضي الله عنه إذا راق يتكلم بكلام حلو محشو أدباً، ومكث مولى من أصحاب النوبة بمصر سبع سنين ثم عزل، وكان يحب دخول الحمام لم يزل يدخلها حتى مات فيها، وكان ينادي خادمه، وهو في الصـلاة فإن لم يجئه مشى إليه، وصكه ومشى به، وقال: كم أقول لك لا تعد تصـلي هذه الصـلاة المشـئومة، فلا يسـتطيع أحد أن يخلصه منه، وكان يضرب الإنسـان على وجهه، ولقيه مرة إنسان طالع من جامع الغمري، وهو جنب فلطمه علم وجهه، وقال: ارجع اغتسل، وجاءه شخص فعل فاحشة في عبده يطلب منه الدعاء، فأخذ خشـبة، وضربه مآ. نحو مائة ضربة، وقال :يا كلب تفعل في العبد الفاحشة فانفضح ذلك الشخص. مات رضي الله عنه، ودفن بزاويته بمصر العتيقة سنة نيف وأربعين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم سيدي عبد الرحمن المجذوب رحمه الله

كـان رضي الله عنه من الأولياء الأكابر، وكان ســـيدي على الخواص رضي الله عنه يقول :ما رأيت قط أحدًا من أرباب الأحوال دخل مصر إلا، ونقص حاله إلا الشيخ عبد الرحمن ا..ذوب، وكان مقطوع الذكر قطعة بنفسه أوائل جذبه، وكانً جالسا على الرمل صـيفاً، وشتاء، وإذا جاع أو عطش يقول أطعموه، وأسقوه، وكان ثلاثة أشــهر يتكلم وثلاثة أشــهر يســكت، وكان يتكلم بالسر ـياني، وأخبرني ســيدي على الخواص رضي الله عنه قال: ما مثلت نفسيـ إذا دخلت عند الشــيخ عبد الرحمن رضي اللـه عنه إلا كالقط تجاه الســبع، وكان يرســـل لي الســـلام، ويخبر خادمه بوقائعي بالليل واحدة واحدة، فيخبرني مآ. فأتعجب من قوة اطلاعه، وحصـــل لي مرة وارد طغت على فيه نار فترعت ثيابي، ومررت عليه في زقاق سويقة اللبن قبيل العشـاء فصـار يقول: لخادمه اذهب مآ.. البردة والحق مآ. عبد الوهاب غطه مآ.. فما أخبرني الخـادم إلا بعـد أيـام، وقال: قال لنا :في الوقت الفلاني كذا وكذا فقلت :هـذا مجـذوب، واســـتبعدنا كونك تثعري رضي الله عنه، وكان مقعدًا نحو نيف، وعشر ـين ســنة أقعده الفقراء، وكان يخبر عن ســائر الأقطار الأرض، وعن أقوا..م وأحوالهم رضي الله عنه. مات رضي الله عنه سنة أربع، وأربعين، وتسعمائة، ودفن بالقرب من جامع الملك الظاهر بالحسـينية، وقبره ظاهر بالحسينية يزار في زاويته رضي الله عنه .

ومنهم سيدي محمد الرويجل العريان رحمه الله

كـان رضي الله تعالى عنه من أرباب الكشـــف التام رأيته مرة من بعيد نحو مائة قصـــبة فقال لي رفيقي هل يحس بأحد إذا ضربه فلما وصـــلنا إليه قال: لرفيقي تضربني على أيش، وكان يدخل ينام في كنون الطباخ، وأخبرني سيدي الشيخ شهاب الدين الرملي الشـافعي رضي الله عنه قال: أصـل ما حصـل لي من العلم، والفتوى ببركة دعاء الشـــيخ محمد الرويجل. مات رضي الله عنه ســـنة ثلاث، وعشرـــين، وتسـعمائة مقتولا قتله عسكر ابن عثمان حين دخل مصر، وأخبرني عن قطع رقبته يوم موتـه وصـــار يقول: أيش عمل الرويجل يقطعون رقبته ووقف على شـــباك سـيدي محمد بن عنان، وصار يقول :يا سيدي أيش عمل الرويجل يقطعون رقبته رضي الله عنه.

ومنهم سيدي حبيب المجذوب رحمه الله

كان ســـيدي على الخواص رضي الله عنه يقول :حبيب حية رقطاء خلقه الله تعالى أذى صرفاً، وكان إذا رآه يقول: اللهم اكفنا الســـوء وكان مبتلي بالإنكار عليه بمزح معه الصـــغار، وغيرهم ويعطيهم، وليس له كرامة إلا في أذى الناس فلا تحكي عنه شـيئاً، وكان كلما نظر إلي إذا مررت عليه يحصل عندي قبض عظيم، ولم أزل ذلك النهار جميعه في تكدير فلما مات قال: ســـيدي على الخواص رضي الله عنه الحمد للـه على ذلـك، ودفن رحمـه الله تعالى بالكوم بالقرب من بركة القرع خارج باب الشعرية رضي الله عنه.

ومنهم سيدي فرج المجذوب رحمه الله

كان له الكرامات الظاهرة، ووقع لي معه كرامات، وكان يطلب الفلوس من الناس، فـإذا اجتمعـت أعطـاهـا للمحـاويج والأرامـل، وكثيراً مـا يـدفنهـا في جوار حائط، ويذهب، ويخليها فيأخذها الناس، وأخبرني سـيدي جمال الدين ابن شـيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه قال: خرجت إلى الحمام فرآني الشيخ، فرج رضي الله عنـه فقـال: هـات نصــفا فأعطيته فقال :هات آخر فأعطيته، فلم يزل كذلك إلى تسـعة، وثلاثين نصـفا فقال: هات آخر فقلت له :بقي نصـف للحمام فقال :كتبت لك وصــولا على شــموال اليهودي، وفارقته فلما رجعت من الحمام جاءني يهودي بتسـعة وثلاثين دينارًا فقال: إن والدك أقرضـني أربعين دينارًا، وما بيني، وبينه إلا الله ولكن ما قدرت إلا على تســعة وثلاثين فاقبضــها إلي، ووقائعه كثيرة، وانقطع آخر عمره في المارسـتان حتى مات، ودفن عند الشـيخ شهاب الدين ا..ذوب بباب الشعرية رضي الله عنه.

ومنهم سيدي إبراهيم المجذوب رحمه الله

كان رضي الله عنه كل فلوس حصـلها يعطيها للمطبلين، ويقول :طبلوا لي زمروا لي، ولم يزل يقول :يا إبراهيم روح للنوبة قال سـيدي: على الخواص رضي الله عنه إنه كان من أصـحاب النوبة، وكان سـيدي على الخواص رضي الله عنه إذا حصـل له ضرورة يرسـل يعلمه مآ. فتقضيـ، وكان كل قميص لبسـه يخيطيه، ويحزقه على رقبته، فإن ضـيقه جدًا حتى ينخنق حصـل للناس شـد عظيمة، وإن وسـعه حصل للناس الفرج، صـحبته نحو سـبع سـنين وكان كلما رآني تبسـم، وكان شهرته الشيخ إبراهيم النوبة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ أحمد المجذوب المشهور بحب رمانتي رحمه الله

كان رضي الله عنه لا يلبس إلا الحرير على بدنه وكان قمعه طول ذراع، ونصـف، وكان رضي الله عنه يقف على الدكان ويصـيح يا مالي، ومال السلطان عند صاحب هـذا الـدكـان فلا يزال كـذلـك إلى أن يـأخـذ ما يطلبه منه ثم يدفنه تحت جدار، ويـذهـب، وكـانت له كرامات كثيرة. مات رضي الله عنه سـنة نيف، وعشرـين وتسعمائة، ودفن بباب اللوق رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رحمه الله

كان رضي الله عنه إذا دخل بلدًا سـلم على أهلها كبارًا، وصـغارًا بأسـمائهم حتى كأنه تربى بينهم، وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عريانا فيقول: السلطان، ودمياط باب اللوق بين القصرـين، وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين فيحصـل للناس بسـط عظيم، وكان رضي الله عنه إذا صـحا يتكلم بكلام حلو حتى يكاد الإنسـان لا يفارقه، طلع لنا مرارًا عديدة في الزاوية وسـلم علي باسـمي، واسم أبي، وأمي ثم قال : للذي بجنبه أيش اسـم هذا، وكان يخرج الريح بحضرـة الأكابر ثم يقول :هـذه ضرطـة فلان، ويحلف على ذلـك، فيخجـل ذلك الكبير منه مات رضي الله عنه سنة نيف، وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ محيسن البرلسي رحمه الله

كان رضي الله عنه من أصحاب الكشف التام، وكان يربط عنده عتراً ً وديكا بحبل، والنار موقدة عنده في أغلب أوقاته صيفاً ، وشتاء، وكان سيدي على الخواص رضي الله عنه إذا شك في نزول بلاء على أهل مصر يقول: اذهبوا للشيخ محيسن فانظروا النار التي عنده هل هي موقودة أو مطفية فإن كانت مطفية حصل في مصر رخاء، ونعمة وكان الناس في غاية الراحة فأوقد الشيخ محيسن رضي الله عنه النار فقال: الشيخ الله لا يبشره بخير فأصبح الناس في شدة عظيمة في مسكنهم لبلاد الهند، وحصل لهم غاية الضيق، وكنت عنده مرة فجاء إنسان ومزح معه، وكان في رجله أكلة من أصحاب النوبة لم تزل تدود إلى أن مات فقال له: ذلك الإنسان الذي جعل في هذه الرجل الأكلة قادر أن يجعلها في الآخرى فقال :ما يستحق ذلك إلا الذي زنى بامرأة جاره فخجل ذلك الإنسان، فقلت له: مالك؟ فقال :هذا وقع لي، وأنا شاب في نواحي دمياط من منذ خمسين سنة فقتل: الذي يطلع على هذا تمزح معه؟ فقال :والله ما علم مآ.. الواقعة أحد إلا الله عز وجل، وكان رضي الله عنه يحبني ويرسل يخبرني بالوقائع التي تحصل لي في البيت واحدة واحدة، وكان رضي الله عنه إذا رأى صغيراً من الريف في بولاق يريد أبوه أن يعلمه القرآن يقول له: اذهب إلى زاوية عبد الوهاب، فأرسل لي كذا، وكذا ولدًا وحصل لهم الخير، ووقع مني مرة سوء أدب فأرسل أعلمني به، وهو في الرميلة، وذلك أن الأمير جانم كان ً مطلوبا إلى استنبول فكتبت له كتابا إلى أصحاب النوبة بنواحي العجم، والروم بالوصية به، وطواه ووضعه في رأسه، وخرج، فأرسل لي في

الحـال يقول: النـاس في عينيـك كالقش ما بقي أحد في البلد له شـــوارب إلا أنت تكاتب أصـحاب النوبة بغير إذن من أصـحاب البلد، فاسـتغفرت في نفسي. فأرسل يقول لي :إذا سـألت أحد في شيء يتعلق بالولاة بمصر شاور بقلبك أصحاب النوبة مـآ. إعطـاء لحقهم من الأدب معهم ثم افعـل بعـد ذلـك ما تريد لا حرج لأ..م لا يحبون من يقل أدبه معهم. مات رضي الله عنه، ودفن بالقرب من الإمام الشافعي رضي الله عنه في تربة البارزي في سنة نيف، وأربعين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ أبو الخير الكليباتي رحمه الله

كان رضي الله عنه من الأولياء المعتقدين، وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر، وأهل عصرـــه، وكانت الكلاب التي تســير معه من الجن ،وكانوا يقضـــون حوائج الناس، ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم إذا ذهب معه لقضاء حاجته رطـل لحم، وكـان أغلب أوقاته ً واضـــعا وجهه في حلق الخلاء في ميضـــأة جامع الحـاكم، ويـدخـل الجـامع بـالكلاب، فأنكر عليه بعض القضـــاة، فقال: هؤلاء لا يحكمون باطلا، ولا يشـهدون زورًا فرمى القاضي بالزور، وجرسوه على ثور بكرش على رأسـه، ولم يزل ممقوتا إلى أن مات، وكان رجلا قصـيرًا في يده عصا فيها حلق، وشـخاشـيخ، وكان يعرج دعا لي مرة بأن الله يصبرني على البلوى، وحصل لي ببركته بعض ذلك. مات رضي الله عنه سـنة عشرـ وتسـعمائة، ودفن بالقرب من جامع الحاكم في المكان الذي كان يجلس فيه أوقاتا رضي الله عنه .

ومنهم سيدي عمر البجائي المغربي رحمه الله

دخل مصر في أيام السلطان الغوري، وكان له القبول التام عند الأكابر، وغيرهم، وكان رضي الله عنه يخبر بالوقائع الآتية في مستقبل الزمان للولاة فيقع كما أخبر لا يخطئ، وسكن في جامع آل ملك بالحسينية ثم انتقل إلى جامع محمود فنازعه أهل القرافة، فرجع إلى قبة المارستان بخط بين القصرين، فلم يزل مآ. إلى أن مات، وكان وجهه كأنه قنديل ينور، وهو رجل طويل ليس على رأسه عمامة إنما يتطرح بملاية على عرقية، وكان الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه يحبه محبة شديدة رضي الله عنه مات رضي الله عنه في سنة عشرين، وتسعمائة ودفن بالقرافة في حوش عبد الله بن وهب بالقرب من القاضي بكار وصلى عليه الملأ من الناس، وحصل لي منه دعوات مباركات وجدت أثرها رضي الله عنه.

ومنهم سيدي سعود المجذوب رحمه الله

بسويقة العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن، كان رضي الله عنه من أهل الكشف التام، وكان له كلب قدر الحمام لم يزلً واضعا بوزه على كتفه، وكان يرسل لي السلام مرات، وترددت إليه كثيراً ،فكنت كلما أزور القرافة أطلع له، وله وقائع مشهورة في أهل حارته. مات رضي الله عنه سنة إحدى، وأربعين وتسعمائة، ودفن بزاويته، وله قبة خضراء بناها له الباشا سليمان رحمه الله.

ومنهم سيدي سويدان المدفون بالخانكة رحمه الله

أقام في مدرسة ابن الزين في رصيف بولاق سنين عديدة فلازمناه ملازمة طويلة، وكان مكشوف الرأس له شعر طويل ملبد، وكان له كل سنة جوخة حمراء بندقي على خوند امرأة السلطان يلبسو..ا له، ويأخذ النقباء العتيقة ووقع له، وقائع، وكرامات، وكان فمه لم يزل فيه نحو الخمسين حبة من الحمص ليلا و..ارًايقال إ..ا حملات الناس، وكان لا يفهم عنه إلا الفقراء الصادقون فإن كلامه كله إشارات .مات رضي الله عنه سنة تسع عشرة، وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم سيدي بركات الخياط رحمه الله

كان رضي الله عنه من الملامتية، وهو شيخ أخي أفضل الدين، وشيخ الشيخ رمضان الصائغ الذي بنى له الزاوية، وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى، فيقول له: الناس حشاك يا نصراني، وكان يخيط المضربات المثمنة، وكان رضي الله عنه يقول: لمن يخيط له هات معك فوطة، وإلا يتسخ قماشك من ثيابي، وكان دكانه ً منتنا قذرًا لأن كل كلب وجده ً ميتا أو قطا أو خروفا يأتي به، فيضعه داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده، وكان سيدي الشيخ نور الدين المرصفي رضي الله عنه، وغيره يرسلون له الحملات .فيضعون له الحجر على حانوته فيعلم بالحاجة فيقضيها، ويقول :الاسم لطوبى، والفعايل لأمشير نحن نتعب، وهؤلاء يأخذون الهدايا منهم، وأخبرني الشيخ عبد الواحد رضي الله عنه أحد جماعة سيدي أبي السعود الجارحي رضي الله عنه قال

:مدحته للشـيخ جمال الدين الصـائغ مفتي الجامع الأزهر، وجماعة فقالوا امضـوا بنا نزوره، وكان يوم جمعة فسلم المؤذن على المنارة فقالوا له: نصلي الجعة فقال :مالي عادة بذلك فأنكروا عليه فقال :نصلي اليوم لأجلكم، فخرج إلى جامع المارداني فوجد في الطريق مســقاة الكلاب فتطهر منها ثم وقع في مشــخة حمير ففارقوه، وصـاروا يوبخون الشـيخ عبد الواحد الذي جاء مآ. إلى هذا الرجل، وصـار الشـيخ بركات يوبخ عبد الواحد، ويقول :أيش هؤلاء الحجارة الذين أتيت مآ. لا يعود لك بـالعادة أبدًا والله يا ولدي مســقاة الكلاب إنما هي مثال مطعمهم، ومشر...م، وكذلك مشـخة الحمير إنما هي صـورة اعتقادهم النجس، وأخبرني سـيدي أفضـل الـدين رحمه الله تعالى قال: فبينما نحن يوما خارج باب زويلة بالقرب من بيت الوالي، وإذا هو بشـخص تاجر مغربي راكب بغلة فمســكه الشـيخ رضي الله عنه، وقال :هذا سرق بيتي فدخلوا به بيت الوالي فقال :للوالي يا ســيدي اضربه مقارع وكسـارات، وإن مات أنا أزن ديته فلما فرغ الوالي من عقابه نظر إلى وجه التاجر، وقـال: للوالي أنـا غلطت هذا ما هو الذي أخذ حوائجي، فضرب الوالي الشــيخ بعصـاه، فخرج، ورقد على بابه، وقال : والله يا زربون ما أفارق هذه العتبة حتى أعزلك، فقام فجاء الفاصـد بعزله من السـلطان في الحال، وكان رضي الله عنه إذا قـدموا له لحم الضـاني، واشــتهى لحم حمام ينقلب في الحالً حماما وله وقائع مشـهورة. مات رضي الله عنه سـنة دخول ابن عثمان مصر سـنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، ودفن بالقرب من حوض الصارم بالحسينية، رضي الله عنه.

ومنهم سيدي علي الشونوزي رحمه الله

أجل أصــحاب الشــيخ شــعبان البلقمطري بدمنهور البحيرة، كان رضي الله عنهً ظريفاً نظيفا لطيفاً، والغالب عليه الاستغراق، وكان أكثر أوقاته ماشـيا في مصر، وبولاق، والقرافة، وغيرها، وعليه ثياب حسنة كلبس القاضي، وكانت له الموشحات النفيسـة في التوحيد صـحبته نحو عشرـ سنين، وقال لي: أنا كيلاني زماني، وكان يرى ذلـك من بـاب التحدث بالنعم. مات رضي الله عنه، ودفن بالقرافة عند الشـــيخ محمد الغربي الشـاذلي رضي الله عنه سـنة نيف وثلاثين وتسـعمائة رضي الله عنه .وأخبرتني زوجتـه قـالـت بينما نحن يوما في جوف الليل وإذا بشـــخص نازل من الهواء فأشار إليه الشيخ رضي الله عنه بيده فلصق بالدور قاعة فقال فتوة ارجع، وتعال من الباب فقال باسم الله. ثم قال هذا الدشطوطي رضي الله عنه .

ومنهم سيدي أحمد الزواوي أخو الشونوزي في الطريق رحمه الله

كـان رضي اللـه عنـه على قـدم عظيم وكان ورده في اليوم، والليلة عشرـــين ألف تسـبيحة وأربعين ألف صـلاة على النبي صـلى الله عليه وسـلم، ولما سافر الغوري لقتال ابن عثمان جاء إلى القاهرة، وقال: جئت لأرد ابن عثمان عن دخول مصرـــ فعـارضـــه الأوليـاء فلحقته البطن فأشرف على الموت فحملوه إلى بلده فمات في الطريق، وكـانـت لـه كرامـات في الطريق اجتمعـت بـه مرات عـديـدة، ودعـا لي بدعوات، وأرشدني إلى ورد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. مات رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم سيدي أحمد البهلول رحمه الله

ثالث من قبله الطريق على الشيخ شعبان، وكان سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه كلما مر عليه يقف يقرأ الفاتحة، وكان يعظمه كثيراً، وهو الذي أشار علي بالزواج في أول أمري فقال: زوجتك زينب بنت الشيخ خليل القصبي وأقبضت عنك المهر ثلاثين دينارًا، وأعطيتك البيت، وأخدمتك أخو..ا الثلاثة ،ففارقته فجاءني والد الصبية، وخطبني بنفسه، ووجدت اسمها زينب، ولها ثلاثة أخوة، ووجدت البيت مقفلا على اسمها كما قال رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يقوللا تدفعوني إلا خارج باب القرافة في الشارع ولا تجعلوا لقبري شاهدًا ودعوا البهائم، والبغال تمشي علي. واحذروا أن تجعلوا على قبري ً تابوتا أو ستراً يبقي كل من مر علني يدق تابوتي يمنعني أن أستريح في القبر فقالوا له قد عملنا لك قبراً في جامع بطيخة فقال إن قدرتم أن تحملوني ففعلوا فعجزوا أن يحركوا النعش إلى ناحية جامع بطيخة فلما حملوه لناحية القرافة خف عليهم رضي الله عنه مات رضي الله عنه سنة ثمان وعشرين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم سيدي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رحمه الله

كان رضي الله عنه من الراسخين في العلم، وانتهت إليه الرئاسة في علو السند بالكتب الستة وغيرها، وكان يقرأ السبع وله صوت بالمحراب لم يسمع السامعون في عصره مثله، ولما دخل السلطان ابن عثمان فريد أيام الغوري مصر طلبوا له إماما يخطب به فأجمع رأي أهل مصر كاملا على الشيخ أمين الدين رضي الله عنه فصار يؤم به إلى أن سافر إلى الروم.

وكان رضي الله عنه يترل من بيته يتوضأ، ويصلي ما شاء الله تعالى أن يصلي ثم يصعد الكرسي فيقرأ في المصحف قبل الفجر نحو سبعة عشر حزبا سرًا فإذا أذن للصبح قرأ جهرًا قراءة تكاد تأخذ القلوب من أماكنها فمر نصراني من مباشري الديوانً يوما في السحر فرق قلبه فطلع ،وأسلم على يد الشيخ رضي الله عنه، وهو يقرأ على الكرسي، وصار يبكي، وحسن إسلامه، ورأيته يصلي خلفه إلى أن مات، كان الناس يأتون إلى الصلاة خلفه من بولاق، ومن نواحي الجامع الأزهر في صلاة الصبح لحسن صوته، وخشوعه، وكثرة بكائه حتى يبكي غالب الناس خلفه، وكان سيدي أبو العباس الغمري رضي الله عنه يقول الجامع جثة، والشيخ أمين الدين رضي الله عنه روحها، ومصداق ذلك أن الناس كانوا يخرجون من الجامع في مثل خروج الحج فلم يبق في الجامع إلا هو فكأن الجامع لم يخرج منه أحد، وكان رضي الله عنه إذا سافر صار الجامع كأنه ما فيه أحد. ومما وقع لي معه أنني كنت أقابل معه في شرح البخاري في جزاء الصيد فذكر جزاء التيتل فقلت ما هو التيتل فقال هذا لوقت تنظره فخرج التيتل من المحراب فوقف على كتفي فرأيته دون

الحمار، وفوق تيس المعز، وله لحية صــغيرة فقال ها هو ثم دخل الحائط فقبلت رجله فقال اكتم حتى أموت، ورأيته بعد موته بســـنتين فروى لي حديثا ســـنده بالسرياني، ومتنه بالعربي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" من أدمن النوم بعد صــلاة الصــبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب" وفي رواية "ابتلاه الله في جنبه بالبعج "، ومكث رضي الله عنه ســبعا وخمســين ســنة إماما لم يدخل وقت واحد عليه، وهو على غير، وضــوء، وليلة مات كانً مريضــا فزحف إلى ميضــأة الجامع فوقع بثيـابـه فيها فطلع، والناس يحاذونه فصـــلى بالناس المغرب وثيابه تخر ماء وبقي معه العزم إلى أن مات ،وكان يلبس الثياب الزرق، والجبب السود، ويتعمم بالقطن غير المقصـــور، وكان رضي الله عنه يتفقد الأرامل، والمســـاكين، والعميان، ويتعب لهم في حوائجهم، ويجمع لهم الزكوات، ويفرقها عليهم، ولا يأخذ لنفســـه شـــيئاً، وكان يعطي ذلك سرًا، وما علم الناس بذلك إلا بعد موته. مات رضي الله عنه في ســنة تســع وعشرـين وتسعمائة، ودفن بتربته خارج باب النصر. لقرب من سيدي إبراهيم الجعبري رضي الله عنهما .

ومنهم سيدي أبو الحسن الغمري رحمه الله تعالى

ابن سـيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنهما :كان رضي الله عنه من الصـفاء، والصـلاح على جـانب عظيم، وكان سـيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول فرعان فاقا أصـلهما في الكرم، والحياء أبو الحسـن، وعبد الحليم بن مصـلح، وكان من أخلاقه رضي الله عنه أنه يخدم في البيت مع الخادم ويغسـل الأواني ،ويوقد تحـت الـدسـت، ويقرص العجين، ويكنس البيـت، وكان رضي الله عنه لا يجالس أحدًا إلا وقت الصـلاة أو الذكر أو تلاوة القرآن أو لمالا بد منه من المصـالح، وكان يسـتحي أن يركب في مصرـ حمارًا أو غيره، وكان إذا ركب إلى بولاق أو مصر يركب في الغلس، ويقصـد المواضـع الخالية ذهاباً، وإيابا، ويقول لا أسـتطيع أن أركب فوق رءوس الناس أبدًا، وكان رضي الله عنه إذا دعي إلى وليمة، وحضر يصير يعرق ويمسـح العرق حياء من الناس، وكنا إذا سافرنا معه إلى ميت غمر أو إلى المحلة لا يأكل في المركب ولا يشرـب حياء من الناس، ويقول لا يخرج لي بول، وأحد ينظر إلي، ولو على بعد، وكان لا ينام مع أحد في فراش، ولا بحضرـة أحد لا في ليل ولا في مإ... ويقول أخاف أن يخرج مني ريح، وأنا نائم، صـحبته نحو ثلاثين سـنة إلى أن مـات ما رأيته تغير علي يوما واحد فلما انتقلت من جامعه صـار يتردد إلي فأكاد أن أذوب من الخجل من مشـيه إلي، ويقول أنا أشـتاق إليك. مات رضي الله عنه سـنة تسـع وثلاثين وتسـعمائة، ودفن عند والده بالجامع بما المحروسـة رضي الله عنهما .

ومنهم سيدي الشيخ عبيد البلقيني رحمه الله

صحبته نحو عشر سنين، وكان رضي الله عنه من أرباب الأحوال، والكشف إذا أخبر عن شيء يـأتي كفلق الصـــبح، وكان الســـلطان قايتباي يترل لزيارته في بلقين فلما انتقل إلى القاهرة كان يتردد إليه، وكذلك الســـلطان قانصـــوه الغوري، وكان رضي الله عنه إذا سمع كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه أو غيره يقوم كالجمل الهائج لا يســـتطيع أحد أن يقعده حتى يقعد بنفســـه، وكان جمالي المقام يلبس النفيس، ويـأكـل اللـذيذ، وليس للدنيا عنده قدر فكان يخلع الجوجة، والصـــوف النفيس يعطيه للسـائل، وحصل له جذب في أول عمره فمكث نحو الخمس عشرة سـنة بلباس جلده مكشوف الرأس، والبدن لا يلتفت لتدبير بدنه حتى صار الدود يتســاقط من تحت قلنســوته من محل الزيق، ولم يزل أثره ظاهرًا في ناحية قفاه رضي الله تعالى عنه وعمر زمانا .ومات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته التي أنشأها بالقرب من الجامع الأزهر المشهور بالحلاوية رضي الله عنه.

ومنهم سيدي الشيخ يوسف الحريثي رحمه الله

كـان رضي اللـه عنه على قدم عظيم في اتباع الســـنة، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، وكـان يميـل إلى إخفاء العبادات جهده، وأخبرني رضي الله عنه قال: لما تزوجت أم أبي العباس مكثت أقرأ في حضنها كل ليلة ختما مدة عشر سنين ما أظن أ..ا شعرت بي ليلـة واحـدة وأخبرني رضي اللـه عنـه ليلـة توفي فقال قد خرجت في الدنيا، وما عرفت أن أتوضـــأ فقلت كيف قال ســـألت عدة من العلماء والحفاظ عن كيفية تخليل اللحية في الوضـوء فما منهم أحد عرف كيف كان صــلى الله عليه وســلم يخلـل لحيتـه، وكـان رضي اللـه عنـه يقول أنـا أحب في مصرـ ثلاثة عبد الرحمن الأجهوري المالكي، ويوســـف البشـــلاوي وعبد الوهاب، وكان رضي الله عنه يكره لولده أبي العباس رضي الله عنه تلقينه للناس الذكر ويقول يا ولدي أيش بلانا مآ.. الطريق، وكان على هضـم النفس ً دائما مات رضي الله عنه ســنة أربع وعشرـين وتسعمائة ودفن بجامع البشير رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ عبد الرزاق الترابي رحمه الله

أحد أصحاب سيدي علي النبتيتي الضرير رضي الله عنه كان رضي الله عنه على قدم عظيم من العبادة، والتقشف، واعتقده الناس بعد موت سيدي علي رضي الله عنه ثم انتقل إلى ناحية الجيزة، وأقبل الناس عليه، وصنف رسائل في الطريق، وكان له النظم الرائق في أحوال القوم، وطلع رضي الله عنه لنائب مصر في شفاعة فأغلظ عليه فأقسم إنه لا يترل من جامع القلعة إلا إن مات خير بك فطلعت فيه جمرة فمات في اليوم الثالث فترل الشيخ. مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن بساقية مكة بالجيزة، وقبره مآ. ظاهر يزار رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ مخلص رحمه الله

أحد أصحاب سيدي الشيخ أبي الخير بن نصر ببلاد الغربية، كان رحمه الله تعالى من الفقراء الصادقين، وكان سيدي الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه يعظمه، ويوقره اجتمعت به مرات عديدة، وحصل ليمنه نفحات، وجدت بركتها، وكان على هدى الفقراء الأول من كثرة الصوم، وتلاوة القرآن، والإعراض عن الدنيا، وأهلها .مات رضي الله عنه سنة أربعين وتسعمائة، ودفن بابشيه الملق، وقبره مآ.ظاهر يزار رضي الله عنه آمين .

ومنهم الشيخ صدر الدين البكري رحمه الله

أحد أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه والشيخ أبي العباس الغمري رضي الله عنه، كان رضي الله عنه ذا سمت حسن قليل الكلام لا يكاد ينطق بكلمة إلا بعد تثبت، صحبته نحو عشر سنين، وحصل لي منه نفحة. وجدت بركتها .ولما حج رضي الله عنه، وزار النبي صلى الله عليه وسلم سمع رد السلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم. مات رضي الله عنه سنة ثمان عشرة، وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم سيدي الشيخ دمرداش المحمدي رحمه الله

أحد جماعة سـيدي عمر رويشـين بمدينة توريز العجم رضي الله عنه، كان رحمه الله على قدم السـلف الصـالح من الأكل من عمل يده والتصدق بما فضل، وعمل الغيط ا..اور لزاويته خارج مصر والحسـينية فأقام هو وزوجته في خص يغرسون فيه خمس سنين، وقال لي: ما أكلت منه، ولا واحدة لأنني زرعته على اسم الفقراء، والمسـاكين وابن السـبيل، والسائلين، ونمت عنده ليالي فكنت لا أراه ينام من الليل إلا يسيراً ثم يقوم يتوضأ ويصلي ثم يتلو القرآن فربما يقرأ الختم كاملا قبل الفجر، وليس في مصر ثمرة أحلى من ثمرة غيطه وقسـم وقفه ثلاثة أثلاث ثلث يرد على مصـالح الغيط، وثلـث للـذرية، وثلث للفقراء القاطنين بزاويته ورتب عليهم كل يوم ختما يتناوبونه، ويهدون ذلك في صـحائف سـيدي الشـيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه، وكان أمره كله جدًا .مات رضي الله عنه سـنة نيف، وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ إبراهيم أخوه في الطريق رحمه الله

كانت له ا..اهدات فوق الحد اجتمعت به أنا وسـيدي أبو العباس الحريثي رضي الله عنه مرارًا كثيرة، ورأيناه على قدم عظيم إلا أنه أمي أغلف اللسان يكاد يفصح عن المقصود، وأعطى القبول التام في دولة ابن عثمان، وأقبل عليه العسكر إقبالا زائدًا، وأرادوا نفيه لذلك فجمع نفسه، وعمر له قبة وزاوية خارج باب زويلة، ودفن فيها وجعل في الخلاوي المحيطة بقبته قبورًا بعدد أصحا..ا على طريقة مشايخ العجم ،وكان يقبل علي إقبالا زائدًا لكن يقول أنتم مشايخ الخير فكان لا يعجبه إلا ا..اهدات من غير تخلل راحة. مات رحمه الله سنة أربعين، وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ مرشد رضي الله عنه

كان رضي الله عنه قادري الخرقة، وكان يطوي الأيام، والليالي، وأخبرني أنه مكث نحو أربعين سنة يأكل كل يوم زبيبة واحدة حتى لصق بطنه على ظهره رضي الله عنه، وكان يحبك الشدود، وغيرها، ويتقوت بذلك اجتمعت به كثيرًا، وأخبرني بأمره من مبدئه إلى ذلك الوقت، ونبهني على أمور في الباطن كنت مخلا..ا، وحصل لي منه مدد واجتمع عليه آخر عمره طائفة السودان من الفقراء، واعتقدوه اعتقادًا زائدًا مات رضي الله عنه سنة نيف وأربعين وتسعمائة، ودفن بباب الوزير بالقرب من قلعة الجبل، وله من العمر نحو المائة رحمه الله تعالى.

ومنهم الشيخ ناصر الدين أبو العمائم الزفتاوي رحمه الله

أقام بالنجارية وبني مآ. زاوية، وبســتانا ومات مآ.. وكان عبدًا صــالحا أحمدي الخرقة، وكان بينه، وبين سيدي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه ود، وإخاء، وكان رضي الله عنه يتعمم بنحو ثلاث برد صــوف، وأكثر، وكان لســانه لهجا بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن صحبته نحو خمس سنين، وحصل لي منه نفحات، ودعا لي بدعوات منها قوله اللهم اجعل أخي هذا من الذين لا يرضــون بســواك. مات رحمه الله تعالى بالنجارية سنة تسع عشرة وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ شرف الدين الصعيدي رحمه الله

كان رضي الله عنه صـــاحب كشـــف واجتهاد، وقيام، وصـــيام وطي، وكان يطوي الأربعين يوماً، وأكثر، وامتحنه الســـلطان الغوري، وحبســـه في بيت أربعينً يوما مقفلا عليه الباب ثم فتحه فوجده قائما يصلي.

صـحبته نحو ثلاث سـنين آخر عمره ثم مات، ودفن بالقرب من الإمام الشـافعي رضي الله عنه في تربة شرف الدين الصغير رضي الله عنه .

ومنهم سيدي الشيخ أبو القاسم المغربي الفاسي القصري رحمه الله

قدم مصرـ سـنة سـبع عشرـة، وتسعمائةً حاجا فصحبته إلى أن سافر ثم رجع من الحج فصـحبته إلى أن سـافر إلى المغرب فلما وصـل إلى فاس أرسـل لي كذا، وكذاً كتابا مشـتملا على آداب، وإرشـادات، وكان رضي الله عنه ذا خلق حســن، وكرم، وحلم لم يزلً متبسـما منشرحاً، وجاء مصر في نحو خمسمائة مريد حج مآ.. وكان دأبه الجهاد طول عمره إلى أن مات رحمه الله تعالى .

ومنهم سيدي علي البلبلي رحمه الله

وبلبل قبيلة من عرب المغرب كان رضي الله عنه ذا سـمت حسن، وخلق حسن لم يزل يســـافر الحجـاز، والقدس، واليمن إلى أن مات في الحجاز وكان يقيم إذا جاء مصرـــ في الجامع الأزهر، وهو الذي قال لي جميع ما يقدم إليك من المأكل مائدة الله تعالى فكل منها بالتعظيم لمن قدمها، وميزان الشريعة بيدك من حيث الورع، ولا تتركها مؤ.. وكان ســـيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يحبه ً حبا شـــديدًا . وكذلك الشـــيخ نور الدين الشـــوني رضي الله عنه، وغيرهما، وكان رحمه الله على قـدم من الزهد، والورع، ودخل عليه مرة الشـــيخ محمد بن عنان رضي الله عنه فرآه ً مريضــا قد أشرف على التلف فرقد الشـيخ محمد مكانه فقام سـيدي علي ً نشطا في الحال كأن لم يكن به مرض، ومكث سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه مريضا نحو أربعين ً يوما رحمه الله تعالى.

ومنهم الشيخ إبراهيم أبو لحاف المجذوب رحمه الله

كان رضي الله عنه من أوسع الناس خلقا لا يكاد أحد قط يغضبه، ولو فعل معه ما فعل، وكان أولا مقيما في برج من أبراج قلعة الجبل نحو عشرين سنة فلما قرب زوال دولة الجراكسة أرسل يقول للغوري تحول، وأعط مفاتيح القلعة لأصحا..ا فلم يلق إليه بالاً، وقال هذا مجذوب فترل إلى مصر، وزالت دولة الجراكسة ولم يزل في مصر إلى أن مات، ودفن في قنطرة السد بالقرب من مصر العتيق في الحوش الذي هناك، وكان يقيم عندي الشهر، وأكثر فكنت أراه لا ينامً شيئا من الليل إلا قبيل الفجر، وكان رضي الله عنه يقول: طول ليله الله الله لله لا يفتر، وكانً حافيا مكشوف الرأسً ملتحقا بملاءة حمراء، وبيده عصا غليظ لم تزل في حضنه، ويقول احتاج الزمان إلى هذا، ولما مددت للتسويط في أيام السلطان أحمد بسبب شخص من أكابر الدولة قيل إنه مخبأ عندي، وقف عند رأسي، وقال: لا تخف ما عليك باس غدًا تقضي الحاجة أذان الظهر فلما كان الغد خرج السلطان أحمدً هاربا من القتل أذان الظهر كما قال، وكنت لم أزل أسمعه يقول هذه الكلمات سبحان من خلق الخلق احتياط علم خبر فقط رحمة الله تعالى عليه .

ومنهم الشيخ محمد بن زرعة رحمه الله

كان رضي، الله عنه ً مقيما بمصرـ بقنطرة قديدار، وكان رضي الله عنه يتكلم ثلاثة أيام، ويسكت ثلاثة أيام زرته مرات، ودعا لي بدعوات منها الله يجعلك من رءوس حزب محمد صـــلى الله عليه وســـلم، قال : بعضـــهم، وكان ســـيدي عبد القادر الدشـــطوطي رضي الله تعالى عنه من ســـعاة محمد بن زرعة إذا جالت روحه في الأرض. مات رحمه الله ســنة أربع عشرـة، وتســعمائة، ودفن بالشــباك الذي كان يقعد فيه في بيته رضي الله عنه.

ومنهم سيدي علي وحيش من مجاذيب النجارية رحمه الله

كـان رضي اللـه عنه من أعيان ا..اذيب أرباب الأحوال، وكان يأتي مصرـــ والمحلة، وغيرهما من البلاد، ولـه كرامـات، وخوارق، واجتمعـت بـه يومـاً، في خط بين القصرين فقال لي، وديني للزلباني فوديته له فدعا لي، وقال الله يصبرك على ما بين يـديـك من البلوى، وأخبرني الشـــيخ محمـد الطنيخي رحمـه الله تعالى قال: كان الشـــيخ: وحيش رضي الله عنه يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخطا وكان كل من خرج يقول :له قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج فيشفع فيه، وكان يحبس بعضـهم اليوم، واليومين، ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب في شفاعته، وقال يوما لبنات الخطا اخرجوا فإن الخان رائح يطبق عليكم فما سمع منهن إلا واحدة فخرجـت ووقع على الباقي فمتن كلهن، وكان إذ رأى شـــيخ بلد أو غيره يترله من على الحمارة، ويقول له أمســك رأسها لي حتى أفعل فيها فإن أبي شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمع حصل له خجل عظيم، والناس يمرون عليه، وكان له أحوال غريبة، وقد أخبرت عنه سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه فقال هؤلاء يحيلون للناس هذه الأفعال، وليس لها حقيقة. مات رحمه الله تعالى بالنجارية سنة سبع عشرة وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم سيدي الشريف المجذوب رحمه الله

كان رضي الله عنه ً ســاكنا تجاه ا..انين بالمارســتان المنصــوري، وكان له كشــف، ومشـاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وكان رضي الله عنه يأكل في مإ.. رمضـــان، ويقول أنا معتوق أعتقني ربي، وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال، وأرسل لي مرة ً رغيفا مع إنســان، وقال قل له يأكل هذا الرغيف، وطوى فيه مرض ســبعة، وخمســين يوما فلم يأكله فأكله القاصد فمرض سبعة، وخمسين يوما فقال للقاصد لا تخف إن شــاء الله تعالى أصــطاده في مرة أخرى فلم يقدر له ذلك، وكان رضي الله عنه يتظاهر يبلع الحشيش فوجدوها ً يوما حلاوة، وكان قد أعطاه الله تعالى التمييز بين الأشقياء، والسعداء في هذه الدار، وكان أصله جمالا عند بعض الأمراء ثم حصـل له الجذب، وكان سيدي على الخواص رضي الله عنه جاءه الشريف ورد عنه الطعنة ،وقال لم يجئني أحد في مصرـ غير الشريف فكان لا ينساها له ثم إ..م طعنوه مرة أخرى فأصـابته، وذلك أن الشـفاعات كثرت على سـيدي علي الخواص رضي الله عنه أيام السـلطان ابن عثمان وكان أصحاب النوبة بمصر عجما فكانوا لم يزالوا يعارضــونه، ويعارضــهم فطعنوه بخنجر في مشــعره ولم يزل به إلى أن مات بعد ثلاثين يوما رضي الله عنه .

ومنهم سيدي علي الدميري المجذوب رحمه الله

كان رضي الله عنه ً جالسا ليلا، و..ارًا، على دكان يباع الرقاق تجاه حمام المارستان، وكان رضي الله عنه لا يتكلم إلا نادرًا، وكان مكشـوف الرأس ً ملفوفا في بردة كلما تتقطع يبدلو..ا له بأخرى أقام على هذه الحالة نحو عشريـن سـنة وكان كلما رآني تبسـم. مات رضي الله عنه سنة خمس، وعشرين وتسعمائة، ودفن بالمسجد الذي بقرب باب النصر اليشبكي، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم شيخي، وأستاذي سيدي علي الخواص البرلسي رحمه الله

كـان رضي اللـه عنه ً أميا لا يكتب، ولا يقرأ، وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم، والسـنة المشرفة كلاما ً نفيسا تحير فيه العلماء، وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو، والإثبـات فكان إذا قال قولا لا بد أن يقع على الصـــفة التي قال، وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم فما كان قط يحوجهم إلى كلام بـل كان يخبر الشـــخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيقول: طلق مثلا أو شـارك أو فارق أو اصـبر أو سـافر أو لا تسافر فيتحير الشخص، ويقول من أعلم هـذا بـأمري، وكان له طب غريب يداوي به أهل الاســتســـقاء ،والجذام، والفالج، والأمراض المزمنة فكل شيء أشـار باستعماله يكون الشفاء فيه. وسمعت سـيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول :الشـيخ علي البرلسي أعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصرـــ وقراها وســـمعته يقول: مرة أخرى لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا بإذن الشيخ علي الخواص رضي الله عنه، وكان رضي

اللـه عنه يعرف أصــحاب النوبة في ســـائر أقطار الأرض، ويعرف من تولى منهم ساعة، ولايته ومن عزل ساعة عزله ولم أر هذا القدم لأحد غيره من مشايخ مصر إلى، وقتي هـذا، وكـان له اطلاع عظيم على قلوب الفقراء فكان يقول: فلان اليوم زاد فتوحـه مـآ.. كـذا دقيقـة، وفلان نقص اليوم كذا كذا، وفلان فتح عليه بفتوح يدوم إلى آخر عمره، وفلان يدوم فتحه ســنة أو شــهرًا أو جمعة فيكون الأمر كما قـال. ومر عليـه فقير فتح عليـه بفتوح عظيم فنظر إليـه، وقال هذا فتوجه يزول عن قريب فمر على ذلك الفقير شخص من أرباب الأحوال فازدراه، ونقصه بكلمات فراح ذلك الشــخص إلى ذلك الفقير، ودار له نعله فســلبه ذلك الفتوح فقال: له الشيخ يا ولدي قلة الأدب لا يمكث معها فتوح، ولم يزل مسلوبا إلى أن مات، وكان رضي الله عنه يعظم أرباب الحرف النافعة في الدنيا كالســقاء، والزبال ،والطباخ، والفيخراني ومقدم الوالي، ومقدم أمير الحاج ،والمعداوي، والطوافين على رءوســهم بالبضائع، ويدعو لهم، ويكرمهم وكان رضي الله عنه يعظم العلماء، وأركان الدولة، ويقوم لهم، ويقبل أيديهم، ويقول: هذا أدبنا معهم في هذه الدار، وسيعلمنا الله تعـالى الأدب معهم إذا، وصــلنا إلى دار الآخرة، وكان إذا علم من أحد من أرباب الدولة أو غيرهم أنه قاصد السلام عليه يذهب إليه قبل أن يأتي، ويقول كل خطوة يمشــيها الناس إلى الفقير تنقصــه من مقامه درجة فقيل له فكيف تذهب أنت إليهم فقـال: أنا أذهب، وأســأل الله تعالى :لهم أن لا ينقص درجتهم فإن أجري على الله تعالى لا عليهم، وكان رضي الله عنه أولاً طوافا يبيع الصــابون، والجميز، والعجوة، وكلما وجد ثم فتح دكان زياتة سين عديدة ثم صار يضفر الخوص إلى

أن مات، وكان لا يأكل شيئا من طعام الظلمة، وأعوا..م، ولا يتصرف في شيء من دراهمهم في مصالح نفسه أو عياله إنما يضعه عنده للنساء الأرامل، والشيوخ، والعميان، والعاجزين عن الكسب، ومن ارتكبتهم الديون فيعطيهم من ذلك ما قسم ،وورمت عيناه مرة، ورما شديدًا، وهو يضفر الخوص فأتاه شخص من أصحابنا بدراهم، وقال يا سيدي أنفقها، واسترح حتى تطيب عيناك فردها، وقال :والله أنا في هذا الحال، ولا تطيب نفسي ـ بكسب نفسي ـ فكيف بكسب غيري.

وكان رضي الله عنه يعامل الخلق على حسب ما في قلو..م لا على حسب ما في، وجوههم . ومر عليه مرة شخص من الفقراء، والنور يخفق من وجهه فنظر إليه الشيخ فقال :اللهم اكفنا السوء إن الله إذا أراد بعبد خيراًجعل نوره في قلبه وظاهر جسده كآحاد الناس، وإذا أراد به سوءًا أظهر ما في قلبه على وجهه وجعل قلبه مظلماً، وكان رضي الله عنه يكنس المساجد، وينظف بيوت الأخلية، ويحمل الكناسة تارة، ويخرجها إلى الكوم احتسابا لوجه الله تعالى كل يوم جمعة، وكان يكنس المقياس في كل سنة ثاني يوم نزول النقطة، وينفق على أصحابه ذلك اليوم نفقة عظيمة يقبض من عبه الدراهم، ويعطيها كل من رآه من المستحقين، ويزن عنهم كراء المعدية، وهم نحو مائة نفس ثم يفرق السكر، والخشكنان على أهل المقياس، وجيرانه ثم يترل فيكشف رأسه، ويتوضأ من المقياس، ويصير يبكي، ويتضرع ويرتعد كالقصبة في الريح ثم يطلع يصلي ركعتين، ويأمر كل واحد من أصحابه أن يترل ثم يكنس السلم بمشط من حديد ،ويخرج الطين الذي فيه بنفسه لا يمكن أحدًا يساعده فيه. وكان يقال إن خدمة النيل كانت عليه، وأمر طلوع

النيـل، ونزولـه ورى البلاد، وختـام الزرع كل ذلك كان بتوجهه فيه إلى الله تعالى، وكان أولياء عصره تقر له بذلك. ولما دخل ابن عثمان مصر أرسل له فقيراً ينظركم معه من أصـحاب النوبة فذهب، ورجع فقال معه سـبعة فقال، والله مغفر يرجع إلى بلاده سالماً، وكان سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه إذا جاءه أهل الحوائج الشـديدة كشـخص رسـم السـلطان بشنقه أو مسكه الوالي بزغل أو حرام أو نحو ذلك يرســـل صـــاحب الحاجة للشـــيخ علي رضي الله عنه، ويقول نحن ما معنا تصرـــيف في هذا البلد فتقضيـــ الحاجة. وجاءته امرأة مرة، وأنا قاعد فقالت يا سـيدي نزلوا بولدي يشنفونه على قنطرة الحاجب فقال اذهبوا بسرعة للشيخ علي البرلسيـ رضي الله عنه فذهبت إليه أمه فقال: روحي معه، وإن شـــاء الله تعالى يلحقه القاصـد من السـلطان قبل الشـنق فهو طالع قنطرة الحاجب للشـنق، وإذا بالشـــفاعة جاءت فأطلق ،ورأى الشـــيخ محمد بن عنان رضي الله عنه ليلة بلاءً عظيما نازلا على مصرـ فأرسـل للشـيخ علي فقال الله لا يبشرـه بخير، ولكن توافى البركة فجاء جان بلاط المؤتمر محتسـب مصر فأخذ الشيخ عليا من الدكان ،وضربه مقارع، وخزمه في كتفه، وأنفه، ودار به مصر وبولاق فلما صلى الشيخ محمد رضي الله عنه الظهر، ورأى البلاء ارتفع قال روحوا انظروا أيش جرى للشيخ علي فراحوا فوجدوه على تلك الحال فردوا على الشيخ محمد رضي الله عنه الخبر فقال الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يتحمل عنها البلايا، والمحن ثم خر ساجدًا لله عز وجل، وكان إذا وقع نوء أيام زهر الفواكه لا ينام تلك الليلة، وهو يتضرـع، ويبكي، ويسأل الله تعالى في رفعه، وكان رضي الله عنه يملأ أوعية الكلابً دائما في حاراته،

وغيرها، وكان لا يراه أحد قط يصــلي الظهر في جماعة، ولا غيرها بل كان يرد باب حانوته، وقت الأذان فيغيب ساعة ثم يخرج فصادفوه في الجامع الأبيض برملة لد في صلاة الظهر، وأخبر الخادم أنه دائما يصلي الظهر عندهم، وكانت مدة صحبتي له عشرـ سـنين فكأ..ا كانت سـاعة، وله كلام نفيس رقمنا غالبه في كتابنا المسـمى بـالجواهر، والدرر كل جواب منه يعجز عنه فحول العلماء حتى تعجب من كتب عليه من العلماء كسـيدي الشـيخ شـهاب الدين الفتوحي الحنبلي رضي الله عنه، وسيدي الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفيرضي الله عنه، وسيدي الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله عنه، والشـيخ شـهاب الدين الرملي الشـافعي رضي الله عنه، وغيرهم وقال الشـيخ شـهاب الدين الفتوحي رضي الله عنه لي سـبعون سـنة أخدم العلم فما أظن قط أنه خطر على بالي لا السـؤال، ولا الجواب من هذا الكتـاب يعني الجواهر، والدرر، وكان له جبة، واحدة، وشـــاش صــغير على زنط يغسـل العمامة، والجبة في السـنة مرة واحدة بالملح، ويقول: نوفر الصابون لغيرنا من الفقراء، وكان إذا اشـتهت نفسـه الدسـم أخذ عظم الأذناب من قاعة العظام، وصـــلقها ثم قطف الدهن وكب ماءها ثم طبخ به القمح، والرز هذا كان لحمه، ويقول : الأذناب لا تصـيبها العيون، ولا أحد ينظر إليها، وكان رضي الله عنه يقول :لا يسـمى عالما عندنا إلا من كان علمه غير مسـتفاد من نقل أو صـدر بأن يكون خضرـــي المقـام، وأمـا غير هـذا فـإنما هو حاك لعلم غيره فقط فله أجر من حمل العلم حتى أداه لا أجر العالم، والله لا يضــيع أجر المحســنين ثم قال من أراد أن يعرف مرتبته في العلم يقينا لا شك فيه فليرد كل قول حفظه إلى قائله، وينظر بعد

ذلك إلى علمه فما وجده معه فهو علمه، وأظن أن لا يبقى معه إلا شيء يســير لا يسمى به عالماً ، وكان يقول :لا يصير الرجل عندنا مصمودًا من أهل الطريق إلا إن كانً عالما بالشريعة المطهرة جملها، ومبينها ناسخها، ومنسوخها خاصها ،وعامها، ومن جهلً حكما واحدًا منها سقط عن درجة الرجال فقلت له إن غالب مسلكي هذا الزمان على هذا ســاقطون عن درجة الرجال فقال نعم إن هؤلاء يرشــدون الناس إلى بعض أمور دينهم، وأما المسلك فهو من لو انفرد في جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم في ســائر ما يطلبونه، وكان رضي الله عنه يقول: في معنى قول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين رأى رب العزة جل جلاله في منامه فقال :يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال يا أحمد بتلاوة كلامي قال يا رب بفهم أم بغير فهم؟ قال يا أحمد بفهم، وبغير فهم المراد بفهم ما يتعلق بعلماء الشريعة، وبغير فهم ما يتعلق بعلماء الحقيقة فإن العلماء ما لهم آلة لفهم كلام الله تعالى إلا بالفكر والنظر وأما العارفون فطريقهم إلى فهمه الكشف، والتعريف الإلهي وذلك لا يحتاج إلى تفهم فقيل له فما تقول: فيمن يقرؤه من العوام من غير فهم فقال :قد صح أن له بكل حرف عشر حسنات، فتحت قوله، وبغير فهم مســألتان، والله أعلم، وكان رضي الله عنه يقول: إذا حفت العناية الإلهية عبدًا صــار كل ذرة من عمره تقاوم ألف ســنة من عمر غيره، وإذا تخلفت العناية عن عبد صار كل ألف ذرة من عمره لا تساوي ذرة من عمر غيره، وكان يقول: ونحن في ســنة إحدى وأربعين وتســعمائة جميع أبواب الأولياء قد تزحزحت للغلق، وما بقي الآنً مفتوحا إلا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلوا كل ضرورة

حصلت لكم به صلى الله عليه وسلم، وكان يقول :لا يكمل الفقير في باب الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصير مشهودًا له في كل عمل مشروع ويستأذنه في جميع أموره من أكل، ولبس، وجماع، ودخول، وخروج فمن فعل ذلك فقد شارك الصحابة في معنى الصحبة، وكان رضي الله عنه يقول :لو شهد المعتزل عن الناس أن الناس خير منه ما اعتزل عنهم بل كان يطلب الخلطة مآ.. ويتعلم من أخلاقهم، وكان يقول :في قولهم بئس الفقير بباب الأمير هذا في حق من يأتي الأمير يسأله الدنيا فإن كان لشفاعة، ونحوها فنعم الفقير بباب الأمير وكان يقول :من أدب الزائر أن لا يشغل المزور عن الله تعالى بدخوله عليه إما لقوة حال المزور، وإما أن يكون، وقت فراغ.

قلت، ويقاس على ذلك تعطيله عن الحرفة التي تكفه عن سؤال الناس، وكان رضي الله عنه يقول :ً أيضا من أدب الزائر أن لا يزور أحدًا إلا إن كان يعرف من نفسه القدرة على كتمان ما يرى في المزور من العيوب، وإلا فترك الزيارة أولى، وكان رضي الله عنه يقول :سمعت سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول شجرة الحنظل فكلما ازدادً ريا ازداد مرارة، وكان رضي الله عنه يقول: في معنى حديث "إن الله يكره الحبر السمين "أي لأن المراد بالحبر العالم، وسمنه يدل على قلة، ورعه، وعمله بعلمه. فلو تورع لم يجدً شيئا في عصره يسمن به، وكان رضي الله عنه يقول: الراسخ في العلم واقف، ولو لم يرسخ لدام ترقيه "وما يذكر إلا أولوا الألباب "" البقرة :".٢٦٩ وسئل رضي الله عنه عن المراد بالسر الذي، وقر في صدر أبي بكر رضي الله عنه فقال :هو عدم،

وقوفه مع الوسـائط فكان مع الله عز وجل، وكان يرى محمدًا صلى الله عليه وسلمً طريقا يجري له الخير منها كحكم المريد مع شيخه إذا كمل المريد، وقد ظهر ذلك السر يوم موته صلى الله عليه وسلم فإنه ثبت، وخطب الناس وحضهم، ولم يظهر عليه تأثير كما وقع لعمر رضي الله عنه، ولغيره من الصحابة، وكان رضي الله عنه يقول: ليس لفقير أن يدخر قوت العام إلا إن كان على بصيرة بأن ذلك قوته، وحده، وليس لأحد فيه نصيب فإن لم يكن على بصيرة فليس له أن يدخر لأن سبب ذلك إنما هو شح في الطبيعة فإن أطلعه الله تعالى على أنهذا المدخر رزق قوم آخرين لا يصل إليهم إلا على يديه فله الادخار لهذا الكشف. فإن علم أنه رزق قوم، ولكن لم يطلعه الله على أن ذلك يكون على يديه فلا ينبغي له إمساكه فإن أطلعه الله تعالى على أن ذلك لا يصل إليهم إلا على يديه لكن في زمان معين فهو بالخيار إن شاء أمسكه إلى ذلك الوقت، وإن شاء أخرجه عن يده فإنه ما هو حارس، ولا أمره الحق لإمساكه، وإذا ،وصل إلى ذلك الوقت المعين فإن الحق تعالى يرده إلى يده حتى يوصله إلى صاحبه. قلت، وهذا أولى لأنه بين الزمانين يكون غير موصوف بالادخار لأنه خزانة الحق ما هو خازن الحق وكان رضي الله عنه يقول: لا تبدءوا أحدًا مآ... إلا إن كان فقيراً محتاجا أو لا يتكلف للمكافأة فإن من بدأ من يكافئه أساء في حقه لأنه عرضه لكلفة المكافآة، وكان يقول: لا تقوموا لأحد من الإخوان، وغيرهم إلا إذا علمتم منهم عدم الميل إلى القيام فإن من قام لمن يحب القيامكبر نفسه بغير حق، وأساء في حقه من حيث لا يشعر، وكان رضي الله عنه يقول: يكفي الفقير في هذه الأيام حجة الإسلام، ولا

ينبغي لـه الزيـادة على ذلـك إلا إن كان خاليا من منة الناس عليه لا يطرق عليه قلبه تكدير من التجار الذين لم يحسنوا إليه إذ جاع أو عجز عن المشي، ونحو ذلك لأن الله تعالى شرط الاسـتطاعة في الحج نفله، وفرضـه، وكان رضي الله عنه يقول :في قوله صـلى الله عليه وسلم ": إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر "يدخل فيه العالم أو المســـلك إذا لم يعمل بعلمه في نفســـه ولكن أفتى ودل الناس على طريق الله عز وجل، وكذلك يدخل فيه العالم، والعابد إذا لمس هذا في الدنيا طول عمرهما فلما قربـت، وفـا..مـا مـالا إلى الـدنيا، وأحباها، وجمعا المال من غير حله فيموتان على ذلك فيحشران مع الفجار الخارجين عن هدى العلماء العاملين .

وكـان رضي اللـه عنه يقول :إنما كان مشـــايخ القوم يجيبون تلامذ..م من قبورهم دون مشـــايخ الفقهاء في الفقه لصـــدق الفقراء في اعتقادهم في أشـــياخهم دون الفقهاء. فلو صـدق الفقيه لأجابه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وخاطبه مشافهة وكان رضي الله عنه يقول :جميع المنافع التي أوجدها الله تعالى في هذه الدار إنما أوجدها بالأصـــالة لتســـبح بحمده، وأما انتفاع عباده مآ. فإنما هو بحكم التبعية، ومن قال بعكس ذلك فهو مكر، واسـتدراج وكان يقول: منع قوم التفكر للمبتدئ، وهو كلام من لا تحقيق عنـده، والحق أنـه ينفع المبتـدئ لأن القلب أو النفس أو الروح أو السرـــ أو غيرهـا من المعاني الباطنة يألفون صـــفا..م الباطنة فإذا ألفوا التفكر ولد وهماً، والوهم، ولد خيالا، والخيال يولد علماً، والعلم يولد يقينا. فلا يزال العبد المتفكر يترقى مآ.... وفكره حتى يبلغ درجات الكمال فإذا كمل أخذ ما كان يدركه بالفكر من طريق كشفه، وتعريفه ولا يحتاج بعد ذلك إلى تفكر، ولو

أنـه أراد التفكر لم يجـد مـا يتكفر فيه مع أنه، في حال كماله يدرك في الزمن الفرد من العلوم، والمعـارف ما لا يعلم، ولا يوصـــف، وكان يقول: ليس لفقير الدخول بنفســه في مواطن التهم بل من شأن الفقير أن يخاف على نفسه من مواطن التهم أكثر مما يخاف من وجود الألم لأن مواطن التهم توجب الســـقم على القلب. كما توجب الأغذية الفاسـدة السقم على البدن لا سيما وأطباء القلوب قليل، ومواطن التهم كثيرة، وإن كنتً بريا فإ..ا تحكم عليك كما تحكم الشـمس بضـيائها وحرها على الأمكنـة، وهي بريـة من النور، والحر، وكـان يقول :إنمـا أبر الحق تعـالى بأنه أقرب جار لنا بشـارة بإفاضـة فضـله، ورحمته علينا قبل كل أحد من الخلق فنحن أقرب إلى عفوه ،ومغفرته، وفضـله ومسامحته لأنه أولى من وفي بحق الجوار، وإن كنـا نحن لم نوف بـه، وكـان رضي اللـه عنـه يقول: عـداوتنا لأفعال من أمر الحق بعداوته عداوة شرعية، وعداوتنا لذاته عداوة طبيعية، والسعادة في الشرعية لا في الطبيعة، وكان رضي الله عنه يقول: كما لم يجب الحق تعالى عبده في كل مســألة كـذلك العبد لم يطعه في كل ما أمره جزاء وفاقاً، وكان رضي الله عنه يقول :يجب على الفقير أن يذكر لشــيخه أمراضـــه الباطنة وإن كانت قبيحة ليدله على طريق شفائه منها، وإن لم يفعل.

وترك ذلك حياء طبع فربما مات بدائه لأن حياء الطبع مذموم لكون الإفصـاح عن المرض فيه زوال رياســتها، وذمها، وقع للشــيخ زون مآ.. المدفون بالقرافة بالقرب من سيدي يوسف العجمي رضي الله عنه أنه كان يصعق في حب الله تعالى فتضع الحوامل ما في بطنها من صعقته فحول الله تعالى ذلك إلى حب امرأة من البغايا

فجاء إلى الصوفية ورمى لهم الخرقة، وقال لا أحب أن كذب في الطريق إن واردى تحول إلى حب فلانة ثم صــار يحمل لها العود، ويركبها، ويمشيـ في خدمتها إلى أن تحول الوارد إلى محبة الحق بعد عشرـ شــهور فجاء إلى الصــوفية فقال ألبســوني الخرقـة فـإن، واردى رجع عن محبـة فلانة فبلغها ذلك فتابت ،ولزمت خدمته إلى أن ماتت، وكان رضي الله عنه يقول: كل ما جاءك من الحق تعالى من أمور الدنيا، والآخرة من غير سـؤال أو بسـؤال عن إذن إلهي فهو منة من الله تعالى عليك، ولا حســاب عليك بســببه إن شــاء الله تعالى بخلاف ما جاء من غير هذين الطريقين، وكـان يقول: ليس مما يصـــيـب الأطفـال، والبهـائم من الأمراض كفارة لها لعدم معصيتها، وإنما هو في البهائم لكو..ا تطعم، وتسقى في غير وقته أو غير ما تشتهي أو لا تقتصرـ في الأكل على الحاجة بل تزيد ثم تستخدم مع ذلك فتتعب أبدا..ا لا سـيما في شـدة الحر، والبرد وأما في الأطفال فلأن الحوامل من النسـاء، والمرضعات يأكلن، ويشرـبن بشر، وحرص أكثر ما ينبغي من ألوان الطعام، والشراب فيتولد في أبدا..ا أخلاط غليظة مضـــادة للطباع فيؤثر ذلك في أبدان الأجنة التي في بطو..ن، وفي أبدان أطفالهن من اللبن الذي هو فاسد، ويكون ذلك سببا للأمراض، والأعلال، والأوجاع من الفالج، والزمانات، واضــطراب البنية، وتشــويه الخلقة، وســماجة الصــورة ثم قال، ومن أراد الســلامة من ذلك فلا يأكل، ولا يشرــب إلا في وقت الحاجة بقدر ما ينبغي من لون واحد بقدر ما يسكن ألم الجوع ثم يستريح، وينام ويمتنع من الإفراط في الحركة، والسكون، وكان رضي الله عنه يقول: في حديث "إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي "إنما لم ينفعه بكاؤه، ولا توبته لأنه لا يمكنه

أن يبكي إلا بوجه، واحد، وذلك أن له وجهين، وجه يمد به العصــا فلا يمكنه التوبة من هـذا الوجـه طرفة عين لأن الوجود لا يخلو عن عاص فيكل لمحة ووجه يؤدي منه عبوديته لله عز وجل إذ هو متصرف بمشـيئة الله عز وجل في أصحاب قبضة الشـــقـاء، وكـان رضي اللـه عنه يقول :في قوله تعالى :" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة "" البقرة :"٣٠ ، مقاولة الحق تعالى لعباده تخلف باختلاف العوالم التي يقع مـآ. التقـاول فإن كانً واقعا في العالم المثالي فهو شـــبيه بالمكالمة الجسـمية، وذلك بأن يتجلى لهم الحق تعالى تجليا مثاليا كتجليه في الآخرة بالصور المختلفـة كما نطق به حديث التحول، وإن كان التقاول، واقعا في عالم الأرواح من حيـث تجردهـا فهو كالكلام النفسيـــ فيكون قول الله للملائكة على هذا إلقاء في قلو..م للمعنى المراد، وهو جعـل آدم خليفـة في الأرض دو..م، ويكون قولهم هو عدم رضـاهم وإنكارهم الناشـئين من احتجاجهم بروية نفوسـهم، وتسبيحهم عن مرتبة من هو أكمل منهم باطلاعهم على نقائصه دون كماله.

ثم قال، ومن أمعن النظر فيما ذكر تفطن لفهم كلام الله تعالى، وعلم مراتبه وأنه تعالى عين المتكلم في مرتبته، ومعنى قائم به في أخرى كالكلام النفسيـ فإنه يركب من الحروف ومعبر عنه مآ. في عالمي المثال، والحس.

وكان رضي الله عنه يقول :الممنوع من رؤية الجان إنما هو في صور..م التي خلقهم اللـه تعـالى عليها، وإذا أراد الحق تعالى أن يطلع أحدًا من عبيده على رؤيتهم من غير إرادة منهم رفع سبحانه، وتعالى الحجاب عن عين الرائي فيراهم، وقد يأمر الله تعالى الجن بالظهور لنا فيتجسدون لنا فنراهم رأى العين. ثم إذا رأيناهم فتارة

يكونون على صورهم في أنفسهم وتارة يكونون على صورة البشر أو غيرها فإن لهم التشكل في أي صورة شاءوا كالملائكة وقد أخذ الله تعالى بأبصارنا عنهم فلا نراهم إلا إذا كشف الحجاب لنا مع حضورهم في مجالسنا، وحيث كنا، قال، وأصوا..م لا تشبه أصواتنا من كل وجه بل هي مختلفة، وذلك لأن أجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لأ..ا تطلب انطباقاً ،وصلابة، وحصول العلم لنا من كلامهم إنما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها هذا حكم كلامهم ما داموا في صورهم الأصلية، وأما إذا دخلوا في غير صورهم فالحكم للآلة التي دخلوها من إنسان أو مآ...أو غير ذلك، وكان رضي الله عنه يقول :من تحقق بكتم الأسرار سمع كلام الموتى، ورأى ما هم فيه، وتأمل البهائم لما لم تكن من عالم التعبير كيف سمعت عذاب الموتى وكان يقول :صدقة السر ما جهلت معناه، ولم يعلم خاطرك ما هو، والسر يتنوع باختلاف مقامات العارفين فربما يكون سر إنسان جهرًا بالنسبة لإنسان آخر، وكان يقول: إذا توجهت إلى الله تعالى في حصول أمر دنيوي أو أخروي فتوجه إليه، وأنت فقير ذليل فإن غناك، وعزتك يمعنانك الإجابة، وإن كان بالله عز وجل لأن الغنى والعز صفتان لا يصح للعبد الدخول مآ.. على الله تعالى أبدًا لأن حضرة الحق تعالى لها العزة ذلتية فلا تقبل عزيزًا، ولا غنياً ، وهذا أمر من ذاقه لا يمكنه أن ينكره من نفسه، وكان رضي الله عنه يقول :آفة العقل الحذر، وآفه الإيمان الإنكار، وآفة الإسلام العلل، وآفة العمل الملل، وآفة العلم النفس وآفة الحال الأمن وآفة العارف الظهور وآفة العقل الجور وآفة المحبة الشهوة وآفة التواضع المذلة، وآفة الصبر الشكوى، وآفة التسليم التفريط، وآفة

الغنى الطمع، وآفة العز البطر، وآفة الكرم السرف الزائد، وآفة البطالة الفقر، وآفة الكشـف التكلم وآفة الاتباع التأويل، وآفة الأدب التفسـير وآفة الصـحبة المنازعة، وآفة الفهم الجداد، وآفة المريد التسـلل على المقامات، وآفة الانتفاع التسلق، وآفة الفتح الالتفات وآفة الفقيه الكشف، وآفة المسلك الوهم، وآفة الدنيا شدة الطلب، وآفة الآخرة الإعراض، وآفة الكرامات الاسـتدراج، وآفة الداعي إلى الله تعالى الميل إلى الرياسة، وآفة الظلم الانتشار وآفة العدل الانتقام، وآفة التقيد الوسوسة، وآفة الإطلاق الخروج عن الحدود، وآفة الحديث النقص .وكان رضي الله عنه يقول :إنما سمي ا..ذوبً مجذوبا لأن العبد لم يزل يتعشق حاله، ويألفه، ولا ينجذب عنه إلا بما هو أقوى منه وإذا أراد الله تعالى أن يخلص عبدًا ،ويسـتخلصـه لنفسـه جذبه عما كان، واقفا معه من أمر الدنيا، والآخرة فإذا تعشـق بما جذبه الحق إليهً ثانيا جـذبـه عنـه ثـالثـاً، وإنمـا فعل الحق تعالى ذلك لعبده لينبه العبد على أن جميع حركـاتـه معلولـة، وربمـا زها العبد بالقوة الإلهية التي أعطاها الحق تعالى له فإذا زها العبد قال له الحق ما جذبتك عن ميل منك لي، وإنما هو لشدة تعشق نفسك لأحوالها الناقصـة فلولا وجود الحلاوة، والالتذاذ في نفسـك ما جذبتك فلنفسـك سعيت لا لي، وكان رضي الله عنه يقول: إياك والفرار من حال أقامك الله فيه فإن الخيرة فيما اختاره الله تعالى لك، وتأمل السـيد عيسىـ عليه السلام لما فر من بني إسرائيـل حين عظموه، وأطروه كيف عبد من دون الله تعالى فوقع في حال أشـد مما فر منه .

ثم قـال وأصـــل اختيـار العبد مع الحق إنما هو لظن العبد أنه مخلوق لنفســـه، والحق تعـالى مـا خلق العبد إلا له تعالى فلا يعطي تعالى لعبده إلا ما يصـــلح أن يكون لـه تعـالى، وكـان رضي اللـه عنـه يقول: من علامـة العلم الإلهي أن تمجـه العقول، والأفكـار، ولا تقبلـه إلا بالإيمان فقط، وذلك لأنه برز من حضرـة الموت الأكبر الـذي هو موت النفوس، والنفس تنفر من الموت لأنه يلحقها بالعدم، وكان رضي الله عنه يقول: من منذ خلق الله العالم ما يحلي قط في جلاله الصرـف وإنما تجلى في جلال جمالـه وكـان رضي اللـه عنه يقول الخلوة بالله وحده لا تكون إلا للقطـب الغوث في كـل زمـان فـإذا فـارق هيكله المنور بالانتقال إلى الدار الآخرة انفرد الحق تعالى بشـخص آخر مكانه لا ينفرد بشـخصين قط في زمان، واحد. قال، وهذه الخلوة وردت في الكتاب، والســـنة، ولكن لا يشـــعر مآ. إلا أهل الله تعالى خاصـة .قلت، ورأيت هذا بعينه في كلام الشـيخ محيي الدين رضي الله عنهً أيضا قـال: وأما خلوة غير القطب فلا تكون بالله، وإنما هي لمزيد الاســـتعداد، والبعد عمن يشـــغلـه عن الطـاعـات من المخلوقين لا غير، وكان رضي الله عنه يقول: لا يكمل إيمان عبد حتى يصـير الغيب عنده كالشـهادة في عدم الريب، ويسرـي منه الإيمان في نفس العالم كله فيأمنوه على القطع على أنفســـهم، وأموالهم، وأهليهم من غير أن يتخلـل ذلـك الأمـان مؤ.. . وكان رضي الله عنه يقول :أكمل الإيمان ما كان عن تجل إلهي لأنه حينئذ على صـورة إيمان الرسـل عليهم الصـلاة، والسـلام، ودونه ما كان عن دليل فلما علم الصـحابة رضي الله عنهم أن إيمان الرسل عليهم الصلاة، والسلام لا يكون عن دليل لم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

حقيقة إيمانه وذلك لأن حقيقة الرسـالة تقتضيـ أن لا دليل عليها. وأن الرسـل عليهم الصـلاة والسـلام مع الحق في التوحيد العام كنحن معهم إذ هم مأمورون كما نحن مأمورون إذ هم مقلدون للحق ونحن مقلدون لهم، وكان رضي الله عنه يقول: من تحقق برتبـة الإيمـان علم أن جميع المراتـب تصـاحـب رتبـة الإيمـان كمصـاحبة الواحد لمراتب الأعداد الكلية، والجزئية إذ هو أصـلها الذي بنيت عليه فروعهـا وثمارها، وكان رضي الله عنه يقول لا يوصـف الملأ الأعلى، والأرواح العلا بـأ..م أوليـاء، ولا أنبياء كصـالحي الآنس، والجن لأ..م لو كانوا أنبياء ،وأولياء ما جهلوا الأسـماء، وكان رضي الله عنه يقول لا يصـح التعبير عن حقيقة الإيمان لأنه شيء، وقر في الصـدر لا يمكن التعبير عنه .قال :وأما ما ورد في السـنة من الألفاظ التي تحكم لصـاحبها بالإيمان فكلها راجعة إلى التصـديق، والإذعان اللذين هما مفتاحان لباب العلم بالمعلوم المستقر في قلب العبد بالفطرة ،ولذلك لم يسأل أحد من الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة هذه الألفاظ، ولا ناقشوا أصـحا..ا بل أجروا حكمهم على الظاهر ووكلوا سرائرهم إلى الله تعالى هذا بالنظر للعوام، وإلا فقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة رضي الله تعالى عنه عن حقيقة إيمانه، وكان رضي الله عنه يقول:

إذا سـئل أحدكم عن شـيخه فليقل كنت خادمه، ولا يقل كنت صـاحبه فإن مقام الصحبة عزيز، وكان رضي الله عنه يقول إذا كمل توحيد العبد لا يصح له أن يرأس على أحـد من المخلوقين لأنـه يرى الوجود للـه، وكـان رضي اللـه عنه يقول حقيقة القول بالكسب في مسألة خلق الأفعال أنه يعني بالكسب تعلق إرادة الممكن

بفعل ما فيوجد الاقتدار الإلهي عند هذا التعلق فسموا ذلك ً كسبا للممكن بمعنى أنه كسب الانتفاع به بعد احتياجه إليه، ثم قال، ومن حقق النظر علم أنه لا أثر لمخلوق في فعل شيء من حيث التكوين، وإنما له الحكم فيه فقط فافهم فإن غالب الناس لا يفرق بين الحكم، والأثر.

وإيضاح ذلك أن الله تعالى إذا أراد إيجاد حركة أو معنى من الأمور التي لا يصح وجودها إلا في موادها لاستحالة أن تقوم بنفسها إذ لا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الذي لا يقوم بنفسه فللمحل الذي هو العبد حكم في الإيجاد لهذا الممكن، وماله فيه ولولا هذا الحكم لكان نسبة الأفعال إلى الخلق مباهتة للحس وكان لا يوثق بالحس في شيء وسمعته مرة يقول ليس للممكن قدرة أصلا، وإنما له التمكن في قبول تعلق الأثر الإلهي به لأن النعت الأخص الذي انفردت به الألوهية كو..ا قادرة فإثبات القدرة للممكن دعوى بلا برهان. قلت :وهذا الكلام مع الأشاعرة المثبتين لها مع نفي الفعل عنها .وقلت مرة ذكر الإمام الغزالي رضي الله عنه أن مسألة الكسب لا يزول إشكالها أبدًا فقال بل يزول إشكالها من طريق الكشف. وذلك أن الله تعالى خالق وحده بإجماع أهل السنة، وإنما للعبد قبول إسناد العمل إليه لا غير، ثم قال : ومن أراد زوال اللبس باكلية فلينظرفي المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مادة أبدًا، ويتأمل هل هناك أحد يسند إليه الفعل غير الله تعالى فيزول إشكاله، فإنه لا يصح، وجود كون هناك يسند إليه الفعل فيسقط قول من قال: لا يوجد لنا قط فعل الله تعالى، وحده لا بد من مشاركة الكون فتأمل .قلت :وذكر نحو ذلك سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في

الفتوحات، وكان رضي الله عنه يقول من كمال الرجل أن يحسـن إلى أعدائه، وهم لا يشعرون تخلقا بأخلاق الله عز وجل فإنه تعالى دائم الإحسان إلى من سماهم أعداءه وكان رضي الله عنه يقول: من صح توحيده لله عز وجل انتفى عنه الرياء، والإعجاب، وسـائر الدعاوي المضـلة عن طريق الهدى، وذلك لأنه يشـهد جميع الأفعال والصـفات ليسـت له . وإنما هي لله وحده، ولا يعجب أحد قط بعمل غيره، ولا يتزين به، وكان رضي الله عنه يقول :لا يصحب كمال الإسلام اعتراض ولا يصحب كمال الإيمان تأويل ولا يصحب الإنسان سوء أدب، ولا يصحب المعرفة همة، ولا يصحب الإخلاص في العمل لذة، ولا يصحب العلم جهل. وكان رضي الله عنه يقول: من ملكته نفسـه عذب بنار التدبير ومن ملكها الله تعالى عذب بنار الاختيار، ومن عجز عن العجز ذوقه الله تعالى حلاوة الأعمال، وكان رضي الله عنه يقول :من أدرك من نفسه التبديل، والتغيير في كل نفس فهو العالم بقوله: تعالى :" كل يوم هو في شـأن "، وكان يقول :الطلب لا يتعلق إلا بمعدوم، وكان رضي الله عنه يقول: من علامة فقد النفس في حق الفقير عدم شهوته لشيء من أمور الدنيا والآخرة، وكان رضي الله عنه يقول: خص بالبلاء من عرفه الناس أو عرف الناس لكن الأول مبتلى بالله تعالى والثاني مبتلى بنفسـه، وكان رضي الله عنه يقول :الإيمان محله الدنيا، والولاية محلها الآخرة، وكان رضي الله عنه يقول: لم تثبت السـيادة إلا له، ولم تثبت العبودية إلا لك فالسـيد لا يملك، والعبد لا يملك :وكان يقول: المكاتب قن ما بقي عليه شيء فان، وفي خرج من رق سـيده، ودخل في رق نفسه، وإن لم يوف فحاله موقوف، وخاتمته مجهولة، وكان رضي الله عنه يقول

:العبد يحمل إليه رزقه وهو في رق سـيد واحد، والمكاتب يسـعى في طلب رزقه، وهو في رق ثلاثة سـيده، ونفسـه، ودينه، وسـمعته يقول :من طلب دليلا على الوحدانية كان الحمار أعرف منه بالله، وكان رضي الله عنه يقول: لا تنصـح من لا يسـتشيرك، ولا يسألك إلا إن أعطاك الله تعالى أحد أمرين: إما الكشف التام الذي لا يدخله محو ولا إثبات، وإما الإلقاء في الروع لأن القصـد من اسـتشـارة الفقراء إنما هو الكشف عن حقيقة الشيء الثابت لا غير، وكان رضي الله عنه يقول: الرزق في طلـب المرزوق دائر والمرزوق في طلـب رزقه حائر، وبسـكون أحدهما يتحرك الآخر، وكان رضي الله عنه يقول: بقدر غفلتك عنه هنا يطول حضـورك معه هناك إلا أنه حضـور حسـاب لا حضور عتاب، وكان يقول :يحتاج العارف في هذا الزمان أن يحمي نفسـه وأخوانه بالحال، ولو مرة فإن كان ذلك نقصا في الأدب فهو كمال في العلم، وكـان يقول: أخلاق الورثـة امتثال الأوامر الإلهية، وأخلاق كمل المؤمنين اجتناب المناهي، وأخلاق الشـياطين بالضـد من ذلك، وأخلاق الحيوانات بالعكس من ذلك كله فمن لم يعلم حقيقة نفسه فليعلم حقيقة عمله فإن الثوب يدل على لابسـه وكان رضي الله عنه يقول: العلوم الإلهية لا تترل إلا في الأوعية الفارغة ثم أنشد لبعضهم :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف ً قلباً فارغا فتمكنا

وكـان رضي اللـه عنه يقول :على قدر اســتعداد الجســد ينفخ فيه الروح، وليس الاســتعـداد إلا العمل ولا الروح إلا المعرفة، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كثرت منافذ الدار قل أمنها، وكثر ضــوءها، وكان رضي الله عنه يقول: القفل على الباب، ومفتاحه عند صــاحب الدار، وصــاحب الدار فيها فمن طلب المفتاح، وصــل إلى صـاحب الدار، وإلى المفتاح، ومن طلب صـاحب الدار لم يصل إلى المفتاح، ولا إلى صاحب الدار، وسمعته يقول: الفرائض مفتاح، والسنن أسنان فما نقص من أسنان المفتاح ضر، وما زاد حكمه كذلك إلا أنه إن قلع لم يضر، وسـمعته يقول: إذا جاء وقت غروب الشــمس تأهب الناس إلى منازلهم بأزوادهم، وما يســتضــيئون به تذكرة لأولى الأبصــار، وســمعته يقول: لا يعلم بأن الحق تعالى مع كل شيء إلا الإنسان خاصة، وكان رضي الله عنه يقول: إنما وقع الكفر في العالم مع كون الكفار كلهم كانوا موجودين عند أخذ الميثاق الأول لأن ظهورهم هناك كان على التدريج كظهورهم هنـا لكن على غير هذه الصــفة كونا، وزمناً، والوجود واحد فمن كان موجودًا عنـد أخذ الميثاق الأول آمن بجميع ما آمن به نبيه، ومن لم يكن موجودًا آمن ببعض، وكفر ببعض قال، وكان أخذ العهد على الموجودات حال كو..ا مجسدة روحانية، ولولا الروحانية ما حصل لها النطق، والإجابة ببلي فما أجاب منها حقيقة إلا الأرواح لا الأجســام لأن الموجودات، في الأولية عبارة عن أشــباح تتعلق مآ. أرواح، ولكن الروح ظاهر على الشبح لا ظهور للشبح معه وسمعته رضي الله عنه يقول: مأثم في الفرق الإسلامية أسوأ حالا من المتكلمين في الذات بعقلهم القاصر

فإن الله عز وجل قد تتره في حمى عزته عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه عقلا كـان أو علماً روحـا كـان أو سرًا. وذلـك لأن الله تعالى ما جعل الحواس الظاهرة، والباطنة طريقا إلا إلى معرفة المحسـوسات لا غير، والعقل بلا شك فلا يدرك الحق تعالى به لأن الحق ليس بمحســـوس، ولا معلوم معقول وكان رضي الله عنه يقول الأفلاك تـدور بـدوران القلوب، والقلوب تـدور بـالأرواح، والأرواح، بـالأشـــبـاح والأشباح بالأعمال، والأعمال بالقلوب فرجع الآخر للأول، وكان رضي الله عنه يقول إيـاكم، والوقوع في المعـاصي ثم تقولون هـذا من إبليس فإن إبليس يتبرأ منكم في مكان يصـــدق فيه الكذوب، وذلك حين يخطب في النار، ويقول في خطبته ": فلا تلوموني ولوموا أنفسـك " " إبراهيم :"٢٢ يعني ما أغويتكم حتى ملتم بنفوسـكم إلى الوقوع في المعاصي :" وما كان لنا عليكم من سـلطان "" الصـافات :"٣٠ يعني قبـل أن تميلوا ثم قـال ولولا أعيان العصـــاة طلبت وقوعها في المعاصي ما أقيمت عليهم الحجـة فـافهم. وكـان رضي الله عنه يقول العارفون يعرفون بالأبصـــار ما تعرفه الناس بالبصـائر، ويعرفون بالبصائر ما لا يدركه أحد غيرهم، ومن ذلك فهم لا يأمنون على نفوسهم من نفوسهم، وكان رضي الله عنه يقول ما في القلب يظهر على الوجـه، وما في النفس يظهر على الملبوس وما في العقل يظهر في العين وما في السرـ يظهر في القول، وما في الروح يظهر في الأدب، وما في الصـورة كلها يظهر في الحركة، وكان رضي الله عنه يقول إذا لم تقدر على العدل بين النســاء مع نقصــهن فكيف تقدر على العدل بين الرجال مع كمالهم، وكان رضي الله عنه يقول: أرباب الأحوال يعرفون بصفرة الوجوه مع سواد البشرة، وسعة العيون، وخفض الصوت،

وقلـة الفقـه لما يقال لهم، وســـمعته يقول مرة أخرى أرباب الأحوال كالســـفن مسرعين سـائرين بالهواء إن سـكن سـكنوا، وإن سـار سـاروا، والعارفون كالجبال، وســمعته رضي الله عنه يقول: ما دامت العلوم في معاد..ا فهي واسـعة مطلقة لا تقبـل تغييرًا، ولا تبـديلا فـإذا ظهرت مقيـدة بالحروف دخلها ما يدخل الكون من التغير، والتبـديـل، واختلاف العبارات، وكان يقول: شـــهود الكثرة في الوجود تزيد الجاهل جهلا، والعالم ً علما.

وكـان رضي الله عنه يقول لا تنازع أحدًا في طبعه فإنه مملوك لنفســـه، أو للكون وإن كـان، ولا بـد فـاعرف مـالكـه ثم نـازعـه، وكـان رضي اللـه عنـه يقول العلم، والمعرفـة، والإدراك، والفهم، والتمييز من أوصـــاف العقل، والســـمع، والبصرـــ والحاســـة، والذوق والشـــم، والشـــهوة، والغضـــب من أوصـــاف النفس، والتذكر، والمحبة، والتســـليم، والانقياد، والصـــبر من أوصـــاف الروح، والفطرة، والإيمان، والسـعادة، والنور، والهدى ،واليقين من أوصـاف السرـ والعقل، والنفس، والروح، والسر ا..موع أوصاف للمعنى المسمى بالإنسان ،وهي حقيقة واحدة غير متميزة، وهذه الحقيقة وأوصـافها روح هذا القالب المتحرك المتميز، والجميع روح صـورة هذا القالب، وا..موع من الجميع روح الجميع العالم. قلت :وهذا كلام ما سـمعته قط من عارف، ولا رأيته مسـطورًا في كتاب، وهو دليل على علو مقام شيخنا رضي الله عنه في المعرفة. وكان رضي الله عنه يقول العبادات كالحلواء المعجونة بالسـم فكما لا ترضي النفس منها بالقليل فتســـلم كذلك لا تصـــبر على فعل الكثير منها فتغنم وكان رضي الله عنه يقول أشد العذاب سلب الروح، وأكمل النعيم سلب

النفس، وألذ العلوم معرفة الحق وأفضل الأعمال الأدب، وبداية الإسلام التسليم، وبداية الإيمان الرضا .

وكان يقول :الإيمان يتلون بحسب الجسد، والجسد بحسب المضغة، والمضغة بحسب إصلاح الطعمة، ومن قال بخلاف ذلك فليس عنده تحقيق، وكان رضي الله عنه يقول علامة الراسخ في العلم أن يزداد تمكينا عند السلب لأنه مع الحق بما أحب لا مع نفسه بما تحب فمن وجد اللذة في حال علمه، وفقده عند سلبه فهو مع نفسه غيبة وحضورًا، وكان رضي الله عنه يقول من شرط المتواضع أن يغيب عند شهود التواضع، وكان يقول الطعمة تؤثر في القلب أكثر مما يؤثره السلب، ولكن إذا استمر توجه القلب إلى الحق في كل حركة وسكون من غير علة فباب الفتح موجود، ولا بد ما دام العبدً متوجها فالمدد فياض، ويوشك أن يوصل صاحبه لمراتب الكمال. وكان رضي الله عنه يقول يقبح على العبد أن يميل بنفسه إلى خرق العوائد ويألف النعمة دون المنعم فإن الله تعالى ما أعطى عبده النعم إلا ليرجع إليه مآ. عبدًا ذليلا ليكون لهً ربا كفيلا فانظر بأي شيء استبدلت ربك "أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًـا فإن لكم ما سألتم "" البقرة :"٦١ ثم قال :" وضربت عليهم الذلة والمسكنة "" البقرة :"٦١ أي لأجل اختيارهم مع الله تعالى ثم قال رضي الله عنه الميل إلى كل شيء دون الله تعالى مذموم إلا في حقوق الله تعالى، ومأموراته فقال له الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يا سيدي إن كل شيء غير الحق مجهول معدوم إلا الحق فإنه معروف موجود فمن أين جاء للعبد أنه يألف أو يركن إلى الجهل، والعدم دون المعرفة،

والوجود فقال رضي الله عنه الجهل، والعدم أصل لظهورنا، والمعرفة، والوجود أصل لظهور الحق، وما حصل بأيدي عباده من المعرفة والوجود ففضل منه ورحمة وما حصل بأيديهم من الجهل، والعدم فعدل منه، ونعمة" ولا يظلم ربك أحدًا ثم إلى ر..م يحشرون ".

وسئل رضي الله عنه عن الأكل من الأطعمة المرسلة من بيوت الأصحاب الذين لا يتورعون فقال رضي الله عنه عند العبد لا ينبغي أن يكون له اختيار مع عدم المختار فكيف يكون له اختيار مع وجود المختار،ولكن إن كنت جائعاً صادقا فكل بقدر حاجتك وادفع ما بقي بعد ذلك لمن شاء الله تعالى، ولا تدبر لنفسك حالا محمودًا تخرج عن رتبة التحقيق، واسأله أن يسترك في الدنيا، وفي الآخرة بالجود، والكرم، وقال له بعض الإخوان دستور يا سيدي إذا مت أدفنك في المقام الفلاني، وأجعل لك تابوتاً، وسترًا فقال رضي الله عنه نحن لا اختيار لنا مع الله في حال الحياة فكيف يكون لنا اختيار بعد الموت. وكان رضي الله عنه يقول :إياكم، والجزع في مواطن الامتحان يمتحنكم الحق تعالى بأشد من ذلك فقال له الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى: الصبر لا يصح إلا عند حصول الاستعداد، ومن لا استعداد له فكيف يصبر فقال رضي الله عنه: لا تقيد على الحق فإن الطرق إليه أوسع من مظاهره، وشؤونه، وأسمائه، وصفاته، والاستعداد طريق واحد، وكان رضي الله عنه يقول لا يكمل الفقير حتى يحمل كله عن شيخه فإن من رمي أثقاله على شيخه فهو سيء الأدب مع أنه إذا تعود ذلك ألفت نفسه ذلك فينقص استعداده فإذا جاءته صدمة هدت جداره، وشيخه ليس بمقيم له وكان رضي الله

عنه يقول إذا لازمت الأحوال صـاحبها حتى غاب معها عن حسه فهو نقص، وكلما خف الحال، وأبطأ وجوده كان في حق صاحبه خيراً كثيراً، وأين الحاضر من الغائب، وأين الموجود من المعدوم، وقد حكى أن الشـبلي رضي الله تعالى عنه قال، والحلاج مصـلوب سـكرت أنا، والحلاج من إناء واحد فبلغ ذلك الحلاج فقال :لو شرب كما شربت لسـكر كما سـكرت فقدم الأشـياخ كلام الشـبلي لصـحوه على كلام الحلاج، وكـان رضي اللـه عنـه يقول: الميزان التي يوزن مـآ. الرجـال واحدة كميزان الحق تعالى، وإنما جمعت لتفاوت الموزونات، وكان رضي الله عنه يقول في تفســير قوله تعالى ": إن الذين قالوا ربنا الله ثم اسـتقاموا "" فصـلت :"٣٠ الآية المراد بالذين قالوا ربنا الله كمل الأنبياء، والمراد بقوله ثم استقاموا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بمن تتترل عليهم الملائكـة عـامـة النبيين، وبـالذين لا يخافون كمل الأولياء، وبالذين لا يحزنون عامة الأولياء، وبالذين يقال لهم ": وأبشرـوا بالجنة التي كنتم توعدون "" فصلت :"٣٠ المؤمنون الذين عبدوا الله تعالىً طلبا لثوابه، وسئل رضي الله عنه عن القطب الغوث هل هو دائما مقيم بمكة كما قيل فقال رضي الله عنه عنه قلب القطب دائما طواف بالحق الذي وســعه كما يطوف الناس بالبيت فهو رضي اللـه عنـه يرى وجـه الحق تعـالى في كـل وجهة كما يســتقبل الناس البيت، ويرونـه من كـل وجهـة إذ مرتبته رضي الله عنه التلقي عن الحق تعالى جميع ما يفيضه على الخلق، وهو بجسده حيث شاء الله من الأرض.

ثم قـال رضي اللـه عنـه . واعلم أن كمـل البلاد البلد الحرام، وكمل البيوت البيت الحرام لقوله تعالى :" إليه ثمرات كل شيءً رزقا " " القصص :"٥٧ ، وكمل الخلق

في كل عصرـ القطب، فالبلد نظير جســده، والبيت نظير قلبه .وسئل رضي الله عنه عن نزول الناس من الدنيا إلى البرزخ الفاصل بين عالمي الحس، والبرزخ المطلق في حال اتصـال الشاهد مآ.. فقال رضي الله عنه "والتفت الساق بالساق "كالتفاف لا ثم قال إيضـاحه خذ من سـعة إلى ضـيق ثم خط في الأرض بمسـلة كان يخيط مآ. القفـاف صـــورة لا في الأرض، وقـال انظروا إلى هذا الحرف فإنه دال بالتفافه على نفسـه صورة، ومعنى كدلالة الخلق على الحق، وعكسه فافهم .وسأله أخي أفضل الـدين رحمـه اللـه تعـالى عن قوله تعالى ": وجعلنا الليل والنهار آيتين "" الإسراء :"١٢ فقال رضي الله عنه كمون، وسـتر، والحس أصدق شاهد فقال: سيدي أفضل الـدين رحمـه اللـه تم الجواب، وكان رضي الله عنه يقول ليس للمجاذيب في جنة الأعمال قدم، ولا مكان مخصــوص يرجعون إليه، ولا قدم في مأكل، ولا ملبس، ولا نكاح، ولا غير ذلك ما عدا المشـــاهدة فقط للحق فإ..م يشـــتركون مع أهل الجنة فيها على خصـوص، وصـف في المشـاهد. ثم قال رضي الله عنه إن السوقة، وأهل الصـنائع، والحرف أعظم درجة عند الله، وأنفع من ا..اذيب لقيامهم في الأسباب، وكثرة خوفهم من اللـه تعـالى، وأكـل الفقراء، والظلمة من أموالهم مع احتقارهم نفوسهم، ولهم في كل جنة نعيم من الجنان الأربع التي هي جنة الفردوس، وجنة المأوى، وجنة النعيم ،وجنة عدن، وهي المخصوصة بالمشاهدة، والزيادة.

وكـان رضي اللـه عنـه يقول :ا..اذيـب والأطفـال في الحـالة ســـواء إلا أن الأطفال يتميزون عن ا..اذيب بسرـيا..م في الجنة كما ورد أ..م دعاميص الجنة أي غواصون فيها.

وكان رضي الله عنه يقول :نشـأة أهل الجنة مخالفة لنشـأة الدنيا التي نحن عليها الآن صــورة، ومعنى كما أشــار إليه حديث "إن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر "وإيضاح ذلك أن حجاب البشرية ما دام موجودًا في الشــخص فلا يعلم أحوال الجنة لأن الجنة نشــأة شــهود، وإطلاق لا حجاب، وتقييـد، ولـذلـك كان علم أحوال الجنةً خاصــا بالعارفين ثم قال رضي الله عنه، واعلم يا أخي أن الحق تعالى جعل لنا السـمع والبصرـ والشـم، والذوق، واللمس واللـذة في النكـاح، والإدراك حقائق متغايرة حكماً، ومحلا مع اتحادها في الباطن لأن الإدراك ليس إلا للنفس، وهي حقيقة واحدة بمنافذ مخصـوصـة ،وإنما تنوعت الآثـار في هـذه الحقائق بتنوع محالها فإذا علمت ذلك فاعلم أن هذه الصــفات المتغايرة هنا حكماً، ومحلا يقع الاتحاد بينها في الآخرة حكماً، ومحلا فيســمع بما به يبصر بما به يتكلم بما به يذوق بما به يشم وكذلك الحكم في الضد من غير تضاد فيبصرـ بسـائر جسـده، ويسمع كذلك، ويأكل كذلك ،وينكح كذلك، ويشم كذلك، وينطق كـذلك، ويحرك كذلك، ثم قال رضي الله عنه، وهذا القدر الترر من أحوال أهل الجنة لا يصـح، وجوده في العقل لأنه محال في عقل من يســمع ذلك فكيف بغير الترر مما هو أعظم من ذلك قال، ولم أر أحدًا تكلم على ما ذكرته غير سـيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه في تائيته فراجعها.

وكـان رضي اللـه عنـه يقول :في معنى حـديث "إن الجنة تشــتاق إلى أربع عمار، وعلي، وسـلمان، وبلال "إنما خص رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم هؤلاء الأربع لأ..م أرواح الجنان، وأسماؤهم أشد مناسبة للجنة لأن عمارًا رضي الله عنه من

العمارة، وعليا رضي الله عنه من العلو وسلمان من السلامة، وبلالا من البلل الذي هو الرحمـة قـال، وهؤلاء الأربعـة هم الموكلون بالأ..ار الأربعة المذكورة في القرآن فيغرفون منها بحسب حصة كل أحد، ومشربه من التوحيد، واستعداده.

وكان رضي الله عنه يقول :كان الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام علة مظهر الأفعال المقابلة لما عليه كمل الأنبياء الذين هم فوقه في الدرجة، وسـئل رضي الله عنه عن طائفة المسلكين كسيدي أحمد الزاهد ،وسيدي مدين وأضرا..ما رضي الله تعـالى عنهم هـل كـانواً أقطـابـا فقال: رضي الله عنه لا، وإنما هم كالحجاب على الملـك فلا يـدخـل عليـه أحـد من النـاس إلا بـإذ..م، وعلمهم فهم يعلمون النـاس الآداب الشرـعيـة، والحقيقيـة، ومـا يظهر عليهم من الكرامات، والأحوال إنما هو لصـفاء نفوسـهم، وإخلاصـهم، وكثرة مراقبتهم ومجاهد..م، وأما القطابة فجل أن يلج مقامها الأحوط غير من اتصـف مآ. قال، وقد الشـيخ عبد القادر الجبيليرضي الله عنه، وقال إن لها سـتة عشرـً عالما الدنيا والآخرة عالم واحد من هذه العوالم فقيل له فالتصرـيف الذي يظهر على أيدي هؤلاء المسـلكين هل هو لهم أصـالة كالقطب أم لا فقال: رضي الله عنه ليس هو لهم أصـالة، وإنما هو بحكم الإفاضـة عليهم من الـدوائر التي هي فوقهم إلى القطب ،وإيضـــاح ذلك أن الله تعالى إذا أراد إنزال بلاء شـــديد مثلا فأول ما يتلقى ذلك القطب فيتلقاه بالقبول، والخوف ثم ينتظر ما يظهره الله تعالى في لوح المحو والإثبات الخصيصين بالإطلاق، والسراح فإن ظهر له المحو، والتبديل نفذه، وأمضـاه في العالم بواسطة أهل التسليك الذين هم سدنة ذلك فينفذون ذلك، وهم لا يعلمون أن الأمر مفاض عليهم، وإن ظهر

لـه الثبوت دفعـه إلى أقرب عـدد، ونســـبـه منـه، وهما الإمامان فيتحملان به ثم يدفعانه إن لم يرتفع إلى أقرب نسـبة منهما كذلك حتى يتنازل إلى أصـحاب دائرته جميعـا فإن لم يرتفع تفرقته الأفراد، وغيرهم من العارفين إلى عموم المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل بتحملهم. ولو لم يحمل هؤلاء ذلك من العالم لتلاشي في طرفة عين قال تعالى :" ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" وقال تعالى :" خلق الســموات بغير عمد ترو..ا "إشــارة إلى القطب الذي هو العمد المعنوي الممسـك للسـموات ففيه إشارة إلى خفائه في العالم، وسئل رضي الله عنه عن كلام بعض العـارفين ،وهو أنـه ذكر في كتـاب لـه أنه شـــهد جميع النبيين والمرســـلين مجتمعين في محل واحد، وأنه لم يكلمه منهم إلا هود عليه الســلام فإنه رحب به، وفرح به ما الحكمة في خصــوصــية كلام هو دله دون غيره ،وفرحه مآ.. العارف، فقال :رضي الله عنه أما خصوصية الكلام فلا يمكنني ذكرها، أما فرحه فلأن البرزخ قيد للأنبياء عليهم الصـلاة والسلام بالنسبة إلى إطلاق الآخرة، وما فيها من النعيم فهم، وإن شــهدوا ذلك في البرزخ لا يشــهدونه إلا من خلف حجاب بغير، واســطه جسمهم فإن أجسامهم مقيمة تحت الأرض، وكمال النعيم إنما هو بواسطة اجتماع الجسم، والروحً معا فكان فرحه عليه السلام مآ.. العارف الذي هو من هذه الأمة المحمدية لاسـتبشـاره بانقضـاء مدة البرزخ لأن هذه الأمة. آخر من يدخل البرزخ من الأمم، وقد أخبر هذا العارف عن نفســـه بأنه أحد الختمين اللذين يختم الله تعالى بأحدهما، ولاية الخصـوص، وبالآخر، ولاية العموم، وفرح هود عليه السلام مآ.. العارف مما يؤيد ختميته فإنه لما رأى أحد الختمين علم قرب انشقاق الفجر

الآخروي وخلاصــه من قيد البرزخ إلى إطلاق الآخرة. قلت :وهذا الذي أشــار إليه السائل ببعض العارفين هو سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه .

وسئل عن الأحدية، وسريا..ا مع شدة ظهورها فقال :ألهاكم التكاثر فافهم، وسأله أخي أفضـل الدين رحمه الله تعالى فقال: هل أكتب ما أجد في نفسي- من العلوم فقال :إن صـحبك ذلك عند انفصـام تنزله فاكتب، وإن عجزت عن التعبير عنه فلا تتكلف له عبارة، وكان رضي الله عنه يقول :لا يحتاج الســالك إلى الواســطة إلا، وهو في الترقي فإذا وصــل إلى معرفة الله عز وجل فلا يحتاج إلى واســطة، ثم قال رضي الله عنه، وإيضـاح ذلك أن الداعي إلى الله عز وجل من بني أو ولي واسـطة بين العبد، وبين الله تعالى في الدعوى إلى الله تعالى لا إلى نفســـه فإذا وقع الإيمان الذي هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واســطة الرســول، والولي عن القلب حينئذ، وصــار الحق حينئذ أقرب إلى المدعو من نفســه، ومن رســوله، وما بقي للرسـول إلا حكم الإفاضـة على العبد من جانب التشريع، والاتباع، ثم قال، وانظر إلى غيرة الحق تعالى على عباده بقوله لسـيدنا محمد صـلى الله عليه وسلم" ،وإذا سـألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان" فأضــاف عباده إليه، وأخبر أنه أقرب إلينا من أنفسـنا، ومن رسـولنا الذي جعله واسطة بيننا وبينه مع أنـه مـدحـه حتى كاد أن يلحقه به لما هو عليه من الكمالات ثم إنه تعالى قال له "ليس لـك من الأمر شيء" فـأخرجـه من الخلق، ونفاه منهم، وأثبته معهم فافهم وسئل رضي الله عنه هل يصح تعلق الذات بصفا..ا فقال: لا فإن الصفات معدومة الظهور عندها لعدم من يتعلق مآ. من الخلق "كان الله لا شيء معه" فما ظهرت

الصفات إلا بوجود الخلق فقيل له فهل يصح تعلق الذات بالعلم فقال :رضي الله عنه العلم من لازمهم، وهو لا يحيط إلا بالصفات إذ هو من جملتها.

وكان رضي الله عنه يقول :إذا بلغ العارف مقام الكمال فليس له الاستناد لغير ما يظهره الله فيه من العلوم فإن روحك أقرب إليك مما تنقل عنه، وهذا أمر لا يعرف إلا بالذوق، وكان رضي الله عنه يقول : من علامة المتسلق على مقام العارفين أن يحصل له الخشوع والشهود في حال ذكره ثم إذا فرغ يذهب ذلك مع الذكر، وحكم ذلك كالرطب المعمول يتغير بسرعة. وسأله سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى عن القساوة التي يجدها في قلبه فقال رضي الله عنه اشكر الله تعالى حيث ستر عنك حالك لتكون عبدًا له صرفا لا عبد خشوعك، وحضورك فقال :وأنا إن شاء الله تعالى عبد له ً صرفا مع ذلك، ومع غيره فقال صحيح لكن الامتحان آفاته كثيرة، والمحبوب عند الله من ادخر له ما وعده به على أعماله إلى الدار الآخرة، وخرج من الدنيا برأس ماله كاملا من غير خسارة، ثم قال رضي الله عنه إياك، وكل شيء ألفته نفسك فإن السم فيه، ولا بد لنفوذ السم من معين، ولا معين له إلا النفس.

وانظر إلى قوله تعالى لآدم، وحواء :" ولا تقربا هذه الشجرة "" البقرة :"٣٥ مع علمه مآ. حال علمه بالأسماء فلما أراد الله تعالى نفوذ قدرله ألف بينه، وبين من كان ً سببا في أكله، وليست إلا نفسه التي حواء مظهرها فما نزل به البلاء إلا منه، وبه، وكان رضي الله عنه يقول إذا نظرت الوجود فرد شيء فلا تعبر عن شيء لأن التعبير يفصل .وشكا إليه أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى مرة ما يقع له من

كثرة النوم فقـال رضي اللـه عنـه لا تلتفـت إلى شيء دون الله تعالى فإن من وقف مع الأسـباب أشرك مع الحق وفي لمحة تقع الصـلحة فقال: له أيضـا يقع لي كثيرة السـهر والقلق في بعض الأوقات فقال له :إن كان في فكر في المصـالح فمدد، وخير كبير، وإن كان السهر مع الغفلة فبلاء نزل يوزعه الله على المؤمنين حتى يرتفع.

وكان رضي الله عنه يقول :القمر آية شـــهود لدلالته على ظهور الأحدية، وسريا..ا، والشـــمس آيـة علم لدلالتها على ظهور الوحدانية، وإحاطتها بتكثرها، وكان رضي الله عنه يقول :إياكم، والطواف بالليل فقال: أخي أفضـــل الدين رحمه الله تعالى :إن كثيراً من الناس يطوفون ليلا فقال هم معذورون ولكن "هل يســـتوي الذين يعلمون والـذين لا يعلمون "" الزمر :"٩ فقـال :لا، وكان رضي الله عنه يقول :إذا كنت مؤمنا وســـمعت أنه تعالى يمدح المؤمنين فلا تبادر إلى كونك مؤمناً، وتأمل قبل ذلك هل أنت على ما وصف الله به المؤمنين من الصفات التي مدحهم عليها أم لا ثم، إن كنت على ما وصـف فهل تموت على ذلك أم لا فإن علمت أنك تموت على ذلك فقد أمنت مكر الله" فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون " "الأعراف :"٩٩ وإن علمت أنك تموت على غير ذلك فقد أيســت من رحمة الله و "لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون "" يوســـف :"٧٨ فكن بين الخوف، والرجاء فإنه الصراط المســتقيم، وســمعته مرة يقول : كل وصــف ونعت محمود فباطنه ذم وتخويف، وكل وصــف، ونعت مذموم فباطنه مدح، ورجاء لمن اســتبصر هكذا حكمـة اللـه في كلامه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله صـــلى الله عليه وسلم : " يحشر المرء على دين خليله "النفس أقرب خليل إليك فانظر كيف تكون

فـإن من هنـا جـاء البلاء، والخوف فلا حول ولا قوة إلا بـالله العلي العظيم، وكان رضي الله عنه يقول لا تأكل قط طعام أحد إلا إن كنت وليه في التربية أو من أهل آية" ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم "فإن كل لقمة نزلت في جوفك نقصت من عبوديتك بقدرها: واسـترقتك لصـحب تلك اللقمة، وكان رضي الله عنه يقول : الأفعال المحمودة إذا رجع نفعها إلى صاحبها فاض منه على الكون لكن أكثر النفع نفع للعامل والأفعال المذمومة إذ وقعت رجع جزاؤهاعاماً، ولو أنه رجعً خاصـــا لأهلك العاصي لوقته، وساعته فلذلك، وزعه الله تعالى على المؤمنين، وفتح للعاصي بـاب التوبـة ببقـاء روحـه، ثم قـال: وقد يثقل الله تعالى البلاء على العاصي حتى يرجع عما هو عليه أو لتذهب به يد الشـقاء حيث أراد الله عز وجل وسأله أخي أفضـل الدين رحمه الله تعالى عن نور البرزخ لم كان كثيفا ، ولم يكن شـفافا كهذه الأنوار فقـال: إنمـا كـان كثيفا لأنه نور أعمال الجوارح في الدنيا، والجوارح، والدنيا كثيفان، وأيضـا فإن الأنوار تصـير في محل الظلمة كثيفة لأن البرزخ، واحد بسـيط، وليس فيه كثرة مباينة ليتميز بالنور الشـــفاف وكان رضي الله عنه يقول من قرب من أخلاق رسـوله كان له الإطلاق، والسراح في البرزخً تبعا لرسوله صلى الله عليه وسـلم ،فيجتمع كلما شاء بمن شاء من أصدقائه، وغيرهم، وأما من بعد من أخلاق رسـوله صلى الله عليه وسلم بالأفعال الرديئة فإن شاء الله تعالى أطلقه، وإن شاء قيده فلا يصـح له الاجتماع بمن يريد، وكان رضي الله عنه يقول الأفعال، والأحوال المحمودة هي المدبرة للفلك ثم إن الأمداد تترل على الخلق بحسـب رتبتهم ،وكثرة نصحهم فمن كانت أعماله متقنة كاملة كان دوران الفلك في حقه أسرع ثم

تضاعف له الحسنات بحسب كثرة النفع، ومن كانً تاركا للأسباب دار الفلك بنصيب غيره ولم يحصل له شيء من الأمداد لأنه لم يعمل، ومن لا عمل له لا أجرة له ثم قال رضي الله عنه لكن لا يخفي أن الحق تعالى لا نسبة بيننا، وبينه في العطاء عنده لبراءته عن أن ينفصل عنه شيء لنا أو يتصل به شيء منا، وإنما الأمر راجع منا لنا بحسب أعمالنا، وهو الغني الحميد، ومن هنا كان عتب الخضر على موسى حين أقام الجدار من غير أجر لعلمه مآ.. الأمر فأراد الخضر عليه السلام أن يفتح لموسى باب الاكتساب ليجمع له بين مرتبتي الكسب، والوهب فلهذا قال تعالى ": بلى عبدنا خضرـ أعلم منك "وسمعته رضي الله عنه يقول الفائدة في مصاحبة الكمل مجهولة لأن رتبة الكامل التي أقامه الحق فيها هي للحق لا للعبد، والعبد لا تعرض عنده على سيده في شيء فهو لا يشفع، ولا يدفع، ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع إلا بإذن من الله تعالى مخصوص، وأني له بذلك، والرسالة قد انقطعت فإن أمر الكامل بالترل للتلامذة نفع، وشفع، وأعطى، ومنع وإلا فهو مع الله تعالى دائما على قدم الخوف لنظره إلى عالمي المحو والإثبات، وخاتمة العبد المدعو مجهولة على العارف . وإيضاح ما ذكرناه أن المصاحبة تقتضيـ الميل إلى الصاحب، والميل إما لإثبات أو نفي، وكلاهما ممتنع في حق العارف الكامل، وكان رضي الله عنه يقول لا يلزم من تربية العارف لتلميذه أن يرثه ذلك التلميذ لأن التربية حقيقة لله يورثها من يشاء من عباده، وكان يقول الألوهية مطلقة قابلة للجمع بين الضدين من غير ضد فإ..ا قبلت التسمى بالرحمن كما قبلت التسمى

بالمنتقم وليست الألوهية أولى باسم المنتقم مثلا من غيره كما أن أمره تعالى ليس أولى من ما.. في النفوذ "إنما أمره إذا أرادً شيئا أن يقول له كن فيكون ".

وكذلك حكم العكس فهو يقول يا عبدي أفعل فإنك عبد مأمور مأجور، ولا تشهد الفعـل لك فإن الفعل لي، وأنت محدث متردد بين العدم، والوجود، وأنا الفعال لما أريد بفعلك لي وفعلك لك لأني غني عنك،وعن فعلى فيك ولك وبك فإن شـــهدت الفعل لك فأنت مشرـك، وإن تفعل فأنت كافر فاحذرني، وافعل كل ما أمرتك به ولا تنسـب لنفسـك قولا، ولا فعلا، وأنا الخلاق العليم، وسـئل رضي الله عنه عن الصـلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، بالألفاظ المطلقة، والألفاظ المقيدة أيهما أولى في حقه صـلى الله عليه وسـلم، وهل الإطلاق الذي يعتمده المصـلي في صلاته النبي صــلى الله عليه وســلم، مطلق عند الله أم لا ،وهل التقييد الذي يتبرأ منه المصـــلي هو مقيد عند الله أم مطلق فقال: رضي الله عنه للســائل لا تســتعمل نفســـك في شيء من حيـث نظرك في إطلاقه أو تقييده فإن الإطلاق غايته التقييد كما أن التقييد غايته الإطلاق مع علمنا بأن الأحوال الموصـوفة بالإطلاق أو التقييد غير مفتقرة إلى وصفنا لها مطلقا لاستغنائها بصفا..ا الذاتية التي جعلها الحق حدًا لها تتميز به عن غيرها، ونحن لا اطلاع لنا على حقائق الذوات لنعرف ما تستحقه من الصـــفات المقتضـــية لذلك أو لغيره، وكيف يمكن لأحد إيجاد العدم، وقيامه بالوجود ،وذلك خصـيص بالجناب الإلهي أم كيف يحكم على الصـفات التي هي أعراض ببقائها زمانين في عرض آخر فكيف بقيامها في جوهر واحد فإذا قال :المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما كان، وعدد

ما يكون، وعدد ما هو كائن في علم الله فقد استغرق هذا اللفظ العدد، والمعدود حسا ومعنى، واستغرق أيضا الزمن المطلق بأقسامه، واستغرق جميع المتخيلات المضافات إلى القدرة، والعلم وإذا كان المصلي لا يساوي رتبة هذا العموم، والشمول لضيقه، وحصره، وتقييده فكيف يظهر عنه إطلاق والأعمال كلها لا تكون إلا على صورة عاملها.

كما أشار إليه حديث "الولد سر أبيه "فمن علم ما ذكرناه، وتحققه علم أنه لا يظهر له عمل، ولا صدقة، ولا صلاة، ولا قراءة، ولا وصف من الأوصاف إلا بحسب استعداده في ذلك الوقت، وبحسب رتبتة في التوحيد إطلاقاً، وتقييدًا سواء كان ذلك اللفظ مطلقا أو مقيدًا فلا تتعب نفسك يا أخي في شيء وصل عليه كما أمرك الله تعالى أن تصلي عليه لتكون عبدًا محضا أمرك ربك بشيء امتثلت أمره، وليكن هذا شأنك في جميع عبادتك البدنية، والقلبية، وكان رضي الله عنه يقول التفكر، والتدبر من صفات العقل الذي جعله الله تعالى آلة يقطع الإنسان بحدها كل شيء والقلب، وعاء الكل، وإصلاح الأطعمة أصل ذلك، وغيره فإن الإناء إذا كانً شفافا كزجاج، وبلور وياقوت ظهر ما فيه على صورة الإناء، ولونه من استدارة، وتربيع، وغير ذلك، وإذا كان الإناء غير شفاف كالخشب، والحديد، والفخار، وغيرها لم يظهر لما فيه صورة، ولا لون، ولا يعرف له حقيقة ثم إن هذه الآلة إذا طبع فيها الخير أو الشر مكث، ودام ما لم تتغير النشأة من أصلها، وطبعها وهذا غير ممكن لأن الحقائق لا تبدل، ولأن القدرة إنما تتعلق بتغير الصور قبل كمال تكوينها قال وهذا سر من لم يشهده لم يعرفه فعلم أن القلب إذا كانً متحققا

بصـفة ما فما فيه كذلك لأن القلب دائما له الحكم على الجسد، والروح، وصفا..ما كما أنه كذلك محكوم عليه بإصلاح الأطعمة.

ومن هنا قال صـلى الله عليه وسـلم :" إن في الجسـد مضـغة إذا صـلحت صـلح الجسـد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" فتأمل كيف أتي بلفظ كل التي تقتضي العموم، والشـمول تعرف ما ذكرناه . ومن كلام سـيدي أحمد بن الرفـاعي رضي اللـه عنه إذا صـــلح القلب كان بيت الله، ومهبط الوحي، والأنوار، وإذا فسـد كان بيت الشيطان والهوى، والظلمة انتهى فالبيت لا يقبل إلا مشاكله فافهم، وكما أن الأحرف، وعاء للمعاني فكذلك القلب، وعاء للحق، والشرع، والنور كما أن الحرف إذا تغير بعض صـورته أو نقطه فسـد المعنى كذلك القلب إذا لغير بعض صورته، وصفته فسد ما فيه، وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى، وأنا حـاضر عن لـذة العلوم عنـد إيجادها في القلب قبل أن توجد في النفس هل هي مغيبـة للإنســـان عن حســـه كما هو الأمر في النفس فقال رضي الله عنه إذا كان القلب يســع علم الحق كما ورد فكيف لا يســع علم غيره فقال له أخي أفضــل الدين رحمه الله تعالى عالم الغيب أوسـع من عالم الشـهادة فقال: هو أوسع عينا وأما الشـــهادة فهي أوســع حكماً، والحكم لا يفترق العين كما لا يفترق لا إله إلا الله من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: له أخي المذكور فما الحكم في الإفاضـة على النفس قال الشيخ رضي الله عنه هو بحكم استعدادها وقر..ا من عـالمها الأول أو بحكم تقييدها، وعدم اســـتعدادها، وبعدها عن عالمها فقال له أخي المذكور لا بد من الفرق قال الشيخ رضي الله عنه فرق بلا فرق كخطاب قلبك

لنفســـك، وأنت أنت، وهما عين أينيتك فافهم، وســـئل رضي الله عنه عن العلوم المتولدة عن الفكر هل هي مستقيمة نفسها أم لا؟ لا فقال رضي الله عنه الحكم في ذلـك للوقـت فهو علم الوقت يذهب بذهابه، والذهاب عدم، والعدم لا حكم له، ولا عليه فقال له أخي أفضـــل الدين رضي الله عنه، وكان حاضرًا هذا إذا كان الفكر بتفكره هو أمـا إذا كـان الفكر عن وقع القلـب في الوقت فذلك إلهام فعال بشرطه انتهى، ومعنى قوله بشرطه أن يخرج صاحب الإلهام عن مواطن التلبيس، والله أعلم، وسـئل رضي الله عنه عن بقاء العلوم في لوح النفس، وعن إدراكها مع كثرة، واردات العلوم الفياضة على القلب فقال رضي الله عنه بقاء العلوم محفوظ في الصـورة التي ظهرت عنها أعمالا كانت أو أقوالا أو أنفاسـاً، والإدراك لها يكون بالصـفاء الذي هو نور القلب المطلق، وسـأله أخي أفضـل الدين رحمه الله تعالى، وأنـا حـاضر عن قولهم العلم قـد يكون حجاباً، والجهل قد يكون علما فقال رضي الله عنه أما كون العلم حجابا فلأن العلم صـفة، وركونك إليه صـفة والصـفة مع أختهـا لا توجـب نتيجـة كحكم الأنثى إذا اجتمعـت مع الأنثى، وأمـا كون الجهلً علما فهو كونك جاهلا بحقيقة نفســـك متحيراً في حقيقتها فســـمى جهلك بذلك علماً، ومن هنا قال الأشياخ سبحان من جعل عين المعرفة به عين الجهل به، وذلك لعدم الإحاطة، ولا يخرج العبد عن الجهل بالله إلا إن أحاط به. وسئل وأنا حاضر عن التفكر في القرآن هـل هو كـالتفكر في غيره فقال رضي الله عنه الأمر راجع إلى قوة الآلة في القطع، وصلابة المقطوع، ولينه .

وسئل رضي الله عنه عن قوله تعالى :" أولم نمكن لهم ً حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن "" القصـص :"٥٧ هل هذا الرزق لكل من دخل مكة أو هو خاص بقوم دون آخرين فقال رضي الله عنه الرزق عام لكل من دخل مكة من المسـلمين بحسـب اسـتعداده لكن لا يصح تترل هذا الإمداد على قلب إلا بعد تجرده عن حسناته، وسيئاته.

كما أشـار إليه خبر "من حج، ولم يرفث، ولم يفسـق خرج من ذنوبه كيوم، ولدته أمـه "فيولـد الـداخـل هنـاك، ولادة ثـانية، ومن تأمل بعين البصـيرة هناك، وجد حسـناته ً ذنوبا بالنسـبة لذلك المحل الأكمل فقال له أخي أفضـل الدين رضي الله عنه، وكان حاضرًا التجرد عن السـيئات قد عرفنا أن محله جبل عرفة فأين يكون التجرد عن الحسنات فقال رضي الله عنه هو بحسب المراتب، ولا أظنه إلا في باب المعلاة فقال :له أخي أفضل الدين الذكور رحمه الله إن غالب الحجاج لا يتجردون مما ذكر فقال رضي الله عنه يتجردون ،ولكن لا يشـعرون كما يشـعر به العارفون فقـال لـه أخي المـذكور فمتى يكون اللبـاس فقـال: رضي الله عنه عند زيارة قبره صـلى اللـه عليه وسـلم، وذلك ليظهر الحق تعالى كرمه، وآثاره نعمته على أمته بحضرته حتى تقر بذلك عينه صلى الله عليه وسلم، فقال له أخي المذكور كثيراً ما يرجع بعض الحجاج ً عريانا بلا كسوة فقال رضي الله عنه هذا لا يقع إلا لأصحاب الدعاوي الذين يظنون بأنفسهم الكمال، وأ..م أتوا بالمناسك على وجه الكمال دون غيرهم فنسـأل الله العافية، ومثل هذا هو المراد بقولهم إذا حج جارك حول باب دارك للمقت الذي حصل له هناك ثم قد يتفضل الحق تعالى عليه، ويرسل له

الخلعة إلى بلاده بواسـطة انكسـار قلبه أو بواسـطة دعاء والديه، وإخوانه، ونحو ذلك. وسـئل رضي الله عنه عن قطب الغوث هل له فعل خرق العوائد من طي الأرض، ونحوها فقال رضي الله عنه قد تحكم عليه المرتبة بفعل ذلك وإذا حكمت المرتبة على كامل بشيء فلا تؤثر في كماله رضي الله عنه سواء كانً قطبا أو غيره، وكان رضي الله عنه يقول المراقبة الصحيحة لله تعالى تنشأ من إصلاح الجسد بواسطة القلب، وإصلاح القلب يكون بإصلاح الطعمة وإصلاح الطعمة يكون بالكسب في الكون مع التوكل على الله عز وجل ،والتوكل حقيقة هو المراقبة، وذلك يكون من الله تعالى ابتداء، ومن العبد في النهايةً اكتسابا فلذلك قال صلى الله عليه وسلم ": أفلا أكون عبدًا شكورًا "ولم يقل شاكرًا إذ هو بتحققه بالعلم يكون شاكرًا، ولا يكون شكورًا إلا بتخلقه بالعمل وفرق كبير بينهما، وكان رضي الله عنه يقول التجريد عن رؤية الأسباب خاص بعالم الخيال، ولذلك كان العلم والتجريد عن الاكتسابً خاصا بعالم الشهادة لأنه أفاد العمل، وحقيقة الجمل ظهور صورة العلم لا غيره فقال له أخي أفضل الدين رضي الله عنه فإذا كان الأمر كذلك فما الفرق بينهما قال تعلمه كما علمت بالله كل شيء، وأنا، وأنت غير محتاجين إلى البيان ،والقلوب لا تمسك مثل ذلك لأنه غير مألوف في الحديث" إن من البيان لسحرًا، والله يحب من عباده الستيرين" فاحتفظ يحفظك الله وسمعته مرة يقول كما حكمت الذات على نفسها بالوجود المطلق فيجب على غيرها أن يحكم على نفسه بالعدم المطلق قال ومن هنا تعلم الفرق بين الألوهية، والربوبية وبين العبد ،وعجزه، وبين الرب، وقدرته، وتعلمً أيضا الفرق بين الروح، والجسد،

والفرق بين توحيـد الأكـابر من الرجال، وتوحيد غيرهم، وهو من أوضـــح الفروق وأجلاها. وســأله أخي أفضــل الدين رحمه الله، وأنا حاضر فقال رأيت كأني ميت، وأنا أغســل جسدي حتى فرغت ثم حملت نصفي الأسفل، وأنت يا سيدي حملت نصـفي الأعلى ثم سـألت نفسي- عوضا عن الملكين فقال الشيخ رضي الله عنه أنت مقصر- لم لا تحمل نفســك كلها فتكون كاملا تقاتل عن نفسك بالمدافعة، وشيخك يساعدك إن شاء الله تعالى، وتأمل في حديث "أعني على نفسك بكثرة السجود ".

وأما سـؤالك نفســك عوضـا عن الملكين فهو صـحيح فإن السؤال حقيقة إنما ثمرته، وفائدته للملكين لا لك لأنك لم تزدد بسؤالهما علما عما كنت عليه، وكان رضي الله عنـه يقول لا يخرج أحـد من الـدنيـا حتى يكشـــف لـه عن حقيقة ما هو عليه، ويتســـاوى مع أهل الكشـــف إنما هو تقديم، وتأخير ثم قال رضي الله عنه، وأما نحن فلا كشـف لنا محسـوس، ولا حس معقول، ولا عقل، ولا نقل، ولا وصـف إلا العقل الملازم لنا في رتبة الإيمان العاري عن الدليل بالمدلول. وســأله أخي أفضـــل الدين رحمه الله تعالى، وأنا حاضر فقال؛ له إذا كان العبد على يقين من الأمان من ســـوء الخاتمة هل عليه ضرر فقال رضي الله عنه الخوف من لازم كل مقرب لأن غـاية يقينه لا يتعدى نفســـه، ولا يمكنه العلم بتعيين الحق تعالى فيما يحكم فيه فـإذا مـا علم إلا حـال نفســـه في ذلك الوقت فقط دون ما قبله، وما بعده وعلم الوقـت ضرورة يـذهـب بـذهـابـه، ولا تقييـد على الحق تعالى فيما يفعل بل، ولو كلمك تعالى، وأقســم بنفســه على ذاته أنك سـعيد فلا تأمنه فإنه واسع عليم" كل يوم هو في شأن "" الرحمن :"٢٩ ولولا الأدب لقلنا كل نفس له شئون إن كنت

قلته فقد علمته وهو على كل شيء رقيب. وســأله أخي أفضــل الدين رحمه الله مرة عن التوحيـد فقال :الشـــيخ رضي الله عنه هو عدم فقال له أخي المذكور بل هو وجود فقـال وجود فقـال لـه فـإذا العدم وجود، والوجود عدم فقال رضي الله عنـه نعم فقـال لـه أخي المذكور فانعدم العدم لأنه عدم، والعدم لا كلام فيه، ولم يبق إلا الوجود كما كان، وهو الآن على ما عليه كان فقال: رضي الله عنه نعم "إنا لله وإنا إليه راجعون " "البقرة :"١٥٦ فهو تعالى الموحد نفســه بنفســه لنفســه حقيقة، والخلق لهم الإيمان، والتصديق لا غير .وسأله أيضاً، وأنا حاضر عن الاسم، والرسـم هل هما حرفان أو حرف، ومعنى؟ فقال رضي الله عنه المعنى لا يقوم إلا بالحرف، والحرف قائم بنفســه فهو غني عن المعنى كما أشار إليه قوله تعالى ": يا أيهـا النـاس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد "فاســـم الله الأول هو المعنى، واســـم الثاني هو الحرف لأنه قال فيه "وهو الغني الحميد" ثم قال رضي الله عنه، ولا أعلم الآن أحدًا في مصرـــ يعلم هذا العلم غير قائله فالحمد لله على كل حال، وســمعته رضي الله عنه يقول إذا صــادمكم أحد من أرباب الأحوال من أصـحاب النوبة فلا تسـتعينوا عليه إلا بالله تعالى أو برسـول الله صـلى الله عليه وســلم، فإ..م يرجعون عنكم إجلالا لله تعالى، ولرســوله صــلى الله عليه وســلم، والزموا الأدب معهم ظاهرًا، وباطناً، ولا تخرجوا قط من ســـور بلدكم إلى حاجة حتى تستأذنوهم بقلوبكم فإ..م يحبون من يراعي الأدب معهم، وربما صدموا من خرج غافلا عن مراعا..م فيحصل له الخراب في باطنه حتى يكاد أن يهلك لا يهتدي أحد من الأطباء إلى دوائه كما جربنا لك. وسمعته رضي الله عنه يقول لأخي

أفضـــل الـدين رحمـه الله تعالى إياك أن ترق لمن أفقره الله تعالى من الدنيا بعد غنـاه فتعطيـه أكثر من قوت يومه فإن الله تعالى ما أفقره إلا لحكمة بالغة، وربما عـاقبـك الحق تعالى بنظير ذلك كما نقلت بنفســـك ما أراد الله تعالى لذلك العبد فتقلق فـإنـه لا يثبـت مع الحق إذا نقلـه مما يحبه ،ويرضـــاه إلى ما يحبه تعالى، ويرضـــاه إلا الكـاملون المكملون ثم إنـه تعالى إذا عفا عنك، ولم يعاقبك بنظير ما فعـل بـذلك العبد فلا تعلم أنه اســـتدراج أم لا فإن كانً اســـتدراجا هلكت مع الهـالكين، والغـالـب أنه اســـتدراج لأنه تعالى حذرك من ذلك، وما حذرك إلا من موجود تقع فيه" وما يعقلها إلا العاقلون " "العنكبوت :".٤٣

وســأله أخي أفضـــل الدين رحمه الله تعالى مرة عن المســـببات هل لها أســـباب مخصـوصة لا تقبل غيرها أم لا فقال له ما مذهبك أنت فقال مذهبي أن الأسباب كـالمرائي ا..لوة القـابلـة لظهور الصـــور، والمرآة الواحدة تعطي الصـــور حقها من الظهور، وتقبل كل ما ظهر فيها من لطيف، وكثيف والأعيان التي هي المســـببات مرآة واحـدة غير منقســـمة، ولا متناهية، ولا متكثرة في الحقيقة وإنما هي انطباع أسـماء المتجلي فيها، وصـفاته فالتنوع من المتجلي لا من غيره قال تعالى ": وقضىـ ربك أن لا تعبدوا إلا إياه "فقال الشـيخ رضي الله عنه، وهو مذهبي. وسأله أخي أفضـــل الدين رحمه الله تعالىً يوما وأنا حاضر على باب حانوته عن تفســـير "إذا الشـــمس كورت" فقـال رضي اللـه عنه اللســـان في هذا الوقت عاجز عن البيان باللسان المألوف فقال له أخي المذكور قل ما تيسر فقال رحمه الله أكتب في ورقة "إذا الشمس كورت "بطنت، وباسمه الباطن ظهرت، ولم تظهر، ولم تبطن" إنك

لعلى خلق عظيم "وانقســـت بعـد مـا توحـدت ثم تعـددت، وانعـدمـت بظهور المعدود" والقمر إذا تلاها "ثم تترلت بما عنه انفصـــلت لما به اتصـــلت، واتخذت "والنجم إذا هوى "ثم تنوعت بالأســـماء، واتحدت بالمســـمى، وظهرت من أعلى عليين إلى أســـفـل ســـافلين، ثم رجعت إلى نحو ما تترلت" ولولا دفع الله الناس بغضـهم ببعض لفسـدت الأرض "" البقرة :"٢٥١ وبالجبال سـكن ميدها، وميدها هو فسادها ثم اتصـفت وبعدت بما وصـفت عما به اتصـفت، وما اتصفت إلا لما خلقت، وانحرفت فحشرـت، وبأعمالها انحشرـت، ولوحوشها اتحدت" كل ميسر لما خلق لـه "" قل كل يعمل على شـــاكلته " "الإسراء :"٨٤ ثم انعدم التقييد بوجود الإطلاق، وانخرق الحجـاب، وتعطلـت الأســـبـاب فطلبت القلوب ظهور المحبوب ليكون معها كما كان يوم يأتيهم الله في ظلل من الغمام" وإذا النفوس زوجت "" التكوير : 7" وبزوجها تعلقت ولجها تشـــوقت، وبحقيقتها اتصـــلت، وبمظاهرها تعددت، و..ا تنعمت "والتفت السـاق بالسـاق إلى ربك يؤمئذ المسـاق "" القيامة :٢٩ و " "٣٠ وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت "والروح لم تقتل لأ..ا حية، وإن قتلت فبه قتلت، وإن سئلت فيه سئلت فقاتلها هو محييها بقتلها ومما..ا، والموت عـدم العلم والعلم عنـد الله تعالى لأنه هو العالم بالقاتل، وما يســـتحقه فجزاؤه عليـه، ورجوعـه إليـه "قاتلوهم يعذ..م الله بأيديكم "" وإذا الصـــحف نشرـــت "الصـــحف هي الحـاويـة للأعمال، والأعمال علوم القلب المفاضـــة على الجوارح فالعمل صور..ا كما أنه روحها، ومن لا روح لصورته فلا نشر لصحفه" وسيرى الله عملكم ورسوله "فرسوله يرى عملكم لأنه هو المعلم، والله يرى عملكم لأنه

العامل حقيقة، وقد تتره تعالى عن الرؤية بالأبصار، والقلوب المقيدة بغيره" يحشر المرء على دين خليله "" وإذا السماء كشطت " "التكوير :"١١ لا أطيق التعبير عن معناه "وإذا الجحيم سعرت "نار الخلاف اشتعلت، والأعمال المظلمة عذبت" أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنو..م "" المائدة :"٤٩ فما عذ..م إلا مآ.. وما رحمهم إلا بـه، والواحـد ليس من العـدد لأن الواحـد موجود مســـتور، والعـدد معـدوم مشـهور" وإذا الجنة أزلفت "الآيات لا أسـتطيع النطق بمعناها" إنه لقول رسـول كريم "لأنه مسـتو بنبوته على عرش ولايته، وهم العيون الأربعة تسقى بماء واحد لأن الحكم في ذلك اليوم لله باسمه الله لا باسمه الرب لأن حكم الله يعم، وحكم الرب يخص" ثم إلى ر..م يرجعون "، ولا وجم لصـــفـة مع ذا..ا "في قوة عند ذي العرش مكين "المراد بـه العرش المطلق لـذلـك اليوم المطلق يتجلى المعبود المطلق على العابد المطلق الذي هو إطلاق المقيدات كما بدأنا أول خلق نعيده" مطاع ثم أمين "" التكوير :"٢١ إلى آخر السورة صفات، ونعوت، وأسماء للموصوف المنعوت بالأسـماء انتهى. قلت وهذا لسـان لا أعرف له معنى على مراد قائلة، وإنما ذكرته تبركـا ، والله أعلم .وســمعته رضي الله عنه يقول الرجل كالشـــجرة، وأصـــحابه كأغصـا..ا ونسـبة الغصـن الذي لا يثمر إلى الشجرة كنسبة الغصن الذي يثمر على حد سـواء في اتصاله مآ. لا تقدر الشجرة تنفيه عنها .وسمعته رضي الله عنه يقول الرجل، ولو ارتفعت درجته في معرفة الطريق لا يقدر أن يجعل شـجرة الشــوكً تفاحا أبدًا، ولو أخلي المريد مدى الدهر فإن الحقائق لا تتبدل. وسمعته مرة يقول البرزخ كله عالم خيال لا حقيقة له ثابتة إذ لو كانت له حقيقة ثابتة ما صح لأهله

الانتقال عنه إلى الدار الآخرة، وهو محل تجلى الصفات الإلهية كما أن الجنة محل لتجلي الذات الغنية عن العالمين "إنكم ستـرون ربكم " الحديث .وسـمعته رضي الله عنه يقول لأخي أفضل الدين رحمه الله مظاهر العوالم ثلاثة أفراد آدم، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم، فآدم عليه السلام خصيص الأسماء، وعيسى عليه السلام خصيص بالصفات ،ومحمد عليه الصلاة، والسلام خصيص بالذات فآدم عليه السلام فاتق لرتق المسميات، والمقيدات بصورة الأسماء،وعيسى عليه السلام فاتق لرتق الصفات البرزخيات بصورة الصفات، ومحمد عليه الصلاة والسلام فاتق لرتق الذات، وراتق لسر الأسماء، والصفات إذ الخصيص بالظهر الآدمي الآثار الكونية.

ولذلك ظهرت عجائبه، وتنوعت حقائقه، ورقائقه، والخصيص بالمظهر العيسوي المعارف الإلهية والكشوفات البرزخية، والتنوعات الملكية، والفئات، الروحية والخصيص بالمظهر المحمدي سر الجمع ،والوجود، والإطلاق في الصفات، والحدود لعدم انحصاره بحقيقة أو تلبسه بقيد فإن سره جامع، ومظهره لامع، وقد، ولج هؤلاء الأفراد الثلاثة كل واحد في عالمه المختص به في هيكله الذي هو عليه الآن، ولم يكن ذلك لغيرهم فإن آدم عليه السلام تحقق ببرزخيته ً أولا قبل نزوله إلى هذا العالم، وعيسى كذلك ،وإلى الآن في المحل الذي، ولجه آدم عليه السلام مع ما اختص به من الصفات، وأحاطتها من عوالم الأسماء.

ولذلك طال مكثه ضعفي ما مكثه آدم عليه السلام فيجنته، وأما محمد عليه الصلاة، والسلام فقد، ولج العوالم الثلاثة إذ هو مظهر سر الجمع، والوجود حيث

أسرى به من عالم الأســماء الذي أوله مركز الأرض ،وآخره الســماء الدنيا ثم، ولج البرزخ باستفتاحه السـماء الدنيا إلى انتهاء السـابعة ثم، ولج ما فوقها اسـتفتاحه عالم العرش إلى ما لا يمكن التعبير عن مإ..... ولذلك ادخر صـلى الله عليه وسـلم دعواته، ومعجزاته الخصـيصـة به لذلك اليوم المطلق الذي لا يسعه غيره ثم أطال الكلام في ذلك بما لا تسـعه العقول فتركته لدقته، وغموضـه، وبنائه على الكشـف الصـحيح التام الخاص بالكمل، وفي هذا القدر كفاية على التنبيه على علو شـأنه رضي اللـه عنـه وجميع مـا ذكرتـه عنـه لا يوجد عند أحد من أصـحابه غير أخي الكامل الراسـخ الشيخ أفضل الدين رضي الله عنه فإنه كان كاتم سره، وهذا الأمر الذي ذكرته، وقع لي مع عدة مشـايخ. فبمجرد ما أصـحبهم على وجه الإقتداء، ومحو الرسـوم يمنحونني أمورًا، وأسرارًا لا توجد عند أحد من أصحا..م، ولو طالت مدة صـحبتهم حتى إن بعضـهم ينكرها: ويقول هذا شيء ما سـمعناه من شـيخنا قط وهو صحيح فإنه لم يطلعهم بحمد رب العالمين.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي البحيري رحمه الله

أحد الأولياء المكملين، كان رضي الله عنه على قدم السـلف الصـالح من الخوف، والورع، والتقوى، ورثاثة الثياب، وكان أحد من جمع بين الشريـعة، والحقيقة في عصره، وكنت إذا رأيته تذكرت بأحواله أحوال سـيدي الشـيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدريني رضي الله عنه المنقولة عنه، وكان رضي الله عنه مقيما في قرى الريف يحرس للناس العلم، ويفتيهم، ويعلمهم الآداب، والأخلاق، وكنت إذا رأيته لا يهون عليك مفارقته، ولو طال الزمان لما هو عليه من حسن الأخلاق ، وهضـم النفس، وتذكر أحوال الآخرة حتى كأ..ا رأى عين. وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي شهاب الدين بن الإقطيع البرلسي رضي الله عنه ثم بعده عن سـيدي الشـيخ العارف بالله تعالى سـيدي على النبتيتي الضرير، وهو أكبر مشـايخه تخلقاً ، وتحققاً ، ولم يفارق شـيخه إلى أن مات، وأخبرني بعض الفقراء الصـادقين أنه سـمع بعض الناس يقول إن سـيدي عليا البحيري رضي الله عنـه أحـد الأربعين فـأنكر ذلـك فنـام تحـت دكة المؤذنين بالجامع الأزهر فرأى في منـامـه جماعـة بعد جماعة يقولون بل هو إمام الأربعين وكان رضي الله عنه كثير البكاء فإذا عتبوه في ذلك يقول: وهل النار إلا لمثلي، وكانت فتاواه تأتي إلى مصر فيتعجب العلماء من حلاوة لفظها، وكثرة ما فيها من التخويف للخصم حتى يرجع إلى الحق وكان رضي الله عنه يقول قد عشـنا إلى زمان صـار الخلق فيه في غمرة، ونسواً يوما تشيب فيه الأطفال، وتسير فيه الجبال، وكان رضي الله كنه إذا مر

على الأطفـال يســـلم عليهم، ويســـألهم الدعاء، وكان رضي الله عنه يقول أدركنا جماعـة يكون طول ليلهم، ويتضرـعون في حق هذه الخليقة، ويقولون كل شيء نزل مآ.. البلاد التي حولنا فهو بســـوء أفعالنا، ولو خرجنا لخف عنهم البلاء رضي الله عنه. مات رضي الله عنه في شـوال سـنة ثلاث، وخمسـين، وتسـعمائة، ودفن بنواحي سيدي محمد المنير رضي الله تعالى عنهما.

ومنهم أخي العارف بالله تعالى

سيدي الشيخ أبو العباس الحريثي رحمه الله

صحبته نحو ثلاثين سنة فما رأيته قط انتصر لنفسه ساعة، ونشأ رحمه الله تعالى على العبادة، والاشتغال بالعلم، وقراءة القرآن بالسبع ثم خدم الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه، وزوجة ابنته وقربه أشد من جميع أصحابه ثم أخذ بعض الطريق عن سيدي الشيخ علي المرصفي رضي الله عنه وأذن له أن يتصدر بعده لطريق الله تعالى، وأن يلقن كلمة التوحيد قالوا ولم يقع من الشيخ رضي الله عنه الإذن لغيره رضي الله عنه لعزة مقامه، ومعرفته بشروط أهل الطريق، وبرع رضي الله عنه في الطريق، وانتفع الناس على يديه في طريق الله تعالى، ووقع له كرامات كثيرة لا تحصى بحضرتي فمنها ما أعلم أنه كان يحب كتمانه فكتمته، ومنها ما سكت عنه فذكرته .وقد طلع لي مرة بواسير حتى حصل لي منها ضرر شديد فشكوت ذلك له فقال غدا تزول إن شاء الله تعالى في صلاة العصر فصليت العصر ونظرت فلم أجد لها أثرًا رضي الله عنه، وأعطى رضي الله عنه القبول التام عند الخاص، والعام حتى إذ بعضهم شرب ماء غسالة يديه من ذفر السمك، وعمر عدة مساجد في دمياط، والمحلة، وغيرهما، وكان رضي الله عنه كريم النفس ظريفا حسن المعاشرة بطيء الغيظ كثير التبسم زاهدًا في الدنيا كثير الوحدة في الليل وطوى الأربعين يوما: وكان حلو المنطق لا تكاد تسمع منه إلا ما تحب، وربما جلست معه بعد صلاة العشاء فيطلع الفجر، ونحن في مجلس، واحد، وكنت أقدر

الليلة بنحو سبع درج، وكان رضي الله عنه كثير التحمل لهموم الخلق حتى صار كأنه شن بال جلد على عظم، وما سمعته قط بعد نفسه من أهل الطريق، وكثيراً ما كان يقول إذا سمع شيئا من كلام أهل الطريق استراحت العرايا من شراء الصابون، وكان فتحه الكبير بعد وفاة شيخه رضي الله عنه فدخل الخلوة مرارًا، وما خرج حتى سمع الهواتف تأمره بذلك فخرج، ودعا الناس إلى طريق الله تعالى، ولقن رضي الله عنه نحو الشعرة آلاف مريد، ولم يزل على طريقته الحسني لم يتغير حتى مات. وكان رضي الله عنه يحط كثيراً على فقراء المطاوعة ويقول لأ..م قطاع الطريق على فقراء الأرياف، وليس في طريقهم ترق لعدم الشيخ الذي يبين لهم الأخلاق. ولم يكن حطه عليهمً نقضا فيهم إنما هو لمصلحة المريدين الذين أخذوا عنه الطريق، ولم تعلق فيهم صنارة، وذلك لأن عضب الكامل على الإنسان إنما هو لمصلحة ذلك الإنسان لا حظا للنفس فأفهم وسبق سيدي أبا العباس إلى ما ذكرناه سيدي محمد الغمري، وسيدي مدين، وغيرهما فكانواكلهم ينهون جماعتهم عن الاجتماع بالمطاوعة لهذه العلة التي تقدمت، والله أعلم، ولما حضرته الوفاة قال لسيدي أحمد بن محيي الدين الغمري، وللحاضرين خرجنا من الدنيا، ولم يصح معنا صاحب في الطريق. قلت :وكذلك وقع لسيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه .

فقيل له إن من أصــحابك ً فلاناً وفلانا فقال رضي الله عنه هؤلاء من معارفنا إنما صـــاحبك من شرب من بحرك. توفي رضي الله عنه بثغر دمياط في ســـنة خمس، وأربعين، وتســعمائة، وقبره مآ. ظاهر يزار رضي الله عنه، ولقد قصــدته في حاجة، وأنا فوق سـطوح مدرسـة أم خوند بمصر. فرأيته خرج من قبره يمشي من دمياط، وأنا أنظره إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع فقال عليك بالصبر، ثم اختفى رضي الله عنه .

ومنهم شيخي ووالدي وقدوتي الشيخ نور الدين الشوني رحمه الله

وهو أطول أشياخي خدمة خدمته ً خمسا وثلاثين سنة لم يتغير علي ً يوما واحدًا، وشوني اسم بلدة بنواحي طندتا بلد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ربي مآ. صغيراً ثم انتقل إلى مقام سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، وأنشأ فيه مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو شاب أمرد فاجتمع في ذلك ا..لس خلق كثير، وكانوا يجلسون فيه من بعد صلاة المغرب ليلة الجمعة إلى أن يسلم على المنارة لصلاة الجمعة ثم إنه خرج يشيع جماعة مسافرين إلى مصر في بحر الفيض فخرجت المركب به من غير قصد منه فلم يقدر أحد على رجوعها إلى البر فقال توكلنا على الله فجاء إلى مصر فأقام مآ.ً أولا في تربة السلطان برقوق بالصحراء، وأنشأ في الجامع الأزهر مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام سبع وتسعين وثمانمائة، وكان رضي الله عنه يقوم من التربة كل ليلة جمعة إلى الأزهر، ويرجع فلما عمر السلطان طومان ، باي العادل تربته نقله إليهما، وأعطاه، وظيفة المزملات مآ. فكان يسقي الناس طول النهار فأقام مآ. سنين عديدة ثم دخل إلى مصر، وتزوج مآ.. وله من العمر تسعون سنة وكان لم تزوج قط ثم انتقل إلى مدرسة السيوفية التي وقع لسيدي عمر بن الفارض مع شيخه البقال فيها ما وقع فأقام مآ. إلى أن مات في سنة أربع وأربعين وتسعمائة، ودفن عندنا بالقبة مء.... لباب المدرسة القادرية بخط بين السورين، وقبره مآ. ظاهر يزار .وأخبرني رضي الله عنه قال من حين كنت صغيراً أرعى البهائم في شوني وأنا أصب لصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت أدفع غذائي إلى

الصغار، وأقول لهم كلوه، وصلوا أنا وإياكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نقطع غالب النهار في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .قلت : ولما دخلت مصر في سنة إحدى عشرة وتسعمائة لقيني الشيخ شهاب الدين الطويل ا..ذوب رضي الله عنه فقال لي أنت ابن الشوني أيش حال أبوك، وكنت لا أعرف قط من هو الشوني فما كان إلا نحو سنتين فأخبرني شخص أنً رجلا يسمى الشيخ نور الدين الشوني من الصالحين في تربة العادلية امض بنا نزوره فلما دخلنا عليه رحب بي أكثر من أصحابي وقال لي أيش قال لك الشيخ شهاب الدين فأخبرته ، فقال هو صاحب اطلاع، وإن شاء الله تعالى يحصل لك من جهاتنا نصيب من الخير فكنت أحضر معه ا..لس نحو سبع سنين فلما كانت سنة تسع عشرة قال لي مقصودي تجمع لك جماعة في الجامع الذي أنت فيه مقيم، وتحيي مآ. ليلة الجمعة بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ترتيب هذا ا..لس فشرعت فيه في السنة المذكورة فلم ينقطع ببركته ليلة واحدة إلى، وقتنا هذا ثم إنه خطر لي ليلة من الليالي أن أقرأ بالجماعة" إنا أعطيناك الكوثر "نحو ألف مرة فقرأناها فرأى جماعة بكثرة تلك الليلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرت الشيخ بذلك ففعلها بمجلسه بالجامع الأزهر ثم إني كررت ليلة قوله تعالى ": واعف عنا واغفر لنا وارحمنا "" البقرة :"٢٨٦ نحو خمسين درجة فحصل للجماعة بسط عظيم فأخبرته بذلك فصار يفعلها بمجلسه، وتوارثها عنه جماعته .ورأيت مرة في واقعة أنني أمشي خلفه في أرض بلور أبيض، وعليها سور شاهق يقرب من السماء، وحصل لي أنس عظيم في تلك الأرض كدت أن أسكر منه فبينما

نحن نمشي إذ نزل من السماء سلسلة فضة بيضاء، وفيها قربة فيها ماء أبيض من اللبن، وأحلى من العسل فترلت إلى أن صار الإنسان يصل إليها بفمه فشرب الشيخ رضي الله عنه منها ،وأعطاني الفضلة فشربتها ثم تخلف الشيخ، ومشيت حتى غبت عن الشيخ فترلت لي سلسلة ذهب، وفيها شيء مربع نحو الشبر في شبر، وفيها ثلاث عيون مكتوب على العليا منها مستمد هذه العين من الله ،وعلى الوسطى مستمد هذه العين من الله، وعلى السفلى مستمد هذه العين من الكرسي فألهمني الله تعالى فشربت من الوسطى ثم رجعت إلى الشيخ رضي الله عنه فأخبرته بما شربته، وبأنه من العين التي تستمد من العرش فقال يا فلان تتخلق إن شاء الله تعالى بالرحمة على جميع العالم وسر بذلك سرورًا عظيما رضي الله عنه. ثم قال لي صدق كلام الشيخ شهاب الدين المتقدم .وكان رضي الله عنه حسن العشرة جميل الخلق كريم النفس حسن السمت كثير التبسم .صافي القلب ممسوحا كباطن الطفل سواء، وهذه الصفة من صفات الجلة، وكان إذا نزل بالمسلمين هم أو غم لا يقر له قرار حتى يرتفع، وكان لا يتفوه قط برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما كان يقول رأي بعض الفقراء، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له كذا ،وكذا مع أن مرتبته كانت تقتضي كثرة الرؤيا له صلى الله عليه وسلم.

ورأيته عن يسار النبي صلى الله عليه وسلم، في، وقائع لا أحصيها فكنت أذكر له ذلك فيقول :اشتبهت بي، ولا يعترف بذلك.

ورأيت مرةً قائلا يقول في شوارع مصر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عند الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه فمن أراد الاجتماع به فليذهب إلى مدرسه السيوفية فمضيت إليها فوجدت السيد أبا هريرة رضي الله عنه على با..ا الأول فسلمت عليه، ثم وحدت المقداد بن الأسود على با..ا الثاني فسلمت عليه ثم، وجدت شخصا لا أعرفه على با..ا الثالث فلما، وقفت على باب خلوة الشيخ وجدت الشيخ، ولم أجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عنده فبهت في وجه الشيخ فأمعنت النظر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء أبيض شفافا يجري من جهته إلى أقدامه فغاب جسم الشيخ، وظهر جسم النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ورحب بي وأوصاني بأمور وردت في سنته فأكد على ما فيها ثم استيقظت فلما أخبرت الشيخ رضي الله عنه بذلك قال، والله ما سررت في عمري كله كسروري مآ... وصار يبكي حتى بل لحيته رضي الله عنه وروى في عرفات في الموقف مرارًا لا تحصى حتى حلف شخص من أصحابه بالطلاق إنه رآه وسلم عليه فيه، وهو لم يعترف، ويقول أنا ما برحت من مصر موضعاً، وتفرعت عنه سائر مجالس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي على وجه الأرض الآن في الحجاز والشام، ومصر، والصعيد، والمحلة الكبرى وإسكندرية، وبلاد الغرب وبلاد التكرور. وذلك لم يعهد بأحد قبله إنما كان الناس لهم أوراد في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرادى في أنفسهم، وأما اجتماع الناس على هذه الهيئة فلم يبلغنا وقوعه من أحد من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

عصره رضي الله عنه، ولما توفي رضي الله عنه رأيته في قبره، وقد اتسع مد البصر، وهو مغطى بلحاف حرير أخضر مساحته قدر فدان ثم إني رأيته بعد سنتين، ونصف، وهو يقول لي غطني بالملاية فإني عريان فلم أعرف ما المراد بذلك فمات ولدي محمد تلك الليلة فترلنا به ندفنه بجاتبه في الفسقية فرأيته ً عريانا على الرمل لم يبق من كفنه، ولا خيط واحد ووجدته طريا يخر ظهره دما مثل ما دفناه سواء لم يتغير من جسده شيء فغطيته بالملاية، وقلت له :إذا قمت وكسوك، أرسل لي ملايتي .وهذا من أدل دليل على أنه من شهداء المحبة فإن الأرض لم تأكل من جسده شيئا بعد سنتين، ونصف، ولا انتفخ، ولا نتن له لحم، وإنما وجدنا الدم يخر من ظهره طريا لأنه لما مرض لم يستطع أحد أن يقلبه مدة سبع وخمسين يوما فذاب لحم ظهره فضممناه بالقطن، وورق المون، ولم يتأوه قط، ولم يئن في ذلك المرض، ورأيته مرة أخرى فقلت يا سيدي أيش حالكم فقال جعلوني بواب البرزخ فلا يدخل البرزخ عمل حتى يعرض علي، وما رأيت أضوأ، ولا أنور من عمل أصحابنا يعني من قراءة" قل هو الله أحد "والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورأيت مرة الإمام الشافعي رضي الله عنه، وقال لي : أنا عاتب عليك وعلى نور الدين الطرابلسي ونور الدين الشوني، وكنت تلك الليلة ً نائما في الروضة عند بني الوفاء فقلت للإمام نزوركم بكرة إن شاء الله فقال لا هذا الوقت فأخذ بيدي، ومشى من الروضة حتى طلع بي فوق قبته، وفرش لي حصيراً بقرب الهلال بحيث أني صرت أمسك المركب النحاس بيدي ومضى فأتى ببطيخ وجبن طري، وخبز لين، وقال: كل فقد ماتت

ملوك الدنيا بحسرة الأكل في هذا الموضع فرجعت، وقصصت المنام على الشيخ نور الدين الطرابلسي فركب في الحال للزيارة دخلت للشيخ نور الدين الشوني فقلت له، وكان عنده عرعر صاحب الشريف بركات سلطان مكة فقال هذه أباطيل مثل الإمام الشافعي رضي الله عنه يعتب علي مثلكم في الزيارة الشريف عرعر تلك الليلة فرأى الإمام الشافعي رضي الله عنه، وقال له قول عبد الوهاب صحيح، وأنا عاتب على الثلاث فجاء الشيخ نور الدين، وأخبره الخبر.

ثم قال :وقال لي لولا الشوني في مصر لهوى بأهلها ما هوى ومناقبه رضي الله كثيرة، وإن شاء الله تعالى نفردها بالتأليف إن كان في الأجل فسحة، والله أعلم .

ومنهم أخي وصاحبي سيدي الشيخ أبو الفضل الأحمدي رحمه الله

صاحب الكشوفات الربانية، والاتفاقات السماوية، والمواهب اللدنية سمعت الهواتف تفول في الأسحار ما صحبت مثل الشيخ أبي الفضل، ولا تصحب مثله، كان رحمه الله تعالى أكابر أولياء الله، وما رأيت أعرف منه بطريق الله عز وجل، ولا بأحوال الدنيا، والآخر له نفوذ البصر في كل شيء لو أخذ يتكلم في أفراد الوجود لضاقت الدفاتر. صحبته رضي الله عنه نحو خمس عشرة سنة، ووقع بيني وبينه اتحاد لم يقع لي قط مع غيره، وهو أنه كان يرد على الكلام من الحكمة في الليل فأكتبه فإذا جاء عرضته عليه فيخرج لي ورقة من عمامته، ويقول وأنا الآخر، وقع لي ذلك فنف بل الكلام على الآخر فلا يزيد أحدهما على الآخر حرفاً، وربما يقول بعض الناس إن أحدنا كتب ذلك من الآخر، وكان رضي الله يحرك تطور الأعمال الليلية، والنهارية، ويرى معارجها، وهذا أمر ما رأيته لأحد قط الأشياخ الذين

كتبت مناقبهم في هذه الطبقات، وقد سـألني مرة الأمير محيي الدين بن أصـبغ أسبغ الله عليه نعم الدارين أن أدعو له بالخلاص من سجن السلطان فسألتا لله تعالى في الأسحار فجاءني سيدي الشيخ أبو الفضل، وقال لي ضحكت الليلة عليك في دعائك لابن أبي أصـبغ بالخلاص من السـجن، وقد بقي له من المدة خمسـة شهور، وسبعة أيام كنت شاطر مصر لم تقدر على إخراجه حتى تنقضي هذه المدة .قال ورأيت دعاءك، وهو يصـعد إلى السـماء نحو قامة، ويرجع إليك وربما كان يـأتيني فيخبرني بجميع مـا وقع لي في الليل، وكان من شـأنه تحمل هموم الناس حتى صار ليس عليه أوقية لحم، وكان رضي الله عنه يقول لي منذ سنين، وأنا أحس بلحمي كأنه في صـحن نحاس على النار يطشـطش، وكان من شـأنه التقشـف في المكل، والملبس، وخدمته جميع إخوانه، وكنا إذا خرجنا لمثل أهرام الجيزة أو غيرها من التنزهات يحمل نعال الجماعة كلهم في خرج على عنقه، ومن أبي أقسـم عليه بالله تعالى حتى يمكنه من حمل نعله، وشكوت له مرةً مرضا نزل بي فقال: والله العظيم لي منذ عشر سنين، وأنا أحس أنني في صحن نحاس على النار من غير ماء يطشطش فيه فحط مرضك بجنب هذا تجده، ولاش.

وكان رضي الله عنه لا ينام من الليل إلا نحو عشر درج صيفاً، وشتاء، وكان رضي الله عنه من أعظم الناس تعظيما للمساجد لم يتجرأ قط أن يدخل مسجدًا إلا تبعا لغيره فكـان يمكـث واقفـا على بـاب المســجـد حتى إذا دخل أحد دخل في ذراه، ويقول: مثلنا لا ينبغي له أن يدخل المساجد إلاً تبعا لعامة المسلمين لعجزنا عن القيام بآدا..ا، ورأيت مرة في ثوبه أثرًا فقلت له دعني أغسله لك فقال: أنت ما

تعرف حـالي، والله إني لأســـتحي من لبس الثوب النظيف على ذاتي هذه القذرة، وكـان رضي اللـه عنه يقول أعطاني الله تعالى أن لا أنظر قط إلى شيء من الحبوب نظرة واحـدة، ويســـوس أو يتلف أبـدًا، وجربنـا ذلـك في مخزن القمح الذي كان يسوس عندنا.

وكان رضي الله عنه يعرف أصـحاب النوبة في سائر أقطار الأرض، ويعرف من تولى ذلك اليوم منهم، ومن عزل، وكان لونه أصفر نحيفا لا تكاد تجد عليه أوقية لحم .وحج رضي الله عنه مرات على التجريد فلما كان آخر حجة كان ضـعيفا فقلت له في هذه الحالة تسـافر فقال لترابي فإن نطفتي مرغوها في تربة الشهداء ببدر فكان كما قال فمرض مرضـا شديدًا قبل بدر بيومين ثم توفي، ودفن ببدر كما قال، وذلك في سـنة اثنتين و أربعين وتسـعمائة فلما حججت سـنة سـبع، وأربعين مضـيت إلى قبره فقلت له أقسم عليك بالله إلا ما نطقت لي من القبر، وعرفتني بقبرك فناداني تعـال فـإني ها هنا فعرفت قبره بتعريفه لي رضي الله عنه، ومدحت له مرة بعض الفقراء فقال أجمعني عليه فدخلنا فوجدناه في الخلوة فقال له ســـيدي أفضـــل الدين رحمه الله تعالى يا هو مآ.. فتخبط ذلك الفقير من صـــياحه عليه حتى كاد يـذهل فقال ســـيدي أفضـــل الدين رضي الله عنه وعزة ربي لولا الشـــفقة عليه لشـــقت قلبه بالصـــوت ثم قال لي هذا يكل مهما وجد لا يتورع فهذا الذي تركه يتخبط كما قـال اللـه تعـالى ": الـذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطـه الشـــيطان من المس "" البقرة :"٢٧٥ ، فذاكره مذاكرة في حقائق اليقين ودقق عليه الكلام حتى قال له ذلك الفقير تترل لنا في العبارة، والمقام ثم رأى

عنده ً رجلا ً مختليا وصـوته ضـعيف في الذكر فقال له أخرج هذا الفقير، وأطعمه وإلا مات، ودخل النار فقال الفقير هذا من شرط الخلوة فقال له سـيدي أفضـل الـدين رضي اللـه عنـه: ومـاذا يطلب بالخلوة هذه فإن العبد إذا كان وليا لله فلا يحتاج إلى هذا العلاج وإن كان غير ولي لله فلا يصير وليا بالعلاج وشجرة السنط لا تكون تفاحا بالعلاج فأخذ سيدي أبو الفضـل رغيفا. وقال اسـمع مني واخرج، وما وعدك الله به يحصـل إن شـاء الله تعالى فلم يخرج فقال الله يبتليك بالموت فمات بعـد يوم وليلـة، وكـان رضي اللـه عنـه يقول بواطن هـذه الخلائق كـالبلور الصـافي أرى مـا في بواطنهم كما أرى ما ظواهرهم، وكان إذا انحرف من إنسـان يـذوب ذلـك الإنسـان، ولا يفلح في شيء من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة، وكان رضي الله عنه يعرف من أنف الإنسـان جميع ما يفعله في داره ويقول هذا ما هو بـاختيـاري، وسـألت الله تعالى الحجاب فلم يحجبني؛ والله تعالى في ذلك حكم، وأسرار وكـان لـه كلام عـال في الطريق، والمقامات، وأحوال الكمل، وكان يقول من وراثي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام. ومن كلامه رضي الله عنه :اعلم يا أخي المراد من الإيجـاد الإلهي الإنسـان، والتكوين الطبيعي النـاري ليس إلا معرفـه الربوب وأوصافها، والعبودية، وأخلاقها فأما أوصاف الربوبية فكيفيك يا أخي منها ما وصـل إليك علمه إلهاما ً، وتقليدًا بواسـطة رسـول الله صلى الله عليه وسلم في غير تشـبيه، ولا تعطيل، وأما أخلاق العبودبة فهي مقابلة الأوصـاف الربوبية على السـواء فكل صـفة اسـتحقتها الألوهية طلبت العبودية حقها من مقابلة ذلك الوصف، ومن هذا المقام كان استغفاره صلى الله عليه وسلم فكل عن مقامه

يتكلم ،وعما وصـف به يترجم، وسمعته رضي الله عنه يقول من نظر إلى ثواب في أعماله ً عاجلا أو آجلا فقد خرج عن أوصـــاف العبودية التي لا ثواب لها إلا وجه الله تعالى.

وكان يقول عليك بحسـن الظن في شأن ولاة أمور المسلمين، وإن جاروا فإن الله لا يسـأل أحدًا قط في الآخرة لم حسـنت ظنك بالعباد، وكان يقول لا تسـب أحدًا من خلق تعالى على التعيين بسـبب معصـية، وإن عظمت فإنك لا تدري بم يختم لك، وله ولا تســبب من أحد إذا ســببت إلا فعله لا عينه فإن عينك ،وعينه واحد فلا تسـب إلا الفعل الرديء المذموم لقوله صـلى الله عليه وسلم في الثوم" إ..ا شجرة أكره ريحهـا ،" فلم، يقـل أكرهها وإنما أكره ريحها الذي هو بعض صـــفا..ا، وكان رضي اللـه عنـه يقول لا يخلو المنقص لأعراض النـاس عن ثلاثة أحوال إما أن يرى نفســه أفضــل منهم فهو حينئذ أســوأ ً حالا منهم كما وقع لإبليس مع آدم عليه السـلام، وإما أن يرى نفســه مثلهم فما أنكر إلا على حال نفســه حقيقة، وإما أن يرى نفســه دو..م فلا يليق به تنقيص من هو خير منه. سـمعته مرة يقول هؤلاء المنقصــون لأعراضـــنـا فلاحون لنـا يزنون لنا الخراج فقلت له كيف؟ فقال لأ..م ينقلون في صـحائفنا جميع أعمالهم الصـالحة الخالصـة، وثم ذنوب لا يكفرها إلا كلام الناس في عرض الإنســـان، وكان رضي الله عنه يقول عليكم بحســـن الاعتقاد فإنه ربط القلب مع الله تعالى بواسطة المعتقد فيه، ولو كان غير أهل لذلك فإنكم لم تربطوا قلبكم إلا مع الله تعالى لا مع الواسـطة، والله يسـتحي من طلب عبده له أن يفقده عندما طلبه، وكان رضي الله عنه يقول كونوا عبيد الله لا عبيد

أنفسكم، ولا عبيد ديناركم، ودرهمكم فإن كل ما تعلق به خاطركم من محمود أو مذمم أخذ من عبوديتكم بقدر حبكم له، وأنتم له تخلقوا للسكون، ولا لأنفسكم بـل خلقكم لـه فلا مؤ.... منـه فإنكم حرام على أنفســكم فكيف لا تحرموا على غيركم، وكان رضي الله عنه يقول كفوا غضــبكم عمن يسيــء إليكم لأنه مســلط عليكم بإرادة ربكم، وكان يقول افعلوا كل ما أمركم به الشرع إن استطعتم، ولكن من حيـث مشرــوعيتـه والأمر بـه لا من حيـث علة أخرى، واتركوا العلل كلها في جميع أحوالكم، وأعمالكم، واقطعوا الكل بقوله ": يمحو الله ما يشــاء ويثبت "، "الرعـد :٣٩ ، "وكـان رضي اللـه عنـه يقول لا تقطعوا بمـا علمتموه من الكتـاب، والسـنة ولو كانً حقا في نفســه، وكان يقول لا تركن إلى شيء، ولا تأمن نفســك في شيء، ولا تأمن مكر الله لشيـء، ولا تختر لنفســك حالة تكون عليها فإنك لا تدري أتصــل إلى ما اخترته أم لا ثم إن وصــلت إليه فلا تعلم ألك فيه خير أم لا، وإن لم تصــل إليه فاشــكر الذي منعك فإنه لم يمنعك عن بخل، وكان رضي الله عنه يقول إذا خيرك الحق تعــالى في شيء فــاختر عـدم الاختيــار، ولا تقف مع شيء، ولا تر لنفســك شــيئاً ، ولا تحزن على شيء خرج عنك فإنه لو كان لك ما خرج عنك ولا تفرح قط بما حصـل لك من أمور الدنيا، والآخرة دون الله تعالى فإن ما سوى الله عدم.

وكان رضي الله عنه يقول إذا نقل إليكم أحدٌ كلاما في عرضكم من أحد فازجروه، ولو كـان من أعز إخوانكم في العـادة، وقولوا لـه إن كنـت تعتقـد هـذا الأمر فينا فأنت، ومن نقلت عنه ســواء بل أنت أســوأ حالا لأنه لم يســمعنا ذلك، وأنت أســمعتـه لنا، وإن كنت تعتقد أن ذلك لأمر باطل في حقنا وبعيد منا أن نقع في مثله فما فائدة نقله لنا. وسـمعته رضي الله عنه يقول لا تتكلموا قط مع من فتى في التوحيد فإنه مغلوب وكلوه لمشـيئة الله تعالى، ولا تشـتغلوا بإكثار من مطالعة كتـب التوحيـد فـإ..ا توقفكم عما أنتم مخلوقون لـه فكـل تكلم بحســب علمه، وذوقه، وكان رضي الله عنه يقول عليكم بحفظ لســانكم مع أهل الشرــع فإنهم بوابون لحضرـة الأسـماء، والصـفات، وعليكم بحفظ قلوبكم من الإنكار على أحد من الأولياء فإنهم بوابون لحضرـة الذات، وإياكم، والانتقاد على عقائد الأولياء بما علمتموه من أقوال المتكلمين فـإن عقـائـد الأوليـاء مطلقة متجردة في كل آن على حسب الشئون الإلهية، وكان رضي الله عنه يقول لا تقربوا من الأولياء إلا بالأدب، ولو بـاســطوكم فـان قلو..م مملوكة، ونفوســهم مفقودة، وعقولهم غير معقولة فيمقتون على أقل من القليل، وينفذ الله مرادهم فيكم، وكان رضي الله عنه يقول إذا صــحبتم كـاملا فلا تؤولوا لـه كلامـا إلى غير مفهومـه الظـاهر فإن الكمل لا يســترون لهم كلامـاً، ولاً حـالا إذ التدبير من بقايا تدبير النفس، وحفظها، وكان رضي اللـه عنـه يقول اســألوا اللـه العفو، والعـافية وألحوا عليه، ولو كان أحدكم صبورًا، وكان رضي الله عنه يقول الحقيقة، والشريعة كفتا الميزان ،وأنت قلبها فكل كفة حصل منك ميل إليها كنت لها.

وكـان رضي اللـه عنـه يقول عليكم بتنظيف بـاطنكم من الحرص، والغـل، والحقد ونحو ذلـك فإن الملك لا يرضى أن يســـكن بجواركم، وأنتم على هذا الحال فكيف يســكن الله تعالى قلوبكم يا داود طهر ليً بيتا أسـكنه. وكان رضي الله عنه يقول عليكم بـإخراج كل علقت به نفوســـكم ولم تســـمح بإظهاره من علم أو حال أو غيرهما، ولا تتركوا النصـــح لإخوانكم، ولو ذموكم لأجل ذلك ،وكان رضي الله عنه يقول عليكم بإصــلاح الطعمة اســتطعتم فإ..ا أســاســكم الذي يتم لكم به بناء دينكم، وجميع أعمالكم الصـالحة فإن كنتم متجردين عن الأسباب فاقبلوا كل ما أرسـله الحق تعالى إليكم من غير سـؤال ما عدا الذهب والفضة، والثياب الفاخرة فإذا بلغ أحدكم مبلغ الرجال عرف كل لقمة من أين جاءت وعرف من يســـتحق أكلها كالبناء يعرف مكان كل طوبة يضـعها، وكان رضي الله عنه يقول إذا غضــب شـيخك على أحد فعليك أن تجتنبه فإن علمت أن غضب شيخك لغير الله فأمسك عن الاجتناب كأحوال المشايخ القاصرين الآن.

وكـان رضي اللـه عنـه يقول إذا فـاجـأك في حـال الـذكر شيء من حال أو غيره فلا تدفعه عن نفسك، ولا تستجلب ذلك بجميع باطنك، وتفعلك فإن ذلك سوء أدب، وكان رضي الله عنه يقول لا تأنفوا من التعلم ممن خصــه الله تعالى من فضـــلهً كائنا من كان لا سـيما أهل الحرف النافعة فإن عندهم من الأدب ما لا يوجد عند خصـوص الناس، وكان يقول إياكم أن تظهر، والكمً حالا أوً وصـفا دون أن يتولى اللـه ذلك من غير اختياركم، وكان رضي الله عنه يقول احذروا من قربه تعالى لكم أن يفتنكم بالقرب مع أنه لا خصوصية، لكم فيه، وإذا علم أحدكم ما هو عليه

من القرب فهو بعيد من القرب فإن حقيقة القرب الغيبية بالقرب عن القرب حتى لا تشهد حالك في القرب إلا بعد، ولا في العلم إلاً جهلا ولا في التواضع إلا كبر فإن شهود القرب يمنع العلم بالقرب" ونحن أقرب إليه منكم، ولكم لا تبصرون "وكان رضي الله عنه يقول: احذروا من الاغترار بصحبته لكم أن يستدرجكم بحبكم له فيشغلكم بكم عنه وإذا كشف لكم عن حقائقكم حسبتم أنكم هو، ومن هنا يفع الاستدراج، ولا خلاص لكم إلا إن شهدتموه به تعالى لا بكم .وسئل رضي الله عنه مرة عن قوله تعالى :" ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار "" هود : 113"الآية هل يدخل في ذلك الركون إلى النفس فقال رضي الله عنه نعم، ثم قال رضي الله عنه : وإيضاح ذلك أن هذه الآيةً أيضا متضمنة لعدم اختيار العباد مع ر..م، ومتضمنةً أيضا لمعرفة أقرب الطرق إلى الحق وهو أصل جامع لجميع الطرق الظاهرة، والباطنة فإن في باطنها الحث على الآمر بالتخلق بالمقام الإبراهيمي الذي نحن مكلفون باتباعه، وذلك أن الأركان صفة من صفات النفس والظلمً أيضا من صفا..ا، وهي موصوفة بالظلم والأركان في نفسها لاعتمادها على نفسها ودعواها بأ..ا أفضل وأعلم من غيرها، ولو لم تعلم هي ذلك من نفسها، ولولا أ..ا موصوفة بالظلم ما ظهر عنها قط فعل ولا أمر قبيح، وهذا أيضا أقوى دليل على جهلها بمعرفة نفسها، وربما حيث لم تسند إلى ر..ا جميع أفعالها وأقوالها ،وحركا..ا، وسكنا..ا الظاهرة والباطنة، ومعلوم أن الظالم نفسه إنما هو معذب في هذه الدار بنار نفسه ،وشهواته لا بالنار المحسوسة التي تقع له في الدار الآخرة .وانظر يا أخي إلى إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة، والسلام

لما لم تؤثر فيه نار الشـهوة لم تؤثر فيه نار الحس بل، وجدها بردًا لأجل صفة البرد الذي في باطنه عليه الصلاة، والسلام من حر التدبير المفضي إلى الشرك الأكبر المشار إليه بقول لقمان لابنه "إن الشرــك لظلم عظيم "فعلم أن الظالم لحق ربه معذب بنـار البعـد عنـه، ومتقرب إلى هواه الـذي جعلـه معبوده، ووجهته قال تعالى ": أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم "" الجاثية :"٢٣ وإنما وصفه هنا بالعلم لأنه لم يتخذ له ً إلهاً خارجا عنه بعيدًا منه، والإله من شأنه القرب، وما ثم أقرب إلى الإنسان من نفسه لنفسه لأن هواه المعبود عالم بما يظهر في سره، ونجراه بخلاف الإله ا..عول في الظاهر فإنه غير عالم بمصـالح تلك النفس، وأحوالها لبعده، وعـدم علمه، ومن هنا قالوا ألطف الأوثان الهوى ،وكثفها الحجارة،ً وأيضـــا فإن النفس العـابـدة لهواهـا هي المعبودة لهذا فإن صـــفا..ا عابدة لذا..ا، ولذلك وقع علينا التوبيخ الإلهي في قوله تعالى ": وفى أنفسكم أفلا تبصرون "" الذاريات :"٢١ ، وفي حديث من "عرف نفســـه عرف ربه" فإن المعرفة هنا تكررت وهي لم تقبل تكرارًا، والنفس، والرب قبلا التكرار فاعلم ما تحته تصـــب التحقيق إن شـــاء الله تعالى، وصـــلى الله وســـلم على معلم الخير، ومظهر التوحيد. وكان رضي الله عنه يقول ثم ثلاث مرات لثلاث رجال زاحم عليها متصوفة زمامنا بغير حق وهي تلقين الذكر للمريدين ،ســهم وإلباســهم الخرقة وإخاؤهم لهم العذبة، فأما تلقين الذكر فشرـطـه عنـدي أن يعطيه الله تعالى من القوة ،والتمكين وكمال الحال ما يمنح المريد عند قوله قال لا إله إلا الله جميع علوم الشرـائع المترلة إذ هي كلها أحكام لا إله إلا الله فلا يحتاج بعد ذلك ا..لس إلى تعليم شيء من الشرائع كما وقع لعلي

بن أبي طالب رضي الله عنه حتى كان يقول عندي من العلم الذي أسره إلي رسول الله صــلى الله عليه وســلم ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل فيقول له ابن عباس كيف؟ فيقول إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، وقال ": وما منا إلا له مقام معلوم "فلا يدري ما وقع لرســـول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . هذا هو التلقين الحقيقي، ولا يكون إلا لمن اتحد بشيخه حتى صار كأنه هو .

وأما إلباس الخرقة فشرـطه عنديً أيضـا أن يعطي الله ذلك الشـيخ من القوة ما يترع به عن المريد حال قوله له اخلع قميصــك أو قلنســوتك مثلا جميع الأخلاق المذمومة فيتعطل عن اســتعمال شيء منها إلى أن يموت ذلك المريد ثم يخلع على المريد مع إلباسه تلك الخرقة جميع الأخلاق المحمودة التي هي غاية درجة المريد في علم الله عز وجل فلا يحتاج ذلك المريد بعد إلباس شــيخه له الخرقة إلى علاج خلق من الأخلاق فمن لم يعطه الله تعالى ذلك ففعله كالاستهزاء بطريق العارفين، ولبسها على هذا الشرط سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه من الخضرـ عليه السـلام عند الحجر الأسـود وأخذ عليه العهد بالتسـليم لمقامات الشـيوخ؛ وأما إرخاء العذبة فشرطه عنديً أيضا أن يقدر الله ذلك الشيخ على أن يخلع على المريد حال إرخائها له سر النمو، والزيادة لكل شيء مسه ذلك المريد أو نظر إليه لتكون تلك الزيادة المرخاة من العمامة علامة، وإشارة إلى التحقيق لتلك المرتبة من باب التحدث بالنعم. ولما أرخاها معروف الكرخي رضي الله عنه للسري السقطي رضي الله عنه سقفً بيتا له فقصر خشبة عن الوصول إلى الجدار الآخر

فمطها فطالت، ومن قال من متصــوفة هذا الزمان ليس ما قلته في هذه الثلاثة الأمورً شرطا لكونه هوعاريا عن تلك الشرـوط فقد أسـاء الظن، وكذب بكرامات السلف الصالح فلا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان رضي الله عنه يقول في قوله تعالى ": ثم قضىـ أجلا وأجل مسمى عنده "" الأنعام :"٢ الأجل الأول هو أجل الجسـم بموته في الحياة الدنيا والأجل المسمى عنده هو أجل الروحانية التي خلقت قبل الأجسـام بألفي عام فإ..ا مسـتمرة الحياة إلى الصـعق الأخروي حين تصـعق الأرواح فتخمد، وذلك أعني خمودها هو حظها من الموت، والفناء اللازم لصـفـة الحـدث فلا تبقى روح على وجـه الأرض، ولا في البرزخ إلا مـاتـت يعني خمدت فقل له فهل للطائفة الذين لا يصـعقون عند النفخة أجل مسـمي كذلك يخصـهم؟ فقال ذهب قوم إلى أ..م لا يصـعقون أبدًا لأن الله تعالى أنشـأهم على حقائق لا تقبل الموت . والذي تذهب إليه أ..م يموتون لكنهم اشـتغلوا بحضرـة الشـهود عن سـماع النفخة فلم يدركهم حس النفخة فلم يصـعقوا إذ ذاك ثم إ..م يموتون بعد ذلك بأمر اللهً تحقيقا لوعده وتمييزًا لصـفة القدم عن الحدوث قال ، وعليـه يحمل قوله تعالى ": لمن الملك اليوم "" غافر :"١٦ فلا يجيبه أحد وعلى ما ذهب إليه غيرنا يخصـص عدم الإجابة بمن صعق يعني فلا يجيبه أحد ممن صعق ويكون الاسـتثناء منقطعاً، وما ذهبنا إليه أولي فقل له فما المراد بالصـور الذي ينفخ فيه.

فقال المراد به الحضرـة البرزخية التي ننقل إليها بعد الموت ونشـهد نفوسـنا فيها، وهو المسمىً أيضا بالناقور، وإنما اختلف عليه الأسماء لاختلاف الصفات فصارت

أسـماؤه كهو فجميع أرواح الأجسـام الطبيعية، والعنصر ـية التي قبضها الله تعالى مودعة في صـورة جسـدية في مجموع الصور المكنى عنه بالقرن، وجميع ما يدركه الإنسـان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصـورة التي هو فيها في القرن، وكان رضي الله عنه يقول: كل رؤيا فهي صادقة، وإذا أخطأت الرؤية فالمراد أن من عبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصـورة، ولذلك قال صـلى الله عليه وسـلم للرجل الذي رأى في منامه كأنه ضربت عنقه إن الشـيطان لعب بك، وما قال له خيالك فاسد فالخيال كله صحيح عند المحقق والسلام، وكان رضي الله عنه يقول من صفي جوهرة نفسه علم أن الحياة إما هي لعين الجوهر وعلم أن الموت إنما هو لتبدل الصور، وحينئذ يشهد موته كلا موت. فالشهيد المقتول في سـبيل الله ينقله الله تعالى إلى البرزخ لا عن موت فهو مقتول لا ميت. ومن هنا قالوا العارفون لا يموتون وإنما ينقلون من دار إلى دار لأ..م أماتوا نفوسـهم في دار الدنيا با..اهدة، وكان صـلى الله عليه وسـلم يقول: من "أراد أن ينظر إلى ميت يمشي ـ على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه "وكان رضي الله عنـه يقول :لا بـد للموت من الموت لأنـه مخلوق قـال الله تعالى : " خلق الموت والحياة "" الملك :"٢ ولكن موته في الظاهر حياته في الباطن، والمتولي لقبض روحه الحياة الأبدية التي مظهرها يحيى عليه السـلام كما ورد" إن الموت يمثل في صـورة كبش، ويـذبحـه يحيى عليه السـلام " بشـارة لأهل الجنة بالحياة التي لا موت بعدها، وكان رضي الله عنه يقول :موازين الآخرة تدرك بحاسـة البصر ـ كموازين أهل الدنيا لكنها ممثلة غير محسوسة عكس الدنيا فهي كتمثل الأعمال سواء فإن

الأعمال في الدنيا أعراض وفي الآخرة تكون أشخاصاً، وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسـلم :" يؤتى بالموت في صـورة كبش" ولم يقل يؤتى به كبشـا لأن الحقائق لا تنقلـب، فـإذا وضـعت الموازين لوزن الأعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم لكن أعمالهم الظاهرة دون الباطنة لأن الأعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسـوس لكن يقام فيها العدل، وهو الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسـوس، ومعنى لمعنى يقابل كل بمثله، وآخر ما يوضـع في الميزان في قول العبد الحمـد للـه، ولهـذا ورد" والحمـد للـه تملأ الميزان "وإنما لم تكن لا إله إلا الله تملأ الميزان كالحمد لله لأن كل عمل خير له مقابل من ضمه هذا الخير في موازينه ولا يقـابل لا إله إلا الله إلا الشرـك، ولا يجتمع توحيد، وشرك في ميزان واحد بخلاف المعاصي غير الشرك إذ العاصي لم يخرج عن الإسـلام بمعصيته. وإيضاح ما لناه أن الإنسـان إن كان يقول لا إله إلا الله معتقدًا لها فما أشرك، وإن أشرك فما اعتقد لا إلـه إلا اللـه فلما لم يصـح الجمع بينهما لم تـدخل لا إله إلا الله الميزان لعدم ما يعـادلها في الكفة الأخرى، وإنما دخلت لا إله إلا الله ميزان صـاحب السـجلات التسـعة والتسـعين من السـيئات لأن صـاحب السـجلات كان يقول :لا إله إلا الله معتقـدًا لهـا إلا أنـه لم يعمل معها خيرًا قط فكان وضـع لا إله إلا الله في مقابلة التسـعة والتسعين سجلا من السيئات فترجح كفة لا إله إلا الله بالجميع، وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله شيء. وكان رضي الله عنه يقول :لا نور للصراط في نفسـه لأنه منصـوب على ظهر جهنم وهي مظلمة، وإنما النور الذي يكون على الصراط من نور الماشين عليه قال تعالى ": يسعى نورهم بين أيديهم، وبأيما..م

"فقلت له :لم لم يقل تعالى، وبشـمائلهم؟ فقال رضي الله عنه لأن المؤمن في الآخرة لا شمال له كما أن أهل النار لا يمين لهم.

وكـان رضي اللـه عنـه يقول :ثم من تشـــتاق إليه الجنة كما يشـــتاق إليها، وهم المطيعون، وثم من لا تشتاق إليه الجنة، وهم يشتاقون إليها، وهم عصاة المؤمنين، وثم من تشـــتـاق إليه الجنة، وهو لا يشـــتاقها، وهم أرباب الأحوال، وثم من لا تشـــتاق إليه الجنة، ولا يشـــتاق هو إليها، وهم المكذبون بيوم الدين، والقائلون بنفي الجنـة المحســـوســـة وكان رضي الله عنه يقول يقع التمني في الجنة لأهلها فيتنعمون بذلك أشد التنعم، وذلك لأنه تمن محقق لوجود ما يتمناه حال التمني فلا يتوهم أحد من أهل الجنةً نعيما فوق نعيمه أو يتمناه إلا حصـل له بحسـب ما توهمه إن توهمه معنى كان معنى، وإن توهمهً حســا كانً حســا . وســئل رحمـه الله تعالى عن المراد بقوله تعالى في فاكهة الجنة :" لا مقطوعة ولا ممنوعة " "الواقعـة :"٣٣ هـل المراد لا مقطوعة صـــيفاً، ولا شـــتاء أو أ..ا لا تقطع حين تقطف؟ فقـال رضي اللـه عنـه جميع فـاكهة الجنة تؤكل من غير قطع؟ فمعنى لا مقطوعة أ..ا لا تقطع حال القطع بل يقطف الإنسان، ويأكل من غير قطع، فالأكل موجود، والعين باقية في غصـن الشجرة هذا أعطاه الكشف فعين ما يأكله هو عين ما يشـــهده في غصـــن الشـــجرة، والله أعلم. وكان رضي الله عنه يقول الذي عليه المحققون أن أجســـام أهـل الجنـة تنطوي في أرواحهم فتكون الأرواحً ظروفـا للأجســام بعكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور، والحكم في الدار الآخرة للروح لا للجسم، ولهذا يتحولون في أي صورة شاءوا كما هم اليوم عندنا الملائكة، وعالم

الأرواح، وكان رضي الله عنه يقول: يتناســـل أهل الجنة فيها إذا شـــاءوا فيجامع الرجـل زوجتـه الآدمية أو الحوراء فيوجد الله تعالى عند كل دفعة ولدا وذلك لأن الله تعالى جعل النوع الإنسـاني غير متناهي الأشـخاص دنيا، وأخرى لشرـفه عنده، وكان رضي الله عنه يقول ليس لأهل الجنة دبر مطلقا لا الرجل، ولا المرأة لأن الله تعـالى إنمـا جعـل الـدبر في دار الدنياً مخرجا للغائط، ولا غائط هناك،وإنما يخرج الأكل، والشرـبً رشحا من أبدا..م، ولولا أن ذكر الرجل، وقبل المرأة محتاج إليهما في جماع أهل الجنة ما كان وجدا في الجنة لعدم البول هناك، وكان رضي الله عنه يقول لـذة جماع أهـل الجنة تكون من خروج الريح لا من خروج المني إذ لا مني هناك فيخرج من كل الزوجين ريح مثيرة كرائحة المســـك فتلقى في الرحم فتتكون من حينه فيها ولدًا وتكمل نشأته ما بين الدفعتين.

فيخرج ولد مصور مع النفس الخارج من المرأة، ويشاهد الأبوان كل من ولدا لهما من ذلـك النكـاح في كل دفعة ثم يذهب ذلك الولد فلا يعود إليهما أبدًا كالملائكة المتطورين من أنفـاس بني آدم في دار الـدنيـا، وكـالملائكـة الـذين يدخلون البيت المعمور ثم إن هؤلاء الأولاد ليس لهم حفظ في النعيم المحسوس، ولا المعنوي إنما نعيمهم برزخي كنعيم صـــاحب الرؤيا، وكان رضي الله عنه يقول، تتوالد الأرواح مع الأرواح في الجنة فينكح الولي من حيث روحه زوجته من حيث روحها فيتولد بينهما أولاد روحانيون بأجسـام، وصـور محسـوسـات وكان يقول شـجرة طوبي في مترل الإمـام علي بن أبي طـالـب رضي اللـه عنـه، وهي حجـاب مظهر نور فـاطمة الزهراء رضي الله عنها فما من جنة، ولا درجة، ولا بيت، ولا مكان إلا وفيه فرع

من شجرة طوبي وذلك ليكون سر نعيم كل درجة ونصيب كل ولي فيها من نورانية فاطمة في حجاب ذلك الفرع وكان رضي الله عنه يقول في قوله تعالى ": أكلها دائم "" الرعـد :"٣٥ معنـاه أن الأكـل لا ينقطع عنهم متى طلبوه لا أ..م يـأكلون ً دائما فالدوام في الأكل هو عين التنعيم بما به يكون الغذاء للجســم فإذا أكل الإنســان حتى شــبع فليس ذلـك بغـذاء، ولا يأكل على الحقيقة، وإنما هو كالجابي الجامع للمال في خزانتـه والمعـدة جامعة لما جمعه هذا الآكل من الأطعمة، والأشربة فإذا اختزن ذلـك في معـدتـه، ورفع يـده فحينئـذ تتولاه الطبيعة بالتدبير، وينتقل ذلك الطعام من حال إلى حال، ويغذيه مآ. في كل نفس فهو لا يزال في غذاء دائم، ولولا ذلـك لبطلـت الحكمـة في ترتيب نشـــأة كل متغذ ثم إذا خلت الخزانة من الأكل حرك الطبع الجـابي إلى تحصـــيل ما يملؤها به وهكذا على الدوام هذا معنى أكلها دائم. وســمعته يقول : الناس في رؤية ر..م عز وجل على أقســام :منهم من يراه ببـاصر العين فقط، ومنهم من يراه بكلهـا، ومنهم من يراه بجميع، وجهـه، ومنهم من يراه بجميع جســده، وهم الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام ومن ورثهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه، وكرمه آمين. وفي هذا القدر كفاية من كلامه رضي الله عنه، والحمد لله رب العالمين .

ومنهم الشيخ ناصر الدين النحاس رضي الله تعالى عنه و رحمه

صحبته نحو خمسعشرة سنة، كان من رجال الله المستورين، وكان على قدم التعب لا يـذيق نفســـه راحة، ولا شـــهوة، وكان يذهب كل يوم إلى المذبح يأتي بكروش البهائم، وطحالا..ا، وشـغتها في قفة عظيمة على رأسـه يطعمها للكلاب العاجزين، والقطط، والحـدادي، والغربـان، وكـانـت داره مـأواهم في غالب الأوقات، ورأيت حدأة عجوزًا مقيمة في داره يوم موته فلما غســلناه، وحملناه خرجت معه طائرة على نعشـــه حتى دفناه في زاوية الشـــيخ على الخواص رضي الله عنه خارج باب الفتوح بمصرـ المحروســة، وســافر على التجريد من مصرـ ماشــيا من غير زاد، ولا راحلـة، ولا قبول شيء من أحد إلى مكة، وأخبرني بموت أخي أفضـــل الدين رحمه اللـه يوم مـات، وقال مات أخونا أفضـــل الدين هذا اليوم، وغدا يدفن ببدر فلما جـاء الحجـاج أخبرونـا أنه مات قبل دخول بدر بمرحلة، وحمل إلى بدر، ودفن مآ. رضي اللـه عنه بجوار قبورالشـــهداء، وكراماته كثيرة، ولكنا تركنا ذكرها لكونه كان يحب الخمول، وعدم الشهرة. مات سنة خمس، وأربعين وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ الكامل العارف بالله تعالى سيدي علي الكازروني رحمه الله

أحد أصحاب سيدي علي بن ميمون شيخ سيدي محمد بن عراق رضي الله عنه، كان رضي الله عنه كثير ا..اهدة، والرياضة أخبرني رضي الله عنه أنه ربما يمكث الخمسة الشهور أو أكثر لا يضع جنبه بالأرض لا ليلا، ولا ما.... صحبته مدة إقامة الحج بمكة المشرفة نحو عشرين ً يوما سنة سبع، وأربعين، وتسعمائة وكذلك في حجتي سنة ثلاث وخمسين، وتسعمائة مدة الموسم، وانتفعت بكلامه، وإشاراته، ومواعظه ،ودقائقه في علم التوحيد، وله رسائل نافعة في الطريق أطلعني على بعضها، وكان ذا تمكين، ومحبة لستر مقامه بين الناس حتى إن أهل مكة غالبهم ينكر عليه، ويقول هذا رجل محب للدنيا، وسبب ذلك ما أسره إلي، وقال لي هذه بلد الله، وحضرته الخاصة، وكل من تظاهر فيها بصلاح أقبل عليه الناس، وشغلوه عن ربه عز وجل فلما دخلت مكة على حالتي التي كنت عليها في الشام اعتقدوني، وأقبلوا علي فتظاهرت بحب الدنيا، وسؤالي لهم من الصدقات فنفروا عني فاسترحت رضي الله عنه .ومن كلامه رضي الله عنه الإرشاد على ثلاثة أقسام :إرشاد العوام إلى معرفة ما يجب على المكلف معرفته من الحدود، والأحكام من فروض العين والكفاية، وإرشاد الخواص إلى معرفة النفس، وهو معرفة الداء، والدواء فيما يرد على النفس، وعلى الضمائر من الخواطر .وإرشاد خواص الخواص، وهو معرفة ما يجب لله وما يجوز وما يستحيل، وتتريه صفاته، وأسمائه، وذاته، وأفعاله. وقال رضي الله عنه الطريق إلى الله كمال الشهود ولزوم الحدود، وقال

من ثبـت له الاســـتقامة فقد أذن له في الكلام، وقال الوقوف مع المظاهر حجاب ظاهر، والترقي عن المظاهر كشف ظاهر، وقال من صدق ما يقال فيه من المذموم فقد سـلك، ومن صـدق ما يقال فيه من المحمود فقد هلك، وقال منكان مجاهدًا فحقيق أن يكون مشـاهدًا، وقال من صـدق في طلب الله لم يبال بترك ما سـواه، ومن بالغ في مدح نفســه فقد بالغ في ذم غيره، ومن بالغ في ذم غيره فقد بالغ في مدح نفسـه، وكان يقول فسـق العارف في مإ.... أن يتوسـع، وينعم نفسـه بالمباح فوق الكفـايـة وكـان يقول من نفي فقـد أثبـت، ومن أثبت فقد نفي، ومن أثبت ونفي ثبـت، وكان يقول ذكر منك إليه وذكر منه إليك، وذكر منه إليه لا منك، ولا إليك، وكان يقول من ادعى كمال الطريقة بغير أدب الشر-يعة فلا برهان له، ومن ادعى، وجود الحقيقة بغير كمال آداب الطريقة فلا برهان له، وكان يقول من زهد في فضول الثياب كان من الأحباب.

وكـان يقول إذا طلعت شـــمس المعرفة على وجود العارف لم يبق نجوم، ولا قمر، وإن وجد الأثر .وأن يقول من ترقي عن الخواطر الشـيطانية قطع حجب العنصر- الناري ومن ترقي عن الخواطر النفسـانية قطع حجب العنصر- الترابي، ومن ادعي الطاعة، وأخلص فيها ولم يقف مع حظوظ نفسـه فيها قطع حجب العنصر- المائي، ومن عرف اللـه في كـل شيء، وبكل شيء، وعند كل شيء، ولم يقف مع شيء قطع حجـب الهوائي، ومن ترقي عن الحجـب النورانيـة فقـد ترقي عن ملاحظـة روحـه القائم بصـورته الجثمانية ،وكان يقول من تفقه، ولم يتصـوف فقد تفسـق، ومن تصوف، ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه، وتصوف فقد تحقق، وكان يقول كل ما

خفي عن المظـاهر ظهر إشراقـه في الباطن، وكان يقول إذا تجاهل العارف قوي في الإخلاص، والســلامة من القواطع، وكان يقرر من غلب نفســه فلا غالب له ومن غلبته نفسه غلبه كل أحد، وكان يقول الفرق ا..رد شرك خفي، والجمع ا..رد جحود جلي، وشــهود الجمع في الفرق كمال علي، وكـان يقول البعيـد في عين القرب، والقريب في عين البعد ،وأجر القياس" والله يعصــمك من الناس" وكان يقول في بـاطن الزهـد طمع، وفي بـاطن الطمع زهـد، وفي بـاطن الكبر تواضـع وفي بـاطن التواضـع كبر، وفي باطن الفقر غني، وفي باطن الغني فقر، وفي باطن العز ذل، وفي بـاطن الـذل عز، وفي باطن الإيمان بالله كفر بغيره، وفي باطن الكفر بغيره إيمان به وأجر القياس "والله يعصمك من الناس ":

فكن كافر، وكن مؤمن ولا مؤمن، ولا كافر

وكن باطن، وكن ظاهر ولا باطن، ولا ظاهر

وكن أول، وكن آخر ولا أول، ولا آخر

وكن حامد، وكن شاكر ولا حامد، ولا شاكر

قلت :معناه الفناء عن شهود الكمالات على سبيل الافتخار بالله، والله أعلم :

القصد رمز فكن ذكيا والرسم سر على الأشاير

فلا تقف مع حروف رسمي كل المظاهر لنا ستاير

وكان يقول كل مقام أو كل معنى يتعسر على السـالك فإنما هو لبقية في، وجوده، ومن الإلبـاس أن يســأل عن ذلـك المقـام أو يكرر فيه النظر الفكري فان أراد أن يتضح له المعنى من غير طلب فليجتهد في إزالة تلك البقية، وكان يقول الهواء إذا

مر على الجيفة حمل رائحتها، وإذا مر على المسك حمل رائحته وكذلك الماء يكتسب قيدًا بواسطة مقره أو ممره فافهم، وكان يقول إنما خلق الإنسان أولا في أحسن تقويم لأنه كان عند الفطرة بلا شهوة فلما ابتلى بالشهوات رد إلى أسفل سافلين. وكان يقول :من نظر بعين الجمع كانت له الحقائق، والأسرار أفلاكاً، ومن نظر بعين الفرق كانت المظاهر له أشراكا ومن عرف الواحد عند كل موجود في كل زمان فقد هدى إلى صراط مستقيم، وكان يقول: الحجاب بصورة الفعل عن ملاحظة الفاعل، ولو بقدر نفس واحد جحود خفي، وأجر القياس على سائر الحواس وكان يقول: الوقوف مع صورة الشيء من كل وجه شرك خفي، والاعراض عن الشيء من كل وجه جحود خفي فانف، ولا تنف، وأثبت، ولا تثبت آه آه آه، وكان يقول: الكمال في شهود الجمع إعطاء كل ذي حق حقه في مقام الفرق، وكأنه يقول :كل ذرة من الوجود معراج، والمربي جبريل السالك انتهى كلامه رضي الله عنه. مات سنة ستين، وتسعمائة رضي الله تعالى عنه .

ومنهم الشيخ الإمام الكامل الراسخ

الأمين على الأسرار العارف بالله تعالى، والداعي إليه الوارث الرباني النوراني الفرقاني العياني ذو المؤلفات الجليلة، والصفات الحميدة، والألفاظ الرشيقة والمعاني الدقيقة من شاع علمه في أقاليم مصر، وذاع. ومن كراماته، وصفاته قد شرفت البقاع، ومن يكل لسان، واصفه في بيان أوصافه الزكية، وشيمه المرضية

الشيخ محمد الجاولي رضي الله عنه

صحبته رضي الله عنه مدة فما رأيت عليه ً شيئا يشينه في دينه بل تربي في حجر الأولياء على وجه اللطف، والدلال كما قال الأستاذ سيدي علي بن وفا رضي الله عنه:

فما عرفنا، ولا ألفنا   سوى الموافاة، والوصال

مات بمكة سنة نيف، وثلاثين، وتسعمائة رضي الله عنه آمين .

ومنهم شيخنا، وقدوتنا إلى الله تعالى الإمام الصالح الورع الزاهد شمس الدين الديروطي ثم الدمياطي الواعظ

كان في الجامع الأزهر أيام السلطان قانصوه الغوري كان رضي الله عنه مهابا عند الملوك، والأمراء، ومن دو..م زاهدًا، ورعا مجاهدًا صائما ً قائما آمرًا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وقد حضرت مجلس، وعظه في الجامع الأزهر مرات فرأيته مجلسا تفيض فيه العيون، وكان إذا تكلم أنصتوا بأجمعهم، وكان يحضرها أكابر الدولة، وأمراء الألوف فكان كل واحد يقوم من مجلسه متخشعا صغيراً ذليلا رضي الله عنه، وكان إذا مر في شوارع مصر يتزاحم الناس على رؤيته، وكان من لم يحصل ثوبه رمي بردائه من بعيد على ثيابه ثم يأخذ رداءه فيمسح به على وجهه رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يختفي إذا شاء في بيته أو غيره ،وذكرت، والدته أ..ا كانت تضع ما يأكل، وما يشرب فيأكل وهي لا تراه إنما تسمع كلامه فقط، وكان شجاعا ً مقداما في كل أمر مهم، وخرج عليه مرة قطاع الطريق وهو في بحر دمياط فخاف أهل المركب فقال لهم الشيخ لا تخافوا ثم أشار إليها فتسمرت في

الماء فلم يقدروا أن يحركوها فاستغفروا وتابوا، وقالوا للريس من معك فقال الشيخ شمس الدين الدمياطي فقالوا أخبروه أنا تبنا إلى الله تعالى فقال ميلوا إلى جانب البر، وأنتم تخلصون فمالوا فخلصوا رضي الله عنه. وحط مرة على السلطان الغوري في ترك الجهاد فأرسل السلطان خلفه فلما وصل إلى مجلسه مال للسلطان السلام عليكم، ورحمة الله وبركاته فلم يرد عليه فقال إن لم ترد السلام فسقت، وعزلت فقال، وعليكم السلام، ورحمة الله، وبركاته ثم قال علام تحط علينا بين الناس في ترك الجهاد، وليس لنا مراكب نجاهد فيها فقال عندك المال الذي تعمر به قطال بينهما الكلام فقال: الشيخ للسلطان قد نسيت نعم الله عليك، وقابلتها بالعصيان أما تذكر حين كنت نصرانيا ثم أسروك، وباعوك من يد إلى يد ثم من الله عليك بالحرية، والإسلام، ورقاك إلى أن صرت سلطانا على الخلق، وعن قريب يأتيك المرض الذي لا ينجع فيه طب ثم تموت، وتكفن ويحفرون لك قبراً مظلما ثم يدس أنفك هذا في التراب ثم تبعث عرياناً عطشانا جيعان ثم توقف بين يدي الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ثم ينادي المنادي من كان له حق أو مظلمة على الغوري فليحضر فيحضر خلائق لا يعلم عد..ا إلا الله تعالى فتغير وجه السلطان من كلامه فقال كاتب السر وجماعة السلطان الفاتحة يا سيدي الشيخ خوفا على السلطان أن يختل عقله فلما ولي الشيخ، وأفاق السلطان قال ائتوني بالشيخ فعرض عليه عشرة آلاف دينار يستعين مآ. على بناء البرج الذي في دمياط فردها عليه، وقال أنا رجل ذو مال لا أحتاج إلى مساعدة أحد، ولكن إن كنت أنتً محتاجا أقرضتك، وصبرت عليك فما رؤى أعز من الشيخ في ذلك ا..لس، ولا

أذل من السـلطـان في هكـذا كـان العلماء العاملون، وقد صرف على عمارة البرج بـدميـاط نحو أربعين ألف دينـار، ولم يسـاعده فيها أحد إنما كان يعقد الأشربة، ويتـاجر في الخيـار شـنبر، ونحوه رضي الله عنه، ولم يأخذ قط معلوم وظيفة من وظائف الفقهاء، وكان ينفر طلبته من أكل أوقاف الناس ،قبول صدقا..م، ويخبرهم أ..ا تسـود وجه قلو..م رضي الله عنه. وله من المصـنفات شرح منهاج النووي في الفقه، وشرح السـتين مسألة، وكتاب القاموس في الفقه، وشرح قطعة من الإرشاد لابن المقري رضي الله عنه، وكان متواضـعا مع من قرأ عليهم القرآن، وهو صـغير ولم يصـده ما وصل إليه من العلوم، والمعارف، والشهرة عن ذلك، ولقد رأيته مرةً راكبـا فترل، وقبـل يد أعمى تقوده ابنته فقلت له من هذا؟ فقال هذا أقرأني، وأنا صغير حزبين من القرآن رضي الله عنه فما أقدر قط أن أمر عليه، وأنا راكب، وأخبر زوجته أن، ولدها حمزة يقتل شهيدًا، وأنه يأتيه مدفع فيطير رأسه معه فكان كما قال، وأخبر أن ولده سريا يعيش صـالحاً ، ويموت على ذلك، ولما حضرـته الوفاة أخبر، والدته أنه يموت في تلك الرقدة فقالت له من أين لك علم هذا؟ فقال أخبرني بذلك الخضرـ عليه السـلام فكان كما قال فكانت، والدته تخبر أ..ا لما حملت به رأت النبي صـلى الله عليه وسـلم، وأعطاها ً كتابا فكان الكتاب هو الشـيخ . وأخبرني، ولده سـيدي سري فسـح الله في أجله أن والدته رأت الشـيخ بعد مماته فقالت له ما وقع لك مع منكر، ونكير فقال كلمونا بكلام مليح، وأجبناهم بجواب فصيح. توفي رضي الله عنه في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وله من

العمر نيف، وخمســون ســنة رضي الله عنه، ودفن بزاويته بدمياط، ودفن عنده الأخ العزيز العارف بالله تعالى سيدي أبو العباس الحريثي رضي الله عنه.

ومنهم الأخ الصالح

الشيخ محمد السندناوي المحلي رحمه الله تعالى

كانً شـاباً صواماً قواما قليل الكلام حسن السمت كريم النفس يحب الوحدة لا يمـل منها، أحب إليه يجلس في المســاجد المهجورة، والخرائب. اجتمع رحمه الله تعالى بالشــيخ العارف بالله تعالى ســيدي علي الدويب بالبحر الصــغير بنواحي دمياط، وحصـل له منه نفحات، وكسـاه جبته، وقال يا محمد ما فرح مني بذلك قط أحد غيرك وكانت له، والدة يبرها، ولا يكاد يرفع صــوته عليها، وكان يقول لها هبيني الله عز وجل ،والميعاد بيننا في الآخرة ليقطع طمعها منه، ومكث رضي الله عنه سـنين عديدة يحج على التجريد ماشـيا حافيا لا يسـأل أحدًا شـيئاً، ولا يقبله منـه، وكان الغالب عليه الســذاجة في أمور الدنيا، والحذق في أمور الآخرة، وكان كثير التوجه إلى الله تعالى قليل الكلام حسـن المعاشرة لين الجانب لعامة المسلمين واســع الأخلاق لا يكاد أحد يغضــبه، ولو فعل معه ما فعل، أخذ عنه جماعة من أهل الطريق، وانتفعت بمواعظ ،وآدابه رضي الله عنه، وصـحبته نحو خمس عشرـ سـنة ما رأيت عليه شـيئا يشـينه في دينه رضي الله عنه . مات سنة ثلاث، وثلاثين، وتسعمائة، ودفن بسندفا بالمحلة الكبرى رحمه الله تعالى .

ومنهم الشيخ الكامل المحقق سيدي أحمد الرومي رحمه الله

المقيم بمصر العتيق تجاه مقياس نيل مصر المحروسة .صحبته رضي الله عنه نحو عشرين سنة، وكان كثيرا..اهدات والرياضات أخبرني أن له سبع عشرة سنة لم يقرب من عياله اشتغالا بالله تعالى، وكان يقول: قد فعلنا السنة، وولدنا أولادًا كثيرة، وحصل المقصود، وكان رضي الله عنه حسن السمت على الهمة كثير العزلة يحب الخمول، ويأخذ في أسباب الخفاء، ويقول ما بقي للظهور الآن فائدة فإن الفقير لا ينبغي له الظهور إلا لمصلحة الناس من أخذهم الطريق عنه، وقبول شفاعاته فيهم عند الملوك والأمراء، وما بقي عند الأمراء اعتقاد في أحد، ولا عند أحد من الفقراء همة يطلب مآ. السلوكفي طريق الله عز وجل وكان له كل يوم من الجوالي، وغيرها نحو كذا دينارًا فينفقها كل يوم، ويتظاهر بجمع الدنيا ويقول نظهر الشمم على أركان الدولة صيانة للخرقة عن الانتهاك جهدنا رضي الله عنه، وكان حققا في علوم النظر غواصا في بحار التوحيد هيناً ليناً بشوشا غالب أيامه صائماً، وربما طوى لأربعينً يوما لا يأكل كل يوم غير تمرة أو زبيبة رضي الله عنه. مات سنة نيف وتسعين رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ الصالح العابد شاهين المحمدي رحمه الله

أحد أصحاب سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عمر روشني بناحية توريز العجم رضي الله عنه، كان من جند السلطان الأعظم قايتباي رحمه الله، وكانً مقربا عنده فسأله أن يتركه، ويخليه لعبادة ربه ففعل، وأعتقه فساح إلى بلاد العجم، وأخذ عن شيخه المذكور ثم رجع إلى مصر فسكن الجبل المقطم ،وبنى له فيه معبدًا، وحفر له فيه قبرًا، ولم يزلً مقيما فيه لا يترل إلى مصر نحو ثلاثين سنة، وكان له الشهرة العظيمة بالصلاح في دولة السلطان ابن عثمان، وتردد الأمراء، والوزراء إلى زيارته، ولم يكن ذلك في مصر لأحد في زمنه وكان كثير المكاشفة قليل الكلام جدًا تجلس عنده اليوم كاملا لا تكاد تسمع منه كلمة، وكان كثير السهر متقشفا في اللبس معتزلا عن الناس إلى أن توفاه الله تعالى سنة نيف، وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ الصالح عبد القادر السبكي رحمه الله تعالى

أحد رجال الله تعالى :كان من أصحاب التصريف بقرى مصر رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه كثير التلاوة للقرآن كثير الشطح لا يصبر على معاشرته إلا أكابر الفقراء . وكان كثير التشعيث لمن عرف منه أنه يعتقده، وكان كثير الكشف لا يحجبه الجدران، والمسافات البعيدة من اطلاعه على ما يفعله الإنسان في قعر بيته وكان ليله كله تارة يقرأ، وتارة يضحك، وتارة يكلم نفسه إلى الصباح، وكان إذا ذهب إلى السوق يسخره أهل الحارة في قضاء حوائجهم فيقضيها لهم على أتم الوجوه، وكان له في خرجه وعاء واحد يشتري قيه جميع ما يطلبه الناس من المائعات فكان يضع فيه الشيرج، والعسل، والزيت الحار، وغير ذلك ثم يرجع فيعصر من الإناء لكل أحد حاجته من غير اختلاط، وكان له حمارة يجعل لها ولأولادها براقع على وجوهها، ويقول إنما أفعل ذلكً خوفا من العين، وكان إذا لم يجدً مركبا يعدي فيه يركبها ويسوقها على وجه الماء إلى ذلك البر، وكان يتكلم بالكلام الذي يستحي منه عرفاً، وخطب مرةً عروسا فرآها فأعجبته فتعرى لها بحضرة أبيها.

وقال انظري أنت الآخرى حتى لا تقولي بعد ذلك بدنه خشن أو فيه برص أو غير ذلك ثم مسك ذكره، وقال انظري هل يكفيك هذا، وإلا فربما تقولي هذا ذكره كبير لا أحتمله أو يكون صغيراً لا يكفيك فتقلقي مني وتطلبيً زوجا أكبر آلة مني، وكان له بنت يحملها على ظهره أي موضع ذهب حتى كبرت، وهو يحملها على كتفه، وهو يقول: ً خوفا من أولاد الزنا، وكان ربما ذهب ليغسل لها ثو..ا في البركة

فيحفر لهـا في الأرض، ويردم التراب عليهـا حتى ينشـــف ثو..ا، وركـب آخر عمره الخيول المسـومة، ولبس لباس الأمراء، ووضـع الريش في عمامته كالجاويش فكان كل من رآه يعتقد أنه جاويش، وكان الباشا داود لا يرد له كلمة، وكذلك الدفتردار وابن بغـداد، وغيرهم من قضـــاة الشرـــع، وربما ادعى على بعض المنكرين عليه دعاوي باطلة في ظاهر الشرـع، وحكم له القضـاة مآ. لا يستطيعون مخالفته قهرًا عليهم، وأخرب دورًا كثيرة من المنكرين عليـه رضي اللـه عنـه لكونـه كـان كثير العطب .مات سنة نيفة، وتسعمائة .

ومنهم الشيخ الصالح العابد أحمد الكعكي رحمه الله

كان عابدًا زاهدًا كثير الغوص في علم التوحيد لكن لسانه مغلق لا يكاد يفهم عنه، وكان أول ما يبلي من ثوبه موضع ركبتيه من كثرة السجود، والجلوس، وكان ورده في اليوم، والليلة نحو أربعين ألف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واثني عشر ألف تسبيحة، وأحزاباً، وأسماء، وربما دخل في ورده من اصفرار الشمس فما يقوم منه إلى ضحوة النهار، وكان كثير الشطحً تبعا لشيخه سيدي الشيخ محمد الكعكي المدفون بالقلعة بزاويته بالقرب من سيدي سارية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر على صحبته كل أحد، وكان الغالب عليه محبة الخمول، وعدم الشهرة، وكان لا يسكن إلا في الربوع بين السوقة، والمحترفين وينهي عن سكني الزوايا، والربط، ويقول: ما بقي أهل القرن العاشر يقدرون على القيام بحق الظهور. صحبته رضي الله عنه أكثر من عشرين سنة، وكان يخبرني بما يقع في بيتي وبما يخطر لي، وكان غالب الناس لا يعتقده لكثرة تشعيثه قولا لا فعلا تستراً لحاله رضي الله عنه. مات رضي الله عنه خامس عشر رجب سنة اثنتين، وخمسين، وتسعمائة، ودفن ببولاق في مقام العارف بالله تعالى سيدي حسين أبي علي رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ الكامل سيدي علي الهندي رحمه الله

نزيل مكة اجتمعت به فيها سنة سبع، وأربعين، وتسعمائة، وترددت إليه، وتردد إلي، وكانً عالما ورعاً، وزاهدًا نحيف البدن لا تكاد تجد عليه أوقية لحم من كثرة الجوع، وكان كثير الصمت كثير العزلة لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة في الحرم فيصلي في أطراف الصفوف ثم يرجع بسرعة، وأدخلني داره فرأيت عنده جماعة من الفقراء الصادقين في جوانب حوش داره كل فقير له خص يتوجه فيه إلى اللـه تعالى منهم التالي، ومنهم الذاكر، ومنهم المراقب، ومنهم المطالع في العلم ما أعجبني في مكة مثله، وله عدة مؤلفات منها ترتيب الجامع الصغير للحافظ السيوطي، ومنها مختصر النهاية في اللغة، وأطلعني على مصحف بخطه كل سطر ربع حزب في ورقة واحد، وأعطاني نصفي فضة، وقال لك المعذرة في هذا البلد فوسع الله علي الحج ببركته حتى أنفقت مالاً عظيما من حيث لا أحتسب، رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ شعبان المجذوب رحمه الله

كان من أهل التصريف بمصر المحروسة وأقعد آخر عمره في زاويته بسويقة اللبن إلى أن مات، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل، وأخبرني سيدي على الخواص رضي الله عنه أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيهً مكتوبا على العباد، وكان إذا اطلع على موت البهائم يلبس صبيحة تلك الليلة جلد البهائم البقر أو الغنم أو تسخير الجمال الجهة السلطنة يلبس الشليف الليف فيقع الأمر كما نوه به. وكان سيدي على الخواص إذا أشكل عليه أمر يبعث يسأله عنه، وكان رضي الله عنه يرسل يخبرني مع النقيب عن أحوالي الواقعة في الليل. وجاءني مرة امرأة من الريف تريد أن تفسخ نكاح ابنتها لكون زوجها غاب عنها مدة طويلة فباتت عندي من غير علمي فأرسل نقيبه لي من الفجر يقول لي يقول لك الشيخ لا تفرق بين رأسين في الحلال فعلمت أن زوجها سيرجع فأخبرت المرأة فرجعت عن ذلك، وجاء الأمر كما قاله، هذا، والمرأة لم تخاطبني بكلام ،وإنما كانت مضمرة في نفسها أ..ا تحبرني بذلك بكرة النهار فعلم الشيخ بخاطرها رضي الله عنه . وكان يقرأ سورًا غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة، وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامي يظن أ..ا من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل، وقد سمعته مرة يقرأ على باب دار على طريقة الفقهاء الذين يقرءون في البيوت فصغيت إلى ما يقول فسمعته يقول، وما أنتم في تصديق هود بصادقين، ولقد أرسل الله لناً قوما بالمؤتفكات يضربوننا، ويأخذون أموالنا، وما لنا من ناصرين، ثم قال اللهم اجعل

ثواب مـا قرأناه من الكلام العزيز في صـــحائف فلان، وفلان إلى آخر ما قال؛ وكان رضي الله عنه عريانا لا يلبس إلا قطعة جلد أو بســاط أو حصــير أو لباد يغطي قبلـه، ودبره فقط، وكـان يرى حلال زينـة الـدنيـا كـالحرام في الاجتنـاب، وكـانـت الخلائق تعتقله اعتقادًا زائدًا لم أســمع قط أحدًا ينكر عليه ً شــيئا من حاله بل يعـدون رؤيتـه عيدًا عندهم ً تحنينا عليه من الله تعالى رضي الله عنه، مات رضي الله عنه سنة نيف، وتسعمائة.

ومنهم الشيخ الصالح المعتزل عن الناس بجامع آل ملك إبراهيم

كان رضي الله عنه ً مقيما بالجامع المذكور نحو أربعين ســنة صــابرًا على الوحدة حين خربت حارة الجامع ليلا، و..ارًا شـتاء وصيفا ً، وكانت الأكابر تتردد إليه تتبرك به، وكان يلبس العمامة أو الثوب لا يخلعها حتى تذوب عليه، صـحبته نحو ثلاثين سنة. مات رضي .الله عنه سنة نيف، وتسعمائة .

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى محمد الصوفي رحمه الله تعالى

نزيل مدينة الفيوم :كان رضي الله عنه من أكابر العارفين يأكل من عمل يده بالحياكة، وغيرها، ولا يقبل من أحد شيئاً، وكان يحل مشكلات الشيخ محيي الدين بن العربي بأفصح عبارة، ومن كلامه رضي الله عنه: اعلم أن السير في الطريق سيران :سير إلى الله، وسير في الله فما دام السالك في المسالك الفانية التي هي طريق العدم فهو في السير إلى الله فإذا قطع كرة الوجود صار إلى المعبود، ولم تكن هذه الرتبة إلا من طريق الأسماء كما أشار إلى ذلك سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله:

على سمة الأسماء تجري أمورهم   وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة

ففي البداية أنت أنت، والاسم الاسم، وفي وسط الطريق تارة أنت، وتارة الاسم وفي النهاية أنت، ولا اسم فإن التخلق به يظهر فعله على ناسوتك لقوته فلا يرى منك إلا فعل الاسم فالمرئي أنت لا الاسم لقصور نظر الرائين، وأما النافذ البصر فهو يعرف قوة الإكسير يرجع صاحب هذا المقام به من غير مفارقة، ولا بعد مسافة، ولا قر..ا قال، وثم مقام يدخل به العبد إلى حضرة الرب من غير واسطة أسماء، وأطال في ذلك بكلام يدق على العقول رضي الله عنه، وكان يقول طي المعاني مجال أهل العلم الأكبر ،وطي المحسوسات مجال أهل العلم الأصغر، وكان يقول الصفات، وإن كانت راجعة لعين واحدة فبعضها متوقف على بعض توقف ظهور لا توقف إيجاد لأ..ا زمام الباطن من حيث الظاهر، والباطن زمام لها من حيث إن الفيض لها لا تكون إلا منه، وانظر كم شخص يقول لا إله إلا الله فلا يحصل له فتوح أهلها،وكان يخبر أنه يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم، يقظة أي، وقت أراد، وهو صادق لأنه صلى الله عليه وسلم، سائر في كل مكان وجدت فيه شريعته وما منع الناس من رؤيته إلا غلظ حجا..م، صحبته نحو خمس، وثلاثين سنة، وانتفعت بكلامه، وإشارته، رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ عبد العال المجذوب رحمه الله

كان رضي الله عنه يلبسً قميصا إنما كان يلبس إزارًا صيفاً، وشتاء، وكان مكشوف الرأس لم يزلً محافظا على الطهارة، وكانت صلاته تامة بطمأنينة، وذيول كأنهجذع نخلة، وكان يمدح النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل للناس من إنشاده عبرة، ويبكون، وكان يطوف البلاد، والقرى ثم يرجع إلى مصر، وكان سواكهً مربوطا في إزاره، وكفنه لم يزلً مربوطا على بطنه إلى أن توفي، وكان يحملً إبريقاً عظيما فيه ماء ويمر على الناس في شوارع مصر يسقيهم. ولما دنت، وفاته دخل لنا الزاوية، وقال الفقراء يدفنون في أي بلد فقلت الله أعلم فقال في قليوب فكان الأمر كما قال بعد ثلاثة أيام، ودفنً قريبا من القنطرة التي في وسط قليوب وبنوا عليه في سنة ثلاثين وتسعمائة، رضي الله عنه

ومنهم الشيخ خليل المجذوب رضي الله عنه

أصـله من قرية يقال لها المنيتين قريب من مليج، وشـيبين، وكان عرياناً، ولم يزل بالمنيتين إلى سـنة أربعين، وتسـعمائة فانتقل إلى شـيبين فلما سـافرنا إليها لعمارة الجامع مآ.. وجدناه ً مقيما بالبقعة التي عملنا فيها الجامع، وأخبرنا أهل شيبين أن له مدة سـنة وهو يحفر حفرًا في تلك البقعة، ويقول: الجامع الجامع فكان الناس لا يعرفون معنى كلامه حتى عمرنا الجامع في ذلك الموضـع، ولما وصـلنا في المركب إلى سـاحل البحر خرج من شـيبين، وتلقانا، وهو يضـحك، وأظهر السرـور، ولم يزل حولنا حتى عمرنا الجامع، وظهرت له كرامات خارقة، وكشـوفاتصـادقة رضي الله عنـه، وكان له طونس سـاقية لم يزل خارقه في عنقه ليلا ،و..ارًا نحو قنطار، وكان يطوف حول بلده طول النهار، ويزغرت، وتارة يصـيح، وتارة يصـمت، ورأيته مرة من بعيد، وهو صاعد كوم بلده فقلت في سري يا ترى هل هو أحمدي أم برهامي فصاح يا دائم يا دائم يشير إلى أنه برهامي رضي الله عنه. مات رضي الله عنه سنة نيف، وتسعمائة، ودفن ببلده بشيبين رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ عامر المجذوب رضي الله تعالى عنه

أصــله من قرية يقال لها البيجور ثم انتقل إلى ناحية سرس، ومنوف، وكان شــأنه الصــمت ليلا و..ارًا، وكان عامة مإ.... وليله ً واقفا على كوم عال ومعه طوق حجر طاحون يحركه بين رجليه، وهما مفرقتان، وكانت له عمامة نحو قنطار لا يستطيع أحد أن يضــعها على رأســـه من ثقلها يجمعها من شراميط الكيمان، وقد أخبرني الشـيخ الصـالح أحمد السطيحة أنه لما سافر إلى صعيد مصر عارضة فقراء الصعيد من أهل الباطن،وأنه استنجد بسائر الأولياء فما أجابه، وخلصه سوى الشيخ عامر هـذا رضي اللـه عنـه، وكان لا يأكل إلا إذا وضــعوا له الأكل، وإن لم يطعمه أحد يصبر، ولو شهرًا. مات رضي الله عنه في سنة نيف وتسعمائة.

ومنهم الشيخ عمر المجذوب رضي الله عنه

كـان رضي اللـه عنه ً مقيما بســوق أمير الجيوش بمصرــ المحروســة، وكان كثير المكاشفات، ومن جملة ما وقع لي معه أنني لما سافر السلطان قانصوه الغوري إلى مرج دابق سنة قتل في معركة ابن عثمان قلت له يا شيخ عمر هل يدخل السلطان ابن عثمان مصرـ قال نعم، ويمر من هذا المكان، وهنا موضـع حافر فرسه فحفظنا عليه ذلك القول حتى دخل الســلطان ســليم مصرــ ووقع حافر فرســه في ذلك الموضــع الذي عينه رضي الله عنه، وكان يخبر بالأمور المســتقبلة، ومن يتولى من الولاة أو يعزل أو يموت، وكان إذا نام لا يضـع رأســه عن الأرض إلى الصباح، وكان ليله كله سهران، كان إذا لبس القميص لا يترعه حتى يذوب ،وكان على رأسه

عرقية بيضاء فقط من غير قلنسوة، ولا عمامة، صحبته نحو ثلاثين سنة .مات رضي الله عنه سنة نيف، وتسعمائة.

ومنهم الأخ الصالح الورع الزاهد الشيخ سلمان الحانوتي رحمه الله

مكث نحوًا من سـبعة وثلاثين سنة لا يضع جنبه الأرض كما أخبر بذلك على سبيل التحدث بالنعم، كان أكثر إقامته في المسـاجد المهجورة، والبسـاتين الخراب ليلا ، و..ارًا، وكانت ثيابه تارة رثة، وتارة كثياب القضـاة التجار، ولونه تارة، تجده أحمر كالقرمزي، وتارة أصـفر متحولا، تارة تجده أسـمن ما يكون، وتارة أهزل ما يكون، وكـان يخبرني بوقائعي في الليل واحدة كأنه جالس معي فيها، وكان يحب الخمول وعـدم الشـهرة فكـل مكان عرف فيه انتقل منه وكان تارة تجده في بركة الحبش وتارة في الريدانية وتارة، في الجزيرة الوسـطانية، وكان يدخل مصرـ أبدًا إنما هو حواليهـا ينتقل من ناحية إلى ناحية وبني خصـه بالطوب من غير طين فكان كل ساعة ينهدم، ويبنيه ثانياً، وثالثاً، وهكذا، ولا يمكن أحدًا يبنيه بالطين. مات رضي الله عنه سنة نيف، وتسعمائة.

ومنهم الشيخ الصالح السني المحمدي شهاب الدين بن داود بن المنزلاوي رحمه الله

كان رضي الله عنه ً ملازما للعمل بالكتاب، والســـنة، ما رأت يعني بعد الشـــيخ محمد بن عنان أضـبط للسـنة منه، وكان يقول من أراد حفظ السـنة فليعمل مآ. فإ..ا تتقيد عنده، ولا ينســاها، وكان يدرس العلم، ويقرأ كتب التصـوف في زاويته على بحيرة دمياط، وكان موردًا للضــيوف الواردين من دمياط، والصــادرين ،وكان ربما لم يجد ً شـيئا للضـيف غير الأرز فيعلق الدسـت، ويضع الماء يغليه، ويطعمه للضـيف فيقول له ما أطيب لبن هذا الرز فيقول الشـيخ سـبحان السـتار، صحبته رضي الله تعالى عنه نحوًا من أربعين سـنة ما رأيته قط زاغ عن السنة في شيء من أحواله. مات سنة إحدى وخمسين وتسعمائة عن نيف وثمانين سنة رضي الله تعالى عنه.

ومنهم الشيخ الصالح العابد الزاهد الشيخ علي العياشي رحمه الله

كان من أجل أصحاب سيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه، ومكث رضي الله عنه نحو نيف، وسبعين شنة لا يضع جنبه الأرض إلا من مرض شديد، وكان اشتغاله ً دائما ليلا، و..ارًا، من قراءة إلى ذكر إلى صلاة، وكان ينظر إبليس، ويضربه بالعصا فقال ً يوما إني لا أخاف من العصا، وإنما أخاف من نور القلب، وجلس معنا ليلة في مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة فأخذ عصاه ،وضرب مآ. ً إنسانا في ا..لس فقال :لم ضربتني فقال له؛ إنما ضربت الشيطان الذي رأيته ً راكبا على عنقك، ورجلاه مدلاتان على صدرك، وكانت الأولياء الأموات يزورونه كثيراً لا سيما الإمام الشافعي رضي الله عنه فكان يخبر كل قليل أنه كان عنده يقظة لا نوما ً، وكان من لا يعرف حاله يقول هذا خراف، ورأيته مرة افتتح القرآن من صلاة العشاء إلى طلوع الفجر فقرأ خمسة أحزاب فقط بترتيل، وتكرارًا، وكنا ونحن شباب نقوم من الليل فنجده ً قائما يصلي هكذا على الدوام، وما رأيت له قط فروة يجلس عليها، ولا مخدة، ولم يزل على ذلك إلى أن كف بصره أواخر عمره فلم ينقص من أوراده شيئا ً، وكان إذا لم يجد من يوضئه تأتيه الأولياء فيوضئونه فيقول وضأني الإمام الشافعي رضي الله عنه هذا الوقت وضأني فلان وضأني فلان ويصلي بذلك الوضوء، وكان يعض الناس ينكر ذلك حيث لم ير من يوضئه، ويقول هذا خف عقله رضي الله عنه، مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعمائة.

وليكن ذلـك آخر الطبقات، وقد أحببت أن ألحقها بذكر نبذة صـــالحة من أحوال العلماء العاملين من أهل مذهبنا فقطً تبركا بذكرهم، ونشرًـا لعبير مســكهم رضي الله عنهم فأقول، وبالله التوفيق كان أبو بكر بن إسحاق الضبعي لا يترك قط قيام الليل في سـفر، ولا حضر، ولا صيف، ولا شتاء، وكانً إماما في جميع الحلوم، وكان ابن الصــباغ رضي الله عنهحافظ للمذهب صــائم الدهر، وكان القمولي رضي الله عنـه لا يفتر قط عن قول لا إلـه إلا اللـه .وكـان أبو العباس الدبيلي رضي الله عنه يصوم دائماً، ويدرس القرآن دائماً، ويخيط بالنهار فإذا أمسى صلى المغرب واشتغل بالفقه رضي الله عنه.

وكان أبو زيد المروزي رضي الله عنهً متقشفا زاهدًا، وكان أصحابه رضي الله عنهم يقولون خـالطنـاه إلى أن مـات فما نظن أن الملائكـة كتبت عليه خطيئة رضي الله عنـه. وكان الإمام ابن الحداد يختم كل يوم، وليلة ختمة، ويصـــوم يوماً، ويفطر يوماً، ويختم كل جمعة ختمة أخرى في ركعتين في الجامع قبل الصـلاة سـوى التي يختمها كل يوم رضي الله عنه .وكان الإمام أبو جعفر الترمذي رضي الله عنه نفقته أربعة دراهم في كل شــهر، وكان لا يســأل أحدًا قط رضي الله عنه وربما كان رضي الله عنه يتقوت بحبة زبيب كل يوم، وكان مع ذلك شــجاعا رضي الله عنه، وكان الإمام ابن خزيمة رضي الله عنه يضرــب به المثل في الأدب لا ســيما مع شــيخه البوشــنجي حتى إنه ســئل عن مســألة وهو في جنازة فقال لا أفتي حتى أواري أسـتاذي التراب رضي الله عنه. وكان الشيخ أبو العباس النيسابوري رضي الله عنه يقول :ختمت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة ألف ختمة

وضحيت عنه اثنتي عشرة ألف أضحية رضي الله تعالى عنه .وكان الإمام محمد بن برذزبـه البخـاري رضي اللـه تعـالى عنـه يختم القرآن كـل يوم، ويقرأ في الليل عند الســحر ثلثا من القرآن فمجموع ذلك ختمة، وثلث، وكان يقول: أرجو أن ألقى الله تعالى، ولا يحاســبني أني اغتبت أحدًا رضي الله تعالى عنه. وكان الشــيخ تقي الـدين بن دقيق العيد رضي الله تعالى عنه يقول :ما تكلمت قط كلمة، ولا فعلت فعلا منـذ وعيـت على نفسيــ حتى أعـددت لذلكً جوابا بين يدي الله عز وجل .وكان الإمام محمد النيسـابوري يصلي طول مإ.... ويصوم الدهر فإن أتاه مستفت أفتاه، وإلا فهو في صــلاة رضي الله عنه. وكان الإمام محمد المعروف بفقيه الحرم أحد تلامذة الشـيخ أبي إسحاق الشيرازي يقرأ كل يوم ستة آلاف مرة" قل هو الله أحد "من جملة أوراده رضي الله تعالى عنه .وكان الإمام الحســن الأصــبهاني رضي الله تعالى عنه ينفرد عن تلامذته كل أســبوع، ويبكي حتى ذهبت عيناه، ويقول :قـد بكى من كـان قبلي الـدم، وما قاموا بواجب حق الله عز وجل رضي الله تعالى عنه. وكان الشــيخ زين الأمناء الدمشــقي رضي الله تعالى عنه قد جزأ الليل ثلاثة أجزاءً ثلثا للتلاوة، والتســبيح،ً وثلثا للنوم،ً وثلثا للعبادة، والتهجد، وكان يطول الســجود، وكـان يقـال له الســجاد، وكان مإ... كذلك رضي الله عنه .وكان الإمام الحســن بن سمعون رضي الله عنهً إماما زاهدًاً ورعا كثير التهجد قلما يخرج من بيته إلا في أيام الجمع لأجل الصـلاة ،وطول مإ... في قعر بيته رضي الله عنه .وكان الشيخ أبو علي بن حيران رضي الله عنهً إماما زاهدًاً صامتا فأكرهه السلطان على أن يوليه القضاء فأبى فوكل على بابه حراساً، وختم على باب داره بضعة عشر يوما

ثم أعفاه، وقال لبعض تلامذته انظر يا بني حتى تحدث إن عشت بعدي أنً إنسانا به مثل هذا ليلي القضاء فامتنع، وكان يعيب على ابن سريج في ولايته الضاء، ويقول :هذا الأمر لم يكن في أصحابنا، وإنما كان في أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه. وكان أبو عبد الله الحاكم يقول :تبعت الشيخ حسينا النيسابوري حضرًا وسفرًا نحو ثلاثين سنة فما رأيته قط يترك قيام الليل يقرأ في كل ركعةً سبعا رضي الله عنه. وكان الإمام البغوي رحمه الله زاهدًاً ورعا حتى كان يأكل الخبز وحده فعذلوه في ذلك فصار يأكله بالزيت إلى أن مات رضي الله عنه. وكان القفال المروزي يغلب عليه البكاء في الدرس حتى يغمي عليه ثم يفيق، ويقول: ما أغفلنا عما يراد بنا رضي الله تعالى عنه .وكان أبو بكر النيسابوري رضي الله عنه يقوم الليلً دائما حتى مكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء رضي الله تعالى عنه.

وكان الشيخ عبد الله الأصبهاني المعروف بابن اللبان رضي الله عنه يصلي بالناس التراويح، ويصرفهم ثم ينتصب للصلاة حتى يطلع الفجر فإذا صلى جلس يدرس أصحابه، وكان لا يضع جنبه للنوم في رمضان ليلا، ولا ما.... .وكان ابن أبي حاتم رضي الله عنه زاهدًاً ورعاً خاشعا لا يكاد يرفع طرفه إلى السماء، وجاءه رجل، وهو في الدرس فقال إن سور طرسوس قد ا..دم منه جانب، واحيتج في عمارته إلى ألف دينار فقال الشيخ للحاضرين من يعمره، وأنا أضمن له على الله قصرًا في الجنة فقام رجل أعجمي، وجاء بألف دينار، وقال اكتب لي ورقة مآ.. الضمانة فكتب له الشيخ ثم إن العجمي مات، ودفنت معه الورقة فحملها الريح حتى

ألقاها في حجر الشـيخ رضي الله عنه فإذا مكتوب في ظهرها قد وفينا ما ضـمنته، ولا تعد رضي الله تعالى عنه. وكان الشـيخ عبد الرحمن الأنباري النحوي رضي الله عنه لا يوقد قط في بيته ً سراجا لعدم صـفاء ثمن ما يشـتري به الزيت، وكان تحته حصـير قصب وعليه ثوب خلق، وعمامته من غليظ القطن فيصلي فيها الجمعة ما يفرق الناس بينه، وبين الشحاتين في رثاثة الهيئة، وكان لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة رضي الله عنه. وكان الشـيخ عبد الرحمن الداودي البوشـنجي رضي الله عنـه ً عـالمـاً ورعـا زاهـدًا لم يأكل اللحم منذ أربعين سـنة من حين مإ.. التركمان البهائم، وكان لا يأكل السـمك فحكى له شـخص أن بعض الجند أكل على شـاطئ النهر الذي يصـاد له منه، ونفض سفرته في النهر فأكله السمك فلم يأكل بعد ذلك منه سمكاً، وكان له أرض ورثها من آبائه يزرع فيها ما يقوته، وله فيها بقرة، وبئر مـاء فمطرت ً يومـا فـأطلقـت البقرة إلى أرض جاره ثم رجعت وفي حافرها، وحل فاختلط في أرضـه فترك الأرض للناس، وخرج منها ،ولم يزرع بعد ذلك فيهاً شـيئا إلى أن مـات، وكـان لـه فرن يخبز فيـه في داره فجـاء فقراء يزورنـه، وكـان ً غـائبـا فوجدوا باب فرنه قد ا..دم منه جانب فعجنوا طيناً، وأصـلحوه فامتنع من الخبز فيه، وبني له خلافه لكون من ليس على قدمه في الورع بناه رضي الله تعالى عنه .وكان الشيخ عبد الله الرازي رضي الله عنه أحد طلبة أبي إسحاق الشيرازي مجاب الدعوة، وحج مرة فعطش الحجاج فقالوا له :يا فقيه اسـتسـق بنا فتقدم، وقال :اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط في لذة ثم استسقى فترل المطر كأفواه القرب رضي الله تعالى عنه. وكان الشيخ أبو الحسن المقري رضي الله عنه من

العلماء العاملين طول ليله في صلاة، و..اره في صيام وكان عارفا زاهدًا حتى إنه كان بينـه، وبين أخيـه عمامة، وقميص فكان إذا خرج أحد لبســـهما ،وجلس الآخر في البيت، ودخل عليه زائر يوما فوجده عريانا فقال: نحن إذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي أبو الطيب الطبري رضي الله تعالى عنه:

قوم إذا غسلوا جمال ثيابهم لسوا الميوت إلى فراغ الغاسل

أو كما قال غيره :

قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم لبسا البيوت، وزرروا الأبوابا

وكان الشـيخ أبو الحســن الاسـتراباذي مجتهدًا في العبادة عمره، وكان يكتب عامة النهـار، وهو يقرأ القرآن ظـاهرًا لا يمنعـه أحـد الأمرين عن الآخر رضي اللـه عنـه، وكان إذا دخل عليه أحد، وأكثر اللغو يقول له أخرج، ولو كان من أعز الناس، وكان له الدرس، والفتوى، ومجلس النظر، والتوسط، ومع ذلك كان يختم كل يوم ختمة رضي اللـه عنـه. وكان الشـــيخ أبو علي المرزباني رضي الله عنه إماماً ورعا زاهدًا، وكـان يقول مـا أعلم لأحـد قط على مظلمـة في مال أو عرض، مثله لا يخفي عليه تحريم الغيبة، وسـوء الظن بالمسـلمين رضي الله عنه. وكان أبو الحســن الأشعريً إماما زاهدًاً ورعاً عالماً مواظبا على الســنة ً مقدما على أقرانه من المتكلمين رضي الله عنه، ومكث عشرـين سـنة يصـلي الصبح بوضوء العشاء، وكانت نفقته في كل سـنة سـبعة عشرـ درهما رضي الله عنه. وكان الحافظ ابن عســاكر رضي الله عنه إماما زاهدًا ورعا مواظبا على صلاة الجمعة في المسجد كثير التلاوة للقرآن كثير

النوافـل، والأذكـار آنـاء الليـل وأطراف النهـار، وكان يختم القرآن كل أســـبوع في التهجد رضي الله عنه.

وكان الشـيخ أبو الحسـن القزويني رضي الله عنه يكاشـف، ويتكلم على الخواطر، وكـان ملازمـا للصـــمـت لا يخرج من بيتـه رضي الله عنه فكل هؤلاء كانوا علماء عاملين غير مشـــهورين بالعبادة والزهد ،والورع رضي الله تعالى عنهم فذكرناهم لننبـه على فضـــلهم رجـاء الخير، والترحم عليهم رحمهم الله تعالى، والاقتداء مآ. .وأما من اشـتهر بالعبادة والزهد، والورع كالشـيخ أبي إسـحاق الشـيرازي، والإمام الغزالي، والإمـام الرافعي، والإمـام النووي رضي الله تعالى عنهم، ورحمهم، ورحمنا مآ. فاكتفينا بشهر..م، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

قال المؤلف الشـيخ الإمام العالم العامل الكامل الراسـخ المحقق المدقق أحد ملوك العارفين بالله تعالى سـيدي عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشـعراوي الأنصـاري رضي الله تعالى عنه: كان الفراغ من كتابتها، وتأليفها خامس عشرـــ رجب ســـنة اثنتين، وخمسين، وتسعمائة بمصر المحروسة، والحمد لله رب العالمين.

فهرس